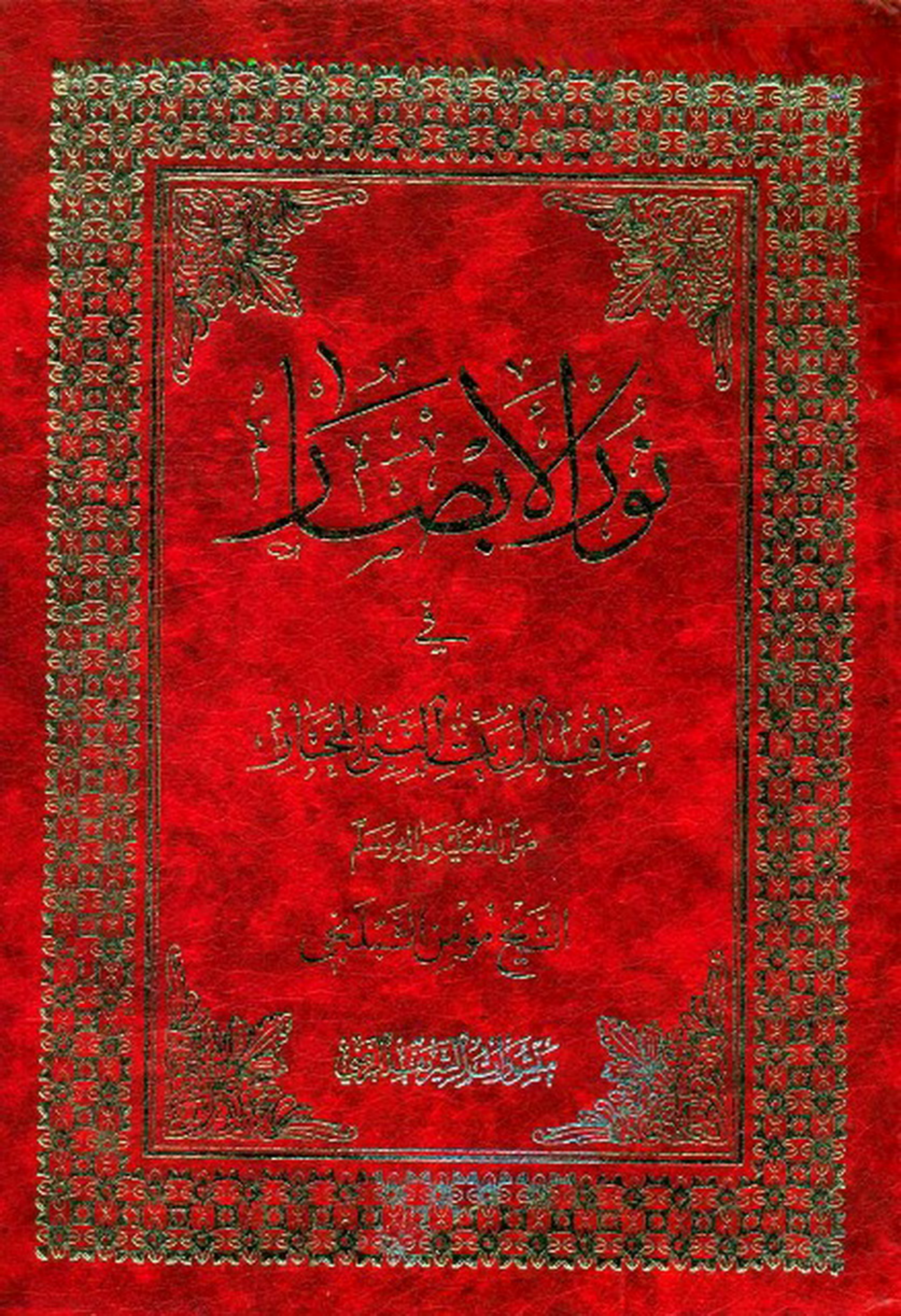


نور الأبصار
في
مناقب آل بيت النبي المختار
صلى الله عليه وآله وسلم
الشيخ مؤمن الشبلنجي
منشورات الشريف الرضي

نور الأبصار

في

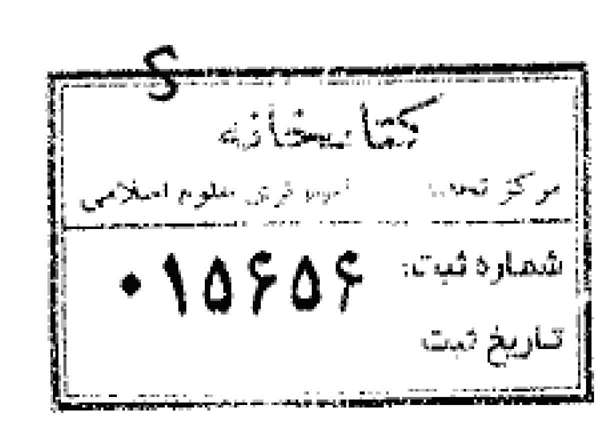
مناقب آل بيت النبي المختار

صلى الله عليه وسلم

تأليف

الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي

من علماء القرن الثالث عشر الهجري



إذا استعرت كتابي وانتفعت به

فاحذر وقيت الردى من أن تغيره

واردده لي سالماً إني شغفت به

لولا مخافة كتم العلم لم تره

المؤلف

الفهرس

ترجمة المؤلف

نسبه : هو السيد مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي نسبة إلى شبلنجا قرية من قرى مصر بينها وبين بنها العسل مسيرة نحو ساعتين بسير الأثقال من الجانب الشرقي ، قال ابن الأثير : بنها بكسر الباء والعامة تفتح باءها : قرية من قرى مصر بارك النبي ﷺ فيها وفي عسلها.

مولده : ولد صاحب الترجمة سنة نيف وخمسين بعد المائتين والألف ، وتربّى في حجر والده بالقرية المذكورة وحفظ القرآن بها وهو ابن عشر سنين وقدم الجامع الأزهر لتجويد القرآن العظيم قبل أن يبلغ الحلم سنة ١٢٦٧.

تلقيه للعلم : واشتغل بالعلم على جهابذة الوقت. فحضر دروس الفقه على العلّامة الشيخ محمد الخضري الدمياطي المتوفى يوم الثلاثاء لثلاث خلت من صفر سنة ١٢٩٨ ، وحضر عليه أيضاً المواهب اللدنية ، وشرح عبد السلام على جوهرة التوحيد ومختصر البخاري للزبيدي ، وبعض صحيح مسلم ، والشمايل مرتين ، وحكم ابن عطاء الله مرتين ، وفضائل رمضان ، والهمزية ، والبردة ، وبانت سعاد ، وبعض جمع الجوامع . وحضر دروس الفقه أيضاً على العلّامة الشيخ محمد الأشموني حفظه الله تعالى ، وحضر عليه أيضاً شرح الهدهدي ، وتفسير الجلالين ،ومغني اللبيب ، وشرح السعد ، وجمع الجوامع ، وبعض المطوّل ،

والبردة. وحضر دروس الفقه أيضاً على العلّامة الشيخ محمد الأنبابي رحمه الله تعالى، وحضر عليه أيضاً شرح الملوي على السمرقندية، وشرح ابن عقيل، وشرح الأشموني في النحو، ورسالة الشيخ الفضالي في التوحيد، ومولد النبي ﷺ لابن حجر. وحضر على السيد عبد الهادي نجا الإبياري رحمه الله تعالى مغني اللبيب، ومتن الكافي وبعض المطوّل. وحضر على العلّامة الشيخ محمد عليش رحمه الله تعالى شرح الأشموني، وإيساغوجي بالمشهد الحسيني. وحضر على إمام المحققين الشيخ إبراهيم السقاء، شرح الملوي على السلم. وحضر على العلّامة الشيخ أحمد كبوه رحمه الله تعالى، الجامع الصغير. وحضر أيضاً ابن عقيل على العلّامة الشيخ ابراهيم الشرقاوي رحمه الله تعالى. وحضر على الشيخ سيد الشرشيمي الشرقاوي رحمه الله تعالى، شرحي الشذور، والقطر. وحضر على العلّامة الشيخ إبراهيم السنجلي رحمه الله تعالى، شرح القطر أيضاً. وحضر على الشيخ محمد المرصفي المدعو بأبي سليمان رحمه الله تعالى شرح الأزهرية. وحضر على الشيخ نصر الهوريني رحمه الله، شرح الشيخ خالد على الآجرومية. وحضر شرح الكفراوي، على الشيخ علي السنديبسي رحمه الله تعالى. وحضر على الشيخ أحمد السنهوري، شرح الآجرومية أيضاً. وحضر على الشيخ محمد الطوخي رحمه الله تعالى، متن الآجرومية. وحضر كتباً صغيرة على أشياخ يطول شرحهم، كالسنوسية وغيرها. وطالع كتباً مع بعض إخوانه من أهل العلم، كالمنهج، والأشموني، ورسالة الصبان البيانية، ومتن السلم في المنطق، ومتن الشفاء للقاضي عياض، ومختصر ابن أبي جمرة وغير ذلك. وطالع كتباً كثيرة أيضاً في التاريخ والأدب. وطالع متن الشعراني وطبقاته، وطبقات المناوي، وطبقات ابن السبكي.

تآليفه: واختصر تاريخ الجبرتي في جزءين صغيرين أخذ فيهما اللب وترك القشر، وله فتح المنان بتفسير غريب جمل القرآن، وهو جزء صغير تعرض فيه لأسباب النزول والناسخ والمنسوخ ورواية حفص عن عاصم ورسم بعض الكلمات القرآنية بما أن الوقف تابع للرسم.

شمائله : صفته معتدل القامة نحيف الجسم ، لونه البياض يضرب إلى حمرة ، خفيف العارضين.

خصاله : يميل إلى العزلة ويأنس بنفسه ، ويألف زيارة القبور والمشاهد ، ولا يعظم غنياً لغناه أو لطمع في جاه ، ولا يحقر فقيراً لفقره بل ربما أجله لخصلة حسنة فيه كعلم وعمل. وفي المعنى للمتنبي :

ولست بنظار إلى جانب الغنى   إذا كانت العلياء في جانب الفقر

مكان تدريسه : ولم يزل المترجم له يزاول العلم مطالعة وإملاء بزاوية الأستاذ السيد محمد البكري بن أبي الحسن البكري التي بجوار الجامع الأزهر من ناحية بابه المعروف بباب الشوربة على يسار الطالب للقرافة.

قال الشعراني رضي الله عنه : كان لسيدي محمد بن أبي الحسن البكري قدم في الولاية والعلم مع حداثة سنه ، وكانت الدنيا خادمة له واقتنى الخيل المسومة ، وكنت إذا مرضت أخشى أن يعودني ، وهل مثلي يسعى له سيدي محمد بن أبي الحسن البكري ، وكانت له شطحات في درسه يعني بها الجن الحاضرين درسه لا يفهمها الحاضرون من الإنس اهـ.

وكان والده أبو الحسن يسأله الشيخ الرملي في المسائل الفقهية ، سأله مرة : هل الركعتان اللتان قبل الظهر أفضل أم الركعتان اللتان بعده ، فقال له : إذا قلنا بأن التابع يشرف بشرف المتبوع فالركعتان اللتان بعده أفضل. ولأبي الحسن رضي الله عنه تفسير جليل موجود بكتبية السادات الوفائية ، وله شرح على منهاج الشيخ النووي. ولولده سيدي محمد أيضاً مؤلفات جليلة منها كتاب في التاريخ لم يكن في كتب التاريخ أحسن منه ، والله أعلم.

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾.

(قرآن كريم)

سورة الأحزاب آية ٣٣



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أسبغ علينا جلابيب النعم ، واصطفى سيدنا محمداً ﷺ على سائر العرب والعجم ، وفضل آل بيته على المخلوقات ، ورفعهم بفضله وكرمه أعلى الدرجات ، فأحرزوا قصبات سبق سيادة الدنيا والآخرة ، واتصفوا بالكمالات الظاهرة والباطنة والمحاسن الفاخرة ، فهم نور حدقة كل زمان ، ونور حديقة كل عصر وأوان ، المميزون بالفضل عمن سواهم ، الخاذلون لمن أبغضهم وعاداهم ، معادن العلوم والمعارف ، أولو الفصاحة والبلاغة واللطائف ، أحمده سبحانه وتعالى على تزايد آلائه الوافرة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدخرها لهول الآخرة ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صاحب العلامات ، المبعوث بالآيات الواضحة والبراهين القاطعة المؤيد بالمعجزات ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الطاهرين الذين من تمسك بهم كان من الفائزين المتمسكين بالسبب المتين.

وبعد : فيقول فقير رحمة ربه المهيمن السيد الشبلنجي الشافعي المدعو بمؤمن : أصاب عيني رمد فوفقني الله الفرد الصمد لزيارة السيدة نفيسة بنت سيدي حسن الأنور فزرتها وتوسلت بها إلى الله وبجدها الأكبر في كشف ما أنا فيه ، وإزالة ما أكابده وأقاسيه ، ونذرت إن شفاني الله لأجمعن كليات من كتب السادة الأعلام ، تشتمل على ذكر بعض مناقب أهل بيته ﷺ الكرام ، فمضى زمن يسير وحصل الشفاء ، فأخذت في الأسباب وعزمت على الوفاء ، فما كان من

نفسي إلا أن حدثتني بالإحجام ، وثبطتني ومنعتني من أن أحوم حول هذا المرام ، قائلة أنت قليل البضاعة ، ولست أهلاً لتلك الصناعة ، ولعلمي بأن هذا الأمر ميدان الفرسان ، ومورد الصناديد من الرجال الشجعان ، ضربت عنه صفحاً مدة من الزمان ، وصار عندي نسياً منسياً ، متروكاً في زوايا النسيان ، حتى ذكرت ذلك لبعض الإخوان ، أصلح الله لي ولهم الحال والشان ، فحرضني على الإقدام ، وحملني على توسيع دائرة الغرض من الكلام في هذا المقام ، بذكر رؤساء الصحابة الأربعة الخلفاء المهتدين ، والأئمة الأربعة المجتهدين أئمة الدين ، هذا مع أني رجعت عنه القهقرى ، وذهبت عني حالة من يقدم رِجلاً ويؤخر أخرى ، ثم تذكرت قول القائل :

أسير خلف ركاب النجب ذا عرج ... مؤملاً جبر ما لاقيت من عوج
فإن لحقت بهم من بعد ما سبقوا ... فكم لرب الورى في الناس من فرج
وإن ظللتُ بقاع الأرض منقطعاً ... فما على أعرج في الناس من حرج

وقول الآخر :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها ... كفى المرء نبلاً أن تعدّ معايبه

فرجع عزمي وزال تردّدي وكسلي وانتصبت لجمع كتاب تقرّ به أعين الناظرين ، وتستشرف له أولو الرغبة وتشدّ إليه رحال الطالبين. وسميته : « **نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار** ». ورتبته على أربعة أبواب وخاتمة. الباب الأول : في ذكر سيرة النبي ﷺ والخلفاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم. الباب الثاني : في ذكر الحسن والحسين وباقي الأئمة الاثني عشر. الباب الثالث : في ذكر جماعة من أهل البيت لهم بمصر القاهرة مساجد معمورة ومزارات مشهورة. الباب الرابع : في ذكر الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب. الخاتمة : في ذكر الأربعة الأقطاب أصحاب الأشائر ، وقد التزمت في هذا الكتاب أن أذكر أسماءهم وكناهم وألقابهم وآباءهم وأمهاتهم ومواليدهم

وفاتهم ومدة أعمارهم وأسماء حجابهم وشعرائهم ونقش خاتمهم ومعاصريهم وغير ذلك كذكر صفاتهم.

والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وسبباً للفوز لديه بجنات النعيم إنه على ما يشاء قدير وبعباده لطيف خبير، وهذا أوان الشروع في المقصود بعون ربنا الملك الوهاب المعبود.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب الأول

في ذكر سيرته ﷺ وخلفائه الأربعة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

واعلم أنه قد جاء في فضلهم رضي الله عنهم آيات وأحاديث كثيرة عامة وخاصة ، ولنذكر لك نبذة عامة فنقول ونستمدّ من الله التوفيق لأقوم طريق : عن عكرمة رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ ﴾[1] الآية. قال : «إذا كان يوم القيامة يؤتى بسرير من ياقوتة حمراء طوله عشرون ميلاً في عشرين ميلاً ليس فيه صدع ولا وصل معلق بقدرة الله تعالى فيجلس عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ثم يؤتى بسرير من ياقوتة صفراء على صفة السرير الأول فيجلس عليه عمر رضي الله عنه ، ثم يؤتى بسرير من ياقوتة خضراء على صفة الأول فيجلس عليه عثمان رضي الله عنه ، ثم يؤتى بسرير من ياقوتة بيضاء على صفة الأول فيجلس عليه عليّ رضي الله عنه ، ثم يأمر الله الأسرّة أن تطير بهم فتطير بهم الأسرّة إلى تحت ظل العرش ، ثم تسبل عليهم خيمة من الدرّ الرطب لو جمعت السموات السبع والأرضون السبع وكل ما خلق الله تعالى لكانت في زاوية من زوايا تلك الخيمة ، ثم يرفع إليهم أربع كاسات : كأس لأبي بكر وكأس لعمر وكأس لعثمان وكأس لعليّ رضي الله عنهم أجمعين فيسقون وذلك قوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾[1]. ثم يأمر الله جهنم أن تمخض بأمواجها وتقذف الرافض والكافر على وجهها فيكشف الله عن أبصارهم فينظرون إلى منازل أمة محمد ﷺ في الجنة فيقولون هؤلاء الذين سعد بهم الناس ونحن شقينا ثم يردون إلى جهنم» اهـ من عمدة التحقيق. وفيه أيضاً : ذكر الكسائي في كتابه قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن نوحاً عليه السلام كان كلما صنع في السفينة شيئاً تأكله

---

(١) سورة الحجر آية ٤٧.

الأرضة ليلاً فشكا إلى الله تعالى، فأوحى الله تعالى إليه اكتب عليها عيوني من خلقي قال يا رب وما عيونك من خلقك؟ قال هم أصحاب نبيي محمد ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ. فكتبهم نوح عليه السلام على جوانبها الأربعة فحفظت. قال وإذا تأملت ما ذكره الكسائي مع قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[1] تجد فيه السر الأعظم والفضل الذي تقصر دونه الغايات اهـ. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أخبرني جبريل قال يا محمد لما خلق الله آدم وأدخل الروح في صدره أمرني أن أخرج تفاحة من جنات عدن فأخرجتها وعصرتها في حلق آدم خمس نقط، فالنقطة الأولى خلقك منها والثانية أبو بكر، والثالثة عمر، والرابعة عثمان، والخامسة عليّ وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾[2]. فالبشر والنسب والصهر أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم أجمعين». وفي تفسير الخطيب يروى عن أُبيّ بن كعب أنه قال: «قرأت على النبي ﷺ والعصر ثم قلت ما تفسيرها يا رسول الله؟ فقال ﷺ والعصر قسم من الله أقسم ربكم بآخر النهار إن الإنسان لفي خسر أبو جهل إلا الذين آمنوا أبو بكر وعملوا الصالحات عمر وتواصوا بالحق عثمان وتواصوا بالصبر عليّ». وهكذا خطب ابن عباس على المنبر موقوفاً عليه اهـ. أخرج ابن عساكر عن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا بكر زوّجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة وأعتق بلالاً، رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مراً، رحم الله عثمان تستحي منه الملائكة، رحم الله علياً اللهم أدر الحق معه حيث دار». وأخرج الطبراني عن سهل قال: «لما قدم النبي ﷺ من حجة الوداع صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إني راض عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والمهاجرين الأوّلين فاعرفوا لهم ذلك». وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه

---

(١) سورة القمر آية ١٣.

(٢) سورة الفرقان آية ٥٤.

قال : «دخلت الجنة فبينما أنا أطوف في رياضها وبين أنهارها وأشجارها إذ ضربت يدي إلى ثمرة فأخذتها فانفلقت في يدي على أربع قطع فخرج من كل قطعة حوراء لو أخرجت ظفرها لفتنت أهل السموات والأرض، ولو أخرجت كفها لغلب ضوءها ضوء الشمس والقمر، ولو تبسمت لملأت ما بين السماء والأرض مسكاً من رائحتها فقلت للأولى لمن أنت؟ قالت: لأبي بكر الصديق فقلت: امضي إلى قصر بعلك فمضت، وقلت للثانية: لمن أنت؟ فقالت: لعمر بن الخطاب فقلت: امضي إلى قصر بعلك فمضت، وقلت للثالثة: لمن أنت؟ قالت: للمختضب بدمه المقتول ظلماً عثمان بن عفان فقلت لها: امضي إلى قصر بعلك فمضت، وقلت للرابعة: لمن أنت؟ فسكتت ثم قالت: والله يا رسول الله إن الله تعالى خلقني على حسن فاطمة ولقد سماني على اسمها وإن الله تعالى زوّجني من عليّ بن أبي طالب قبل أن يتزوج فاطمة بألف عام». وروي عن النبي ﷺ أنه قال لأبي بكر رضي الله عنه: «يا أبا بكر خلقني الله عزّ وجلّ من جوهرة من نور فنظر إليها الرب جلّ جلاله وتقدست أسماؤه فأوقفني بين يديه فاستحييت منه فعرقت فسقط مني أربع نقط فخلقك يا أبا بكر من أول نقطة وخلق عمر من الثانية وخلق عثمان من الثالثة وخلق علياً من الرابعة فنورك يا أبا بكر ونور عمر وعثمان وعلي من نوري» اهـ من الروض الفائق. وفي بحر العلوم عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما خلق الله آدم ظهر في ظهره نور محمد ﷺ فكانت الملائكة تقف خلفه ينظرون إلى ذلك النور فقال آدم: يا رب ما لهؤلاء ينظرون من خلفي إلى ظهري؟ قال: ينظرون إلى نور محمد خاتم الأنبياء الذي أخرجه من ظهرك، قال: يا رب اجعل نوره بحيث أراه فظهر في سبابته فقال: يا رب هل بقي في ظهري من هذا النور شيء؟ قال: نعم نور أصحابه، قال: يا رب اجعله في بقية أصابعي فجعل نور أبي بكر في الوسطى ونور عمر في البنصر ونور عثمان في الخنصر ونور علي في الإبهام وكان آدم ينظر تلك الأنوار تتلألأ في خلال أصابع يمينه إلى أن أكل من الشجرة وعوتب بذلك فنقل ذلك كله إلى ظهره اهـ. وعن الزبير بن العوام قال: قال رسول الله ﷺ في غزوة تبوك: «اللهم إنك باركت لأمتي في صحابتي

فلا تسلبهم البركة واجمعهم عليه ـــ يعني أبا بكر ـــ ولا تشتت أمره فإنه لم يزل يؤثر أمرك على أمره. اللهم وأعز عمر وصبر عثمان وقوِّ علياً وثبت الزبير بن العوام واغفر لطلحة وسلم سعداً ووفق عبد الرحمن وألحق بي بالسابقين الأولين والأنصار والتابعين بإحسان». وقال رسول الله ﷺ: «إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين فاختار من أصحابي أربعة: أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً». وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ان الله عزّ وجلّ افترض عليكم حب أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ كما افترض عليكم الصلاة والزكاة والصوم والحج، فمن أبغض واحداً منهم لم يقبل الله له صلاة ولا زكاة ولا صوماً ولا حجاً ويحشره من قبره إلى النار». وفي المعنى قيل:

من أحسن الظن في الله الكريم وفي ... رسوله كان مكتوباً من الشرفا
ومن أحبَّ صحاب المصطفى فله ... جنات عدن يرى في ظلها غرفا
ومن يكن باغضاً فيهم فإن له ... نار الجحيم ويضحى باكياً أسفا
فهم نجوم الهدى في كل مظلمة ... والله حسبي فيما قلته وكفى

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لحوضي أربعة أركان: ركن منه في يد أبي بكر والثاني في يد عمر والثالث في يد عثمان والرابع في يد علي، فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر، ومن أحبّ عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر، ومن أحبّ عثمان وأبغض علياً لم يسقه عثمان، ومن أحبّ علياً وأبغض عثمان لم يسقه علي، ومن أحسن القول في أبي بكر فقد أقام الدين، ومن أحسن القول في عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحسن القول في عثمان فقد استنار بنور رب العالمين، ومن أحسن القول في عليّ فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن أحسن القول في أصحابي فهو مؤمن، ومن أساء القول في أصحابي فهو منافق». وفي المعنى قيل:

هم صحابة خير الخلق أيدهم ... رب السماء بتوفيق وإيثار
فحبهم واجب يشفى السقيم به ... فمن أحبهم ينجو من النار

وروى أبو ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من أدخل السرور على

أصحابي فقد أدخل السرور عليَّ ، ومن أدخل السرور عليَّ فقد سرَّ الله ، ومن سرَّ الله كان حقاً على الله أن يسره ويدخله الجنة ». وقال رسول الله ﷺ : «لا يجتمع حبّ هؤلاء الأربعة إلا في قلب مؤمن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ». وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ أقبل أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فقال رسول الله ﷺ : مرحباً بالمواسي بماله مرحباً بالمؤثر على نفسه ، ثم أقبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : مرحباً بالمفرق بين الحق والباطل مرحباً بمن أكمل الله به الدين وأعز به المسلمين ، ثم أقبل عثمان رضي الله عنه فقال : مرحباً بصهري وزوج ابنتي الذي جمع الله به نوري السعيد في حياته الشهيد في مماته ويل لقاتله من النار ، ثم أقبل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : مرحباً بأخي وابن عمي والذي خلقت أنا وهو من نور واحد ، معاشر المسلمين هؤلاء لا يتفق حبهم إلا في قلب مؤمن ولا يتفرق إلا في قلب منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله».

(لطيفتان) : الأولى قيل إن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما كانا في بعض أشغال النبي ﷺ فادركتهما صلاة العصر ، فقال عمر بن الخطاب لعثمان : تقدّم فصلِّ بنا فقال عثمان : أنت أولى مني بالتقدم يا عمر فإن رسول الله ﷺ قدّمك وأثنى عليك فقال عمر : أنا لا أتقدم عليك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «نعم الرجل عثمان صهري وزوج ابنتي ومن جمع الله به نوري». فقال عثمان : أنا لا أتقدّم عليك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «عمر أكمل الله به الإسلام». فقال عمر : أنا لا أتقدّم عليك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «عثمان تستحي منه الملائكة» فقال عثمان : أنا لا أتقدم عليك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «عمر أكمل الله به الدين وأعزّ به المسلمين». فقال عمر : أنا لا أتقدّم عليك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «عثمان جمع القرآن وهو حبيب الرحمن». فقال عثمان : أنا لا أتقدّم عليك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «نعم الرجل عمر يتفقد الأرامل والأيتام ويحمل لهم الطعام وهم نيام». فقال عمر رضي الله عنه : أنا لا أتقدّم عليك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في حقك :

«غفر الله لعثمان مجهز جيش العسرة». فقال عثمان: أنا لا أتقدّم عليك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في حقك: «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب». وسماك رسول الله ﷺ الفاروق وفرق الله تعالى بك بين الحق والباطل، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فدعا لهما وشكرهما على حسن أدبهما بعضهما مع بعض. (اللطيفة الثانية) روى أبو هريرة أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قدما يوماً إلى حجرة رسول الله ﷺ فقال علي لأبي بكر: تقدم فكن أول قارع يقرع الباب وألحّ عليه فقال أبو بكر: تقدم أنت يا عليّ فقال عليّ رضي الله عنه: ما كنت بالذي يتقدم على رجل سمعت رسول الله ﷺ يقول في حقه: «ما طلعت الشمس ولا غربت من بعدي على رجل أفضل من أبي بكر الصديق». فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما أنا بالذي يتقدّم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ: «أعطيت خير النساء لخير الرجال». فقال عليّ: أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى صدر إبراهيم الخليل فلينظر إلى صدر أبي بكر الصديق». فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا لا أتقدّم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى آدم وإلى يوسف وحسنه وإلى موسى وصلاته وإلى عيسى وزهده وإلى محمد ﷺ وخلقه فلينظر إلى عليّ». فقال علي رضي الله عنه: أنا لا أتقدّم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ: «إذا اجتمع العالم في عرصات القيامة يوم الحسرة والندامة ينادي مناد من قبل الحق عزّ وجلّ: يا أبا بكر ادخل أنت ومحبوك الجنة». فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا لا أتقدّم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ يوم حنين وخيبر وقد أهدي إليه تمر ولبن: «هذه هدية من الطالب الغالب إلى عليّ بن أبي طالب». فقال علي رضي الله عنه: أنا لا أتقدّم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ: «أنت يا أبا بكر عيني». فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا لا أتقدّم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ: «يجيء عليّ على مركب من مراكب الجنة فينادي مناد يا محمد كان لك في الدنيا والد حسن وأخ حسن أما الوالد الحسن فأبوك إبراهيم الخليل وأما الأخ فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه». فقال عليّ: أنا لا أتقدّم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة يجيء رضوان خازن

الجنان بمفاتيح الجنة ومفاتيح النار ويقول : يا أبا بكر الرب جلّ جلاله يقرئك السلام ويقول لك هذه مفاتيح الجنة ومفاتيح النار ابعث من شئت إلى الجنة وابعث من شئت إلى النار». فقال أبو بكر : أنا لا أتقدّم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ : «إن جبريل عليه السلام أتاني فقال لي : يا محمد إن الله عزّ وجلّ يقرئك السلام ويقول لك أنا أحبك وأحبّ علياً فسجدت شكراً وأحب فاطمة فسجدت شكراً وأحب حسناً وحسيناً فسجدت شكراً». فقال علي رضي الله عنه : أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ : «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح عليهم». فقال أبو بكر رضي الله عنه : لا أتقدّم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ : «إن علياً يجيء يوم القيامة ومعه أولاده وزوجته على مراكب من البدن فيقول أهل القيامة : أيّ نبي هذا فينادي مناد هذا حبيب الله هذا علي بن أبي طالب». فقال علي رضي الله عنه : أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ : «غداً سمع أهل المحشر من ثمانية أبواب الجنة ادخل من حيث شئت أيها الصديق الأكبر». فقال أبو بكر رضي الله عنه : أنا لا أتقدّم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ : «بين قصري وقصر إبراهيم الخليل قصر علي بن أبي طالب». فقال علي رضي الله عنه : أنا لا أتقدّم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ : «إن أهل السموات من الكروبيين الروحانيين والملأ الأعلى لينظرون في كل يوم إلى أبي بكر الصديق». فقال أبو بكر رضي الله عنه : أنا لا أتقدّم على رجل قال الله في حقه وحق أهل بيته : ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾[1] فقال علي رضي الله عنه : أنا لا أتقدّم على رجل قال الله في حقه : ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[2] فنزل جبريل عليه السلام على الصادق الأمين من عند رب العالمين وقال : يا محمد العلي الأعلى يقرئك السلام ويقول لك : إن ملائكة السبع سموات لينظرون في هذه الساعة إلى أبي بكر الصديق وإلى علي بن أبي طالب ويسمعون ما جرى بينهما من حسن الأدب وحسن الجواب من بعضهما لبعض فقم إليهما وكن

---

(١) سورة الانسان آية ٨. (٢) سورة الزمر آية ٣٣.

ثالثهما فإن الله قد حفها بالرحمة والرضوان وخصها بحسن الأدب والإسلام والإيمان، فخرج النبي ﷺ إليها فوجدهما كما ذكر له جبريل فقبل النبي ﷺ وجه كل واحد منها وقال: «وحق من نفس محمد بيده لو أن البحار أصبحت مداداً والأشجار أقلاماً وأهل السموات والأرض كتاباً لعجزوا عن فضلكما وعن وصف أجركما» أورده صاحب الروض الفائق وأنشد:

من ذا يطيق بأن يحصي الثناء على ... محمد وعلى الصدّيق صاحبه
وقد رقي عمر الفاروق منزلة ... وحاز عزاً وفخراً في مراتبه
وحاز عثمان فضلاً بالنبي وقد ... أثنت جميع البرايا عن مناقبه
وذو الفقار عليّ المرتضى فله ... بحر من العلم يبدو من عجائبه
فهم ملاذ لمن خاف الحساب إذا ... ضاقت عليه أمور في مذاهبه
عليهم صلوات الله ما لمعت ... في الليل أنوار برق في غياهبه

وفي حياة الحيوان: سأل النبي ﷺ ربه أن يريه أهل الكهف فقال الله تعالى: إنك لن تراهم في دار الدنيا ولكن ابعث إليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم إلى الإيمان بك فقال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام: كيف أبعث إليهم؟ قال: ابسط كساءك وأجلس على كل طرف من أطرافه واحداً على الأوّل أبا بكر رضي الله عنه وعلى الثاني عمر رضي الله عنه وعلى الثالث علياً وعلى الرابع أبا ذر ثم ادع الرخاء المسخرة لسليمان بن داود عليهما السلام فإن الله عزّ وجلّ أمرها أن تطيعك ففعل النبي ﷺ ما أمر به فحملتهم الريح وانطلقت إلى باب الكهف فلما دنوا من الباب قلعوا منه حجراً فقام الكلب ينبح عليهم حين أبصر القوم وحمل عليهم، فلما دنا منهم حرك رأسه وبصبص بذنبه وأومأ برأسه أن ادخلوا الكهف فدخلوا فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فردّ الله عليهم أرواحهم فقاموا بأجمعهم فقالوا: وعليكم السلام وعلى محمد رسول الله السلام ما دامت السموات والأرض وعليكم بما بلغتم ثم جلسوا يتحدثون فآمنوا بمحمد ﷺ وقبلوا دينه الإسلام وقالوا: بلغوا محمداً منا السلام ثم أخذوا مضاجعهم وعادوا إلى رقدتهم اهـ. ويروى عن علي بن أبي طالب رضي

الله عنه أنه قال : «رأيت النبي ﷺ متوكئاً على أبي بكر وعمر وهو يقول هكذا نحيا وهكذا نموت وهكذا ندخل الجنة».

(عجيبة ذكرها غير واحد) : روى إمامنا محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه قال : رأيت بمكة أسقفاً يطوف بالكعبة فقلت له : ما الذي أخرجك عن دين آبائك؟ فقال : تبدلت خيراً منه فقلت وكيف ذاك؟ قال : ركبت البحر فلما توسطناه انكسرت المركب فلم تزل الأمواج تدافعني حتى رمتني في جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة ولها ثمر أحلى من الشهد وألين من الزبد وفيها نهر عذب فحمدت الله على ذلك وقلت : آكل من الشجر وأشرب من هذا النهر حتى يقضي الله بأمره ، فلما ذهب النهار خفت على نفسي من الوحوش فطلعت على شجرة ونمت على غصن من أغصانها فلما كان في جوف الليل وإذا دابة على وجه الماء تسبح الله تعالى وتقول : لا إله إلا الله العزيز الجبار محمد رسول الله النبي المختار أبو بكر الصديق صاحبه في الغار عمر الفاروق فاتح الأمصار عثمان القتيل في الدار عليّ سيف الله على الكفار فعلى مبغضهم لعنة العزيز الجبّار ومأواه النار وبئس القرار ، ولم تزل تكرر هذه الكلمات إلى الفجر فلما طلع الفجر قالت : لا إله إلا الله الصادق الوعد والوعيد محمد رسول الله الهادي الرشيد أبو بكر الموفق للتسديد عمر بن الخطاب سور من حديد عثمان الفضل الشهيد علي بن أبي طالب ذو البأس الشديد فعلى مبغضهم لعنة الملك المجيد ، ثم أقبلت إلى البر فإذا رأسها رأس نعامة ووجهها وجه إنسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب سمكة فخشيت على نفسي الهلكة ثم هربت فنطقت بلسان فصيح : يا هذا قف وإلا تهلك فوقفت فقالت ما دينك؟ فقلت : دين النصرانية . فقالت : ويلك ارجع إلى دين الحنيفية فقد حللت بفناء قوم من مسلمي الجن لا ينجو منهم إلا من كان مسلماً فقلت : وكيف الاسلام؟ فقالت : تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقلتها فقالت : أتمم إسلامك بالترضي على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، فقلت : ومن أتاكم بذلك؟ قالت : قوم منا حضروا عند رسول الله ﷺ سمعوه يقول : «إذا كان يوم القيامة تأتي الجنة فتنادي بلسان طلق فصيح : إلهي قد وعدتني أن تشيد أركاني فيقول الجليل جلّ جلاله : قد شيدت أركانك بأبي بكر

وعمر وعثمان وعليّ وزينتك بالحسن والحسين». ثم قالت الدابة: أتريد المقام ها هنا أم الرجوع إلى أهلك؟ فقلت: الرجوع إلى أهلي فقالت: اصبر حتى تمر مركب فبينما نحن كذلك وإذا بمركب أقبلت تجري فأومأت إليهم فدفعوا إليّ زورقاً فنزلت فيه ثم جئت إليهم فوجدت المركب فيها اثنا عشر رجلاً كلهم نصارى فقالوا: ما الذي جاء بك إلى ها هنا فقصصت عليهم قصتي فتعجبوا كلهم وأسلموا عن آخرهم ببركة رسول الله ﷺ، فعليك يا أخي بمحبة رسول رب العالمين وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين؛ ولتكن محبتك لأصحابه ﷺ على وجه صادق ولا يضر التفاوت إن كان سببه ما بلغك من تفاوت مراتبهم التي ظهرت من رسول الله ﷺ. قال الشيخ الشعراني في منته: سمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول: لا يكفي في محبة أصحاب رسول الله ﷺ أن نحبهم المحبة العادية إنما الواجب علينا أنا لو كنا نعذب من جهتهم بمحبتنا لهم لا نرجع عن محبتهم كما لا نرجع عن إيماننا بالتعذيب كما وقع لبلال وصهيب وعمار وكما وقع للإمام أحمد بن حنبل في مسئلة خلق القرآن، فمن لا يحتمل في حب الصحابة مثل ما حمل هؤلاء فمحبته مدخولة اهـ ثم قال فتأمل يا أخي في نفسك فربما تكون محبتك مجازية لا حقيقية لتجني ثمرتها يوم القيامة. قال الشيخ الشعراني في منته أيضاً: ومما أنعم الله به عليّ رؤيتي أولاد أصحاب رسول الله ﷺ بالعين التي كنت أرى بها والدهم لو أدركته حتى كأني بحمد الله تعالى صحبت جميع أصحاب رسول الله ﷺ في تفاوت حياتهم مع تفاوت مراتبهم التي ظهرت من رسول الله ﷺ دون ما يقع في نفوسنا نحن من التعظيم فربما أدخل علينا العصبية في محبتنا بخلاف من كان محبته للصحابة تبعاً لما بلغه عن رسول الله ﷺ فإنه يكون سالماً من العصبية في عقيدته.

(وحكي) عن المحب الطبري مفتي الحرمين أن الشريف أبا نمي قال له بأيّ طريق قدمتم أبا بكر على علي مع غزارة علمه وقربه من رسول الله ﷺ فقال له: يا سيدي إننا لم نقدم أبا بكر برأينا وما لنا في ذلك أمر وإنما جدك ﷺ قال: «سدوا كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر». وقال ﷺ: «مروا أبا بكر فليصل بالناس». وقرأنا هذا الحديث بالسند الصحيح إلى رسول الله ﷺ وقبض

رسول الله ﷺ فقالت الصحابة : من رضيه رسول الله ﷺ لديننا رضيناه لدنيانا فقال الشريف أبو نمي : نعم فعمر فقال المحب الطبري : وأما عمر فإن أبا بكر عند موته اختاره للمسلمين، قال الشريف : نعم فعثمان فقال المحب الطبري : إن عمر جعل الأمر شورى بين من توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ فقدّموا عثمان فقال الشريف فمعاوية فقال المحب الطبري هو مجتهد كما أن علياً كان مجتهداً فقال الشريف فمع من تقاتل لو كنت أدركتهما؟ فقال مع علي رضي الله عنه فقال الشريف فجزاك الله عنا خيراً قال الشعراني فانظر يا أخي هذا الكلام النفيس من هذا العالم الذي لا يخرج عن التبعية في شيء فعلم أن الواجب علينا أن نحب أصحاب رسول الله ﷺ تبعاً لحب رسول الله ﷺ ونحب أولادهم كذلك لحب رسول الله ﷺ لا بحكم الطبع ونقدم أولاد فاطمة على أولاد أبي بكر الصديق كما كان أبو بكر يقدمهم على أولاده عملاً بحديث «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من أهله وولده والناس أجمعين». وقيل مرة للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لم قدموا عليك أبا بكر وعمر؟ فقال : إن الله هو الذي قدمهما عليّ لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[1]. وقد ركن رسول الله ﷺ إلى أبي بكر وعمر وتزوج ابنتيهما ولو كانا ظالمين لما تزوج رسول الله ﷺ ابنتيهما ولا ركن إليهما. وقد ذكر الشيخ عبد الغفار القوصي رضي الله تعالى عنه في كتابه المسمى بالوحيد في علم التوحيد أنه كان له صاحب من أكابر العلماء فمات فرآه بعد موته فسأله عن دين الإسلام فتلكأ في الجواب قال : فقلت له أما هو حق؟ فقال : نعم هو حق فنظرت إلى وجهه فإذا هو أسود كالزفت وكان في حياته رجلاً أبيض فقلت له : ما الذي سوّد وجهك كما أرى ان كان دين الإسلام حقاً؟ فقال بخفض صوت كنت أقدم بعض الصحابة على بعض بالهوى والعصبية قال وكان هذا العالم من بلد تنسب إلى الرفض اهـ. وبلغنا أن معاوية رضي الله عنه قال يوماً لواحد من جلسائه أيكم يأتيني بالزرقاء الكنانية فأتوه بها فقال لها : تذكرين ركوبك الجمل الأحمر مع عليّ؟ فقالت نعم أذكر ذلك قال:لقد شاركتيه في سفك الدماء فقالت : بشرك الله بخير مثلك من يحدث

(١) سورة هود آية ١١٣.

جليسه بما يسره، فقال: أوقد سرك ذلك فقالت نعم؟ فقال والله لوفاؤكم بحقه بعد مماته أعجب إليّ من وفائكم بحقه في حال حياته اهـ.

(وحكى) المحب الطبري رحمه الله تعالى أن جماعة من الروافض أتوا إلى خادم قبر رسول الله ﷺ بمال جزيل ليوصله إلى ناظر الحرم ويمكنهم من نقل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقبل الناظر ذلك سراً وبقي الخادم في تشويش عظيم وما بقي إلا أن الليل يدخل ويأتون بالمساحي والزنابيل ويحفرون عليهما وكانوا أربعين رجلاً قال المحب الطبري فأخبرني الخادم أنهم لما دخلوا المسجد في الليل خسف الله بهم الأرض أجمعين فلم يطلع منهم أحد إلى يوم تاريخه وطلع الجذام في ناظر الحرم حتى تقطعت أعضاؤه ومات على أسوإ حال قال ثم إن جماعة من الروافض الذين كانوا أرسلوا الأربعين رجلاً بلغهم خبر الخسف فأتوا المدينة متنكرين وعملوا الحيلة على الخادم وأدخلوه داراً لا ساكن فيها وقطعوا لسانه ومثلوا به فجاءه النبي ﷺ فمسح عليه وعلى فمه فأصبح وليس به ضرر ثم عملوا عليه الحيلة ثاني مرة وقطعوا لسانه وضربوه ضرباً شديداً فجاءه النبي ﷺ فمسح عليه فأصبح وما به ضرر فعملوا عليه الحيلة ثالثاً وضربوه وقطعوا لسانه وأغلقوا عليه الباب فجاءه رسول الله ﷺ فمسح عليه فأصبح وما به ضرر اهـ. قال الشيخ عبد الغفار القوصي رضي الله عنه وكذلك بلغنا أن رجلاً كان يسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وتنهاه زوجته وولده عن ذلك فلم يرجع فمسخه الله تعالى خنزيراً في عنقه سلسلة عظيمة وصار ولده يدخل الناس عليه ينظرونه ثم مات بعد أيام فرماه ولده في مزبلة قال الشيخ عبد الغفار ورأيته أنا بعيني حال حياته وهو يصرخ صراخ الخنازير ويبكي، ثم أخبرني الشيخ محب الدين الطبري أن شخصاً ذكر له أنه اجتمع بولد هذا الرجل وذكر له القصة وأنه كان يضربه ويقول له سب أبا بكر وعمر فلم يفعل اهـ من المتن. فإن قلت: ذكرت أبا بكر وعمر وعثمان في هذا الكتاب وليسوا من أهل البيت. قلت: ذكرتهم تيمناً ببركتهم وتتميماً للفائدة وأيضاً هم من أقاربه ﷺ كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى في ترجمة كل واحد منهم في الكلام على نسبه، وفي هذا القدر كفاية، والله ولي التوفيق والهداية.

فصل

في ذكر نسبه ﷺ ومولده ومرضعاته وما يتصل بذلك

من المعلوم أن الكلام على ما يتعلق بسيرته ﷺ قد أفرد بالتآليف التي لا تكاد تدخل تحت الحصر والغرض ها هنا ذكر طرف مما يتعلق به ﷺ في هذه العجالة على سبيل الايجاز تبركاً به ﷺ. إذا علمت هذا فنقول: هو ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب المذكور في نسبه ﷺ وهو الجد الخامس له ﷺ

نسب كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عمودا
ما فيه إلا سيد من سيد حاز المكارم والتقى والجودا

وولد ﷺ بمكة عند طلوع الفجر يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول عام الفيل. وفي المواهب اللدنية وقيل ولد ليلاً ، فعن عائشة كان بمكة يهودي يتجر فيها فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ قال يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود؟ قالوا لا نعلمه قال انظروا يا معشر قريش وأحصوا ما أقول لكم ولد الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس انتهى ، والقول الأول مروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص (واختلف في مكان ولادته ﷺ) فقيل ولد بمكة في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف الثقفي أخي الحجاج وقيل بالشعب وقيل بالردم وقيل بعسفان كذا في المواهب اللدنية ونزل على يد الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف رافعاً بصره إلى السماء واضعاً يديه على الأرض وفيه من الإشارة ما لا يخفى مكحولاً نظيفاً

مسروراً أي مقطوع السر وهو ما تقطعه القابلة من السرة مختوناً أي على صورة المختون، وقيل ختنه جده عبد المطلب سابع ولادته قال العلماء ويمكن الجمع بينهما بأنه يجوز أن يكون ولد مختوناً ختاناً غير تام فتمم جده ختانه، وقيل ختنه جبريل يوم شق صدره عند حليمة السعدية مرضعته.

(فائدة) قال كعب الأحبار ولد مختوناً من الأنبياء ثلاثة عشر آدم وشيث وإدريس ونوح وسام ولوط ويوسف وموسى وشعيب وسليمان ويحيى وعيسى ومحمد ﷺ وعليهم أجمعين اهـ من حياة الحيوان. ومات أبوه عبد الله وأمه حامل به ولهذا كان المسمى له والعاق عنه ﷺ سابع ولادته جده عبد المطلب والكلام على ما يتعلق بمولده ﷺ أفرد بالتأليف، وهذه العجالة مبنية على التخفيف. وأرضعته ﷺ من النساء ثمان منهن أمه آمنة ثلاثة أيام وقيل سبعة وثويبة الأسلمية جارية أبي لهب التي أعتقها حين بشرته بولادته ﷺ أياماً قبل قدوم حليمة وخولة بنت المنذر وأم أيمن ذكرهما اليعمري وامرأة سعدية غير حليمة ذكرها ابن القيم وثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن عاتكة نقله السهيلي عن بعضهم في الكلام على قوله ﷺ: «أنا ابن العواتك». (وفي حياة الحيوان) العواتك ثلاث نسوة كن من أمهات النبي ﷺ إحداهن عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان وهي أم عبد مناف بن قصي والثانية عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج وهي أم هاشم بن عبد مناف والثالثة عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال وهي أم وهب أبي آمنة أم النبي ﷺ والعواتك جمع عاتكة وأصل العاتكة المتضمخة بالطيب وأكثرهن إرضاعاً له ﷺ حليمة السعدية وصرح بعضهم بإسلام زوجها بل وبنيها أيضاً، ولما خافت عليه ردته إلى أمه فخرجت به أمه إلى المدينة لزيارة أخواله من بني النجار أي أخوال جده عبد المطلب فمرضت وهي راجعة به وماتت ودفنت بالأبواء وكان عمره ست سنين على ما قاله ابن إسحاق فحضنته أم أيمن بركة الحبشية التي ورثها من أبيه وحملته إلى جده عبد المطلب بمكة فكفله إلى تمام ثمان. وأصابه ﷺ في السنة السابعة رمد شديد ولما مرض جده عبد المطلب مرض الموت أوصى به إلى عمه أبي طالب لفخامته وكونه شقيق أبيه عبد الله فافتخر بشرف كفالته

وتربيته ﷺ وكان يرى منه الخير والبركة كشبع عياله إذا أكل معهم وعدم شبعهم إذا لم يأكل معهم ونزول المطر الغزير حين استسقي به لقحط أصاب أهل مكة وسافر به إلى الشام في تجارة فلما نزل الركب بصرى رآه ﷺ راهب بها يقال له بحيرا وهو في صومعته وكان قد انتهى اليه علم النصرانية فصنع للقوم طعاماً كثيراً لأجله ﷺ وكثيراً ما كانوا يمرون به فلا يكلمهم ولا يعرض عليهم ثم قال لعمه ارجع بابن أخيك واحذر عليه من اليهود فلما فرغ أبو طالب من تجارته رجع مسرعاً إلى مكة وسافر أيضاً ﷺ مع عميه الزبير والعباس ابني عبد المطلب إلى اليمن للتجارة. وثبت أنه ﷺ آجر نفسه قبل النبوة لرعي الغنم وكذا ثبت في حق غيره من الأنبياء كموسى، قيل من حكم ذلك أن من رعى الغنم التي هي أضعف البهائم يسكن في قلبه الرأفة واللطف فاذا انتقل من ذلك إلى رعاية الخلق كان قد هذب نفسه أولاً. ولما بلغ ﷺ خمساً وعشرين سنة وهو يدعى في مكة بالأمين سافر إلى الشام في تجارة لخديجة وأنفذت معه عبدها ميسرة وتزوجها في هذه السنة أيضاً وكانت هذه السفرة ثالث سفرة آجر نفسه فيها لخديجة. ولما بلغ خمساً وثلاثين سنة جددت قريش بناء الكعبة لصدع جدرانها بسيل دخلها بعد حريق أصابها من تبخير لها فكان النبي ﷺ ينقل معهم الحجارة فلما وصلوا إلى موضع الحجر اختلفوا فيمن يضعه ثم رضوا بأن يضعه ﷺ بيده فوضعه. ولما قربت أيام الوحي حبب إليه الخلوة فكان يختلي في غار حراء ويتعبد فيه قيل بالذكر وقيل بالفكر، وفي كلام الشيخ محيي الدين أن تعبده قبل نبوّته كان بشريعة إبراهيم الخليل عليه السلام وقيل غير ذلك وكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح فكانت تلك المنامات الصادقة مقدمات للوحي قيل مدتها ستة أشهر؛ وثبت أنه لما دنا زمن الوحي كثر رجم الشياطين بالنجوم مع إصابتها لهم وانقطع بالمرة استراق السمع من حينه، وما روي من رجمهم بها ليلة مولده وقبلها في أزمنة الرسل فعلى ثبوته كان قليلاً وتارة يصيب وتارة لا يصيب. وأما في زمن قرب الوحي اليه ﷺ فكان يصيب ولا بد من الكثرة كذا في سيرة الحلبي. ولما تم له أربعون سنة قيل وأربعون يوماً وعشرة أيام وقيل شهران يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من

شهر رمضان وقيل لسبع وقيل لأربع وعشرين ليلة كذا في المواهب جاء جبريل بالنبوة وهو في غار حراء فقال له اقرأ فقال ما أنا بقارئ فضمه حتى بلغ منه الجهد ثم أطلقه فقال له اقرأ فقال ما أنا بقارئ فضمه كذلك ثم أطلقه فقال له اقرأ فقال ما أنا بقارئ فضمه كذلك ثم أطلقه فقال له اقرأ باسم ربك الذي خلق إلى قوله ما لم يعلم ثم نزل به من الجبل إلى الأرض فضربها برجله فنبعت عين ماء فتوضأ وأمر النبي ﷺ أن يفعل كفعله ثم صلى به ركعتين وقال الصلاة هكذا وغاب عنه فانطلق ﷺ إلى خديجة يرجف فؤاده وأخبرها الخبر وقال خشيت عليّ فقالت له كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي وفي رواية العبراني فيكتب بالعربية من الانجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت له خديجة يا ابن العم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبر رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل على موسى يا ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك فقال رسول الله ﷺ أو مخرجي هم؟ قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً وكان مدة فترته ثلاث سنين كما جزم به ابن إسحاق ثم نزل عليه جبريل بسورة: «يا أيها المدثر». وتتابع الوحي ونزولها ابتداء رسالته ﷺ فهي متأخرة عن نبوته بثلاث سنين وقيل مقارنة لنبوته وصار يدعو الناس إلى الله تعالى خفية لعدم الأمر بالإظهار وكان من أسلم إذا أراد الصلاة ذهب إلى بعض الشعاب ليستخفي بصلاته من المشركين حتى اطلع نفر من المشركين على سعد بن أبي وقاص وهو في نفر من المسلمين يصلون في بعض الشعاب فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون وقاتلوهم فضرب سعد رجلاً منهم فشجه وهو أول دم أهريق في الإسلام فعند ذلك دخل ﷺ هو وأصحابه في دار الأرقم مستخفين بصلاتهم وعبادتهم إلى أن أمر الله تعالى باظهار الدين وهدى عمر بن الخطاب إلى الإسلام بعد إسلام حمزة

ابن عبد المطلب بثلاثة أيام سنة ست من النبوة على الراجح وكانت مدة إخفائه ثلاث سنين وفي هذه المدة كانت قريش تؤذيه ﷺ وتؤذي من آمن به حتى عذبوا جماعة من المستضعفين كبلال وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وأبيه ياسر وأمه سمية وأخيه عبد الله ثم مات ياسر في العذاب وطعن أبو جهل لعنه الله سمية بحربة في فرجها فماتت فكانت أول شهيدة في الإسلام ولكثرة إيذائهم هاجر جمع من المسلمين إلى الحبشة باشارته ﷺ فأكرمهم النجاشي منهم عثمان بن عفان رضي الله عنه وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ وعند بلوغ خروجهم قريشاً خرجوا في أثرهم فلم يظفروا بأحد منهم وهذه هي الهجرة الأولى من هجرتي الحبشة وكانت في رجب سنة خمس من النبوة ثم بعد مكثهم بالحبشة دون ستة أشهر رجع كثير منهم لما بلغهم سجود المشركين مع رسول الله ﷺ عند قراءته سورة والنجم وظنوا إسلامهم.



فصل
تعاهد قريش على قتله ﷺ وموت عمه أبي طالب
وذهابه إلى بني ثقيف والطائف وابتداء إسلام الأنصار وما يتصل بذلك

قال في المواهب اللدنية : ولما رأت قريش عز النبي ﷺ بمن معه وعز أصحابه بالحبشة وإسلام عمر بن الخطاب وفشو الإسلام في القبائل أجمعوا على أن يقتلوا النبي ﷺ فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بني هاشم وبني المطلب وأدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ومنعوه ممن أراد قتله فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا واشتوروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل وكتبوا ذلك في صحيفة بخط منصور بن عكرمة بن هشام فشلت يده وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة وانحاز بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى أبي طالب ودخلوا معه شعبه إلا أبا لهب فكان مع قريش وأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا وكانت قريش قد قطعت عنهم الميرة وكان لا يصل اليهم شيء إلا سراً وكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم ، ثم قام رجال في نقض الصحيفة وكان قد أطلع الله نبيه على أمرها أن الأرضة أكلت جميع ما فيها من القطيعة والظلم فلم تدع إلا اسم الله فقط فأخبر عمه بذلك فأخبرهم أبو طالب انتهى. وكان الذين سعوا في انزالها خمسة هشام بن الحرث وهو رئيسهم وهو أول من مشى في نقضها وزهير بن عاتكة بنت عبد المطلب وأبو البحتري وزمعة اجتمعوا بالحجون وأجمعوا على نقضها فقال لهم زهير أنا أول من يتكلم فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم وغدا زهير في حلة جميلة فطاف سبعاً ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة إنا نأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم كما ترون والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة

القاطعة قال أبو جهل كذبت والله لا تشق قال زمعة أنت والله أكذب أي من كل كاذب لا من زهير ما رضينا كتابتها حين كتبت وقال أبو البختري صدق زمعة ما نرضى ما كتب فيها ولا نقره وقال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها. قال أبو جهل هذا أمر قد قضي بليل اشتورتم فيه بغير هذا المكان وأبو طالب جالس فقام المطعم إلى الصحيفة يشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا ما كان من اسم الله كما قال ﷺ فأخرجوهم من الشعب وذلك في السنة العاشرة وقد ذكر هؤلاء الخمسة صاحب الهمزية بقوله:

فديت خمسة الصحيفة بال	خمسة ان كان للكرام فداء
فتية بيتوا على فعل خير	حمد الصبح أمرهم والمساء
يا لأمر أتاه بعد هشام	زمعة إنه الفتى الأتاء
وزهير والمطعم بن عدي	وأبو البختري من حيث شاءوا
نقضوا مبرم الصحيفة إذ شد	ت عليهم من العدا الأنداء

وفي السنة العاشرة من النبوة أول ذي القعدة مات عمه ﷺ أبو طالب بعدما خرج من الحصار بالشعب بثمانية أشهر وأحد وعشرين يوماً وفي المواهب اللدنية وكان سنه سبعاً وثمانين سنة روي عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال لما حضر أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده عبد الله بن أمية وأبا جهل بن هشام فقال يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله فقال له أبو جهل يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويقول يا عم قل لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله ويقولان له يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب حتى كان آخر كلمة تكلم بها أبو طالب أنا أموت على ملة عبد المطلب ثم مات وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: لما مات أبو طالب أخبرت رسول الله ﷺ بموته فبكى ثم قال اذهب فاغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه ففعلت وجعل رسول الله ﷺ يستغفر له أياماً ولا يخرج من بيته حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[1] الآية. قال ابن

(١) سورة التوبة آية ١١٣

عباس عارض رسول الله ﷺ جنازة أبي طالب وقال وصلت رحمك وجزاك الله خيراً يا عم.

(تنبيه) الكفر على أربعة أنواع: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر نفاق، وكفر عناد. أما كفر الانكار فهو أن لا يعرف الله بالقلب ولا يعترف باللسان. وأما كفر الجحود فهو أن يعرف الله بقلبه ولكن لا يقر بلسانه ككفر إبليس، وكفر اليهود بمحمد ﷺ من هذا القبيل قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾[1]. أي جحدوا. وأما كفر النفاق فهو أن يقرّ باللسان ولم يعتقد بالقلب. وأما كفر العناد فهو أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولكن لا يدين به ولا يكون منقاداً ومطيعاً له ككفر أبي طالب فإنه قال:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

ودعوتني وعرفت أنك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت فيه أمينا

وجميع الأنواع الأربعة المذكورة سواء في أن الله تعالى لا يغفر لأصحابها إذا ماتوا عليها نعوذ بالله منها (وفي هذه السنة) العاشرة من النبوة كانت وفاة خديجة الكبرى رضي الله عنها. روي أن خديجة لما مرضت مرض الموت دخل عليها رسول الله ﷺ فقال لها يا خديجة أما علمت أن الله قد زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثوم أخت موسى وآسية امرأة فرعون؟ قالت فعل ذلك يا رسول الله؟ قال نعم قالت بالرفاء والبنين فتوالت على رسول الله ﷺ في هذه السنة مصيبتان موت عمه أبي طالب وخديجة رضي الله عنها (وفي هذه) السنة العاشرة أيضاً خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف وإلى ثقيف قيل وحده وقيل ومعه زيد بن حارثة بعد ثلاثة أشهر من موت خديجة لثلاث ليال بقين من شوال يستنصرهم وهو مكروب لموت عمه أبي طالب قال محمد بن كعب القرظي لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم إخوة ثلاثة عبد ياليل بمثناة تحتية بعدها ألف ثم لام مكسورة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم لام،

---

(١) سورة البقرة آية ٨٩.

ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير، وفي شرح المواهب وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح فجلس اليهم ودعاهم إلى الله عز وجل زكلمهم بما جاءهم به من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك، وقال الثالث والله لا أكلمك كلمة أبداً لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام وإن كنت تكذب ما ينبغي لي أن أكلمك فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف وقال لهم إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عليّ وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه ذلك فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع الناس عليه فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى أدموا رجليه. وفي المواهب قال موسى بن عقبة رموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء، زاد غيره وكان إذا أذلقته الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في وجهه شجاجاً وألجأوا النبي ﷺ إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة ورجع عنه من كان يتبعه من سفهاء ثقيف وعمد النبي ﷺ إلى ظل شجرة فجلس فيه محزوناً وابنا ربيعة كانا في الحائط ينظران اليه فلما رأيا ما لقيه من سفهاء ثقيف تحركت له رحمهما فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عداس فقالا خذ قطفاً من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل وقل له يأكل منه ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ فلما وضع رسول الله ﷺ يده قال بسم الله الرحمن الرحيم ثم أكل فنظر عداس إلى وجهه ثم قال إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذا البلد فقال رسول الله ﷺ ومن أي البلاد أنت وما دينك قال أنا نصراني وأنا رجل من أهل نينوى فقال رسول الله ﷺ أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ قال وما يدريك ما يونس بن متى؟ قال ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه وأسلم وينظر إليه ابنا ربيعة فيقول أحدهما للآخر أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهما عداس قالا له ويلك يا

عداس ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدي ما في الأرض خير من هذا الرجل لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي. وقد أورد البغوي في تفسيره حديث عداس في سورة الأحقاف عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ﴾.[1] وذكره غيره ثم انصرف رسول الله ﷺ من الطائف حين يئس من خير ثقيف محزوناً؛ روي أن الله أرسل اليه جبريل ومعه ملك الجبال فقال له إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين وهما جبلا مكة قال العلماء أي بعد نقلها إلى الطائف وقيل الضمير لأهل مكة لأنهم سبب ذهابه إلى ثقيف فقال عليه الصلاة والسلام بل أرجو أن يخرج الله تعالى من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيئاً فقال له ملك الجبال أنت كما سماك ربك رؤوف رحيم ثم سار إلى حراء وفي أسد الغابة ولما عاد من الطائف أرسل إلى مطعم بن عدي يطلب منه أن يجيره فأجاره ودخل المسجد معه وكان رسول الله ﷺ يشكرها له وكان رجوعه من الطائف لثلاث وعشرين ليلة خلت من ذي القعدة (وفي رجوعه ﷺ) من الطائف نزل نخلة وهو موضع على ليلة من مكة فصرف إليه سبعة من جن نصيبين وهي مدينة بالشام فلما سمعوا القرآن استمعوا له وهو يقرأ سورة الجن كما قاله مغلطاي فلما رجعوا إلى قومهم ﴿فقالوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾.[2] وأنزل الله على نبيه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾[2] كما في الصحيحين وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾[1] الآية. (وفي السنة) الحادية عشرة من النبوة كان ابتداء إسلام الأنصار روي أن رسول الله ﷺ كان يخرج ويتتبع آثار الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وذي المجاز في المواسم ويقول من يؤويني من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي فله الجنة فلا يجد أحداً ينصره ولا يجيبه حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة فيردونه أقبح رد ويؤذونه ويقولون قومك أعلم بك إلى أن أراد الله اظهار دينه فساقه ﷺ إلى هذا الحي من الأنصار وهو لقب إسلامي لنصرتهم النبي ﷺ وكانوا يسمون أولاد قيلة والأوس

---

(١) سورة الأحقاف آية ٢٩.   (٢) سورة الجن آية ١ و ٢.

والخزرج فلقي في منى بعض الخزرج عند العقبة التي بجنب منى فقال من أنتم؟ قالوا من الخزرج قال أفلا تجلسون أكلمكم فجلسوا فدعاهم إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن وكان عندهم علم منه فعرفوا نعته لأن يهود المدينة كانوا يقولون لهم إن نبيا يبعث الآن نتبعه ونقتلكم معه فأجابوه لئلا تسبقهم اليهود اليه وأسلم منهم ستة فقال لهم تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي فقالوا ندعو قومنا إلى ما دعوتنا اليه فان أجابوا فلا أحد أعز منك وموعدك الموسم في العام القابل وأمرهم بالكتمان عن أهل مكة فلما وصلوا المدينة لم يبق فيها دار إلا وفيها ذكره ثم في العام الثاني لقيه اثنا عشر خمسة من الستة الأول والبقية من الخزرج أيضاً إلا رجلين فمن الأوس، وهذه هي العقبة الثانية فأسلموا وقبلوا ما اشترطه عليهم ثم رجعوا وأظهر الله الإسلام فيهم وكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن أسلم ثم أرسلوا يطلبون من يعلمهم القرآن فأرسل إليهم مصعب بن عمير فأسلم على يده جمع كثير منهم سيد الأوس سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وأسلم بنو عبد الأشهل كلهم في يوم واحد رجالاً ونساء ثم قدم في العام الثالث في الموسم نحو سبعين رجلاً وهي العقبة الثالثة فبايعهم على أنهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وعلى حرب الأحمر والأسود وحضر العباس هذه الثالثة وأكد عليهم صدق الحديث.

(تنبيه) بعضهم يسمي العقبة الثالثة ثانية (وفي السنة) الثانية عشرة من النبوة قبل الهجرة بسنة كما قاله ابن شهاب عن ابن المسيب أسري بالنبي ﷺ وعرج به يقظة ليلة السبت لسبع وعشرين خلت من ربيع الأول قاله ابن الأثير والنووي في شرح مسلم وقيل في ربيع الآخر قاله النووي في فتاويه وقيل في رجب وعليه العمل الآن وقيل غير ذلك. وأما مناماً فوقع له ذلك ثلاثاً وثلاثين مرة على ما ذكره الشعراني وفرضت عليه في تلك الليلة الصلوات الخمس قيل كما هي الآن في عدد الركعات وهو الأصح وقيل ركعتين ركعتين ثم فرض عام الهجرة بعدها إتمام الرباعية أربعاً والثلاثية ثلاثاً في الحضر وكانت الصلاة أول الاسلام ركعتين بالغداة قال الحلبي أي قبل طلوع الشمس وركعتين بالعشي قال الحلبي أي قبل غروب الشمس والأكثر على أن البداءة بصلاة ظهر اليوم التالي لتلك الليلة قال

الخطيب: فان قيل فلم لم يبدأ بالصبح؟ وأجاب بجوابين: الأول أنه حصل التصريح بأن أول وجوب الخمس من الظهر وعزاه للمجموع. الثاني أن الإتيان بالصلاة متوقف على بيانها ولم تبين الا عند الظهر انتهى وقيل كانت البداءة بصلاة صبحه.

(فائدة) قال صاحب الكنز المدفون سألني سائل عن ركوبه ﷺ البراق ليلة الإسراء هل انتهى به إلى بيت المقدس خاصة أم صعد عليه إلى السموات؟ قال فتأملت الأحاديث الواردة في ذلك فوجدت منها ما هو ساكت عن ذلك ومنها ما هو مصرح بالثاني ومنه حديث أنس أخرجه الإمام أحمد عن عفان أنبأنا همام قال: سمعت قتادة يحدث عن أنس فذكره ولفظه «ثم أتيت بدابة قال: فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى بي إلى السماء الدنيا ولم يذكر بيت المقدس» وفي رواية حذيفة «والله سارا بالبراق حتى فتحت لهما أبواب السماء فرأيا الجنة والنار» رواه الترمذي قال الحلبي كانت صلاته ﷺ قبل فرض الصلوات الخمس إلى الكعبة وبعده إلى بيت المقدس جاعلاً الكعبة بينه وبين بيت المقدس ليكون مستقبلاً لهما أيضاً فلما قدم المدينة لم يمكنه هذا الجعل فشق عليه استدبار الكعبة فهذا سبب تحويل القبلة (وفي هذه الليلة) شق صدره ﷺ وقد وقع شق صدره الشريف ﷺ خمس مرات: مرة في طفوليته عند حليمة وهي متفق عليها، ومرة وهو ابن عشر سنين وأشهر رواها مسلم، ومرة ليلة الاسراء، ومرة حين جاءه الملك بالوحي ذكرها بعضهم، ومرة في النوم وفي ليلة الاسراء رأى ربه بعيني رأسه على الصحيح وكلمه، ورؤيته له في الدنيا من خصوصياته ﷺ وهي مستحيلة شرعاً على غيره في الدنيا، ولما أصبح أخبر الناس فكذبه الكفار وسألوه عن صفة بيت المقدس ولم يكن رآه قبل فرفعه له جبريل حتى وصفه لهم.

فصل
في ذكر الهجرة وما يتصل بها

قال أهل السير : لما أبرم عقد المبايعة بين النبي ﷺ وبين أهل المدينة ولم يقدر أصحابه أن يقيموا بمكة من ايذاء المشركين ولم يصبروا على جفوتهم رخص لهم في الهجرة إلى المدينة روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لما اشتد البلاء على المسلمين من المشركين شكوا إلى رسول الله ﷺ ثم استأذنوه في الهجرة فقال قد رأيت دار هجرتكم وهي أرض سبخة ذات نخل بين لابتين ثم مكث بعد ذلك أياماً وخرج إلى أصحابه وهو مسرور فقال قد أخبرت بدار هجرتكم ألا وهي يثرب فمن أراد منكم الخروج فليخرج فخرجوا أرسالاً أي قطائع سراً الا عمر بن الخطاب فإنه أعلن بالهجرة ولم يمنعه أحد من كفار مكة هو وأخوه زيد بن الخطاب ولم يبق معه ﷺ إلا أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب كذا قال ابن إسحاق وغيره ، ثم لما رأت قريش أن رسول الله ﷺ أصاب منعة وأصحاباً بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم تحذروا خروجه ﷺ واجتمعوا بدار الندوة للمشاورة وهي دار قصي بن كلاب وكانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها وفيها يتشاورون وحجبوا الناس عن الدخول إليهم لئلا يدخل أحد من بني هاشم فيطلع على حالهم قال ابن دريد كانوا خمسة عشر رجلاً وقال ابن دحية كانوا مائة رجل ولما جلسوا للتشاور تبدى لهم إبليس في صورة شيخ نجدي جليل وفي رواية وبيده عكازة يتوكأ عليها وعليه جبة صوف وبرنس أخضر متطيلساً فوقف على باب الدار فلما رأوه قالوا من الشيخ؟ قال شيخ من أهل نجد سمع بالذي تواعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأي ونصح وإن كنتم تكرهون جلوسي معكم فلا أقعد معكم فقالت قريش بعضهم

لبعض هذا رجل من نجد لا من مكة ولا يضركم حضوره فشرعوا في الكلام وقال بعضهم لبعض إن هذا الرجل يعني محمداً ﷺ قد كان من أمره ما كان وإنا والله لا نأمن منه الوثوب علينا بمن اتبعه فأجمعوا فيه رأياً فقال أبو البحتري بن هشام وفي رواية قال هشام بن عمرو رأيي أن تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غيركوّة تلقون إليه طعامه وشرابه منها وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من الشعراء من كان قبله كزهير والنابغة فصرخ عدوّ الله الشيخ النجدي وقال بئس الرأي رأيتم والله لو حبستموه لخرج أمره من وراء الباب إلى أصحابه فوثبوا وانتزعوه من أيديكم قالوا صدق الشيخ وقال هشام وفي رواية أبو البحتري رأيي أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال الشيخ النجدي والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به فوالله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحمل على حيّ من العرب فيغلب عليهم من قوله وحديثه فيبايعوه ثم يسير بهم فيطأكم به فقالوا صدق والله الشيخ فقال أبو جهل والله إن لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد قالوا وما هو يا أبا الحكم؟ فقال رأيي أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جلداً نسيباً وسيطاً فينا ثم نعطي كل فتى سيفاً صارماً ثم يعمدون إليه فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح منه فانهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل كلها فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً فيرضون منا بالعقل قال الشيخ النجدي لعنه الله القول ما قال هذا الفتى وهو أجودكم رأياً ولا أرى لكم غيره فتفرقوا على رأي أبي جهل مجمعين على قتله فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك وقال له لا تبت على فراشك الذي تبيت عليه الليلة وأذن الله تعالى له عند ذلك بالخروج إلى المدينة فأمر رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه أن ينام على فراشه فنام في مضجعه وقال اتشح ببردتي فإنه لن يخلص إليك أمر تكرهه ثم خرج رسول الله ﷺ فأخذ قبضة من تراب وأخذ الله تعالى أبصارهم عنه وجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يقرأ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً — إلى قوله — فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[1] قال ابن إسحاق ان رسول الله ﷺ فيما بلغني أخبر علياً

---

(١) سورة يس آية ٨.

بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة ليؤدي عنه الودائع التي كانت عنده وكانت الودائع تودع عنده ﷺ لصدقه وأمانته وبات المشركون يحرسون علياً على فراش رسول الله ﷺ يحسبون أنه النبي ﷺ فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون ههنا فقالوا محمداً فقال قد خيبكم الله والله قد خرج عليكم ما ترك منكم أحداً إلا وضع على رأسه التراب وفي رواية أبي حاتم وصححها الحاكم من حديث ابن عباس ما أصاب رجلاً منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.[1] عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «كان لا يخطئ أن يأتي رسول الله ﷺ بيت أبي بكر أحد طرفي النهار إما بكرة وإما عشية حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله تعالى فيه لرسوله في الهجرة أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة في ساعة كان لا يأتي فيها قالت فلما رآه أبو بكر قال ما جاء رسول الله ﷺ في هذه الساعة إلا لأمر حدث قالت فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله ﷺ وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر فقال رسول الله ﷺ اخرج عني من عندك فقال يا نبي الله إنما هما ابنتاي وفي رواية البخاري إنما هم أهلك وما ذاك فداك أبي وأمي قال إن الله تعالى قد أذن لي في الخروج والهجرة قالت فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله قال نعم وفي الجمل على الهمزية قال أبو بكر فخذ إحدى راحلتيّ وكان قد اشترى راحلتين أي ناقتين قبل ذلك بستة أشهر فعلفها منتظراً للخروج عليهما فقال النبي آخذها بالثمن فأخذها منه بأربعمائة درهم كما اشتراها أبو بكر وقيل إنه أبرأه منها فيما بعد وبقيت هذه الناقة عند النبي مدة حياته حتى ماتت في خلافة أبي بكر وتزوّدا أي أخذا الزاد من بيت أبي بكر وخرجا منه ليلة الجمعة فوصلا إلى غار ثور ليلاً فأقاما فيه بقية ليلتها وليلة السبت وليلة الأحد وخرجا منه ليلة الاثنين ودخلا المدينة يوم الاثنين فكانت مدة سفرهما ثمانية أيام ولما فقدته قريش طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة أثره

---

(١) سورة الأنفال آية ٣٠.

في كل وجه فوجد الذي ذهب قبل ثور أثره هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع ذلك الأثر عند ثور وشق عليهم خروجه وجزعوا منه وجعلوا لمن رده مائة ناقة ولما دخل الغار أنبت الله على بابه شجرة أم غيلان فحجبت عن الغار أعين الناس وأرسل الله حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار وروي أنهما باضتا وأمر الله العنكبوت فنسج في أعلاه وجاء فتيان قريش بسلاحهم وجعل بعضهم ينظر في الغار فلم ير إلا حمامتين فعرفوا أنه ليس فيه أحد وقال بعضهم ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف لعنه الله وما حاجتكم في الغار إن فيه عنكبوتاً أقدم من ميلاد محمد اهـ روى الشيخان عن أنس قال قال أبو بكر: «نظرت إلى أقدام المشركين من الغار على رؤوسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، وروي أن النبي ﷺ قال اللهم أعم أبصارهم فعميت عن دخولهم الغار، وقد أشار لذلك صاحب البردة بقوله:

وما حوى الغار من خير ومن كرم ... وكل طرف من الكفار عنه عمي
فالصدق في الغار والصديق لم يرما ... وهم يقولون ما بالغار من أرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على ... خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة ... من الدروع وعن عال من الأطم

وكان عبد الرحمن بن أبي بكر مع صغر سنه يأتيهما ليلاً بخبر قريش ثم يدلج من عندهما بسحر فيصبح كبائت بمكة وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يأتيهما كل ليلة بما يغذيهما من لبن واستأجرا عبد الله بن الأرقط ليدلهما على الطريق ولم يعرف له إسلام ودفعا راحلتيهما له ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما وخرجا وساروا وسار معهم عامر بن فهيرة وأخذوا طريق البحر وبينما هم في الطريق إذ عرض لهم سراقة بن مالك فساخت قدما فرسه إلى ركبتيها والأرض صلبة فناداهم بالأمان فخلصت فأتاهم وعرض عليهم الزاد والمتاع فأبوا وقالوا أخف عنا فرجع وصار لا يلقى أحداً إلا رده ويقول سبرت الطريق فلم أجد أحداً وإلى هذا أشار البوصيري في الهمزية بقوله:

ونحا المصطفى المدينة واشتا ... قت اليه من مكة الأنحاء

وتـغـنـت بمدحـه الجن حـتـى أطرب الإنس منه ذاك الغناء
واقـتـفـى أثـره سراقـة فاستهـ ـوته في الأرض صافن جرداء
ثم ناداه بعد ما سيمت الخسـ ـف وقد ينجد الغريق النداء

ووقع في طريق الهجرة عجائب منها أنهم مروا بقديد على أم معبد الخزاعية وكانت تطعم وتسقي من يمر بها وكانت السنة مجدبة فطلبوا منها لبناً أو لحماً يشترونه فلم يجدوا فنظر ﷺ إلى شاة خلفها الجهد والضعف عن أن تسرح مع صواحباتها فسألها هل بها لبن؟ فقالت هي أجهد من ذاك فقال أتأذنين لي أن أحلبها قالت نعم فدعا بها وبإناء فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله تعالى فدرّت فحلب وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب ثانياً وتركوه وذهبوا فجاء زوجها فأخبرته الخبر فقال هذا والله صاحب قريش ولو رأيته لاتبعته. وفي سيرة الحلبي: ان أم معبد هاجرت وأسلمت وكذا زوجها وأخوها وكان أهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك وبقيت تلك الشاة يحلبونها ليلاً ونهاراً إلى أن ماتت في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ومنها ما رواه الزمخشري في ربيع الأبرار عن هند بنت الجون نزل رسول الله ﷺ خيمة خالتها أم معبد فقام من رقدته فدعا بماء فغسل يديه ثم تمضمض ومج في عوسجة إلى جانب الخيمة فأصبحنا وهي كأعظم دوحة وجاءت بثمرة كأعظم ما يكون في لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهد ما أكل منها جائع إلا شبع ولا ظمآن إلا روي ولا سقيم إلا برئ ولا أكل من ورقها بعير ولا شاة إلا در لبنها فكنا نسميها المباركة ويأتينا من البوادي من يستشفي بها ويتزوّد منها حتى أصبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمرها وصغر ورقها ففزعنا لها فما راعنا إلا نعي رسول الله ﷺ ثم إنها بعد ثلاثين سنة أصبحت ذات شوك من أسفلها إلى أعلاها وتساقط ثمرها وذهبت نضرتها فما شعرنا إلا بقتل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فما أثمرت بعد ذلك وكنا ننتفع بورقها ثم أصبحنا وإذا بها قد نبع من ساقها دم عبيط وقد ذبل ورقها فبينا نحن فزعون مهمومون إذ أتانا خبر قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ويبست على أثر ذلك وذهبت انتهى. ولما سمع المسلمون بالمدينة بمقدمه ﷺ صاروا يخرجون كل يوم إلى الحرة ينتظرونه إلى

الظهيرة فانتظروه يوماً وعادوا إلى بيوتهم وإذا يهودي ارتقى مكاناً عالياً فرآه مقبلاً فصاح وقال هذا جدكم أي حظكم يا بني قيلة أي الأوس والخزرج فخرجوا إليه سراعاً بسلاحهم فنزل بقباء وكان يوم الاثنين قبل أول ربيع الأول وقيل ثاني عشرة وأدركه عليّ كرم الله وجهه هو ومن معه من ضعفاء المسلمين بقباء ولم يقم بعد خروج النبي ﷺ بمكة إلا ثلاثة أيام ثم أمر رسول الله ﷺ بالتاريخ فكتب من حين الهجرة وكانوا قبل ذلك يؤرخون بعام الفيل وأقام ﷺ بقباء في بني عمرو بن عوف اثنين وعشرين يوماً وقيل أربع عشرة ليلة وقيل ثلاثاً وقيل أربعة أيام يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجده على التقوى من أول يوم ثم خرج رسول الله ﷺ من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها بمن كان معه من المسلمين وكانوا مائة في بطن وادي رانوناء براء مهملة ونونين ممدودا ثم ركب ﷺ وسار فكان كلما مر بدار من دور الأنصار سألوه النزول عندهم فيقول خلوا سبيلها أي ناقته فإنها مأمورة وأرخى زمامها فاستمرت إلى أن بركت بموضع باب المسجد ثم ثارت وهو عليها حتى بركت بباب أبي أيوب رئيس بني النجار أخوال عبد المطلب ثم ثارت وبركت في مبركها الأول ثم صوّتت فنزل عنها وقال هذا المنزل إن شاء الله تعالى وفرح أهل المدينة بقدومه ﷺ فرحاً شديداً قال أنس بن مالك رضي الله عنه لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء وصعدت الخدور على الأجاجين عند قدومه ويقلن :

طلع البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا	جئت بالأمر المطاع

وروى البيهقي عن أنس قال : لما بركت الناقة على باب أبي أيوب خرج جوار من بني النجار يقلن :

نحن جوار من بني النجار	يا حبذا محمد من جار

فقال ﷺ أتحببني؟ قلن نعم يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام إن قلبي يحبكن وكان مبرك ناقته ﷺ مربدا للتمر بكسر الميم وفتح الموحدة أي محلا لجمعه وتجفيفه ليتيمين في حجر أسعد بن زرارة فدعا بهما وكان جالساً بدار أبي أيوب وساومهما على المربد فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فأبى أن يقبله هبة وابتاعه منهما بعشرة دنانير أداها من مال أبي بكر ثم بنى فيه مسجده وسقفه بالجريد وجعل عمده جذوعاً وجعل ارتفاعه قامة وجعل قبلته إلى بيت المقدس إلى أن حولت القبلة إلى الكعبة فحولها ثم زاد فيه النبي ﷺ بعد فتح خيبر لكثرة الناس، فلما استخلف أبو بكر لم يحدث فيه شيئاً، فلما استخلف عمر رضي الله عنه وسعه بدار العباس بن عبد المطلب وكان عمر سأله أن يبيعها فوهبها العباس لله وللمسلمين، ثم لما استخلف عثمان بن عفان رضي الله عنه بناه بالحجارة وجعل أعمدته حجارة وسقفه بالساج وزاد فيه ونقل اليه الحصى من العقيق وبنى ﷺ في ذلك المربد حجرتي زوجتيه سودة وعائشة وأما بقية حجر زوجاته فبناها بعد عند الحاجة اليها ومكث ﷺ في بيت أبي أيوب سبعة أشهر إلى أن تم المسجد والحجرتان وفي شرح المقاصد قال وفي الصحيح في ذكر بناء المسجد كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فرآه النبي ﷺ فجعل ينفض التراب عنه ويقول ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ويقول عمار أعوذ بالله من الفتن اهـ وكان النبي ﷺ ينقل معهم الصخر ويقول:

اللهم لا خير إلا خير الآخره فانصر الأنصار والمهاجره

وحصل لأبي بكر وبلال وبعض المهاجرين كعامر بن فهيرة وعك بالمدينة روي أن هواء المدينة كان عفنا وخما وكانت مشهورة بالوباء في الجاهلية فاذا دخلها غريب يقال له إن أردت أن تسلم من الوعك والوباء فانهق مثل الحمار فاذا فعل سلم فاستوخم المهاجرون هواء المدينة ولم يوافق مزاجهم فمرض كثير منهم وضعفوا حتى لم يقدروا على الصلاة قياماً فكان المشركون والمنافقون يقولون أضناهم حمى يثرب نقله بعضهم. وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها

قالت لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك قال القسطلاني بضم الواو وكسر العين أي حم أبو بكر وبلال قالت فدخلت عليهما فقلت يا أبت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك؟ قالت فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبح في أهله   والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة   بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنة   وهل يبدون لي شامة وطفيل

قالت عائشة فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها وبارك لنا في صاعها ومدها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة قال القسطلاني وكانت إذ ذاك مسكن اليهود وهي الآن ميقات مصر وفيه جواز الدعاء على الكفار بالأمراض والهلاك والدعاء للمسلمين بالصحة وإظهار معجزته ﷺ فان الجحفة من يومئذ لا يشرب أحد من مائها إلا حم اهـ وكان بلال يقول اللهم العن شيبة بن ربيعة وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء وآخى ﷺ بين المهاجرين والأنصار بعد ثمانية أشهر من مقدمه كذا في أسد الغابة فعقدوا عقدها وقيل كتبوا بذلك كتاباً وكان ذلك في دار أنس بن مالك وفي رواية في المسجد على أن يتوارثوا بعد المات دون ذوي الأرحام ثم نسخ قيل لم يقع به توارث بل نسخ الحكم قبل العمل به وخط ﷺ للمهاجرين في أرض ليست لأحد وفيما وهبته له الأنصار.

فصل
في ذكر شيء من خصائصه ودلائل نبوته ﷺ

الكلام على خصائصه ﷺ منحصر في ثمانية أنواع :

(**النوع الأول ما اختص به في ذاته في الدنيا**) اختص ﷺ بأنه أول النبيين خلقاً وبتقدم نبوته فكان نبياً وآدم منجدل في طينته وتقدم أخذ الميثاق عليه وأنه أول من قال بلى يوم ألست بربكم وخلق آدم وجميع المخلوقات لأجله وكتابة اسمه الشريف على العرش وكل سماء والجنان وما فيها وسائر ما في الملكوت وذكر الملائكة له في كل ساعة وذكر اسمه في الأذان والتبشير به في الكتب السابقة ونعته فيها ونعت أصحابه وأمته وحجب إبليس من السموات لمولده وشق صدره على قول وجعل خاتم النبوة بظهره بإزاء قلبه حيث يدخل الشيطان ، وسائر الأنبياء كان الخاتم في يمينهم وبأن له ألف اسم وبأنه سمي من أسماء الله بنحو سبعين اسماً عدها مسلم وبأنه سمي أحمد ولم يسم به أحد قبله وبأنه أرجح الناس عقلاً وبأنه أوتي كل الحسن ولم يؤت يوسف إلا الشطر وبغطه ثلاثاً عند ابتداء الوحي عدها البيهقي وبرؤيته جبريل على صورته التي خلق عليها وبانقطاع الكهانة لمبعثه وحراسة السماء وبإحياء أبويه له حتى آمنا به وبوعده بالعصمة من الناس وبالإسراء وما تضمنه من اختراق السموات السبع والقرب إلى قاب قوسين وبوطئه مكاناً ما وطئه نبي مرسل ولا ملك مقرب وإحياء الأنبياء له وصلاته بهم والملائكة وباطلاعه على الجنة والنار ورؤيته للباري تعالى مرتين وقتال الملائكة معه وايتائه الكتاب وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب وبأن كتابه معجز ومحفوظ من التبديل والتحريف على ممر الدهور ومشتمل على ما اشتمل عليه جميع الكتب وزيادة جامع لكل شيء مستغن عن غيره ميسر للحفظ وبأنه معجزة مستمرة إلى يوم الدين ومعجزات سائر الأنبياء انقرضت لوقتها .

(النوع الثاني ما اختص به وأمته في شره ﷺ) اختص ﷺ باحلال الغنائم وجعل الأرض كلها مسجداً ولم تكن الأمم تصلي إلا في البيع والكنائس والتيمم والوضوء على قول وهو الأصح فلم يكن إلا للأنبياء دون أممهم وبمجموع الصلوات الخمس وبالعشاء ولم يصلها أحد وبالأذان والاقامة وافتتاح الصلوات بالتكبير وبالتأمين وبالركوع على ما ذكره جماعة من المفسرين وبقول الله ربنا ولك الحمد وباستقبال الكعبة وبالصف في الصلاة كصفوف الملائكة وبالجماعة في الصلاة وبتحية السلام وبالجمعة وبساعة الاجابة وبعيد الأضحى وشهر رمضان وأن الشياطين تصفد فيه وأن الجنة تزين فيه وأن خلوف فم الصائم فيه أطيب عند الله من ريح المسك وباستغفار الملائكة لهم حتى يفطروا وبالغفران في آخر ليلة منه وبالسحور وتعجيل الفطر وبإباحة الأكل والشرب والجماع ليلاً إلى الفجر وكان محرّماً على من قبلنا بعد النوم وكذا كان في صدر الاسلام وبليلة القدر كما قاله النووي في شرح المهذب وبجعل صوم عرفة كفارة سنتين لأنه سنته وصوم عاشوراء كفارة سنة لأنه سنة موسى وغسل اليدين بعد الطعام بحسنتين لأنه شرعه وقبله بحسنة لأنه شرع التوراة وبالاسترجاع عند المصيبة وبالحوقلة وباللحد ولأهل الكتاب الشق وبالنحر ولهم الذبح قاله مجاهد وعكرمة وبالعذبة للعمامة وهي سيما الملائكة وبالاتزار في الأوساط وأن أمته خير الأمم وآخر الأمم ففضحت الأمم عندهم ولم يفضحوا واشتق لهم اسمان من أسماء الله المسلمون والمؤمنون وسمي دينهم الاسلام ولم يوصف بهذا الوصف إلا الأنبياء دون أممهم ورفع الإصر عنهم الذي كان على الأمم قبلهم وإحلال كثير مما شدد على من قبلهم ولم يجعل عليهم في الدين من حرج ورفع المؤاخذة بالخطإ والنسيان وما استكرهوا عليه وحديث النفس وان من هم بسيئة ولم يفعلها لم تكتب سيئة فان عملها كتبت سيئة واحدة ومن هم بحسنة ولم يعملها كتبت حسنة فان عملها كتبت عشراً ووضع عنهم قتل النفس في التوبة وقرض موضع النجاسة وربع المال في الزكاة وشرع لهم نكاح أربع ورخص لهم نكاح الكتابية ونكاح الأمة ومخالطة الحائض سوى الوطء وفي إتيان المرأة على أي شق شاء

وشرع لهم التخيير بين القصاص والدية وحرم عليهم كشف العورة والتصوير وشرب المسكر وعصموا من الاجتماع على ضلالة وإجماعهم حجة واختلافهم رحمة وكان اختلاف من قبلهم عذاباً والطاعون لهم شهادة ورحمة وما دعوا استجيب لهم ويغفر ذنوبهم بالاستغفار ووعدوا أن لا يهلكوا بجوع ولا بعدوّ من غيرهم يستأصلهم ولا يعذبون بعذاب عذب به من قبلهم وإذا شهد الاثنان منهم لعبد بخير وجبت له الجنة وكانت الأمم السالفة إذا شهدت منهم مائة ردت شهادتهم وهم أقل الأمم عملاً وأكثرهم أجراً وأقصرهم أعماراً وأوتوا العلم الأول والعلم الآخر وفتح عليهم خزائن كل شيء حتى العلم وأوتوا الاسناد والأنساب والإعراب وتصنيف الكتب ولا تزال طائفة منهم على الحق حتى يأتي أمر الله وفيهم أقطاب وأوتاد ونجباء وأبدال ومنهم من يصلي إماماً بعيسى بن مريم ومنهم من يجري مجرى الملائكة في الاستغناء عن الطعام بالتسبيح ويقاتلون الدجال وعلماؤهم كأنبياء بني اسرائيل وتسمع الملائكة في السماء أذانهم وتلبيتهم وهم الحامدون لله على كل حال ويكبرون على كل شرف ويسبحون عند كل هبوط ويقولون عند ارادة فعل الأمر إن شاء الله تعالى وإذا غضبوا هللوا وإذا تنازعوا سبحوا ومصاحفهم في صدورهم وسابقهم سابق ومقتصدهم ناج وظالمهم مغفور له ويلبسون ألوان ثياب الجنة ويراعون الشمس للصلاة وهم أمة وسط عدول بتزكية الله لهم وتحضرهم الملائكة إذا قاتلوا وافترض عليهم ما افترض على الرسل والأنبياء وهو الوضوء والغسل من الجنابة والحج والجهاد وأعطوا من النوافل ما أعطي الأنبياء وقال الله في غيرهم: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[1]. وفي حقهم: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[2]. ونودوا في القرآن بيا أيها الذين آمنوا ونوديت الأمم في كتبهم بيا أيها المساكين وشتان ما بين الخطابين.

(النوع الثالث ما اختص به في ذاته في الآخرة) اختص ﷺ بأنه أول من تنشق عنه الأرض وأول من يفيق من الصعقة وبأنه يحشر في سبعين ألف ملك ويحشر على البراق ويؤذن باسمه في الموقف ويكسى في الموقف أعظم الحلل من

---

(١) سورة الأعراف آية ١٥٩.

(٢) سورة الأعراف آية ١٨١.

الجنة وبأنه يقوم عن يمين العرش وبالمقام المحمود وأن بيده لواء الحمد وآدم ومن دونه تحت لوائه وأنه إمام النبيين يومئذ وقائدهم وخطيبهم وأول من يؤذن له بالسجود وأول من يرفع رأسه وأول من ينظر إلى الله تعالى وأول شافع وأول مشفع وبالشفاعة العظمى في فصل القضاء وبالشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب وبالشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها وبالشفاعة في رفع درجات ناس في الجنة جوز اختصاصها النووي والتي قبلها به وبالشفاعة فيمن خلد في النار من الكفار أن يخفف عنهم وبالشفاعة في أطفال المشركين أن لا يعذبوا وأنه أول من يجوز على الصراط وأن له في كل شعرة من رأسه ووجهه نوراً وليس للأنبياء إلا نوران وبأمر أهل الجمع بغض أبصارهم حتى تمر بنته على الصراط وأنه أول من يقرع أبواب الجنة وأول من يدخلها وبعده أمته وبالكوثر والوسيلة وهي أعلى درجة في الجنة وقوائم منبره ذوائب الجنة ومنبره على ترعة من ترع الجنة وما بين قبره ومنبره روضة مّن رياض الجنة ولا يطلب منه شهيد على التبليغ ويطلب من سائر الأنبياء وكل سبب ونسب منقطع يوم القيامة الا سببه ونسبه قيل إن أمته ينسبون اليه يوم القيامة وأمم سائر الأنبياء لا ينسبون إليهم وقيل ينتفع يومئذ بالنسبة اليه ولا ينتفع بسائر الأنساب، والله أعلم بالصواب.

(النوع الرابع ما اختص به في أمته في الآخرة) اختص ﷺ بأن أمته أول من تنشق عنهم الأرض من بين الأمم ويأتون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء ويكونون في الموقف على كوم عالٍ ولهم نوران كالأنبياء وليس لغيرهم إلا نور واحد ولهم سيما في وجوههم من أثر السجود ويؤتون كتبهم بأيمانهم وعجل الله عذابها في الدنيا وفي البرزخ لتوافي القيامة ممحصة الذنوب وتدخل قبورها بذنوبها وتخرج منها بلا ذنوب تمحص عنها باستغفار المؤمنين لها ولها ما سعت وما سُعي لها وليس لمن قبلهم إلا ما سعى، قاله عكرمة ويقضى لهم قبل الخلائق ويدخل منهم الجنة سبعون ألفاً بغير حساب.

(النوع الخامس ما اختص به من الواجبات لحكمة زيادة الزلفى والدرجات)

اختص ﷺ بوجوب صلاة الضحى والوتر والتهجد أي صلاة الليل والسواك والأضحية والمشاورة على الأصح وركعتي الفجر لحديث في المستدرك وغيره وغسل الجمعة ورد في حديث ضعيف وقضاء دين من مات من المسلمين معسراً على الصحيح وقيل كان يفعله تكرما وأن يقول إذا رأى ما يعجبه لبيك إن العيش عيش الآخرة في وجه حكاه في الروضة وأصلها وأن يؤدي فرض الصلاة كاملة كما ذكره الماوردي وغيره ولا يسقط عنه الصوم والصلاة وسائر الأحكام كما في زوائد الروضة عن القفال وجزم به ابن سبع.

(النوع السادس ما اختص به من المحرمات) اختص ﷺ بتحريم الزكاة والصدقة عليه وفي صدقة التطوع قولان كذا نقل عن مغلطاي وتحريم الزكاة على آله قيل والصدقة أيضاً وعليه المالكية وعلى موالي آله في الأصح وتحريم كون آله عمالاً على الزكاة في الأصح وصرف النذر والكفارة إليهم وأكل ثمن أحد من ولد إسمعيل ورد به حديث في المسند والمنّ ليستكثر ومد العين إلى ما متع به الناس ونكاح الكتابية قيل والتسري بها ونكاح الأمة المسلمة ولو قدر نكاحه أمة كان ولده منها حراً ولا يلزمه قيمته ولا يشترط في حقه حينئذ خوف العنت ولا فقد الطول وله الزيادة على واحدة قال إمام الحرمين ولو قدر نكاح الغرر في حقه لا يلزمه قيمة الولد قال ابن الرفعة وفي تصور ذلك في حقه نظر.

(النوع السابع ما اختص به من المباحات) اختص ﷺ بإباحة المكث في المسجد جنباً وفيها خلاف وبأنه لا ينتقض وضوؤه بالنوم مضطجعاً ولا باللمس أي بلمس المرأة والذكر في أحد وجهين وبإباحة الصلاة بعد العصر وبإباحة النظر إلى الأجنبيات والخلوة بهن ونكاح أكثر من أربع نسوة وكذلك الأنبياء والنكاح بلفظ الهبة وبلا مهر ابتداء وانتهاء وبلا وليّ وبلا شهود وفي حال الاحرام وبغير رضا المرأة فلو رغب في نكاح امرأة خلية لزمها الاجابة وحرم على غيره خطبتها أو مزوّجة وجب على زوجها طلاقها وكان له تزويج المرأة ممن شاء بغير إذنها وإذن وليها وله أن يتزوجها بغير إذنها وإذن وليها وله إجبار الصغيرة من غير بناته وزوّج ابنة عمه

حمزة مع وجود عمها العباس وقدم على الأقرب وقال لأم سلمة مري ابنك أن يزوجك فزوجها منه وهو يومئذ صغير وزوجه الله من زينب فدخل بها بتزويج الله بغير عقد، وعبر في الروضة عن هذه بقوله وكانت المرأة تحل له بتحليل الله وله نكاح المعتدة من غيره في وجه حكاه الرافعي والجمع بين المرأة وأختها وعمتها وخالتها في أحد وجهين وبين المرأة وبنتها في وجه حكاه الرافعي وعتق أمته وجعل عتقها صداقها وترك القسم بين أزواجه في أحد وجهين وهو المختار ولا يجب عليه نفقتهن في وجه كالمهر وعلى الوجوب لا يتقدر ولا ينحصر طلاقه في الثلاث في أحد وجهين وعلى الحصر قيل تحل له من غير محلل وقيل لا تحل له أبداً وكان له أن يستثني في كلامه بعد حين ولا يكره له الفتوى والقضاء في حال الغضب ذكره النووي في شرح مسلم وكان له أن يدعو لمن شاء بلفظ الصلاة وليس لنا أن نصلي إلا على نبي أو ملك وضحى عن أمته وليس لأحد أن يضحي عن غيره إلا بإذنه وكان يقطع الأراضي قبل فتحها لأن الله ملكه الأرض كلها، وأفتى الغزالي بكفر من عارض أولاد تميم الداري فيما أقطعه لهم وقال إنه ﷺ كان يقطع أرض الجنة فأرض الدنيا أولى.

(النوع الثامن ما اختص به من الكرامات والفضائل) اختص ﷺ بأنه كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه ويرى في الليل والظلمة كما يرى بالنهار والضوء وبأن ريقه يعذب الماء الملح ويغذي الرضيع وإبطه أبيض غير متغير اللون لا شعر عليه وما تثاءب قط ولا احتلم قط وكذلك الأنبياء في الثلاثة وعرقه أطيب من المسك وكان إذا مشى مع الطويل طاله وإذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين ولم يقع ظله على الأرض ولا رؤي له ظل في شمس ولا قمر ولا يقع ذباب على ثيابه ولا آذاه قمل وكانت الأرض تطوى له إذا مشى وأعطي قوة أربعين في الجماع والبطش عن أنس قال: «فضلت على الناس بأربع بالسماحة والشجاعة وكثرة الجماع وشدة البطش». كذا في سيرة مغلطاي ولم ير له أثر قضاء حاجة بل كانت الأرض تبتلعه وكذلك الأنبياء وكان يبيت جائعاً فيصبح طاعماً يطعمه ربه ويسقيه من الجنة ولم يضغط في قبره وكذلك الأنبياء ولا يسلم منها لا

صالح ولا غيره ولا تأكل السباع جسده وكذلك الأنبياء ولا يجوز للمضطر أكل ميتة نبي ، وهو حي في قبره يصلي فيه بأذان وإقامة وكذلك الأنبياء ، ولهذا قيل لا عدة على أزواجه ، وموكل بقبره ملك يبلغه صلاة المصلين وتعرض عليه أعمال أمته ويستغفر لهم والمصيبة بموته عامة لأمته إلى يوم القيامة ومن رآه في المنام فقد رآه حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بصورته ومن أمره بأمر في المنام وجب عليه امتثاله في أحد وجهين واستحب في الآخر وقراءة أحاديثه عبادة يثاب عليها وتثبت صحبته لمن اجتمع به ولو لحظة بخلاف التابعي مع الصحابة فلا تثبت إلا بطول الزمن عند أهل الأصول والفرق عظم منصب النبوة ونورها فكان ﷺ بمجرد ما يقع بصره على الأعرابي الجلف ينطق بالحكمة وأصحابه كلهم عدول فلا يبحث عن عدالة أحد منهم كما يبحث عن سائر الرواة ولا يكره للنساء زيارة قبره كما يكره لهن زيارة سائر القبور بل يستحب كما قاله العراقي في نكته والمصلي بمسجده لا يبصق عن يساره كما هو السنة في سائر المساجد. ويحرم التقدم عليه ورفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول ونداؤه من وراء الحجرات والصياح به من بعيد ، وتجب محبة أهل بيته وأصحابه ، ومن قذف أزواجه فلا توبة له البتة كما قال ابن عباس وغيره ولم تبغ امرأة نبي قط وأولاد بناته ينسبون إليه ولا يتزوج على بناته ومن صاهره من الجانبين لم يدخل النار. وفي هذا القدر كفاية لأولي الأبصار ؛ وقد جمع بعض خصائصه ﷺ جلال الدين السيوطي في رسالة سماها «أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب».

(وأما دلائل نبوته ﷺ) التي في الكتب السالفة كالتوراة والانجيل فقد أخبر بها الثقات ممن أسلم من علماء اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار وأسيد وهم ممن أسلم من علماء اليهود وبحيرا ونسطورا الحكيم وصاحب بصرى وضغاطر وأسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي وأساقف نجران وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى ، وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالم النصارى والمقوقس صاحب مصر ، وروي عن كعب الأحبار أنه قال نجد مكتوباً يعني في التوراة : محمد رسول الله عبد مختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا

يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ، أمته الحمادون يكبرون الله في كل نجد ويحمدونه في كل منزل رعاة للشمس يصلون الصلاة إذا جاء وقتها يأتزرون على أنصافهم ويتوضأون على أطرافهم مناديهم ينادي في السماء صفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء لهم دوي في الليل كدوي النحل ، مولده بمكة ومهاجرته بطابة وملكه بالشام ، نقله بعضهم عن المصابيح ، وعن عبد الله بن سلام : إنا لنجد صفة رسول الله ﷺ يعني في التوراة : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل لست بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا تدفع السيئة بالسيئة ولكن تعفو وتغفر ولن أقبضك حتى أقيم بك الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله إلا الله وأفتح بك أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً كذا ذكره البيهقي في دلائل النبوة وعن عبد الله بن سلام قال إن في الجزء الآخر الذي تم به التوراة آية من جملتها بالعربية هكذا جاء الله ، وفي المواهب تجلى الله من طور سيناء وأشرف من ساعير واستعلن من جبال فاران وهو اسم عبراني وليست ألفه الأولى همزة وهي جبال بني هاشم التي كان رسول الله ﷺ يتحنث في أحدها وفيه ابتداء الوحي وهي ثلاثة أجبل أحدها أبو قبيس والثاني قيقعان والثالث حراء وهو شرقي فاران ومنفتحه الذي يلي قعيقعان إلى بطن الوادي هو شعب بني هاشم وفيه مولده ﷺ في أحد الأقوال قال ابن قتيبة وليس في هذا غموض لأنه أراد مجيء كتابه ونوره كما قال الله عز وجل : ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾[1] أي أتاهم أمره قال العلماء وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة والمراد إنزاله القرآن على محمد ﷺ وظهور أمره وشريعته والله أعلم . ومن دلائل نبوته ﷺ خاتمه الذي بين كتفيه ، ومن البشائر ما روي عن أبي بن كعب لما قدم تبع المدينة ونزل بقباء بعث إلى أحبار اليهود فقال إني مخرب هذا البلد حتى لا يقوم به يهودية ويرجع الأمر إلى دين العرب فقال شامول اليهودي وهو يومئذ أعلمهم أيها الملك إن هذا البلد يكون اليه مهاجر نبي من ولد إسمعيل مولده مكة واسمه أحمد وهذه دار هجرته وان منزلك

---

(١) سورة الحشر آية ٢ .

الذي أنت به يكون به من القتل والجراح أمر كثير في أصحابه قال تبع فمن يقاتله وهو نبي كما تزعمون؟ قال يسير إليه قوم فيقتتلون هنا قال فأين يكون قبره؟ قال بهذا البلد قال فإن قوتل فلمن تكون الدائرة؟ قال تكون عليه مرة وله مرة وبهذا المكان الذي أنت به غلبته فيقتل به أصحابه مقتلة ثم يقتلون في مواطن ثم تكون العاقبة له فيظهر فلا ينازعه في هذا الأمر أحد قال وما صفته؟ قال رجل ليس بالقصير ولا بالطويل في عينيه حمرة يركب البعير ويلبس الشملة سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى له أخ وابن عم أو عم حتى يظهر أمره قال تبع فما لي بهذا البلد من سبيل وما كان ليكون خرابه على يدي، فخرج تبع. وفي المحاضرات والمسامرات لسيدي محيي الدين: أن كعب الأحبار رأى حبراً من اليهود يبكي فقال ما يبكيك؟ قال ذكرت بعض الأمر فقال له كعب أنشدك بالله لئن أخبرتك ما أبكاك لتصدقني قال نعم قال أنشدك بالله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يا رب إني أجد أمة في التوراة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول والكتاب الآخر ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الدجال قال فقال موسى رب اجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد يا موسى؟ قال الحبر نعم قال كعب فأنشدك بالله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال رب إني أجد أمة هم الحمادون رعاة الشمس المحكمون إذا أرادوا أمراً قالوا نفعله إن شاء الله فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد يا موسى؟ قال الحبر نعم، قال كعب أنشدك بالله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يا رب إني أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله وإذا هبط وادياً حمد الله الصعيد لهم طهور والأرض لهم مسجد حيثما كانوا يطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غر محجلون من أثر الوضوء فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد يا موسى؟ قال الحبر نعم، قال كعب أنشدك بالله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال رب إني أجد أمة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب فاصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد واحداً منهم إلا مرحوماً فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد يا موسى؟ قال الحبر نعم، قال

كعب أنشدك بالله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى عليه السلام نظر في التوراة فقال رب إني أجد أمة مصاحفهم في صدورهم يلبسون ثياب أهل الجنة يصطفون في صلاتهم كصفوف الملائكة أصواتهم في صلاتهم كدوي النحل لا يدخل النار منهم أحد إلا من برئ من الحسنات مثل ما برئ الحجر من ورق الشجر قال موسى فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد يا موسى؟ قال الحبر نعم ؛ قال كعب أنشدك بالله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى عليه السلام لما نزلت عليه التوراة وقرأها فوجد فيها ذكر هذه الأمة قال يا رب إني أجد في الألواح أمة هم السابقون المشفوع لهم فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد ، قال يا رب إني أجد في الألواح أمة هم المسبحون المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد ، قال يا رب إني أجد في الألواح أمة يأكلون الفيئ فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد؟ قال يا رب إني أجد في الألواح أمة يجعلون الصدقة في بطونهم يؤجرون عليها فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد ، قال يا رب إني أجد في الألواح أمة اذا همّ أحدهم بحسنة فلم يفعلها كتبت له حسنة واحدة وإن عملها كتبت له عشر حسنات فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال يا رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب وإن عملها كتبت سيئة واحدة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد ، قال يا رب إني أجد في الألواح أمة يؤتون العلم الأول والعلم الآخر فيقتلون قرون الضلالة المسيح الدجال فاجعلها أمتي قال تلك أمة أحمد ، قال الحبر نعم. فلما عجب موسى عليه السلام من الخير الذي أعطاه الله محمداً ﷺ وأمته قال يا ليتني من أصحاب محمد ؛ وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال يا رب اجعلني من أمة محمد قال الحبر نعم فأوحى الله تعالى إليه ثلاث آيات يرضيه بهن : ﴿ يا مُوسَى إنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النّاسِ بِرِسالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ ما آتَيْتُكَ وكُنْ مِنَ الشّاكِرِينَ ● وكَتَبْنا لَهُ في الألْواحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ -إلى قوله -دارَ الفاسِقِينَ﴾[1] ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحَقِّ وبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾[2]. انتهى.

---

(١) سورة الأعراف آية ١٤٤ و ١٤٥. (٢) سورة الأعراف آية ١٥٩.

(وأما أسماؤه ﷺ فكثيرة) بعضها ورد في القرآن وبعضها ورد في الأحاديث الصحيحة وبعضها ورد في الكتب السالفة وقد قالوا كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى واختلفوا في أن الاسم هو عين المسمى أو غيره. أما ما في القرآن فمحمد وأحمد والرسول والنبي والشاهد والبشير والنذير والمبشر والمنذر والداعي إلى الله والسراج المنير والرؤوف والرحيم والمصدق والمذكر والمزمل والمدثر وعبد الله والكريم والحق والمبين والنور وخاتم النبيين والرحمة والنعمة والهادي وطه ويس على قول. وأما ما في الأحاديث فمنها الماحي والحاشر والعاقب والمقفى ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم ورحمة مهداة والقتال والمتوكل والفاتح والخاتم والمصطفى والأمي. وأما ما في كتب الأنبياء فمنها الضحوك وحمياطا أو حمطايا وأحيد وبارقليط وفارقليط في المواهب اللدنية وحمياطا بفتح الحاء المهملة وسكون الميم قال أبو عمرو سألت بعض من أسلم من اليهود عنه فقال معناه يحمي الحر من الحرام ويوطىء الحلال وأما أحيد بهمزة مضمومة ثم حاء مهملة مكسورة ثم مثناة تحتية ساكنة فدال قال القسطلاني كذا وجدته في بعض نسخ الشفاء المعتمدة والمشهور ضبطه بفتح الهمزة وكسر الحاء وسكون المثناة التحتية فقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: اسمي في القرآن محمد وفي الانجيل أحمد وفي التوراة أحيد وإنما سميت أحيد لأني أحيد عن أمتي نار جهنم وأما حمطايا بفتح الحاء المهملة وسكون الميم فقال الهروي أي حامي الحرم وأما بارقليط وفارقليط بالموحدة وبالفاء وفتح الراء والقاف وسكون الراء مع فتح القاف وبكسر الراء وسكون القاف فقد وقع في إنجيل يوحنا ومعناه روح الحق وقال ثعلب معناه الذي يفرق بين الحق والباطل ومعلوم أن أكثر هذه الأسماء المذكورة صفات واطلاق الاسم عليها مجاز.

(فائدة) ذكر الحسين بن محمد الدامغاني في كتاب شوق العروس وأنس النفوس نقلاً عن كعب الأحبار أنه قال اسم النبي ﷺ عند أهل الجنة عبد الكريم وعند أهل النار عبد الجبار وعند أهل العرش عبد الحميد وعند سائر الملائكة عبد المجيد وعند الأنبياء عبد الوهاب وعند الشيطان عبد القهار وعند

الجن عبد الرحيم وفي الجبال عبد الخالق وفي البر عبد القادر وفي البحر عبد المهيمن وعند الحيتان عبد القدوس وعند الهوام عبد الغياث وعند الوحوش عبد الرزاق وعند السباع عبد السلام وعند البهائم عبد المؤمن وعند الطيور عبد الغفار وفي التوراة موذ موذ وفي الانجيل طاب طاب وفي الصحف عاقب وفي الزبور فاروق وعند الله طه ويس وعند المؤمنين محمد ﷺ ذكر هذا كله القسطلاني في المواهب وذكر فيه من الأسماء والألقاب والكنى ما يزيد على أربعمائة قال ابن دحية أسماؤه ﷺ تقرب من الثلثمائة وأنهاها بعض الصوفية إلى ألف.

(وأما ألقابه ﷺ) فكثيرة مثل صاحب البراق وصاحب التاج والمراد به العمامة لأن العمائم تيجان العرب كما جاء في الحديث وصاحب المعراج وصاحب الهراوة والنعلين وصاحب الخاتم والعلامة وصاحب البرهان والحجة وصاحب الحوض المورود والمقام المحمود وصاحب الوسيلة وصاحب الفضيلة وصاحب الدرجة الرفيعة وصاحب الشفاعة وسيد أولاد آدم وسيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب ورسول رب العالمين والمصطفى والمجتبى والمزكى.

(وأما كنيته) ﷺ المشهورة فأبو القاسم لأن أكبر أولاده القاسم والعرب تكني الشخص بأكبر أولاده في الغالب.

فصل
في ذكر بعض شمائله ومعجزاته ﷺ

في أسد الغابة وغيره كان ﷺ فخماً مفخماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر أطول من المربوع وأعظم من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر لا يجاوز شعره شحمة أذنه أزهر اللون ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم سهل الخدين ليس بالطويل الوجه ولا بالكلثم واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم كث اللحية أدعج ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلقة بادناً متماسكاً سواء البطن والصدر عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين جليل الكتدين بين منكبيه خاتم النبوة وهو شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كخط عاري الثديين والبطن أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الأطراف خمصان الأخمصين مسيح القدمين ينبو عنها الماء إذا زال زال تقلعا يخطو تكفؤاً ويمشي هوناً ذريع المشية كأنما ينحط من صبب وإذا التفت التفت جميعاً من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه يبدأ من لقيه بالسلام متواصل الأحزان دائم الفكر ليس له راحة لا ينطق في غير الحاجة طويل السكوت يفتح الكلام ويختمه ببسم الله ويتكلم بجوامع الكلم فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير دمثاً ليس بالجاحف ولا المهين يعظم النعم وإن دقت لا يذم شيئاً منها ولا يذم مذاقاً ولا يمدحه بل إن أعجبه أكل منه وإلا تركه يأكل بأصابعه الثلاث وربما استعان بالرابع ويلعق إذا فرغ الوسطى فالتي تليها فالإبهام ويشرب

في ثلاثة أنفاس مصاً لا عباً قاعداً وشرب قائماً يأكل ما وجد ولا يتكلف ما فقد وإذا لم يجد شيئاً صبر حتى شد الحجر على بطنه وطوى الليالي المتتابعة لا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وإذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها كلها وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام وكان أكثر طعامه التمر وما أكل خبزاً منخولاً ولا على خوان بل كان يأكل على السفرة وربما وضع طعامه على الأرض ولا يأكل متكئاً وكان يقول آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وما كان هذا لضيق بل باختياره وكان يعجبه من اللحم الذراع وكان يحب الدباء ويتتبعها من جوانب القصعة والبقلة الحمقاء والعسل والحلوى وأحب الفاكهة اليه العنب والبطيخ قال الغزالي كان يأكل البطيخ بخبز وبسكر ويستعين بيديه جميعاً اهـ وكان يدفع ضرر الأطعمة بعضها ببعض فربما أكل تمراً بزبد وبطيخاً أو قثاء برطب وكان لا يأكل وحده ونهى عن أكل الخبز وحده والنوم عقب الأكل وكان يلبس ما يجد وكثيراً ما يلبس ثوباً واحداً ولا يسبل القميص والإزار بل يجعلها فوق كعبيه أو إلى نصف ساقه ويجعل كم قيصه إلى الرسغ وكان أحب الثياب إليه القميص وليست عمامته كبيرة ولا صغيرة قال المناوي لم يتحرر في طولها وعرضها شيء ولبس العمامة البيضاء والسوداء والصفراء والأكثر البيضاء وكان في الغالب يرخي لعمامته عذبة بين كتفيه أقل ما ورد في قدرها أربعة أصابع وأكثره ذراع ولبسها قلنسوة وبغيرها والقلنسوة بدون عمامة وكان يكثر التقنع واشترى السراويل وكان أحب الصبغ إليه الصفرة ولبس خاتماً من فضة فصه منه وخاتماً من فضة فصه عقيق في اليمين تارة وفي اليسار أخرى ولكنه في اليمين أكثر يجعل الفص جهة كفه وكان نقش خاتمه محمد رسول الله ثلاثة أسطر وكان فراشه من أدم حشوه ليف وربما نام على الحصير وعلى الأرض وكان يحب الطيب ويكتحل عند النوم بالإثمد ثلاثاً في كل عين ويدهن رأسه ويأخذ بالمقص أطراف شاربه ومن عرض لحيته وطولها ويسرحها بالمشط مع الماء وكان ﷺ لا يجلس ولا يقوم الا بذكر الله تعالى ولا يوطن الأماكن وينهي عن إيطانها وإذا جلس إلى قوم جلس حيث ينتهي به

المجلس ويأمر بذلك يعطي كل من جالسه حقه لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو ما يسره من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء مجلسه حلم وحياء وصبر وأمانة لا ترفع عنده الأصوات وكان ﷺ دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس ولا يخيب فيه مؤمله قد تطهر من ثلاث المراء والإكثار وما لا يعنيه وتركي الناس نفسه من ثلاث كان لا يذم أحداً ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما يرتجي ثوابه إذا تكلم أطرق جلساؤه كأن على رؤوسهم الطير فإذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده إن تكلم أنصتوا له حتى يفرغ وكان لا يقطع على أحد حديثه خدمه أنس بن مالك رضي الله عنه عشر سنين إلى أن توفاه الله تعالى فما قال لشيء فعله لم فعلته ولا لشيء لم يفعله لم لم تفعله ما عاب طعاماً كان إذا اشتهاه أكله وإلا تركه كان يقول في السراء الحمد لله المنعم المتفضل وكان يقول في الضراء الحمد لله على كل حال وكان يذكر الله على كل أحيانه وكان يسلم على العبيد والاماء والصبيان وكان يمازح الصغير ويلاعب الوليد ويمازح العجوز ولا يقول إلا حقاً، روي «أن امرأة جاءته فقالت يا رسول الله احملني على جمل فقال انما أحملك على ولد الناقة قالت لا يطيقني قال لا أحملك إلا على ولد الناقة قالت لا يطيقني فقال لها الحاضرون وهل الجمل إلا ولد الناقة». وجاءت له امرأة أخرى فقالت يا رسول الله زوجي مريض وهو يدعوك فقال لعل زوجك الذي في عينيه بياض فرجعت وفتحت عين زوجها فقال لها ما لك فقالت أخبرني رسول الله ﷺ أن في عينيك بياضاً فقال وهل أحد إلا وفي عينيه بياض وقالت له امرأة أخرى يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان: «إن الجنة لا يدخلها عجوز». فولت المرأة باكية فقال ﷺ: «إنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله يقول: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً . فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً . عُرُباً أَتْرَاباً﴾[1]». وكان ﷺ يجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ويقول: «لو دعيت إلى كراع لأجبت». وكان يخصف نعله ويحلب شاته ويركب الحمار ردفاً

(١) سورة الواقعة آية ٣٧.

ويرقع الثوب ويطحن مع الخادم ويأكل معه ويحمل بضاعته من السوق ويصافح الغني والفقير ويخالط أصحابه ويحادثهم ويمازحهم ويلاعب صبيانهم ويجلسهم في حجره وما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال لبيك وقال: «لا تفضلوني على يونس بن متى ولا ترفعوني فوق قدري فتقولون فيّ ما قالت النصارى في المسيح ان الله اتخذني عبدا قبل أن يتخذني رسولا». وكان يأخذ الخبيص ويقول: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد». روي أنه ﷺ دخل عليه رجل فقام بين يديه وأخذته رعدة من هيبته فقال له هوّن عليك فإني لست بملك ولا جبار وانما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته. وعن البراء بن عازب قال رأيت رسول الله ﷺ يوم الخندق ينقل التراب حتى وارى التراب صدره وكان ينقل اللبن على عاتقه مع أصحابه عند بناء مسجده ﷺ هذا ولسان حاله يفصح عن قوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر».

(**فائدة**) قال أبو هريرة رضي الله عنه سادات الأنبياء خمسة نوح وإبراهيم الخليل وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وتوفي ﷺ وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء قال أبو بكر يا رسول الله قد شبت فقال ﷺ «شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعمّ يتساءلون وإذا الشمس كوّرت». رواه الترمذي وفي رواية «شيبتني هود وأخواتها». وبالجملة فهو ﷺ أجل وأعظم من أن يحيط ناعت بوصفه ولكن ما وصفه من وصفه الا بقدر ما ظهر له منه ﷺ.

(**وأما معجزاته** ﷺ فكثيرة): منها القرآن وهو أعظمها وانشقاق القمر فرقتين حين طلبت منه قريش آية فكانت فرقة على جبل أبي قبيس وفرقة دونه وشاهد ذلك الداني والقاصي واستمر كذلك حتى غرب وكانت ليلة أربعة عشر فازداد الذين آمنوا ايماناً وقالت الكفار هذا سحر مستمر وكان انشقاقه في السنة التاسعة من النبوّة وشق صدره وإخباره عن بيت المقدس صبح ليلة الإسراء حين سأله المشركون عن صفته وحبس الشمس له عن الغروب حتى قدمت العير التي لقيته

في منصرفه من المعراج وأخبرهم بأنها تقدم في يوم كذا فلما كان ذلك اليوم دنت الشمس للغروب ولم تجئ العير وردها بعد غروبها على علي بن أبي طالب بدعوته ﷺ ليدرك عليّ صلاة العصر أداء وخروجه على المجتمعين بباب داره ليقتلوه ووضعه التراب على رؤوسهم ولم يشعروا ورميه يوم حنين قبضة من تراب في وجوه القوم فهزمهم الله تعالى ونسج العنكبوت على فم الغار ووقوف الحمامتين الوحشيتين على بابه ونبات الشجرة في بابه وما جرى لسراقة وشاة أم معبد ودعوته لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يعز الله به الإسلام فكان ذلك ودعوته لعلي رضي الله عنه أن يذهب الله عنه الحر والبرد فلم يشتك واحداً منهما بعد فكان يلبس ثياب الشتاء في الصيف وثياب الصيف في الشتاء ولا يتأثر ولعبد الله بن عباس أن يعلمه الله التأويل ويفقهه في الدين فكان ذلك ولأنس بن مالك بطول العمر وكثرة المال والولد فعاش فوق المائة وكان من أكثر الأنصار مالاً ولم يمت حتى رأى مائة ذكر من صلبه وشهادة الضب له بالرسالة والذئب كذلك فقد ورد أنه أخذ شاة فانتزعها الراعي منه فقال ألا تتقي الله تنزع مني رزقاً رزقه الله إليّ فتعجب الراعي من كلامه فقال له الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بأخبار ما قد سبق وبما هو آت فأتى الراعي النبي ﷺ وأخبره بذلك فجاء الذئب فقال ﷺ هذا وافد الذئاب جاء يسألكم أن تجعلوا له شيئاً من أموالكم قالوا والله لا نفعل وأخذ رجل من القوم حجراً فرماه به فأدبر وله عواء وفي رواية أن الذئب قال للراعي أنت أعجب فقال له لم فقال لأن النبي بعث بيثرب وأنت مع غنمك تارك له وبينك وبينه هذا الجبل فقال للذئب إذا مضيت إليه فمن يحرس غنمي قال الذئب أنا أحرسها لك فذهب والذئب يحرسها إلى أن وصل إليه ﷺ فأسلم ورجع فوجدها بحالها والذئب يحرسها فذبح له شاة منها وأطعمها له وحديث الضب مشهور على الألسنة قال الجمل لكنه غريب ضعيف بل قال بعضهم لا يصحّ اسناداً ولا متناً وهو أن أعرابياً اصطاد ضباً فلما رأى النبي طرحه بين يديه وقال لا أومن بك حتى يؤمن بك هذا الضب فقال يا ضب قال لبيك وسعديك قال من تعبد؟ قال الذي في السماء عرشه وكلمات أخرى قال من أنا قال أنت

رسول رب العالمين فأسلم الأعرابي وشهادة الظبية له بالرسالة وقد روى حديثها البيهقي وأبو نعيم والطبراني قال الحافظ ابن كثير لا أصل له ومن نسبه إلى النبي فقد كذب وهو بينما رسول الله ﷺ في صحراء إذ هتف هاتف وقال يا رسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة في وثاق وأعرابي نائم عندها فقال ما حاجتك فقالت صادني هذا الأعرابي ولي في هذا الجبل ولدان فأطلقني أذهب فأرضعهما وأرجع قال وتفعلين قالت عذبني الله عذاب العشار أي المكاس ان لم أفعل فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه الأعرابي فقال يا رسول الله ألك حاجة؟ قال نعم تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. ومن معجزاته ﷺ حنين الجذع الذي كان يخطب إليه لما فارقه للمنبر وكان عموداً من عمدان المسجد إذ كانت عمدانه خشب نخل كسقفه فلما صنع له المنبر ثلاث درجات وضعه موضع المنبر الذي بمسجده الآن ثم جاء يوم الجمعة فوقف على المنبر فصاح الجذع حتى سمعه كل من في المسجد حتى ارتج المسجد من صياحه وحتى تصدع أي الجذع وانشق فنزل ﷺ وضمه إليه حتى سكن وقال والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل يصوّت هكذا إلى يوم القيامة وخيره بين أن يعيده إلى مغرسه فيثمر كما كان وبين أن يغرسه في الجنة يأكل أهلها من ثمره فقال اختار دار البقاء على دار الفناء وأمر به فدفن وقد احترق في حريق المسجد الذي وقع في القرن السادس انتهى جمل على الهمزية.

ومن معجزاته ﷺ شهادة الشجر له بالرسالة وإتيانه إليه فستره حتى قضى حاجته وسكون جبل أحد لما ضربه عليه الصلاة والسلام برجله وشكوى بعير أعرابي له قلة العلف وكثرة العمل وشكوى بعض الطيور له أخذ بيضه فأمر من أمر برده وتسبيح الحصى في كفه وتسبيح الطعام بين أصابعه ونبع الماء من بينها حتى روى الجيش العظيم وسقوا إبلهم وخيلهم وملأوا أسقيتهم وقد وقع ذلك مراراً وإطعام ألف من صاع من شعير بالخندق وقد وقع منه تكثير الطعام القليل مراراً ورد عين قتادة بن النعمان بعد أن سالت على خده فكانت أحسن عينيه وتفله في عين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أرمد يوم حنين فعوفي من ساعته ولم

ترمد بعد ذلك وعلى عيني رجل ابيضتا حتى لم يبصر بهما شيئاً فأبصر ومسحه على رأس الأقرع فذهب داؤه وعلى رجل عبد الله بن عتيك وقد كانت انكسرت فكأنها لم تنكسر قط وإحياء بنت دعا أباها إلى الإسلام فقال لا أومن بك حتى تحيي لي ابنتي فذهب معه إلى قبرها فناداها فقالت لبيك وسعديك فقال أتحبين أن ترجعي إلى الدنيا فقالت لا والله إني وجدت الله خيراً لي من أبويّ ووجدت الآخرة خيراً من الدنيا واحياء أبويه له حتى آمنا به على ما قيل واعطاؤه عكاشة بن محصن يوم بدر جزلا من حطب فانقلب في يده سيفاً وكذلك وقع لعبد الله بن جحش يوم أحد وإخباره بالمغيبات كإخباره عن مصارع المشركين يوم بدر فلم يعد أحد منهم مصرعه وبموت النجاشي يوم موته وصلى عليه يوم موته مع أصحابه وقوله لثابت بن قيس: «تعيش حميداً وتقتل شهيداً». فقتل يوم اليمامة وقوله للحسن بن علي رضي الله عنهما «ان ابني هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». فصالح معاوية وإخباره بأن عثمان بن عفان تصيبه بلوة شديدة فحوصر في داره وقتل وبأن عمر يموت شهيداً وقوله للزبير في حق عليّ تقاتله وأنت ظالم له وقوله لعمار تقتلك الفئة الباغية فقتل بصفين وقوله لعلي بن أبي طالب: «أشقى الناس رجلان الذي عقر الناقة والذي يضربك على هذه وأشار إلى يافوخه حتى تبتل منه هذه وأشار إلى لحيته». فكان كما قال وقوله لزوجاته ليت شعري أيتكن ينبحها كلاب الحوءب أيتكن صاحبة الجمل الأدبب بدال مهملة فوحدتين أي كثير الشعر يقتل حولها كثير فكانت عائشة رضي الله عنها ومعجزاته ﷺ لا تحصى وفضائله لا تستقصى ﷺ.

فصل
في ذكر نبذة من أحاديثه الشريفة ﷺ

ينكشف لك بها وجه قوله ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً». وكلها صحيحة الأسانيد لم يقع فيها حديث ضعيف إلا نادراً سبق به القلم التقطتها من الجامع الصغير برموزها وها هي هذه: ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك ابن آدم لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع. ابن آدم إذا أصبحت معافى في جسدك آمناً في سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء (عد هب) عن ابن عمر. أتاني جبريل فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت وأحبب من شئت فإنك مفارق واعمل ما شئت فإنك مجزى به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس الشيرازي في الألقاب (ك هب) عن سهل بن سعد (هب) عن جابر (حل) عن علي. أتاني جبريل فقال: بشر أمتك انّ من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة قلت يا جبريل وإن سرق وإن زنى قال: نعم قلت وإن سرق وإن زنى قال: نعم قلت وإن سرق وإن زنى قال: نعم وإن شرب الخمر (حم ت ن حب) عن أبي ذر. اتبعوا العلماء فإنهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة (فر) عن أنس. اتركوا الترك ما تركوكم فإن أول من يسلب أمتي ملكهم وما خولهم الله بنو قنطوراء (هب) عن ابن مسعود. اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن (حم ت ك هب) عن أبي ذر (حم ت هب) عن معاذ وابن عساكر عن أنس. اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي وأن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط وإياك وإسبال الإزار فإن إسبال الإزار من المخيلة ولا يحبها الله وإن امرؤ شتمك وعيرك بأمر ليس هو فيك فلا تعيره بأمر هو فيه ودعه يكون وباله عليه وأجره لك ولا تسبنّ أحداً. الطيالسي (حب) عن جابر بن سليم. اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك

تكن مؤمناً وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب (حم ت حب) عن أبي هريرة. اتق دعوة المظلوم فإنما يسأل الله تعالى حقه وإن الله تعالى لن يمنع ذا حق حقه (خط) عن علي. اتقوا الله في الصلاة اتقوا الله في الصلاة اتقوا الله في الصلاة اتقوا الله فيا ملكت أيمانكم اتقوا الله فيا ملكت أيمانكم اتقوا الله في الضعيفين المرأة الأرملة والصبي اليتيم (هب) عن أنس. اتقوا الله في الضعيفين المملوك والمرأة. ابن عساكر عن ابن عمر. اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم وحملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم (حم خد م) عن جابر. اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة (حم ق) عن عدي. اتقوا الدنيا فوالذي نفسي بيده إنها لأسحر من هاروت وماروت. الحكيم عن عبد الله بن بسر المازني. اثنان لا ينظر الله إليهما يوم القيامة قاطع الرحم وجار السوء (فر) عن أنس. اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر (ك هب) عن ابن عباس. اجتنبوا الوجوه لا تضربوها (عد) عن أبي سعيد. اجتنبوا التكبر فإن العبد لا يزال يتكبر حتى يقول الله: اكتبوا عبدي هذا في الجبارين. أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق وعبد الغني بن سعيد في إيضاح الإشكال (عد) عن أبي أمامه. أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل (ق) عن عائشة. أحب الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله (حب) وابن السني في عمل يوم وليلة (طب هب) عن معاذ. أحب الأعمال إلى الله من أطعم مسكيناً من جوع أو دفع عنه مغرماً أو كشف عنه كرباً (طب) عن الحكم بن عمير. أحب الأعمال إلى الله بعد الفرائض إدخال السرور على المسلم (طب) عن ابن عباس. أحب الأعمال إلى الله حفظ اللسان (هب) عن أبي جحيفة. أحب الأعمال إلى الله الحب في الله والبغض في الله (حم) عن أبي ذر. أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً (طب) عن أسامة بن شريك. أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي (ع حب هب) والضياء عن جابر. أحب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما (ت هب) عن أبي هريرة (طب)

عن ابن عمر عن ابن عمرو (قط) في الإفراد (عد هب) عن علي (خد هب) عن علي موقوفاً. أحب العرب لثلاث: لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة في الجنة عربي (عق طب ك هب) عن ابن عباس. احبسوا صبيانكم حتى تذهب فوعة العشاء فإنها ساعة تخترق فيها الشياطين (ك) عن جابر. أحسنوا إقامة الصفوف في الصلاة (حم حب) عن أبي هريرة. احفظ ود أبيك لا تقطعه فيطفئ الله نورك (خد طس هب) عن ابن عمر. أخبرني جبريل أن حسيناً يقتل بشاطئ الفرات. ابن سعد عن علي. اختلاف أمتي رحمة. نصر المقدسي في الحجة والبيهقي في الرسالة الأشعرية بغير سند وأورده الحليمي والقاضي حسين وإمام الحرمين وغيرهم ولعله خرج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل إلينا. اخلعوا نعالكم عند الطعام فإنها سنة جميلة (ك) عن أبي عبس بن جبير. أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك (تخ دت ك) عن أبي هريرة (قط) والضياء عن أنس (طب) عن أبي أمامة (د) عن رجل من الصحابة (قط) عن أبي بن كعب. أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب أهل بيته وقراءة القرآن فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه. أبو نصر عبد الكريم الشيرازي في فوائده (فر) وابن النجار عن علي. أدخل الله الجنة رجلاً كان سهلاً مشترياً وبائعاً قاضياً ومقتضياً (حم ن هـ هب) عن عثمان بن عفان. ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين فإن الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحي بجار السوء (حل) عن أبي هريرة. أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء (حم ت حب) والضياء عن أبي سعيد. أدنى جبذات الموت بمنزلة مائة ضربة بالسيف. ابن أبي الدنيا في ذكر الموت عن الضحاك بن حمزة مرسلاً. إذا آتاك الله مالاً فلير عليك فإن الله يحب أن يرى أثره على عبده حسناً ولا يحب البؤس ولا التباؤس (تخ طب) والضياء عن زهير بن أبي علقمة. إذا ابتغيتم المعروف فاطلبوه عند حسان الوجوه (عد هب) عن عبد الله بن جراد. إذا أتى عليَّ يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله تعالى فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم

(طس عد حل) عن عائشة. إذا أتاكم الزائر فأكرموه (هـ) عن أنس. إذا أتاكم السائل فضعوا في يده ولو ظلفاً محرقاً (عد) عن جابر. إذا أحب الله عبداً ابتلاه ليسمع تضرعه (هب فر) عن أبي هريرة (هب) عن ابن مسعود وكردوس موقوفاً عليهما. إذا أحب الله عبداً حماه من الدنيا كما يحمي أحدكم سقيمه الماء (ت ك هب) عن قتادة. إذا أحب الله عبداً قذف حبه في قلوب الملائكة وإذا أبغض الله عبداً قذف بغضه في قلوب الملائكة ثم يقذفه في قلوب الآدميين (حل) عن أنس. إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته في منزله فليخبره أنه يحبه لله (حم) والضياء عن أبي ذر. إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين وألهمه رشده البزار عن ابن مسعود. إذا أراد الله بأهل بيت خيراً فقههم في الدين ووقر صغيرهم كبيرهم ورزقهم الرفق في معيشتهم والقصد في نفقاتهم وبصرهم عيوبهم فيتوبوا منها وإذا أراد بهم غير ذلك تركهم هملاً (قط) في الأفراد عن أنس. إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له فيها حاجة (طب حم حل) عن أبي عزة. إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم حتى ينفذ فيهم قضاؤه وقدره فإذا مضى أمره رد إليهم عقولهم ووقعت الندامة (فر) عن أنس وعلي. إذا أراد الله بقوم قحطاً نادى مناد في السماء يا أمعاء اتسعي ويا عين لا تشبعي ويا بركة ارتفعي. ابن النجار في تاريخه عن أنس وهو مما بيض له الديلمي. إذا أراد أحدكم من امرأته حاجته فليأتها وإن كانت على تنور (حم طب) عن طلق بن علي. إذا أردت أن تذكر عيوب غيرك فاذكر عيوب نفسك. الرافعي في تاريخ قزوين عن ابن عباس. إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ أهله وصلّيا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات (دن هـ حب ك) عن أبي هريرة وأبي سعيد معاً. إذا اشترى أحدكم لحماً فليكثر مرقته فإن لم يصب أحدكم لحماً أصاب مرقاً وهو أحد اللحمين (ت ك هب) عن عبد الله المزني. إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل إنّا لله وإنّا إليه راجعون اللهم عندك أحتسب مصيبتي فأجرني فيها وأبدلني بها خيراً منها (د ك) عن أم سلمة (ت هـ) عن أبي سلمة. إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تبكر إلى اللسان فتقول اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمت

استقمنا وإن اعوججت اعوججنا (ن) وابن خزيمة (هب) عن أبي سعيد. إذا أعطى الله أحدكم خيراً فليبدأ بنفسه وأهل بيته (حم م) عن جابر بن سمرة. إذا أكل أحدكم طعاماً فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة (حم م ت) عن أبي هريرة (طب) عن زيد بن ثابت (طس) عن أنس. إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله (حم م د) عن ابن عمر (ن) عن أبي هريرة. إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله واستغفرا غفر لهما (د) عن البراء. إذا أم أحدكم الناس فليخفف فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض وذا الحاجة وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء (حم ق ت) عن أبي هريرة. إذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة (حم ق ن) عن ابن مسعود. إذا أنفقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم من أجر بعض شيئاً (ق ع) عن عائشة رضي الله عنها. إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه ثم ليضطجع على شقه الأيمن ثم ليقل باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين (ق د) عن أبي هريرة. إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح (خم ق) عن أبي هريرة. إذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا قال ها ضحك منه الشيطان (خ) عن أبي هريرة. إذا دعي أحدكم إلى وليمة فليجب وإن كان صائماً ابن منيع عن أبي أيوب. إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا (طب) عن ابن مسعود (عد) عنه وعن ثوبان (عد) عن عمر. إذا رأى أحدكم الرؤيا الحسنة فليفسرها وليخبر بها وإذا رأى الرؤيا القبيحة فلا يفسرها ولا يخبر بها (ت) عن أبي هريرة. إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثاً وليتحوّل عن جنبه الذي كان عليه (م د هـ) عن جابر. إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله أو من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة فإن العين حق (ع طب ك)

عن عامر بن ربيعة. إذا رأى أحدكم امرأة حسناء فأعجبته فليأت أهله فإن البضع واحد ومعها مثل الذي معها (خط) عن عمر. إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له أنت ظالم فقد تودع منهم (حم طب ك هب) عن ابن عمرو (طس) عن جابر. إذا رأيت العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم أنه لص (فر) عن أبي هريرة. إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك منه استدراج (حم طب هب) عن عقبة بن عامر. إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان (حم ت) وابن خزيمة (حب ك ن هق) عن أبي سعيد. إذا رأيتم الحريق فكبروا فإنه يطفئ النار (عد) عن ابن عباس. إذا رأيتم العبد ألم الله به الفقر والمرض فإن الله يريد أن يصافيه (فر) عن علي. إذا سمعتم أصوات الديكة فسلوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطاناً (حم ق د ت) عن أبي هريرة. إذا سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوا وإذا سمعتم برجل زال عن خلقه فلا تصدقوا فإنه يصير إلى ما جبل عليه (حم) عن أبي الدرداء. إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر عنه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه بعيد منكم فأنا أبعدكم منه (حم ع) عن أبي أسيد وأبي حميد إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع (حم د حب) عن أبي ذر. إذا وضع الطعام فخذوا من حافته وذروا وسطه فإن البركة تنزل في وسطه (هـ) عن ابن عباس. إذا ولي أحدكم أخاه فليحسن كفنه (حم م د ن) عن جابر (ت هـ) عن أبي قتادة. اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم (د ت ك هق) عن ابن عمر. ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء (طب) عن جرير (طب ك) عن ابن مسعود. ارفعوا ألسنتكم عن المسلمين وإذا مات أحد منهم فقولوا فيه خيراً (طب) عن سهل بن سعد. إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث. مالك (ق) عن ابن عمر. إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه (حم ق)

عن أبي هريرة. إذا نمتم فأطفئوا المصباح فإن الفأرة تأخذ الفتيلة فتحرق أهل البيت وأغلقوا الأبواب وأوكئوا الأسقية وخمروا الشراب (طب ك) عن عبد الله بن سرجس. إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة (خ) عن أبي هريرة. إذا وضع الطعام فاخلعوا نعالكم فإنه أروح لأقدامكم. الدارمي (ك) عن أنس. أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر (حم ق ٣) عن ابن عمر. أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة لسان ذاكر وقلب شاكر وبدن على البلاء صابر وزوجة لا تبغيه خوناً في نفسها ولا ماله (طب هب) عن ابن عباس. أربع من سنن المرسلين الحياء والتعطر والنكاح والسواك (حم ت هب) عن أبي أيوب. أربعة يبغضهم الله البياع الحلاف والفقير المختال والشيخ الزاني والإمام الجائر (ن هب) عن أبي هريرة. استعد للموت قبل نزول الموت (طب ك هب) عن طارق المحاربي. اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة (حم خ هـ) عن أنس. أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل (طب) عن أخت حذيفة. أشكر الناس لله أشكرهم للناس (حم طب هب) والضياء عن الأشعث ابن قيس (طب هب) عن أسامة بن زيد (عد) عن ابن مسعود. أشهد بالله وأشهد لله لقد قال لي جبريل يا محمد إن مدمن الخمر كعابد وثن. الشيرازي في الألقاب وأبو نعيم في مسلسلاته وقال صحيح ثابت عن علي: أشيدوا النكاح وأعلنوه. الحسن بن سفيان (طب) عن هبار بن الأسود. أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد ● ألا كل شيء ما خلا الله باطل ● (ق هـ) عن أبي هريرة. اصنعوا لآل جعفر طعاماً فإنه قد أتاهم ما يشغلهم (حم د ت هـ ك) عن عبد الله ابن جعفر. اضربوهن ولا يضرب إلا شراركم. ابن سعد عن القاسم بن محمد مرسلاً. اضمنوا لي ست خصال أضمن لكم الجنة لا تظالموا عند قسمة مواريثكم وأنصفوا الناس من أنفسكم ولا تجبنوا عن قتال عدوكم ولا تغلوا غنائمكم وأنصفوا ظالمكم من مظلومكم (طب) عن أبي أمامة. أطفال المشركين خدم أهل

الجنة (طس) عن أنس (ص) عن سلمان موقوفاً: أطفال المؤمنين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يردهم إلى آبائهم يوم القيامة (حم ك) والبيهقي في البعث عن أبي هريرة. اطلبوا الخير عند حسان الوجوه (تخ) وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (ع طب) عن عائشة (طب هب) عن ابن عباس (عد) عن ابن عمر، ابن عساكر عن أنس (طس) عن جابر، تمام (خط) في رواية مالك عن أبي هريرة تمام عن أبي بكرة. اطلبوا المعروف من رحماء أمتي تعيشوا في أكنافهم ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فإن اللعنة تنزل عليهم، يا علي إن الله تعالى خلق المعروف وخلق له أهلاً فحببه إليهم وحبّب إليهم فعاله ووجه إليهم طلابه كما وجه الماء في الأرض الجدبة لتحيا به ويحيا به أهلها إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة (ك) عن علي. اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء (حم م ت) عن ابن عباس (خ ت) عن عمران بن حصين. أطوعكم لله الذي يبدأ صاحبه بالسلام (طب) عن أبي الدرداء. أطول الناس أعناقاً يوم القيامة المؤذنون (حم) عن أنس. أطيب الطيب المسك (حم م د ن) عن أبي سعيد. أطيب الكسب عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور (حم طب ك) عن رافع بن خديج (طب) عن ابن عمر. اعبد الله لا تشرك به شيئاً وأقم الصلاة المكتوبة وأدِّ الزكاة المفروضة وحج واعتمر وصم رمضان وانظر ما تحب للناس أن يأتوه إليك فافعله بهم وما تكره أن يأتوه إليك فذرهم منه (طب) عن أبي المنتفق اعبد الله ولا تشرك به شيئاً واعمل لله كأنك تراه واعدد نفسك في الموتى واذكر الله تعالى عند كل حجر وكل شجر وإذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة السر بالسر والعلانية بالعلانية (طب هب) عن معاذ بن جبل. اعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في الموتى وإياك ودعوات المظلوم فإنهن مجابات وعليك بصلاة الغداة وصلاة العشاء فاشهدهما فلو تعلمون ما فيهما لأتيتموهما ولو حبوا (طب) عن أبي الدرداء. اعبدوا الرحمن وأطعموا الطعام وأفشوا السلام تدخلوا الجنة بسلام (ت) عن أبي هريرة. اعدلوا بين أولادكم في النحل كما

تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف (طب) عن النعمان بن بشير. اعزل الأذى عن طريق المسلمين (م هـ) عن أبي برزة. أعظم النساء أيسرهن مؤنة (حم ك هب) عن عائشة. أفضل الصلوات عند الله تعالى صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة (حل هب) عن ابن عمر. اغتنم خمساً قبل خمس حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك (ك هب) عن ابن عباس (حم) في الزهد (حل هب) عن عمرو بن ميمون مرسلاً. اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامسة فتهلك. البزار (طس) عن أبي بكر. أفضل القرآن الحمد لله رب العالمين (ك هب) عن أنس. أفضل الكلام سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (حم) عن رجل. أفضل المؤمنين إسلاماً من سلم المسلمون من لسانه ويده وأفضل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وأفضل المهاجرين من هجر ما نهى الله تعالى عنه وأفضل الجهاد من جاهد نفسه في ذات الله عز وجل (طب) عن ابن عمر. أفضل المؤمنين أحسنهم خلقاً (هـ ك) عن ابن عمر. أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غني واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول (حم م ن) عن حكيم بن حزام. أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً ثم يعلمه أخاه المسلم (هـ) عن أبي هريرة. أفضل الأعمال الصلاة لوقتها وبر الوالدين (م) عن ابن مسعود. أفشوا السلام تسلموا (خد ع حب هب) عن البراء. أفشوا السلام بينكم تحابوا (ك) عن أبي موسى. أفشوا السلام كي تعلوا (طب) عن أبي الدرداء. اقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم في الصلاة (طب) عن ابن عباس. اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة (حم م) عن أبي أمامة. اقرأوا القرآن واعملوا به ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به (حم ع طب هب) عن عبد الرحمن بن شبل. اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتهم، وإياكم ولحون أهل الكتابين وأهل الفسق فإنه سيجيء بعدي قوم

يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم (طس هب) عن حذيفة. اقرأوا القرآن فإن الله تعالى لا يعذب قلباً وعى القرآن. تمام عن أبي أمامة. اقرأوا على موتاكم يس (حم ده حب ك) عن معقل لبن يسار. أقيموا الصفوف فإنما تصفون بصفوف الملائكة وحاذوا بين المناكب وسدوا الخلل ولينوا بأيدي إخوانكم ولا تذروا فرجات للشيطان ومن وصل صفاً وصله الله ومن قطع صفاً قطعه الله عزّ وجلّ (حم د طب) عن ابن عمر. أكبر الكبائر الإشراك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وشهادة الزور (خ) عن أنس. أكثر خطايا ابن آدم في لسانه (طب هب) عن ابن مسعود. أكثر من يموت من أمتي بعد قضاء الله تعالى وقدره بالعين. الطيالسي (تخ) والحكيم والبزار والضياء عن جابر. اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال (حم ق٣) عن أنس. اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من عذاب النار وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال (خ ن) عن أبي هريرة. أما أول أشراط الساعة فنار تخرج من المشرق فتحشر الناس إلى المغرب، وأما أول ما يأكل أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما شبه الولد أباه وأمه فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع إليه الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع إليها (حم خ ن) عن أنس. أما صلاة الرجل في بيته فنور فنوّروا بها بيوتكم (حم هـ) عن عمر. إن الله إذا أنزل عاهة من السماء على أهل الأرض صرفت عن عمار المساجد. ابن عساكر عن أنس. إن الله تعالى افترض صوم رمضان وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً ويقيناً كان كفارة لما مضى (ن هب) عن عبد الرحمن بن عوف. إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيعه حتى يسأل الرجل عن أهل بيته (ن حب) عن أنس. إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه وإن استعاذني

لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته (خ) عن أبي هريرة. إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته (حم ع) عن شداد بن أوس. إن الله تعالى يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا العيال (هـ) عن عمران. إن الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرافها ويكره سفاسفها (طب) عن الحسين بن علي. إن الله تعالى يحب الرجل له الجار السوء يؤذيه فيصبر على أذاه ويحتسبه حتى يكفيه الله بحياة أو موت (خط) وابن عساكر عن أبي ذر. إن الله تعالى يحب أبناء السبعين ويستحي من أبناء الثمانين (حل) عن علي. إن الله لا يحب الذواقين ولا الذوّاقات (طب) عن عبادة بن الصامت. إن الله لا يرضى لعبده المؤمن إذا ذهب بصفيه من أهل الأرض فصبر واحتسب بثواب دون الجنة (ن) عن ابن عمر. إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن (ن هـ) عن خزيمة بن ثابت. إن الله تعالى لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا (حم ق ت هـ) عن ابن عمر. إن الله تعالى يقول: إن الصوم لي وأنا أجزي به إن للصائم فرحتين إذا أفطر فرح وإذا لقي الله تعالى فجزاه فرح، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك (حم م ن) عن أبي هريرة وأبي سعيد معاً. إن الله تعالى يقول: أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه فإذا خانه خرجت من بينهما (د ك) عن أبي هريرة. إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإن لا تفعل ملأت يديك شغلاً ولم أسد فقرك (حم ت هـ ك) عن أبي هريرة. إن الله تعالى يقول: إذا أخذت كريمتي عبدي في الدنيا لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة (ت) عن أنس. إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول: هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون يا رب وأي شيء أفضل من ذلك فيقول:

أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً (حم ق ت) عن أبي سعيد. إن الله تعالى يقول أنا عند ظن عبدي بي إن خيراً فخير وإن شراً فشر (طس حل) عن واثلة. إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يميناً وشمالاً فإذا لم تجد مساغاً رجعت إلى الذي لعن فإن كان لذلك أهلاً وإلا رجعت إلى قائلها (د) عن أبي الدرداء. ان العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وإن عاد زيد فيها حتى تعلو عل قلبه وهو الران الذي ذكر الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1] (حم ت ن هـ حب ك هب) عن أبي هريرة. إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه حتى إنه يسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد، فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً ويفسح له في قبره سبعون ذراعاً ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون، وأما الكافر أو المنافق فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال له لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه (حم ق د ن) عن أنس. إن الغسل يوم الجمعة يسل الخطايا من أصول الشعر استلالاً (طب) عن أبي أمامة. إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ (حم د) عن عطية العوفي. إن أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل عليّ. الحرث عن عوف بن مالك. إن أحب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً إمام عادل وأبغض الناس إلى الله تعالى وأبعدهم منه إمام جائر (حم ت) عن أبي سعيد. إن أعمال العباد تعرض يوم الاثنين ويوم الخميس (حم د) عن أسامة بن زيد. إن المتحابين في الله في ظل العرش (طب) عن معاذ. إن المجالس ثلاثة سالم وغانم وشاحب (حم ع حب) عن أبي سعيد. إن المرء كثير بأخيه وابن عمه ابن سعد عن عبد الله بن جعفر.

---

(١) سورة المطففين آية ١٤.

إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها (م ت) عن أبي هريرة. إن المرأة خلقت من ضلع وإنك إن ترد إقامة الضلع تكسرها فدارها تعش بها (حم حب ك) عن سمرة. إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن ذلك يردّ ما في نفسه (حم م د) عن جابر. إن المرأة تنكح لدينها ومالها وجمالها فعليك بذات الدين تربت يداك (حم م ت ن) عن جابر. إن أناساً من أمتي يأتون بعدي يودّ أحدهم لو اشترى رؤيتي بأهله وماله (ك) عن أبي هريرة. إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه. (ت هـ ك) عن عثمان بن عفان. إن الكافر ليعظم حتى إن ضرسه لأعظم من أحد وفضيلة جسده على ضرسه كفضيلة جسد أحدكم على ضرسه (هـ) عن أبي سعيد. إن المعونة تأتي من الله للعبد على قدر المؤنة وإن الصبر يأتي من الله على قدر المصيبة. الحكيم والبزار والحاكم في الكنى (هب) عن أبي هريرة. إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة: رواه ابن ماجه عن علي. إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تماثيل أو صورة (حم ت حب) عن أبي سعيد. إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي الأب (حم خد م د ت) عن ابن عمر. إن أحب أسمائكم إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن. (م) عن ابن عمر. إن أهل الجنة ليحتاجون إلى العلماء في الجنة وذلك أنهم يزورون الله تعالى في كل جمعة فيقول لهم تمنوا علي ما شئتم فيلتفتون إلى العلماء فيقولون ماذا نتمنى؟ فيقولون تمنوا عليه كذا وكذا فهم يحتاجون إليهم في الجنة كما يحتاجون إليهم في الدنيا. ابن عساكر عن جابر. إن أهل النار ليبكون حتى لو أجريت السفن في دموعهم جرت وإنهم ليبكون الدم. (ك) عن أبي موسى. إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وإن أول أهل الجنة دخولاً هم أهل المعروف. (طب) عن أبي أمامة. إن أهل الشبع في الدنيا هم أهل الجوع غداً في الآخرة. (طب) عن ابن عباس. إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة. (تخ ت حب) عن أبي مسعود. إن

أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى فأيتهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً. (حم م د هـ) عن ابن عمر. إن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم أن يقال له ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد. (ت ك) عن أبي هريرة. إن لصاحب الحق مقالاً. (حم) عن عائشة (حل) عن أبي حميد الساعدي. إن لك من الأجر على قدر نصبك ونفقتك. (ك) عن عائشة. إن أردت اللحوق بي فليكفك من الدنيا كزاد الراكب و إياك ومجالسة الأغنياء ولا تستخلفي ثوباً حتى ترقعيه. (ت ك) عن عائشة. إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة وما هي أولها ملامة وثانيها ندامة وثالثها عذاب يوم القيامة إلا من عدل. (طب) عن عوف بن مالك. أنزلوا الناس منازلهم (م د) عن عائشة. أنشد الله رجال أمتي لا يدخلون الحمام إلا بمئزر وأنشد الله نساء أمتي لا يدخلن الحمام. ابن عساكر عن أبي هريرة. انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قيل كيف أنصره ظالماً؟ قال تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره (حم خ ت) عن أنس. أهل الجنة عشرون ومائة ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم (حم ت هـ حب ك) عن بريدة. (طب) عن ابن عباس وعن ابن مسعود وعن أبي موسى. أهل الجور وأعوانهم في النار. (ك) عن حذيفة. أول من أشفع له من أمتي أهل المدينة وأهل مكة وأهل الطائف. (طب) عن عبد الله بن جعفر. أوصيك بتقوى الله تعالى في سر أمرك أو علانيته وإذا سألت فأحسن ولا تسألن أحداً شيئاً ولا تقبض أمانة ولا تقض بين اثنين. (حم) عن أبي ذر. أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله وأوصيه بجماعة المسلمين أن يعظم كبيرهم ويرحم صغيرهم ويوقر عالمهم وأن لا يضربهم فيذلهم ولا يوحشهم فيكفرهم وأن لا يغلق بابه دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم. (هق) عن أبي أمامة. ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط. فذلكم الرباط. مالك (حم م ت ن) عن أبي هريرة. ألا أرقيك برقية رقاني بها جبريل تقول باسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يأتيك من شر النفاثات في العقد

ومن شر حاسد إذا حسد ترقي بها ثلاث مرات (هـ ك) عن أبي هريرة. ألا أعلمك كلمات تقولهن عند الكرب الله الله ربي لا أشرك به شيئاً (حم د هـ) عن أسماء بنت عميس. ألا أعلمك كلمات لو كان عليك مثل جبل ثبير ديناً أداه الله عنك قل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك (حم ت ك) عن علي. ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن غفر الله لك وإن كنت مغفوراً لك قل لا إله إلا الله العلي العظيم لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين (ت) عن علي ورواه (خط) بلفظ: إذا أنت قلتهن وعليك مثل عدد الذر خطايا غفر الله لك، ألا يا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة، ألا يا رب نفس جائعة عارية في الدنيا طاعمة ناعمة يوم القيامة، ألا يا رب مكرم لنفسه وهولها مهين، ألا يا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم، ألا يا رب متخوض ومتنعم فيما أفاء الله على رسوله ما له عند الله من خلاق، ألا وإن عمل أهل الجنة حزن بربوة، ألا وان عمل أهل النار سهل بسهوة، ألا يا رب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً. ابن سعد (هب) عن أبي البجير. إياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين (حب هب) عن معاذ. أيما وال ولي أمر أمتي بعدي أقيم على الصراط ونشرت الملائكة صحيفته فإن كان عادلاً نجاه الله بعدله وإن كان جائراً انتفض به الصراط انتفاضة تزايل بين مفاصله حتى يكون بين عضوين من أعضائه مسيرة مائة عام ثم يتخرق به الصراط فأول ما يتقي به النار أنفه ووجهه. أبو القاسم ابن بشران في أماليه عن علي. أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فإنها نعمة من الله سيقت إليه فإن قبلها بشكرها وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثماً ويزداد الله عليه بها سخطاً. ابن عساكر عن عطية بن قيس. أيما مسلم كسا مسلماً ثوباً على عري كساه الله تعالى من حلل الجنة، وأيما مسلم أطعم مسلماً على جوع أطعمه الله تعالى يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيما مسلم سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم (حم د ت) عن أبي سعيد. وفي هذا القدر كفاية والله ولي التوفيق والهداية.

فصل
في غزواته ﷺ وما يذكر معها

واعلم أن النبي ﷺ أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين وشهرين ثم توفي ﷺ . ففي السنة الأولى فرض عليه الجهاد وبعث حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين من المهاجرين يعترض عيرا لقريش في رمضان وبعث عبيدة بن الحرث في ستين رجلاً من المهاجرين إلى بطن رابغ ، بعث سعد بن أبي وقاص إلى الخرار بخاء معجمة وراءين عين قرب الجحفة في ذي القعدة في عشرين من المهاجرين يعترض عيرا لقريش (وأول غزواته ﷺ غزوة الأبواء على ما قاله ابن اسحق وجماعة) والأبواء قرية بين مكة والمدينة وتسمى غزوة ودان وكانت على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة ، وفي هذه السنة كان بدء الأذان لما استشار النبي ﷺ أصحابه فيما يجمعهم به للصلاة ورأى عبد الله بن زيد بن عبد ربه في منامه الأذان وفيها أعرس بعائشة رضي الله عنها وفيها جعلت صلاة الحضر أربع ركعات وكانت ركعتين بعد مقدمه بشهر وفيها صلى صلاة الجمعة وأول خطبة خطبها في الإسلام وفيها آخى بين المهاجرين والأنصار بعد مقدمه بثمانية أشهر وفيها صلّى النبي ﷺ صلاة الجنازة على البراء بن معرور بعد وفاته بشهر وعلى تبع اليماني وكان قد آمن بالنبي ﷺ قبل مبعثه بسبعمائة سنة وهو أول من كسا البيت نقله ابن عبد البر وكانت وفاته يوم قدومه المدينة قاله ابن العماد ؛ وفي السنة الثانية من الهجرة في نصف شعبان حولت القبلة إلى الكعبة وفيها فرضت زكاة المال قبل فرض رمضان كما أشار إليه النووي في باب السير من الروضة وفرض الصوم في أواخر شعبان وفيها غزوة بدر الكبرى وكانت يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان وفي الثامن والعشرين منه فرضت زكاة الفطر وفيها صلّى النبي ﷺ صلاة عيد الفطر وصلاة عيد الأضحى وضحى بكبشين أملحين أقرنين وفيها أعرس عليّ بفاطمة رضي الله عنها

وفيها غزوة بواط وذي العشيرة وبني قينقاع والسويق وفي المواهب بواط بفتح الباء الموحدة وقد تضم وتخفيف الواو آخره طاء مهملة موضع من ناحية رضوى والعشيرة بضم العين ثم شين معجمة مفتوحة وهي أرض لبني مدلج بناحية الينبع كذا في القاموس وكانت بعد بواط بأيام قلائل وقينقاع بفتح القاف وضم النون (**وغزوة السويق**) كانت في خامس ذي الحجة من السنة الثانية وذلك أنه لما أصاب قريشا في بدر ما أصابهم نذر أبو سفيان أن يغزو محمدا وأصحابه فخرج من مكة في مائتي راكب حتى نزل قريباً من المدينة بمحل بينه وبينها نحو ميل فقطع جانباً من النخل ولقي رجلين من الأنصار فقتلهما فبلغ النبي ﷺ فخرج في طلبه فهرب هو وأصحابه وصاروا يرمون السويق وهو دقيق الشعير المحمص ليخف عليهم السير فيأخذه الصحابة. وفي السنة الثالثة من الهجرة حرمت الخمرة في شوّال منها وقيل في الرابعة وولد الحسن بن علي رضي الله عنهما وفيها غزوة أحد وحمراء الأسد وغطفان وسرية كعب بن الأشرف وأحد جبل على ثلاثة أميال من المدينة وسمي بذلك لتوحده وانقطاعه عن الجبال وهو الذي قال في حقه ﷺ أحد جبل يحبنا ونحبه قيل فيه قبر هرون أخي موسى عليهما الصلاة والسلام وكانت وقعته يوم السبت في شوّال سنة ثلاث بالاتفاق كذا في المواهب وحمراء الأسد مكان بينه وبين المدينة ثمانية أميال. وفي السنة الرابعة كانت غزوة بني النضير وذات الرقاع وصلاة الخوف وقيل في التي بعدها وفيها مولد الحسين بن علي رضي الله عنهما ونزلت آية التيمم كما قاله في الروضة وفيها كان رجم اليهوديين اللذين زنيا وفيها قصرت الصلاة في السفر. وفي السنة الخامسة غزوة دومة الجندل وغزوة المريسيع وتسمى غزوة المصطلق وفيها كان حديث الإفك على ما رجحه الحاكم وغيره وقيل في سنة ست على ما قاله ابن إسحق وجزم به الطبري وغيره وقيل سنة أربع قاله موسى بن عقبة وفيها نزلت آية الحجاب وقيل في التي قبلها وفيها سابق الخيل وفيها غزوة الخندق وهي الأحزاب على ما قاله ابن إسحق وقال موسى بن عقبة كانت سنة أربع وغزوة بني قريظة. وفي السنة السادسة من الهجرة كانت غزوة الحديبية وهي قرب مكة وكانت مستهل القعدة منها وكانوا ألفا فصالحوا النبي ﷺ وبايعوا النبي

ﷺ بيعة الرضوان تحت الشجرة وفيها قحط الناس فاستسقى لهم النبي ﷺ فسقوا في رمضان وفيها غزوة بني لحيان وغزوة الغابة. وفي السنة السابعة من الهجرة كانت عمرة القضاء مستهل القعدة منها وكان ﷺ في ألفين وساق من المدينة ستين بدنة فنحرها وأقام بمكة ثلاثاً ورجعوا وفيها غزوة خيبر وإسلام أبي هريرة وبعثه ﷺ الرسل إلى الملوك واتخاذ الخاتم لختم الكتب وتحريم الحمر الأهلية والنهي عن متعة النساء وفيها جاءته مارية القبطية وبغلته دلدل وفيها غير ذلك. وفي السنة الثامنة كانت غزوة الفتح فتح مكة وكانت في رمضان منها لنقض قريش العهد وطاف النبي ﷺ بالبيت يوم الجمعة لعشرين من رمضان وحوله ثلاثمائة وستون صنما وكلما مر بصنم أشار إليه بقضيب في يده قائلاً جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فيقع الصنم لوجهه وفيها كان قدوم خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة وعمرو بن العاص واسلامهم وفيها غزوة حنين وغزوة الطائف وفيها اتخاذ المنبر والخطبة عليه وقيل اتخاذه كان في سنة تسع قاله ابن الجوزي في مولده وفيها مولد ابراهيم ابنه ﷺ ووفاة زينب بنته ﷺ وفيها غير ذلك. وفي السنة التاسعة كانت غزوة تبوك وهدم مسجد الضرار وقدوم الوفود وتتابعها وحج فيها أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالناس ومعه ثلاثمائة رجل وعشرون بدنة بسورة براءة لينبذ إلى كل ذي عهد عهده وأن لا يحج بعد العام مشرك وأن لا يطوف بالبيت عريان وفيها مات النجاشي وأم كلثوم بنته ﷺ وفيها غير ذلك وفي السنة العاشرة كانت حجة الوداع وتسمى حجة الإسلام فخرج النبي ﷺ من المدينة يوم الخميس من ذي القعدة ومعه أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وقيل مائة ألف وقيل غير ذلك فكانت وقفته بالجمعة ونزل عليه ﷺ فيها ﴿اليومَ أكملتُ لكُمْ دِينَكُمْ﴾[1] الآية. ولم يحج النبي ﷺ بعد الهجرة سواها وقد حج قبل النبوة وبعدها حجات لا يعرف عددها. واعتمر بعد أن هاجر أربع عمر عمرة الحديبية وعمرة القضاء وتسمى عمرة القضية وعمرة من الجعرانة في أثر وقعة حنين وعمرة مع حجته ففي الصحيحين من حديث أنس أنه ﷺ اعتمر أربع عمر. وقد اختلف في السنة التي فرض الله عليه فيها الحج فقيل في سنة خمس وقيل ست وقيل

---

(١) سورة المائدة آية ٣.

سبع وقيل ثمان وقيل تسع وفي السنة العاشرة أيضاً أسلم جرير بن عبد الله البجلي ونزلت ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴾[1] بمنى يوم النحر في حجة الوداع وقيل قبل وفاته بثلاثة أيام ومات فيها إبراهيم ابنه ﷺ انتهى من حاشية الشنواني على المولد بتصرف وزيادات من غيرها وهذه أسماء الغزوات التي قاتل فيها ﷺ بنفسه (بدر وأحد والخندق والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف كذا قال ابن إسحق) ولم يقتل ﷺ بيده الشريفة إلا رجلاً واحداً وهو أبيّ بن خلف يوم أحد والسر في قتله أنه كان له فرس يطعمه القديد من اللحم والبر وكان إذا لقي النبي ﷺ بمكة يقول له أنا أقتلك على فرسي هذا فيقول له ﷺ بل أنا أقتلك وأنت عليه فلما كان يوم أحد جاء ذلك اللعين وهو على فرسه وهو يقول أين محمد لا نجوت ان نجا فأراد الصحابة أن يحولوا بينه وبينه فنهاهم ﷺ وقال افرجوا له ثم تناول حربة من بعض أصحابه ثم نظر درعه ﷺ فرأى ترقوته من حلقه فضربه فخر صريعاً فكبرت الصحابة إذ ذاك فلما رجع إلى قريش قال قتلني والله محمد قالوا ذهب والله فؤادك والله ما بك بأس قال إنه قد كان قال لي بمكة أنا أقتلك وفي رواية قال له أبو سفيان ويلك ما بك إلا خدشة فقال مه أبا سفيان والله لو بصق علي محمد لقتلني وقد قال ﷺ: «اشتد غضب الله على من قتل نبيا أو قتله نبي». أما من قتل فظاهر وأما من قتله نبي فلأن اعتناء النبي بقتله أدل دليل على عظم عتوّه وفساده كهذا اللعين ذكره البابلي في سيرته.

(وهذه سراياه وبعوثه ﷺ) سرية عبيدة بن الحرث إلى أحياء من أسفل ثنية المرة وهي ماء بالحجاز وتقدمت أول الفصل، وسرية حمزة إلى ساحل البحر من ناحية العيص وتقدمت كذلك وسرية سعد بن أبي وقاص وبعث محمد بن مسلمة فيما بين أحد وبدر إلى كعب بن الأشرف وسرية عبد الله بن جحش إلى نخلة وسرية زيد بن حارثه وسرية مرثد بن أبي مرثد وسرية منذر بن عمرو وسرية أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وسرية عمر بن الخطاب وسرية علي بن أبي طالب وسرية أبي العوجاء السلمي وسرية عكاشة بن محصن وسرية أبي سلمة بن عبد

(١) سورة النصر آية ١.

الأسد وسرية محمد بن مسلمة وسرية بشر بن سعد وسرية زيد بن حارثة وسرية زيد بن حارثة أيضاً وسرية زيد بن حارثة أيضاً وسرية عبد الله بن رواحة وسريته أيضاً لبشير بن رزام اليهودي وسرية عبد الله بن عتيك وسرية زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة لمؤتة وفيها استشهد سيدنا جعفر وسرية كعب بن عمر والغفاري وسرية عيينة بن حصن بن حذيفة بن زيد بن العنبر وسرية غالب بن عبد الله الكلبي وسرية عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بني عذرة وسرية أبي حدرد وأصحابه إلى بطن آضم قبل الفتح وسرية أبي عبيدة بن الجراح ذكره ابن إسحق وزاد ابن هشام بعث عمرو بن أمية الضمري بعثه ﷺ لقتل أبي سفيان بمكة وسرية زيد بن حارثة إلى مدين وسرية سالم بن عمير أبي جعد قال الشيخ محيي الدين حدثني به عمرو بن عوف وسرية عمير بن عدي وبعث ﷺ علقمة بن محدر في طلب القوم الذين قتلوا وقاص بن محرز بوادي قرد وبعث كرز بن جابر في طلب الرعاء الذين قتلوا راعي رسول الله ﷺ وسرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن مرة أخرى وسرية أسامة بن زيد إلى الروم فمات رسول الله ﷺ قبل خروجه وولي أبو بكر رضي الله عنه فأمضاها وكل سراياه ﷺ كانت بعد الهجرة كالغزوات وفي سنة سبع من الهجرة جاءت رؤساء يهود المدينة إلى لبيد بن الأعصم وكان ساحراً فقالوا له يا أبا الأعصم أنت أسحرنا وقد سحرنا محمدا فلم يصنع شيئاً ونحن نجعل لك جعلا على أن تسحره سحراً ينكؤه فجعلوا له ثلاثة دنانير فسحره في مشط له ﷺ ومشاطة من شعر رأسه.أعطاهما له غلام يهودي كان يخدمه ﷺ أحياناً وعقد في وتر إحدى عشرة عقدة فيها إبر مغروزة ودفن ذلك في بئر ذروان فمكث ﷺ متغير المزاج من ذلك سنة وقيل ستة أشهر وقيل أربعين يوماً فلما اشتد به الحال ونزل جبريل فأخبره فبعث عليا فاستخرج ذلك وصار كلما حل عقدة وجد خفة حتى قام عند انحلال العقدة الأخيرة كأنما نشط من عقال وقد مسخ الله ماء تلك البئر حتى صار كنقاعة الحناء ثم أحضر رسول الله ﷺ لبيدا فاعترف واعتذر بأن الحامل له على ذلك دنانير جعلها له اليهود في مقابلة سحره فعفا عنه ولم يؤثر

السحر في عقله بل في بعض جوارحه وقد نافق جماعة من أهل المدينة كان رئيسهم عبد الله بن أبي بن سلول وفيهم أنزل الله سورة المنافقين (وفي السنة السابعة) أيضاً من الهجرة بعد فتح خيبر سمته امرأة يهودية ففي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم قال القسطلاني بتثليث السين أهدتها له زينب بنت الحرث اليهودية امرأة سلام بن مشكم وكانت سألت أي عضو من الشاة أحب إليه فقيل الذراع فأكثرت فيها من السم فلما تناول الذراع لاك منها مضغة ولم يسغها وأكل منها معه بشر بن البراء فأساغ لقمته ومات منها وعند البيهقي أنه عليه السلام أكل وقال لأصحابه أمسكو فإنها مسمومة وقال لها ما حملك على ذلك قالت أردت إن كنت نبيا فيطلعك الله وإن كنت كاذباً فأريح الناس منك قال فما عرض لها وزاد عبد الرزاق واحتجم على الكاهل قال قال الزهري وأسلمت فتركها وعند ابن سعد أنه دفعها إلى أولياء بشر فقتلوها انتهى.

فصل
في ذكر أعمامه ﷺ وعماته وأزواجه وخدمه وما يتصل بذلك

في ذخائر العقبى وكان له ﷺ اثنا عشر عماً بنو عبد المطلب أبوه ثالث عشرهم : الحرث وأبو طالب واسمه عبد مناف والزبير ويكنى أبا الحرث وأبو لهب واسمه عبد العزى والغيداق والمقوم وضرار وقثم وعبد الكعبة وحجل ويسمى المغيرة وحمزة والعباس انتهى ولم يعقب منهم إلا خمسة الحرث والعباس وأبو طالب وأبو لهب وعبد الله وكان أكبرهم الحرث وبه كان يكنى عبد المطلب وشهد معه حفر زمزم ولم يدرك الإسلام منهم إلا أربعة أبو طالب وأبو لهب وحمزة والعباس ولم يسلم إلا حمزة والعباس قال ﷺ سيد الشهداء يوم القيامة حمزة وقال ﷺ عمي وصنو أبي العباس روى العباس خمسة وثلاثين حديثاً.

(وأما عماته) فست صفية وإسلامها معروف محقق وهي أم الزبير بن العوّام وأروى وعاتكة وفي إسلامها خلاف وأم حكيم وبرة وأميمة ولا خلاف في عدم إسلامهن وكلهن شقيقات عبد الله والد النبي ﷺ الا صفية.

(وأما زوجاته) اللاتي دخل بهن ولم يفارقهن فثنتا عشرة امرأة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ ما تزوجت شيئاً من نسائي ولا زوجت شيئاً من بناتي إلا بوحي جاءني به جبريل عن ربي عز وجل (الأولى منهن) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشية الأسدية وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأعصم وكان صداقها اثنتي عشرة أوقية ونصفا من الذهب ولم يتزوج عليها حتى ماتت وروت حديثاً واحداً. (الثانية) سودة بنت زمعة تزوجها في السنة العاشرة من النبوّة وكانت قبله تحت ابن عمها ولما كبرت أراد طلاقها ﷺ فسألته أن لا يفعل وجعلت يومها لعائشة وعاشت إلى أن ماتت في خلافة عمر رضي الله عنه. (الثالثة) عائشة بنت أبي بكر

الصديق بن أبي قحافة القرشية تزوجها ﷺ بمكة وهي بنت ست سنين وقيل سبع ودخل بها في المدينة وهي بنت تسع سنين وقيل عشر وكان مولدها سنة أربع من النبوة كذا في المواهب وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر وكان صداقها أربعمائة درهم وكانت أحب نسائه إليه وكنيتها أم عبد الله ابن أختها أسماء بنت أبي بكر وروت عائشة رضي الله عنها ألفي حديث ومائتي حديث وعشرة أحاديث وتوفيت سنة ست أو سبع أو ثمان وخمسين وصلى أبو هريرة عليها ودفنت بالبقيع ليلاً. (الرابعة) حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل القرشية أمها زينب بنت مظعون بن حبيب تزوجها ﷺ في شعبان على رأس ثلاثين شهراً من الهجرة على الأشهر وكان مولدها قبل النبوّة بخمس سنين وكان صداقها أربعمائة درهم روت ستين حديثاً وتوفيت في شعبان سنة خمس وأربعين وصلى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة يومئذ. (الخامسة) زينب بنت خزيمة بن الحرث العربية الهلالية تزوجها ﷺ سنة ثلاث من الهجرة وأصدقها أربعمائة درهم ولم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة ثم ماتت وصلى عليها رسول الله ﷺ ودفنها بالبقيع وكان عمرها إذ ذاك ثلاثين سنة ولم يمت من أزواجه في حياته إلا هي وخديجة وريحانة على القول بأنها زوجة. (السادسة) أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة تزوجها ﷺ في آخر شوال سنة أربع وقيل سنة اثنتين قالت لولدها زوجني من رسول الله ﷺ فزوجها واستدل به على أن الابن يلي عقد أمه وهو خلاف مذهبنا معاشر الشافعية روت ثلثمائة حديث وثمانية وعشرين حديثاً توفيت في خلافة يزيد بن معاوية سنة ستين على الصحيح وعاشت أربعاً وثمانين سنة وصلى عليها أبو هريرة ودفنت بالبقيع. (السابعة) زينب بنت جحش بن رباب العربية أمة أميمة بنت عبد المطلب كان رسول الله ﷺ زوجها من زيد بن حارثة فلما فارقها زيد تزوجها رسول الله ﷺ سنة خمس من الهجرة وقيل سنة ثلاث وقيل أربع وأصدقها أربعمائة درهم وهي إذ ذاك بنت خمس وثلاثين سنة روت عشرة أحاديث وتوفيت سنة عشرين وقيل إحدى وعشرين وقد بلغت ثلاثاً وخمسين سنة وصلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ودفنت بالبقيع. (والثامنة) جويرية بنت الحرث بن أبي ضرار الخزاعية

المصطلقية قال ابن هشام اشتراها ﷺ من ثابت بن قيس وأعتقها ثم تزوجها وأصدقها أربعمائة درهم ويقال أسلم أبوها وزوجه إياها روت سبعة أحاديث وتوفيت بالمدينة في ربيع الأول سنة ست وخمسين وكان عمرها سبعين سنة وصلى عليها مروان بن الحكم. (التاسعة) ريحانة بنت يزيد من بني النضير كانت من سبي بني قريظة فاصطفاها ﷺ لنفسه وكانت جميلة وسيمة وخيرها بين الإسلام ودينها فاختارت الإسلام فأعتقها وتزوجها وأعرس بها في المحرم سنة ست وطلقها ﷺ لشدة غيرتها عليه فأكثرت البكاء فراجعها ولم تزل عنده حتى ماتت في مرجعه من حجة الوداع ودفنت بالبقيع وقيل كانت موطوءة له بملك اليمين ولذا لم يعدها أكثر أهل السير من زوجاته (العاشرة) أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب ابن أمية بن عبد شمس القرشية الأموية أمها صفية بنت أبي العاص عمة عثمان بن مظعون زوجها إياه خالد بن سعيد بن العاص بالحبشة وكانت قد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصر وتثبتت هي على الإسلام ﷺ فبعث النبي ﷺ عمرو بن أمية إلى النجاشي فأمهرها النجاشي عنه أربعمائة دينار وتولى عقد نكاحها خالد لكونه ابن عم أبيها وأرسلها النجاشي للنبي ﷺ سنة سبع على خلاف في جميع ذلك ماتت سنة أربع وأربعين. (الحادية عشرة) صفية بنت حيي بن أخطب غير العربية من بني النضير من بني إسرائيل من سبط هرون ابن عمران أمها برة بنت شمول كان أبوها سيد بني النضير قتل مع بني قريظة اصطفاها ﷺ لنفسه من سبي خيبر فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها وكانت جميلة لم تبلغ سبعة عشرة سنة روت عشرة أحاديث توفيت في رمضان سنة خمسين أو اثنتين وخمسين ودفنت بالبقيع. (الثانية عشرة) ميمونة بنت الحرث العربية الهلالية أمها هند بنت عوف بن زهير وكان اسمها برة فسماها رسول الله ﷺ ميمونة وهي خالة ابن عباس وخالد بن الوليد. روت ستة وسبعين حديثاً وماتت سنة احدى وخمسين وعاشت ثمانين سنة وهي آخر زوجة تزوجها رسول الله ﷺ وآخر من توفي من أزواجه وتوفي رسول الله ﷺ عن تسع منهن جمعت أسماؤهن في قول بعضهم:

توفي رسول الله عن تسع نسوة   اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية   وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة   ثلاث وست ذكرهن مهذب

(تنبيه) قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في بهجة الحاوي : وأفضلهن خديجة وعائشة وفي أفضليتهما خلاف صحح ابن العماد تفضيل خديجة لما ثبت أنه ﷺ قال لعائشة حين قالت له قد رزقك الله خيراً منها لا والله ما رزقني الله خيراً منها آمنت بي حين كذبني الناس وأعطتني مالها حين حرمني الناس وفي شرح عبد السلام على الجوهرة ما نصه وأما الزوجات الشريفات فأفضلهن خديجة وعائشة وفي أفضليتهما خلاف صحح ابن العماد تفضيل خديجة وفاطمة فتكون أفضل من عائشة ولما سئل السبكي عن ذلك فقال الذي نختاره وندين الله به أن فاطمة بنت محمد ﷺ أفضل ثم أمها خديجة ثم عائشة واختار السبكي أن مريم أفضل من خديجة لقوله ﷺ : «خير نساء العالمين مريم بنت عمران ثم خديجة بنت خويلد ثم فاطمة بنت محمد ﷺ ثم آسية بنت مزاحم امرأة فرعون». وللاختلاف في نبوتها وقال شيخ الإسلام في شرح البخاري الذي اختاره الآن أن الأفضلية محمولة على أحوال فعائشة أفضلهن من حيث العلم وخديجة من حيث تقدمها وإعانتها له ﷺ في المهمات وفاطمة من حيث القرابة ومريم من حيث الاختلاف في نبوتها وذكرها في القرآن مع الأنبياء وآسية امرأة فرعون من هذه الحيثية لكن لم تذكر مع الأنبياء وعلى ذلك تنزل الأخبار الواردة في أفضليتهن وهذا جيد إن قلنا إن التفضيل بالأحوال وكثرة الخصال الجميلة. وأما إن قلنا إنه باعتبار كثرة الثواب فالأقرب الوقف كما هو قول الأشعري رضي الله عنه. وفي كلام البرهان الحلبي أن زينب بنت جحش تلي عائشة رضي الله عنها ولم يقف أستاذنا على نص في باقيهن ولا في مفاضلة بعض أبنائه الذكور على بعض ولا في المفاضلة بينهم وبين البنات الشريفات سوى ما شرف الله به الذكور على الإناث مطلقاً ولا بينهن سوى فاطمة فإنها أفضل بناته الكريمات ولا باقي البنات سوى فاطمة مع الزوجات الطاهرات وإن جرت علة فاطمة بالبضعة في الجميع فالوقف أسلم والله أعلم انتهى.

(أما سراريه) ﷺ فأربع مارية القبطية أهداها له المقوقس مع أختها سيرين بكسر السين المهملة وسكون المثناة التحتية وألف مثقال ذهباً وعشرين ثوباً من قباطي مصر وخصي يقال له مأبور وبغلة شهباء وهي دلدل وحماراً أشهب وهو عفير ويقال له يعفور وعسلا من عسل بنها فأعجب العسل النبي ﷺ ودعا لعسل بنها بالبركة قال ابن الأثير بنها بكسر الباء وسكون النون قرية من قرى مصر بارك النبي في عسلها والناس اليوم يفتحون الباء انتهى قال ﷺ: «ستفتح عليكم مصر فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم رحماً وصهراً». والمراد بالرحم أم إسمعيل بن إبراهيم الخليل جده ﷺ وعليهما أفضل الصلاة والسلام فإنها كانت قبطية والمراد بالصهر أم ولده إبراهيم وهي مارية فإنها كانت أيضاً قبطية ولما ولدت مارية إبراهيم قال النبي أعتقها ولدها توفيت في خلافة سيدنا عمر سنة عشرة وصلى عليها ودفنت بالبقيع وريحانة على خلاف وجارية وهبتها له زينب بنت جحش وجارية أخرى قرظية.

(وأما أولاده) ﷺ فسبعة على الأصح ثلاثة ذكور وأربع بنات وأول مولود له القاسم وبه كان يكنى ثم زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم ولم يعرف لها اسم ثم عبد الله وكان يسمى الطيب والطاهر وقيل الطيب والطاهر غير عبد الله وكلهم ولدوا بمكة من خديجة إلا إبراهيم فولد بالمدينة وأمه مارية (فأما القاسم) فمات بمكة وعمره سنتان وقيل أقل وقيل أكثر وهو أول ميت مات من ولده (وأما عبد الله) فمات أيضاً بمكة صغيراً (وأما إبراهيم) فولد في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة وعق عنه ﷺ يوم سابعه بكبشين وسماه وحلق رأسه وتصدق بزنة شعره فضة ومات سنة عشر وعمره إذ ذاك سنة وعشرة أشهر وقيل سنة وستة أشهر ودفن بالبقيع (وأما زينب) فقال ابن إسحق سمعت عبد الله بن محمد بن سليمان يقول ولدت زينب بنت رسول الله ﷺ في سنة ثلاثين من مولده ﷺ وأدركت الإسلام وأسلمت وهاجرت وكان أبوها يحبها انتهى. وتزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى قال الحلبي الربيع بكسر الموحدة وتشديد الياء المفتوحة اهـ قال بعضهم والذي عليه غيره أنه كأمير ثم لما أسلم زوجها جمع ﷺ

بينهما قال بعضهم ولم يفرق بينهما من أول البعثة لأن تحريم نكاح المشرك للمسلمة إنما كان بعد الهجرة وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان الإسلام فرق بين زينب وبين أبي العاص إلا أن رسول الله ﷺ لا يقدر أن يفرق بينهما وكان مغلوباً بمكة وولدت زينب لأبي العاص علياً وأمامة فأما علي فمات مراهقاً وأما أمامة فتزوجها علي بن أبي طالب بعد خالتها فاطمة بوصية من فاطمة وتزوجها بعد موت عليّ رضي الله عنه المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب بوصية من علي وكان رسول الله ﷺ يحب أمامة وهي التي كان يحملها في الصلاة على عاتقه فإذا ركع وضعها وإذا رفع رأسه من السجود أعادها وتوفيت زينب سنة ثمان من الهجرة (وأما رقية) بنته ﷺ فولدت ولرسول الله ﷺ ثلاث وثلاثون سنة وكان تزوجها عتبة بن أبي لهب وتزوج أختها أم كلثوم عتيبة أخوه فلما نزلت تبت يدا أبي لهب قال أبو لهب لهما: رأسي من رأسكما حرام إن لم تفارقا ابنتي محمد ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما. عن قتادة أن عتيبة لما فارق أم كلثوم جاء إلى النبي ﷺ فقال له: كفرت بدينك وفارقت ابنتك لا تحبني ولا أحبك ثم سطا عليه وشق قميصه وهو خارج نحو الشام تاجراً فقال له ﷺ: أما إني أسأل الله أن يسلط عليك كلبه فخرج في تجر من قريش حتى نزلوا مكاناً من الشام يقال له الزرقاء ليلا فجاء الأسد تلك الليلة فجعل عتبة يقول: يا ويل أمي هو والله آكلي كما دعا علي محمد أقاتلي ابن أبي كبشة وهو بمكة وأنا بالشام فعدى عليه الأسد من بين القوم فأخذ برأسه فقدغه، وقيل إن عتبة هو الذي أكله السبع لا عتيبة بالتصغير وأن الذي أسلم عتيبة وهو ما في الشفاء.

(تنبيه) أبو كبشة جد من أجداده ﷺ من جهة أمه كذا في تفسير الخطيب وإنما نسب إليه النبي ﷺ لأن أبا كبشة خالف قريشاً وعبد الشعرى فلما خالف رسول الله ﷺ دين قريش قال مشركو قريش نزعه أبو كبشة وقيل إن أباه من الرضاع زوج حليمة السعدية كان يدعى بأبي كبشة كذا في ذخائر العقبى. ثم تزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه رقية بمكة وكان بوحي من الله تعالى فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله أوحى إليّ أن أزوج

كريمتي عثمان بن عفان». أخرجه الطبراني في معجمه وزاد غيره بعد قوله كريمتي يعني رقية وأم كلثوم وهاجر بها الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة وكانت ذات جمال. وفي حياة الحيوان لما هاجرت إلى الحبشة كان فتيان أهل الحبشة يتعرضون لها ويتعجبون من جمالها فآذاها ذلك فدعت عليهم فهلكوا جميعاً وولدت لعثمان بالحبشة ولدا سماه عبد الله وكان يكني به قال مصعب وبلغ الغلام ست سنين فنقر عينه ديك فتورم وجهه ومرض ومات وقال غيره وصلى عليه رسول الله ﷺ ونزل في حفرته أبوه عثمان رضي الله عنه، توفيت رقية بالمدينة وكان عثمان قد تخلف عن بدر لأجلها فجاء زيد بن حارثة بشيراً بفتح بدر وعثمان قائم على قبرها ولما عزى بها رسول الله ﷺ قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات خرجه الدولابي وكانت وفاتها لسنة وعشرة أشهر وعشرين يوما من مقدمه ﷺ المدينة ذكره ابن قتيبة (وأما أم كلثوم) ابنته ﷺ فقد تقدم أن عتيبة بن أبي لهب كان تزوجها ثم فارقها قبل الدخول فلما ماتت رقية أختها تزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه بوحي من الله وأمر منه تعالى فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لقي النبي ﷺ عثمان عند باب المسجد فقال يا عثمان هذا جبريل أخبرني أن الله تعالى قد أمرني أن أزوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها». خرجه ابن ماجه والحافظ أبو القاسم الدمشقي والإمام أبو الخير القزويني الحاكم وعنه قال قال عثمان: «لما ماتت امرأته بنت رسول الله بكيت بكاء شديدا فقال رسول الله ﷺ ما يبكيك قلت أبكي على انقطاع صهري منك قال فهذا جبريل يأمرني بأمر الله أن أزوجك أختها وأن أجعل صداقها مثل صداق أختها». أخرجه الفضائلي وعن سعيد بن المسيب قال: «آم عثمان من رقية بنت رسول الله ﷺ وآمت حفصة بنت عمر من زوجها فمر عمر بعثمان فقال له هل لك في حفصة وكان عثمان قد سمع رسول الله ﷺ يذكرها فلم يجبه فذكر ذلك عمر للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ هل لك في خير من ذلك أتزوج أنا حفصة وأزوج عثمان خيراً منها أم كلثوم». خرجه أبو عمرو وقال حديث صحيح وعن ربعي بن حراش عن عثمان: «أنه خطب إلى عمر ابنته فبلغ ذلك النبي ﷺ فلما راح إليه عمر قال يا عمر أدلك على خير لك

من عثمان وأدل عثمان على خير له منك؟ قال نعم يا نبي الله قال زوجني ابنتك وأزوج عثمان ابنتي». خرجه الخجندي؛ وأم كلثوم عرفت بكنيتها ولم يعرف لها اسم، واختلف في أيهما أكبر هي أم رقية وهي أكبر سناً من فاطمة ماتت أم كلثوم سنة تسع من الهجرة وصلى عليها أبوها ﷺ ونزل في حفرتها عليّ والفضل وأسامة ابن زيد وأبو طلحة الأنصاري وغسلتها أسماء بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب عمتها وشهدت أم عطية غسلها ولم تلد رضي الله عنها (وأما فاطمة) بنته ﷺ فولدت وقريش تبني الكعبة قبل النبوّة بخمس سنين وهي أصغر بناته وأمها خديجة بنت خويلد رضي الله عنهما، عن أبي جعفر قال دخل العباس على عليّ وفاطمة وأحدهما يقول للآخر أينا أكبر فقال العباس ولدت يا علي قبل بناء قريش البيت بسنوات وولدت أنت وقريش تبني البيت ورسول الله ﷺ ابن خمس وثلاثين سنة قبل النبوة بخمس سنين خرجه الدولابي وكان رسول الله ﷺ يحبها حبا شديدا فعن عائشة قالت قلت يا رسول الله: «ما لك إذا أقبلت فاطمة جعلت لسانك في فيها فكأنك تريد أن تلعقها عسلاً فقال ﷺ إنه لما أسري بي أدخلني جبريل الجنة فناولني تفاحة فأكلتها فصارت نطفة في ظهري فلما نزلت من السماء واقعت خديجة ففاطمة من تلك النطفة فكلما اشتقت إلى تلك التفاحة قبلتها». أخرجه أبو سعد في شرف النبوة وفي رواية قالت عائشة: «إنك تكثر تقبيل فاطمة فقال ﷺ إن جبريل ليلة أسري بي أدخلني الجنة فأطعمني من جميع ثمارها فصار ماء في صلبي فحملت خديجة بفاطمة فإذا اشتقت إلى تلك الثمار قبلت فاطمة فأصبت من رائحتها جميع تلك الثمار التي أكلتها». خرجه الفضل ابن خيرون كذا في ذخائر العقبى قال بعضهم وهذه الروايات تقتضي كون ولادة فاطمة بعد البعثة لأن الاسراء كان بعد البعثة وصرح أبو عمرو بأن ولادة فاطمة كانت سنة احدى وأربعين من مولده ﷺ انتهى وفي درر الأصداف رد ذلك وعبارته: وأما خبر أتاني جبريل بسفرجلة من الجنة فأكلتها ليلة أسري بي فأتت خديجة بفاطمة فكنت إذا اشتقت لرائحة الجنة شممت رقبة فاطمة فقال الأئمة رداً على تصحيح الحاكم له إنه كذب موضوع جلي الوضع لأن فاطمة ولدت قبل

النبوة فضلاً عن ليلة الإسراء ذكر ذلك ابن حجر في شرح الهمزية انتهى روى البخاري ومسلم والترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: «إنه كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد». وفي كتاب معالم العترة النبوية مرفوعاً إلى قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير نسائها فاطمة بنت محمد ﷺ وآسية امرأة فرعون». وعن عائشة رضي الله عنها قالت لفاطمة رضي الله عنها ألا أبشرك إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيدات نساء أهل الجنة أربع مريم بنت عمران وفاطمة بنت محمد ﷺ وخديجة بنت خويلد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون». وعن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة قيل يا أهل الجمع غضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد ﷺ فتمر وعليها ريطان خضراوان». وفي بعض الروايات حمراوان وفي المسند للامام أحمد بن حنبل عن حذيفة بن اليمان قال: «سألتني أمي متى عهدك بالنبي ﷺ فقلت لها منذ كذا وكذا وذكرت مدة طويلة فنالت مني وسبتني فقلت لها دعيني فاني آتي رسول ﷺ وأصلي معه المغرب ثم لا أدعه حتى يستغفر لي ذلك قال فأتيت النبي ﷺ فصليت معه المغرب والعشاء ثم انفتل ﷺ من صلاته فتبعته فعرض له عارض فناجاه ثم ذهب فتبعته فسمع مشيتي خلفه فقال من هذا فقلت حذيفة فقال ما لك؟ فحدثته بحديث أمي فقال غفر الله لك ولأمك ثم قال أما رأيت العارض الذي عرض لي فقلت بلى يا رسول الله قال هو ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربي في أن يسلم علي ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء العالمين». وفي المسند أيضاً عن عائشة قالت: «أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ مرحباً بابنتي ثم أجلسها عن يمينه وأسر لها حديثاً فبكت فقلت استخصك رسول الله ﷺ بحديثه ثم تبكين ثم أسرّ لها حديثاً أيضاً فضحكت فقلت ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن فسألتها عما قيل لها؟ فقالت ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ حتى قبض رسول الله ﷺ فسألتها فقالت أسر إليّ فقال إن جبريل كان

يعارضني بالقرآن في كل عام مرة وإنه عارضني به العام مرتين ولا أراه إلا قد حضر أجلي وإنك أوّل أهل بيتي لحوقاً بي ونعم السلف أنا لك فبكيت فقال ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو نساء العالمين فضحكت لذلك». وأخرج تمام والبزار والطبراني وأبو نعيم أنه ﷺ قال: «إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار». وفي رواية: «فحرمها الله وذريتها على النار» وأخرج الديلمي مرفوعاً «إنما سميت فاطمة فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار». وأخرج الطبراني بسند رجاله ثقات أنه ﷺ قال لها: «إن الله غير معذبك ولا أحد من ولدك». وروي عن مجاهد قال: «خرج النبي ﷺ وهو آخذ بيد فاطمة فقال من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد وهي بضعة مني وهي قلبي وهي روحي التي بين جنبي من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله». وروى الأصبغ بن نباتة عن أبي أيوب الأنصاري قال قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة جمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد ثم ينادي مناد من بطنان العرش إن الجليل جل جلاله يقول نكسوا رؤوسكم وغضوا أبصاركم فإن هذه فاطمة بنت محمد ﷺ تريد أن تمر على الصراط». وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه «أنه ﷺ مر في السماء السابعة قال فرأيت فيها لمريم ولأم موسى ولآسية امرأة فرعون ولخديجة بنت خويلد قصورا من ياقوت ولفاطمة بنت محمد سبعين قصرا من مرجان أحمر مكللا باللؤلؤ أبوابها وأسرتها من عود واحد». وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «أوّل شخص يدخل الجنة علي وفاطمة بنت محمد ﷺ» (تزوّجها) علي بن أبي طالب رضي الله عنه في شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة وبنى بها في ذي الحجة من السنة المذكورة نقل الشيخ أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن سنان مرفوعاً إلى أنس رضي الله عنه قال: «كنت عند رسول الله ﷺ فغشيه الوحي فلما أفاق قال لي يا أنس أتدري ما جاءني به جبريل عليه السلام من صاحب العرش عز وعلا قلت بأبي أنت وأمي ما جاءك به جبريل؟ قال قال لي إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تزوّج فاطمة من علي فانطلق وادع لي أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير

وبعدتهم من الأنصار قال فانطلقت فدعوتهم فلما أن أخذوا مجالسهم قال رسول الله ﷺ : الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع سلطانه المهروب إليه من عذابه النافذ أمره في أرضه وسمائه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد ﷺ إن الله عز وجل جعل المصاهرة نسبا لاحقا وأمرا مفترضا وحكما عادلاً وخيراً جامعاً وشج به الأرحام وألزمها الأنام فقال عز وجل : وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسبا وصهراً وكان ربك قديراً. وأمر الله تعالى يجري إلى قضائه وقضاؤه يجري إلى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ، ثم إن الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة من علي وأشهدكم اني زوجت فاطمة من عليّ على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك على السنة القائمة والفريضة الواجبة فجمع الله شملهما وبارك لهما وأطاب نسلهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وأمن الأمة أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم قال وكان علي رضي الله تعالى عنه غائباً في حاجة لرسول الله ﷺ قد بعثه فيها ثم أمر لنا رسول الله ﷺ بطبق فيه تمر فوضع بين أيدينا فقال انتهبوا فبينما نحن كذلك إذ أقبل علي رضي الله عنه فتبسم إليه رسول الله ﷺ وقال يا علي إن الله أمرني أن أزوجك فاطمة وإني قد زوجتكها على أربعمائة مثقال فضة فقال علي رضيت يا رسول الله ثم إن علياً خر ساجداً شكراً لله فلما رفع رأسه قال له رسول الله ﷺ بارك الله لكما وعليكما وأسعد جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب قال أنس والله لقد أخرج منهما الكثير الطيب». ولم تضحك فاطمة رضي الله عنها بعد وفاة أبيها ﷺ قط. وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ سارت إلى قبر أبيها بعد موته ﷺ ووقفت عليه وبكت ثم أخذت قبضة من تراب القبر فجعلتها على عينها ووجهها ثم أنشأت تقول :

ماذا على من شم تربة أحمد ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا

صبت علي مصائب لو أنها ... صبت على الأيام عدن لياليا

ولها رضي الله عنها ترثي أباها ﷺ :

اغبر آفاق السماء وكورت | شمس النهار وأظلم العصران
والأرض من بعد النبي كئيبة | أسفا عليه كثيرة الأحزان
فليبكه شرق البلاد وغربها | ولتبكه مضر وكل يمان
وليبكه الطود الأشم وجوه | والبيت ذو الأستار والأركان
يا خاتم الرسل المبارك صنوه | صلى عليك منزل القرآن

توفيت رضي الله عنها ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة وهي بنت ثمان وعشرين سنة ودفنت بالبقيع ليلا وصلى عليها علي رضي الله تعالى عنه وقيل صلى عليها العباس رضي الله تعالى عنه ونزل في قبرها هو وعلي والفضل بن العباس. وفي كتاب الذرية الطاهرة للدولابي قال لبثت فاطمة بعد وفاة النبي ﷺ ثلاثة أشهر وقال عروة بن الزبير وعائشة لبثت ستة أشهر ومثله وعن ابن شهاب الزهري وهو الصحيح روى أن عليا رضي الله تعالى عنه لما ماتت فاطمة رضي الله عنها وفرغ من جهازها ودفنها رجع إلى البيت فاستوحش فيه وجزع عليها جزعاً شديداً ثم أنشأ يقول :

أرى علل الدنيا علي كثيرة | وصاحبها حتى الممات عليل
لكل اجتماع من خليلين فرقة | وكل الذي دون الفراق قليل
وإن افتقادي فاطما بعد أحمد | دليل على أن لا يدوم خليل

وروى جعفر بن محمد رضي الله تعالى عنهما قال لما ماتت فاطمة رضي الله عنها كان علي رضي الله تعالى عنه يزور قبرها في كل يوم قال فأقبل ذات يوم فانكب على القبر وبكى وأنشأ يقول :

مالي مررت على القبور مسلما | قبر الحبيب فلم يرد جوابي
يا قبر ما لك لا تجيب منادياً | أمللت بعدي خلة الأحباب

فأجابه هاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول :

قال الحبيب وكيف لي بجوابكم وأنا رهين جنادل وتراب
أكل التراب محاسني فنسيتكم وحجبت عن أهلي وعن أترابي
فعليكم مني السلام تقطعت مني ومنكم خلة الأحباب

(وأما أولادها) رضي الله عنها فالحسن والحسين ومحسن وهذا مات صغيراً وأم كلثوم وزينب، وزاد الليث بن سعد رقية وماتت وهي صغيرة لم تبلغ ولم يتزوج علي رضي الله عنه على فاطمة رضي الله عنها حتى ماتت وكانت أول أزواجه رضي الله عنها.

(وأما خدمه ﷺ) فمنهم أنس بن مالك الأنصاري وكان من أخصهم، خدمه من حين قدومه المدينة إلى أن توفي وعبد الله بن مسعود وكان صاحب سواكه ونعليه إذا قام ﷺ ألبسه إياهما وإذا جلس جعلهما في ذراعيه وكان يمشي أمامه بالعصا حتى يدخل الحجرة ومعيقيب الدوسي وكان صاحب خاتمه ﷺ وعقبة بن عامر الجهني وكان صاحب بغلته ﷺ يقودها في الأسفار وأسلع بن شريك وكان صاحب راحلته ﷺ كان يرحلها له وبلال وكان على نفقاته.

(وأما مواليه ﷺ الذين أعتقهم) فزيد بن حارثة وهبته له خديجة قبل النبوة فتبناه وكان حبه عليه الصلاة والسلام وابنه أسامة وأخو أسامة لأمه أيمن ابن أم أيمن بركة الحبشية وأبو رافع وكان قبطياً أعتقه ﷺ لما بشره باسلام العباس وشقران بضم الشين كما في المواهب والسيرة الحلبية واسمه صالح وكان حبشياً وقيل فارسياً وثوبان وأنجشه وكان أسود ورباح وكان أسود ويسار وكان نوبياً وكان على لقاح رسول الله ﷺ وهو الذي قتله العرنيون وسفينة وكان أسود وهو الذي لقيه سبع حين ضل في بعض الأمكنة فقال له يا أبا الحرث أنا مولى رسول الله ﷺ فمشى أمامه حتى أقامه على الطريق وسلمان الفارسي لأنه ﷺ هو الذي أدى عنه نجوم الكتابة لكنه حر في الأصل واسترق ظلماً، وخصي أهداه له المقوقس يقال له مأبور لم يسلم بل بقي نصرانياً وآخر يقال له سندر. ومن النساء أم أيمن وأميمة وسيرين وقيسر اللتان أهداهما له المقوقس مع مارية وهما أختاها، وذكر

بعضهم أنه وهب سيرين لحسان بن ثابت ووهب قيسر لجهم بن قيس (وروي) أنه ﷺ أعتق في مرض موته أربعين رقبة.

(وأما نقباؤه ﷺ فاثنا عشر نقيباً) وفي المحاضرات ولم يكن لنبي قبله هذا القدر بل كان لكل نبي سبعة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وجعفر بن أبي طالب ومصعب بن عمير وبلال وعمار والمقداد وعثمان بن مظعون وعبد الله بن مسعود اهـ.

(وأما نجباؤه ﷺ فكلهم من الأنصار) وهم سعد بن خيثمة من بني عمرو ابن عوف وسعد بن الربيع من بني النجار وسعد بن عبادة من بني عبد الأشهل وعبد الله بن رواحة وأبو الهيثم بن التيهان والبراء بن معرور ورافع بن مالك الأزرقي وعبد الله بن عمرو بن حرام وهو أبو جابر وعبادة بن الصامت من بني سلمة والمنذر بن عمرو من بني ساعدة اهـ من المسامرات.

(وأما حواريوه ﷺ فكلهم من قريش) وهم اثنا عشر رجلاً أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وحمزة ابن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون، فالذي جمع بين النجابة والحوارية أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وجعفر وعثمان بن مظعون فهؤلاء الستة جمعوا بين الشرفين رضي الله عنهم أجمعين اهـ من المحاضرات للشيخ محيي الدين.

(وأما نوابه ﷺ الذين استعملهم على المدينة في وقت خروجه لغزو أو عمرة أو حج) فأبو لبابة وبشير بن عبد المنذر وعثمان بن عفان وعبد الله بن أم مكتوم الأعمى وأبو ذر الغفاري وعبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول الأنصاري وسباع بن عرفطة وغيلة بن عبد الله الليثي وعوف بن أضبط الديلمي وأبو رهم كلثوم ومحمد بن مسلمة وزيد بن حارثة والسائب بن عثمان بن مظعون وأبو سلمة ابن عبد الأسد وسعد بن عبادة وأبو دجانة الساعدي، وما استعملهم فيه ﷺ مذكور في المحاضرات.

(وأما أمراؤه ﷺ) فمنهم باذان بن ساسان من ولد بهرام أمره على اليمن وهو

أوّل أمير في الإسلام على اليمن وأوّل من أسلم من ملوك العجم وخالد بن سعيد أمره على صنعاء وزياد بن لبيد الأنصاري البياضي أمره على حضرموت وأبو موسى الأشعري وأمره على زبيد وعدن ومعاذ بن جبل وأمره على الجند وأبو سفيان بن حرب وأمره على نجران ويزيد ابنه وولاه تيما وعتاب بتشديد الفوقية بن أسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة وولاه مكة.

(وأما كتابه ﷺ) فعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت ومعاوية وخالد بن سعيد بن العاص وأبان بن سعيد والعلاء بن الحضرمي وحنظلة بن الربيع وعبد الله بن سعد بن أبي سرح أخو عثمان من الرضاع فهؤلاء كتاب الوحي رضي الله عنهم أجمعين. وفي حياة الحيوان وكان المداوم على الكتابة زيداً ومعاوية انتهى وكان الزبير بن العوام وجهم بن الصلت يكتبان أموال الصدقات وكان حذيفة بن اليمان يكتب حوض النخل وكان المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير يكتبان المداينات والمعاملات وكان شرحبيل بن حسنة يكتب التوقيعات إلى الملوك وقد كتب له أبو بكر رضي الله عنه حين هاجر في الطريق.

(وأما من جمع القرآن حفظا على عهده ﷺ) فأبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو زيد الأنصاري وأبو الدرداء وزيد بن ثابت وعثمان بن عفان وتميم الداري وعبادة بن الصامت وأبو أيوب الأنصاري أورده العلامة الدميري في حياة الحيوان.

(وأما من كان يضرب الأعناق بين يديه ﷺ) فعلي والزبير ومحمد بن مسلمة والمقداد وعاصم بن أبي الأفلح.

(وأما من كان يحرسه ﷺ) فسعد بن أبي وقاص وسعد بن معاذ وعباد بن بشر وأبو أيوب الأنصاري ومحمد بن مسلمة الأنصاري فلما نزل قوله تعالى: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1]. ترك الحراسة انتهى من حراسة الحيوان.

(وأما من كان يفتي على عهده ﷺ) فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وأبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وعمار بن

---

(١) سورة المائدة آية ٦٧.

ياسر وحذيفة وزيد بن ثابت وسلمان الفارسي وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري كذا في حياة الحيوان.

(وأما مؤذنوه ﷺ) فبلال بن رباح وأمه حمامة وهو مولى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما وهو أول من أذن لرسول الله ﷺ ولم يؤذن بعده لأحد من الخلفاء إلا أن عمر لما فتح الشام أذن بلال فتذكر الناس النبي ﷺ فبكوا بكاء شديداً قال أسلم مولى عمر رضي الله تعالى عنهما لم أر باكياً أكثر من يومئذ توفي بلال سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة من الهجرة بداريا بباب كيسان وله بضع وستون سنة وقيل دفن بحلب وقيل بدمشق وابن أم مكتوم واسمه عمرو القرشي الأعمى وفي الكشاف اسمه عبد الله وأم مكتوم أم أبيه هاجر إلى المدينة قبل النبي ﷺ وفيه أنزل الله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾[1] وسعد بن عائذ أو ابن عبد الرحمن المعروف بسعد القرظي أذن بقباء لرسول الله ﷺ وأبو محذورة الجمحي المكي كان يؤذن لرسول الله ﷺ بمكة نقله بعضهم.

(فائدة) قال النيسابوري الحكمة في كونه ﷺ كان يؤم ولا يؤذن أنه لو أذن لكان كل من تخلف عن الإجابة كافراً وقال أيضاً ولأنه كان داعياً فلم يجز أن يشهد لنفسه وقال غيره لو أذن وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لتوهم أن ثم نبياً غيره وقيل لأن الأذان رآه غيره في المنام فوكله إلى غيره وأيضاً كان لا يتفرغ إليه من أشغاله وأيضاً قال عليه الصلاة والسلام: «الإمام ضامن والمؤذن أمين» فدفع الأمانة إلى غيره وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام إنما لم يؤذن لأنه كان إذا عمل عملاً أثبته أي جعله دائماً وكان لا يتفرغ لذلك لأشغاله بتبليغ الرسالة وهذا كما قال عمر لولا الخلافة لأذنت قال: وأما من قال إنه امتنع لئلا يعتقد أن الرسول غيره فخطأ لأنه ﷺ كان يقول في خطبته وأشهد أن محمداً رسول الله أورده شهاب الدين أحمد بن العماد في كتابه كشف الأسرار عما خفي عن الأفكار انتهى.

(وأما قضاته عليه الصلاة والسلام) فأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري ولي كل منهم القضاء باليمن.

(١) سورة عبس آية ١ و ٢.

(وأما رسله ﷺ)فعمرو بن أمية الضمري ودحية بن خليفة الكلبي وعبد الله ابن حذافة السهمي وحاطب بن أبي بلتعة اللخمي وشجاع بن وهب الأسدي وسليط بن عمرو العامري وعمرو بن العاص والعلاء بن الحضرمي .

(وأما شعراؤه ﷺ) الذين كانوا يذبون عن الإسلام فكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة الخزرجي الأنصاري وحسان بن ثابت بن المنذر بن عمرو بن حزام الأنصاري دعا له النبي ﷺ فقال اللهم أيده بروح القدس يقال أعانه جبريل بسبعين بيتاً .

(وأما إخوته ﷺ من الرضاع) فعمه حمزة أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب على ولدها مسروح فهو أخوهما وأخوه أيضاً ﷺ عبد الله وأنيسة وجذامة وهي الشيما وأمهم حليمة وأبوهم الحرث بن عبد العزى السعدي والشيما هي التي كانت في سبي حنين وأرته ﷺ عضته في ظهرها فعرفها وبسط لها رداءه وزودها وردها إلى قومها حسبما سألت .

(وأما حيواناته ﷺ) فكان له من الخيل سبعة أفراس وقيل أكثر منها السكب شبه بسكب الماء وانصبابه لشدة عدوه وهو أول فرس ملكه ﷺ وكان سرجه ﷺ دفتين من ليف وكان له من البغال ست منها بغلة شهباء يقال لها دلدل أهداها له مقوقس مصر وهي أول بغلة ركبت في الإسلام وعاشت حتى ذهبت أسنانها وكان يدق لها الشعير وعميت وقاتل عليها علي رضي الله تعالى عنه الخوارج بعد أن ركبها عثمان وركبها بعده الحسن ثم الحسين ثم محمد بن الحنفية وماتت بسهم رماها به رجل وكان له ﷺ حماران يقال لأحدهما يعفور وللآخر عفير بضم العين المهملة على الصواب وكان له من الإبل ثلاث ناقة يقال لها القصوى وناقة يقال لها الجدعاء وناقة يقال لها العضباء وهي التي كانت لا تسبق فسبقت فشق ذلك على المسلمين فقال عليه الصلاة والسلام : «إنَّ حقاً على الله أن لا يرفعَ شيئاً من الدنيا إلّا وضعه» . ويقال إن العضباء هذه لم تأكل ولم تشرب بعد وفاته ﷺ حتى ماتت وقيل إن التي لم تسبق فسبقت هي القصوى وقيل الأسماء الثلاثة

لواحدة وقيل القصوى واحدة والجدعاء والعضباء واحدة وكان له من الغنم مائة وسبعة أعنز كانت ترعاها أم أيمن وكان له شاة يختص بشرب لبنها وأما البقر فلم ينقل أنه اقتنى شيئاً منها واقتنى ﷺ الديك الأبيض وكان يبيت معه في البيت نقله بعضهم وكان له ﷺ شاة تسمى غوثة وقيل غيثة وعنز تسمى اليمن كذا في أسد الغابة.

(وأما سيوفه ﷺ) فالغضب والرسوب والبتار والحتف وذو الفقار وكان مكتوباً على أحد سيوفه ﷺ هذا البيت:

في الجبن عار وفي الإقدام مكرمة والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

وهو الذي أعطاه رسول الله ﷺ لأبي دجانة يوم أحد وكان قد طلبه أبو بكر وعمر وعلي فلم يعطهم إياه وقال لا أعطيه إلا بحقه فقال أبو دجانة ما حقه يا رسول الله قال أن تضرب به في العدو حتى ينحني فقال أنا آخذه بحقه فأخذه وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب وذو الفقار كان في وسطه مثل فقرات الظهر وكان لا يفارقه ﷺ في حرب من الحروب يقال إن أصله من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة ونقل غير واحد أن ذا الفقار كان لمنبه بن الحجاج السهمي كان مع ابنه العاص يوم بدر فقتله علي وجاء بالسيف إلى رسول الله ﷺ فأعطاه رسول الله ﷺ علياً رضي الله تعالى عنه فقاتل به يوم أحد وفيه قال يوم أحد ابن أبي نجيح:

لا سيف إلا ذو الفقا ر ولا فتى إلا علي

(وفي الفصول المهمة) يروى أن بلقيس أهدت إلى سليمان عليه السلام سبعة أسياف كان ذو الفقار منها، وقد جاء في بعض الروايات عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال له إن صنماً باليمن معفراً بالحديد فابعث إليه فادقه وخذ الحديد قال علي رضي الله تعالى عنه فدعاني رسول الله ﷺ وبعثني إليه فذهبت ودققت الصنم وأخذت الحديد وجئت به إلى رسول الله ﷺ فاستضرب منه سيفين فسمى أحدهما ذا الفقار والآخر مخذماً فتقلد رسول

الله ﷺ ذا الفقار وأعطاني مخذما ثم أعطاني ذا الفقار بعد ذلك فرآني وأنا أقاتل به يوم أحد فقال :

لا سيف إلا ذو الفقا ر ولا فتى إلا علي

قال ابن إسحق وفي هذا اليوم هاجت ريح فسمع هاتف يقول :

لا سيف إلا ذو الفقا ر ولا فتى إلا علي

فإذا ندبتم هالكاً فابكوا الولي بن الولي

وأنشد الخطيب ضياء الدين أخطب خوارزم الموفق أحمد الخوارزمي المالكي رحمه الله تعالى :

أسد الإله وسيفه وقناته كالظفر يوم صياله والناب

جاء النداء من الاله وسيفه بدم الكماة يسح في تسكاب

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي هازم الأحزاب

(وأما دروعه ﷺ فسبعة) السعدية وفضة وذات الفضول وذات الوشاح وذات الحواشي والبتراء والخرنق. (وأما قسيه ﷺ) فثلاثة الروحاء والصفراء والبيضاء وقيل ستة. (وأما رماحه ﷺ) فثلاثة وقيل خمسة قال الشيخ محيي الدين لم يسمها لنا أحد ممن روينا عنهم (وكان) له ثلاثة أتراس وكان له ثلاث جباب وكان اسم عمامته السحاب واسم رايته العقاب واسم لوائه الحمد واسم قصعته الغراء وكان يحملها أربعة رجال فيها أربع حلق حديد (وكان له من الحراب) خمس منها حربة صغيرة تشبه العكاز يقال لها العنزة بفتح العين المهملة والنون والزاي كانت تحمل بين يديه يوم العيد وتركز بين يديه ويصلي إليها في أسفاره. وفي أسد الغابة وكانت تحمل معه في العيد تجعل بين يديه يصلي اليها وله حربة كبيرة اسمها البيضاء (وكان له محجن) قدر ذراع أو أكثر بيسير ذو رأس يمشي به ويعلق بين يديه على بعيره وكان له قضيب من شوحط قيل هو الذي كان تداوله الخلفاء وكان له مخصرة بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الصاد المهملة وهي ما يمسكه بيده من عصا أو مقرعة وكان له خودتان والخودة ما يجعل على الرأس

من الزرد مثل القلنسوة وكان له ﷺ قدحان اسم أحدهما الريان والآخر المضبب وله تور من حجارة يقال له المخضب يتوضأ منه وله مخضب من شبه والشبه النحاس الأصفر وله كوة تسمى الصادر وله فسطاط يسمى الركي وله مرآة تسمى المدلة ومقراض يسمى الجامع ونعل يسميها الصفراء.

(تتمة في مرضه ﷺ الذي مات فيه وما يتصل به) لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع إلى المدينة أقام بها بقية ذي الحجة تمام سنة عشر ثم دخلت سنة إحدى عشرة فأقام المحرم وصفر وفي يوم الأربعاء من آخر صفر بدأ بالنبي ﷺ وجعه فحم وصدع وأشار فيه إشارة ظاهرة بخلافة أبي بكر بثنائه على المنبر عليه كما فهم دون بقية الصحابة قوله في آخر خطبته: «إن عبداً خيره الله بين ان يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده» أنه ﷺ يعني نفسه فبكى وقال فديناك يا رسول الله بآبائنا وأمهاتنا فقابله ﷺ بقوله: «إن أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوّة الإسلام ثم قال لا يبقى في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر» ثم أكد أمر الخلافة بأمره صريحاً أن يصلي بالناس فصلى أبو بكر بالناس سبع عشرة صلاة وبقية الصلاة في مدة مرضه صلاها بهم وقد ورد أنه ﷺ وجد خفة في اليوم الذي توفي فيه فخرج ﷺ وأبو بكر يصلي بالناس الصبح فصلى النبي ﷺ خلفه مؤتماً به وأذن له نساؤه أن يمرض في بيت عائشة لما رأين من حرصه على ذلك فدخل بيتها يوم الاثنين وفي البخاري أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول إن من نعم الله عليّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته دخل علي عبد الرحمن وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك فقلت آخذ لك فأشار برأسه أن نعم فتناوله فاشتد عليه وقلت ألينه لك فأشار برأسه أن نعم فلينته وبين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول لا إله إلا الله إن للموت سكرات ثم نصب يده فجعل يقول في الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده اهـ. ولما مات رسول الله

ﷺ طاشت عقول الصحابة فخبل عمر رضي الله عنه وأخرس عثمان رضي الله عنه وأقعد عليّ رضي الله عنه، وعن أنس رضي الله عنه قال: لما توفي النبي ﷺ قام عمر بن الخطاب في المسجد خطيباً فقال لا أسمعن من أحد يقول إن محمداً قد مات ولكنه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى بن عمران فلبث عن قومه أربعين ليلة.
وفي تتمة المختصر لما قبض الله نبيه ﷺ قال عمر من قال إن رسول الله ﷺ مات علوت رأسه بسيفي هذا وانما ارتفع إلى السماء انتهى وفي البخاري عن أبي سلمة أن عائشة أخبرته أن أبا بكر رضي الله عنه أقبل على فرسه من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشى بثوب حبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي كتبت عليك فقدمتها قال الزهري وحدثني أبو سلمة عن عبد الله بن عباس أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر فقال أبو بكر: أما بعد من كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ـ إلى قوله ـ الشَّاكِرِينَ﴾[1] وقال والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها الناس منه كلهم فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها.

(فائدة) روي «أن جبريل عليه السلام نزل على النبي ﷺ في مرض موته فقال يا جبريل هل تنزل من بعدي؟ فقال نعم يا رسول الله أنزل عشر مرات أرفع العشر جواهر من الأرض قال يا جبريل وما ترفع منها؟ قال الأول أرفع البركة من الأرض الثاني أرفع المحبة من قلوب الخلق الثالث أرفع الشفقة من قلوب الأقارب الرابع أرفع العدل من الأمراء الخامس أرفع الحياء من النساء السادس أرفع الصبر من الفقراء السابع أرفع الورع والزهد من العلماء الثامن أرفع السخاء من الأغنياء التاسع أرفع القرآن العاشر أرفع الإيمان».

---

(١) سورة آل عمران آية ١٤٤.

(وغسله ﷺ) علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس وقثم بن العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله ﷺ وأحضروا أوس بن خولي جد بني عوف فكان علي يسنده ويغسله وكان العباس والفضل وقثم يقلبونه معه وكان أسامة بن زيد وشقران يصبان الماء عليه وأعينهم معصوبة روي عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال أوصاني رسول الله لا يغسله غيري فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه (وكفن ﷺ) في ثلاثة أثواب بيض سحولية أي من عمل سحولة قرية باليمن ليس فيها قميص ولا عمامة قال ابن إسحق ثوبان سحريان وبرد حبرة وأدرج فيها إدراجاً انتهى ثم بخر بالعود وصار الناس يدخلون للصلاة عليه طائفة بعد طائفة أفذاذاً أفذاذاً لم يؤمهم أحد وقيل لم يصل عليه أحد وإنما كان الناس يدخلون ليدعوا ويتضرعوا (واختلفت الصحابة في الموضع الذي يدفن فيه) فقال بعضهم يدفن بالبقيع وبعضهم ينقل ويدفن عند إبراهيم الخليل فقال أبو بكر ادفنوه في الموضع الذي قبض فيه فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا يدفن نبي إلا حيث قبض» فاتفقوا على ذلك فحفر قبره وصنع له لحد ووضع فيه (وأنزله في قبره ﷺ) علي بن أبي طالب والعباس والفضل وقثم ابنا العباس وأوس بن خولي وكان دفنه ﷺ ليلة الأربعاء فيكون مكث بعد موته بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويومها وبعض ليلة الأربعاء لأنه توفي ﷺ يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما ولد النبي ﷺ يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ورفع الحجر يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين وسبب تأخير دفنه اشتغالهم ببيعة أبي بكر حتى تمت وقيل لعدم اتفاقهم على موته ﷺ وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوماً وقيل أربعة عشر وقيل اثنا عشر وقيل غير ذلك وتوفي ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح وكذا أبو بكر وعمر وعائشة.

فصل
في ذكر مناقب سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه

يقال كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة فسماه رسول الله ﷺ عبد الله ؛ وهو رضي الله تعالى عنه ابن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن أسد بن تيم بن مرة يلتقي هو ورسول الله في مرة بن كعب بين كل منهما وبين مرة ستة أشخاص ، وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر وهي بنت عم أبي قحافة وقيل اسمها ليلى بنت صخر بن عامر أسلمت قديماً حين كان المسلمون في دار الأرقم ، وسمي عتيقاً لأن النبي ﷺ نظر إليه فقال هذا عتيق من النار وفي رواية من أراد أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر وقيل غير ذلك وسماه النبي ﷺ صديقاً فقال يكون بعدي اثنا عشر خليفة أبو بكر الصديق لا يلبث إلا قليلاً وكان علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يحلف بالله إن الله تعالى أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق لتصديقه خبر الأسراء وكان مولد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه بمكة بعد الفيل بستين وأربعة أشهر وأيام فيكون أصغر من النبي ﷺ بسنتين وأربعة أشهر وأيام وأسلم وهو ابن سبع وثلاثين وقيل ثمان وعاش في الإسلام ستا وعشرين سنة وهو أول من أسلم من الرجال قال في عمدة التحقيق رأيت في بعض الكتب أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما كان تاجراً في زمن الجاهلية كان سبب إسلامه أنه رأى يوماً في منامه وهو بالشام أن الشمس والقمر نزلا في حجره ثم أخذهما بيده وضمها إلى صدره وأسبل عليهما رداءه فانتبه وذهب إلى راهب النصارى يسأله عن الرؤيا فحضر عند الراهب وسأله عن الرؤيا وطلب منه التعبير فقال الراهب من أين أنت؟ قال من مكة قال ومن أي قبيلة؟ قال من بني تيم قال وما شأنك؟ قال التجارة فقال له يخرج في زمانك رجل يقال له محمد

الأمين تتبعه ويكون من قبيلة بني هاشم وهو نبي آخر الزمان لولاه ما خلق الله السموات والأرضين وما يكون فيها وما خلق آدم وما خلق الأنبياء والمرسلين وأنت تدخل في دينه وتكون وزيره وخليفته من بعده وقد وجدت نعته وصفته في الانجيل والزبور وإني أسلمت وآمنت به وكتمت إسلامي خوفاً من النصارى قال فلما سمع أبو بكر صفة النبي ﷺ رق قلبه واشتاق إلى رؤيته وقدم مكة فوجده فكان يحبه ولا يصبر ساعة عن رؤيته ، فلما طال الأمر قال له رسول الله ﷺ يوماً يا أبا بكر كل يوم تجيء إليّ وتجلس معي ولا تسلم فقال أبو بكر إن كنت نبياً فلا بد لك من معجزة فقال النبي ﷺ أما يكفيك المعجزة التي رأيتها بالشام وعبرها لك الراهب فلما سمع ذلك أبو بكر قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله انتهى . وأسلم على يده من العشرة سيدنا عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهم (بويع له) في السقيفة يوم وفاة رسول الله ﷺ حين ذهب هو وعمر بن الخطاب إلى سقيفة بني ساعدة من الأنصار يتشاورون في أمر الخلافة فوقع بينهم كلام كثير حتى قال بعض الأنصار منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش وكثر اللغط وارتفعت الأصوات فقال عمر لأبي بكر ابسط يدك فبسط يده فبايعه ثم بايعه المهاجرون ثم الأنصار ثم كانت بيعة العامة من الغد وتخلف عن بيعته علي بن أبي طالب وبنو هاشم والزبير ابن العوام وخالد بن سعيد بن العاص وسعد بن عبادة الأنصاري ثم بايعوا بعد موت فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلا سعد بن عبادة فإنه لم يبايع أحداً إلى أن مات وكانت بيعتهم بعد ستة أشهر من موت فاطمة على الصحيح ولما ولي خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس قد وليت أمركم ولست بخير منكم وإن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه ، أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوّموني .

(صفة أبي بكر) كان نحيفاً خفيف اللحم أبيض خفيف العارضين معروق الوجه ناتىء الجبهة غائر العينين يخضب بالحناء والكتم وقوله معروق الوجه أي قليل

اللحم ولم يشرب الخمر لا جاهلية ولا إسلاماً ولم يسجد لصنم قط شهد المشاهد كلها (وقد ورد في فضله آيات وأحاديث كثيرة) في الكشاف وغيره أن قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾[1]. الآية. نزلت في أبي بكر وأبيه أبي قحافة عثمان وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو قال علي بن أبي طالب الآية نزلت في أبي بكر الصديق أسلم أبواه جميعاً ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غيره قال البغوي في تفسيره اجتمع لأبي بكر اسلام أبويه وأولاده جميعاً فأدرك أبو قحافة النبي ﷺ وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن أبو عتيق كلهم أدركوا النبي ﷺ ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة انتهى. ومن الآيات قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾[2]. أجمع المسلمون على أن الصاحب أبو بكر ومنها: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى - إلى قوله - إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾[3]. قال بعض المفسرين نزلت في أبي بكر وأبي سفيان بن حرب ومنها قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾[4]. إلى آخر السورة قال البغوي في حق أبي بكر عند الجميع وعن ابن عباس في رواية عطاء في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً﴾[5]. أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه كذا في تفسير البغوي وعن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر لم يكن يحنث في يمين حتى أنزل الله آية كفارة اليمين وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: والذي جاء بالحق محمّد وصدق به أبو بكر قال ابن عساكر هكذا الرواية ولعلها قراءة لعلي وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[6]. قال نزلت في أبي بكر وعمر وعن ابن أبي حاتم عن شوذب في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[7]. قال نزلت في أبي بكر وعن ابن عمر

---

(١) سورة الأحقاف ١٥.
(٢) سورة التوبة ٤٠.
(٣) سورة الليل ١.
(٤) سورة الليل ١٧ — ١٨.
(٥) سورة الزمر ٩.
(٦) سورة آل عمران ١٥٩.
(٧) سورة الرحمن ٤٦.

وابن عباس في قوله تعالى: «وصالحوا المؤمنين». أنها نزلت في أبي بكر وعمر وعن الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[8] قال هو والله أبو بكر وأصحابه لما ارتد العرب جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردّهم إلى الإسلام.

(ومن الأحاديث) ما أخرجه الشيخان عن جبير بن مطعم قال أتت امرأة إلى النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه قالت أرأيت إن جئت ولم أجدك كأنها تقول الموت قال إن لم تجديني فائتي أبا بكر وعن أنس قال بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله ﷺ أن أسأله إلى من ندفع له صدقاتنا بعدك فأتيته فسألته فقال إلى أبي بكر وعن ابن عباس قال جاءت امرأة إلى النبي ﷺ تسأله شيئاً فقال لها تعودين فقالت يا رسول الله إن عدت فلم أجدك تعرض بالموت فقال إن جئت ولم تجديني فأتي أبا بكر فإنه الخليفة من بعدي وعن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ في مرضه ادعي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمنّ ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر فبكى أبو بكر وقال هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال جئت بأبي قحافة إلى النبي ﷺ فقال له هلا تركت الشيخ حتى آتيه قال بل هو أحق أن يأتيك قال إنا نحفظه لأيادي ابنه عندنا وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ ما أجد عندي أعظم من أبي بكر واساني بنفسه وماله وأنكحني ابنته وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي وعن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ إن من أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن اخوة الإسلام وعن أبي الدرداء قال رآني النبي ﷺ أمشي أمام أبي بكر فقال يا أبا الدرداء أتمشي أمام من هو خير منك في الدنيا والآخرة. ما طلعت شمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي

---

(٨) سورة المائدة آية ٥٤.

بكر رضي الله تعالى عنه وعن علي بن أبي طالب قال ما مات رسول الله ﷺ حتى عرفنا أن أفضلنا بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وما مات رسول الله ﷺ حتى عرفنا أن أفضلنا بعد أبي بكر عمر رضي الله تعالى عنهما وعن علي رضي الله تعالى عنه قال كنت عند رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر وعمر فقال يا علي هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين ولا تخبرهما يا علي قال فما أخبرتهما حتى ماتا ، وستأتي أحاديث أخر عامة فيهما رضي الله تعالى عنهما وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ أبو بكر صاحبي ومؤنسي في الغار وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار وعن عامر بن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت «ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم» . قال أبو بكر يا رسول الله لو أمرني أن أقتل نفسي لفعلت قال صدقت وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ حب أبي بكر وشكره واجب على كل أمتي وعن عائشة مرفوعاً كلهم يحاسبون إلا أبا بكر وقال رسول الله ﷺ أبو بكر عتيق في السماء عتيق في الأرض رواه الديلمي وقال رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر بمنزلة السمع والبصر رواه الترمذي وقال رسول الله ﷺ أبو بكر أفضل هذه الأمة إلا أن يكون نبي وقال رسول الله ﷺ لولا أبو بكر الصديق لذهب الإسلام وقال رسول الله ﷺ مثل أبي بكر مثل اللبن في الصفاء وقال رسول الله ﷺ مثل أبي بكر كالغيث أينما وقع نفع.

(ومن الأحاديث الواردة في فضل أبي بكر وعمر معاً) ما روى أبو سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر وعنه قال قال رسول الله ﷺ إن أهل الدرجات العلا ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء وإن أبا بكر وعمر فيها وعن سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وذكر تمام العشرة وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار

وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد منهم بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه ويتبسمان إليه ويتبسم إليهما وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم فدخل المسجد وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو آخذ بأيديهما وقال هكذا نبعث يوم القيامة وعنه قال قال رسول الله ﷺ أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر وعمر وعن أبي أروى الدوسي قال كنت عند النبي ﷺ وأقبل أبو بكر وعمر فقال الحمد لله الذي أيدني بكما وعن عمار بن ياسر قال قال رسول الله ﷺ أتاني جبريل آنفا فقلت يا جبريل حدثني بفضائل عمر بن الخطاب فقال لو حدثتك بفضائل عمر بن الخطاب منذ ما لبث نوح في قومه ما نفدت فضائل عمر وإن عمر حسنة من حسنات أبي بكر وعن عبد الرحمن بن غنم أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر وعمر لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه حب أبي بكر وعمر ومعرفتهما من السنة وعن بسطام بن مسلم قال قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر لا يتأمر عليكما أحد من بعدي وعن أنس مرفوعاً حب أبي بكر وعمر إيمان وبغضهما كفر وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال إن لكل نبي خاصة من أمته وأنا خاصتي من أصحابي أبو بكر وعمر.

(تنبيه) خص الله أبا بكر بأربع خصال سماه الصديق ولم يسم أحد الصديق غيره وهو صاحب الغار مع رسول الله ﷺ ورفيقه في الهجرة وأمره رسول الله ﷺ بالصلاة والمسلمون شهود وعن أبي جعفر قال كان أبو بكر من النبي ﷺ مكان الوزير فكان يشاوره في جميع أموره وكان ثانيه في الإسلام وثانيه في الغار وثانيه في العريش يوم بدر وثانيه في القبر ولم يكن رسول الله ﷺ يقدم عليه أحداً (روي) أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه لما خرج مع رسول الله ﷺ متوجهاً إلى الغار جعل طوراً يمشي أمامه وطوراً يمشي خلفه وطوراً عن يمينه وطوراً عن شماله فقال عليه الصلاة والسلام ما هذا يا أبا بكر فقال رسول الله أذكر الرصيد فأحب أن أكون أمامك وأتخوف الطلب فأحب أن أكون خلفك وأحفظ الطريق يميناً وشمالاً فقال لا بأس عليك يا أبا بكر الله معنا (وكان) رسول الله ﷺ حافياً

فحفي فحمله أبو بكر رضي الله تعالى عنه على كاهله حتى انتهى إلى الغار فلما أراد النبي ﷺ أن يدخل الغار قال أبو بكر والذي بعثك بالحق نبيا لا تدخله حتى أدخل فأسبره قبلك فدخل أبو بكر رضي الله تعالى عنه فجعل يلتمس بيده الغار في ظلمة الليل مخافة أن يكون فيه شيء يؤذي رسول الله ﷺ فلما لم ير فيه شيئاً دخل رسول الله ﷺ الغار (وروي) أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه رأى في الغار أجحاراً متعددة فصار يقطع ثوبه ويسد به الأجحار فبقي جحر لم يفضل له شيء من الثوب فجلس قريباً منه ووضع عقبه عليه وسده به فجعلت الحيات والأفاعي تضربه وتلسعه فصارت دموعه تنحدر وكان النبي قد نام وجعل رأسه في حجره فصار يتجلد ولا يوقظه فسقطت دموعه على وجه النبي فتنبه فقال ما لك قال لدغت فتفل عليه فذهب ما يجده فلما أصبح سأله النبي عن ثوبه فأخبره الخبر فتوجه ودعا له وقال اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي في الجنة فنودي إنه قد استجيب لك (وروي) أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه لما رأى القافة وفتيان قريش بسهامهم وسيوفهم وقوفاً على فم الغار اشتد حزنه وقال إن قتلت فإنما أنا رجل واحد وإن قتلت يا رسول الله هلكت الأمة فقال له لا تحزن إن الله معنا وأنزل الله سكينته عليه أي على أبي بكر لأنه هو الذي انزعج وهي أمنة تسكن لها القلوب، وفضائل أبي بكر رضي الله تعالى عنه لا تحصى ومناقبه لا تستقصى (كان رضي الله تعالى عنه) أشجع الصحابة وأثبتهم في دين الله؛ ففي معالم التنزيل لما قبض رسول الله ﷺ وانتشر خبر وفاته ارتد عامة العرب إلا أهل مكة والمدينة والبحرين ومنع بعضهم الزكاة فهم أبو بكر بقتالهم فكره ذلك أصحاب رسول الله ﷺ وقال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم فقال له أبو بكر أليس قد قال إلا بحقها ومن حقها إقامة الصلاة وايتاء الزكاة والله لو منعوني عقالا وفي رواية عناقا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه ولو خذلني الناس كلهم لجاهدتهم بنفسي فقال عمر بن الخطاب فوالله ما هو إلا أن رأيت أن الله قد شرح صدر أبي بكر القتال فعرفت أنه الحق قال عمر بن الخطاب والله لقد رجح

إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة جميعاً في قتال أهل الردة انتهى. وفي مدة خلافته اليسيرة فتح فتوحات كثيرة فأوّل ما بدأ به بعد خلافته أنه أنفذ جيش اسامة وكان قد استصغر قوم من الصحابة أسامة وقالوا لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قل لأبي بكر يرجع بالمسلمين فإن أبى أن لا يفعل فليول علينا رجلاً أقدم سناً من أسامة فجاء عمر بن الخطاب إلى أبي بكر وذكر له ذلك فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله ﷺ فرجع عمر إلى الأنصار وذكر لهم مقالة أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقالوا له لا بد وأن تراجع أبا بكر في ذلك فراجعه عمر رضي تعالى عنه فقام أبو بكر وأخذ بلحية عمر وقال ثكلتك أمك يا ابن الخطاب استعمل رسول الله ﷺ أسامة وأمره وتأمرني أن أنزعه فعند ذلك رجع عمر رضي الله تعالى عنه إلى الناس وأخبرهم فتجهزوا وخرجوا وخرج أبو بكر فشيعهم وهو ماش وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر فقال أسامة لأبي بكر يا خليفة رسول الله والله لتركبن أو لأنزلن فقال أبو بكر والله لا أركب ولا تنزل وما ضرني أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله وعاد أبو بكر وسافر أسامة بالجيش إلى الروم فلما وصل أسامة إلى بني كحبلى شن عليهم الغارة وسبى حريمهم وحرق منازلهم وأصاب الغنائم وكان أسامة على فرس أبيه وقتل قاتل أبيه لأن أباه كان قد استشهد في سرية مؤتة وكانت كذلك بالروم (وفتح) أبو بكر اليمامة وقتل مسيلمة الكذاب وقاتل جموع أهل الردة إلى أن رجعوا إلى دين الله وفتح أطراف العراق وبعض الشام،

فصل
في ذكر بعض كلامه

في المحاضرات كان رضي الله تعالى عنه يقول في خطبته : أين القضاة الحسنة وجوههم المعجبون بشأنهم أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا النجاء النجاء . وفي المحاضرات أيضاً قال : لما مرض رسول الله ﷺ عاده أبو بكر الصديق رضي الله عنه فشفي رسول الله ﷺ ومرض أبو بكر فعاده رسول الله ﷺ فشفي حين عاده كما مرض حين عاده فقال الصديق رضي الله تعالى عنه في ذلك :

مرض الحبيب فعدته ... فمرضت من حذري عليه
شفي الحبيب فعادني ... فشفيت من نظري إليه

ومن كلامه رضي الله تعالى عنه كما في طبقات الشعراني : أكيس الكيس التقوى ، وأحمق الحمق الفجور ، وأصدق الصدق الأمانة ، وأكذب الكذب الخيانة . وكان يقول رضي الله تعالى عنه : إن هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله ولا يحتمله إلا أفضلكم مقدرة وأملككم لنفسه ، وكان رضي الله تعالى عنه يقول لمن يعظه : يا أخي إن أنت حفظت وصيتي فلا يكن غائب أحب اليك من الموت وهو آتيك ، وكان يقول : إن العبد إذا دخله العجب بشيء من زينة الدنيا مقته الله تعالى حتى يفارق تلك الزينة ، وكان يقول : يا معشر المسلمين استحيوا من الله فوالذي نفسي بيده إني لأظل حين أذهب إلى الغائط في الفضاء متقنعاً استحياء من ربي عز وجل ، وكان يقول رضي الله تعالى عنه : ليتني كنت شجرة تعضد ثم تؤكل وكان يأخذ بطرف لسانه ويقول : هذا الذي أوردني الموارد وكان إذا سقط خطام ناقته ينيخها ويأخذه فيقال له هلا أمرتنا فيقول : إن رسول

الله ﷺ أمرني أن لا أسأل الناس شيئاً ، وكان إذا أكل رضي الله تعالى عنه طعاماً فيه شبهة ثم علم به استقاءه من بطنه ويقول : اللهم لا تؤاخذني بما شربته العروق وخالط الأمعاء انتهى. ولما ولي الخلافة قال : إني وليتكم ولست بخيركم فلما بلغ كلامه الحسن البصري قال بلى ولكن المؤمن يهضم نفسه وكان رضي الله تعالى عنه إذا مدح قال : اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيراً مما يحسبون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون.

(لطيفة) سئل بعض التابعين هل رأيت أبا بكر قال نعم رأيت ملكا في زي مسكين. وفي المحاضرات والمسامرات لما حضرته رضي الله تعالى عنه الوفاة أرسل إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال : إني أوصيك بوصية إن أنت قبلتها عني إن لله عز وجل حقاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وإن لله حقاً بالنهار لا يقبله بالليل وإنه عز وجل لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة. واعلم أن الله عز وجل ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم فيقول القائل : أين يقع عملي في عمل هؤلاء وذلك أن الله عز وجل تجاوز عن سيء أعمالهم ولم يثربه. واعلم أن الله عز وجل ذكر أهل النار بأسوإ أعمالهم ويقول قائل : أنا خير من هؤلاء عملا وذلك أن الله عز وجل رد عليهم أحسن أعمالهم فلم يقبله ألم تر إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه في الآخرة باتباعهم الحق في الدنيا وثقل ذلك عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا حق أن يثقل ألم تر إنما خفت موازين من خفت موازينه في الآخرة باتباعهم الباطل في الدنيا وخف ذلك عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا باطل أن يخف ، ألم تر أن الله عز وجل أنزل آية الرخاء عند آية الشدة وآية الشدة عند آية الرخاء لكي يكون العبد راغباً راهباً لا يلقي بيده إلى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فإن أنت حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب اليك من الموت ولا بد لك منه وإن أنت ضيعت وصيتي هذه فلا يكونن غائب أبغض إليك من الموت ولن تعجزه . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كتب أبو بكر رضي الله تعالى عنه وصية بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به أبو بكر بن أبي قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهي الفاجر ويصدق الكاذب إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب

فإن يعدل فذلك ظني به ورجائي فيه ، وإن يجر ويبدل فلا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. قال أبو سليمان : والذي كتب وصية أبي بكر عثمان بن عفان رضي الله عنهما. وكان قاضيه عمر بن الخطاب وكاتبه عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وحاجبه شديدا مولاه وصاحب شرطته أبا عبيدة ابن الجراح وهو أول من اتخذ الحاجب وصاحب الشرطة في الإسلام وكان خاتمه خاتم رسول الله ﷺ وكان من ورق نقشه محمد رسول الله وكان بعده في يد عمر ثم كان في يد عثمان حتى وقع في بئر أريس من معيقيب ، ومروياته من الأحاديث مائة حديث واثنان وأربعون حديثاً وفي المحاضرات مائة واثنان وثلاثون ، والله أعلم.

(تتمة في مرضه وموته وغسله وما يتصل بذلك وأولاده رضي الله تعالى عنه)

عن ابن شهاب أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه والحرث بن كلدة كانا يأكلان حريرة أهديت لأبي بكر فقال الحرث لأبي بكر ارفع يدك يا خليفة رسول الله والله إن فيها لسم سنة وأنا وأنت نموت في يوم واحد فرفع أبو بكر يده فلم يزيا إلا عليلين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة وقيل إنه اغتسل في يوم بارد فحم ومرض خمسة عشر يوماً لا يخرج للصلاة وكان عمر يصلي بالناس وقيل سبب موته تحرك سم الحية التي لدغته في الغار ذكره ابن الأثير ، وقيل غير ذلك. ومات ليلة الثلاثاء وقيل يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح وفي الاكتفاء آخر ما تكلم به أبو بكر : رب توفني مسلماً وألحقني بالصالحين. ولما توفي أبو بكر رضي الله تعالى عنه ارتجت المدينة بالبكاء ودهش القوم كيوم موت رسول الله ﷺ ، وأوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس فغسلته فهي أول امرأة غسلت زوجها في الإسلام. وأوصى أن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ وقال إذا أنا مت فجيئوا بي على الباب يعني باب البيت الذي فيه قبر رسول الله فادفعوه فإن فتح لكم فادفنوني ، قال جابر فانطلقنا فدفعنا الباب وقلنا هذا أبو بكر الصديق قد اشتهى أن يدفن عند النبي ﷺ ففتح الباب ولا ندري من فتح لنا وقال ادخلوا ادفنوه كرامة ولا نرى شخصاً ولا شيئاً كذا في الصفوة. وفي رواية سمعوا صوتاً يقول : ضموا

الحبيب إلى الحبيب. وصلى عليه عمر بن الخطاب في مسجد رسول الله ﷺ بين القبر والمنبر وحمل على السرير الذي حمل عليه رسول الله ﷺ وهو سرير عائشة رضي الله تعالى عنها وكان من خشبتين ساجا منسوجاً بالليف وبيع في ميراث عائشة رضي الله تعالى عنها بأربعة آلاف درهم فاشتراه مولى لمعاوية وجعله للمسلمين ويقال إنه بالمدينة. ونزل في قبره عمر وعثمان وطلحة وابنه عبد الرحمن ابن أبي بكر ودفن ليلا في بيت عائشة مع النبي ﷺ وجعل رأسه عند كتفي رسول الله ﷺ.

(وأما أولاده) فستة ثلاثة بنين وثلاث بنات. أما الذكور (فعبد الله) وهو أكبر أولاده الذكور وأمه قتيلة ويقال قتلة بدون تصغير من بني عامر بن لؤي شهد عبد الله فتح مكة وحنيناً والطائف مع النبي ﷺ وجرح بالطائف رماه أبو محجن الثقفي بسهم فاندمل جرحه إلى خلافة أبيه ومات في خلافته في شوال سنة إحدى عشرة دفن بعد الظهر وصلى عليه أبوه ونزل في قبره أخوه عبد الرحمن وعمر وطلحة بن عبيد الله أخرجه أبو نعيم وابن منده وأبو عمر كذا في أسد الغابة (وعبد الرحمن) ويكنى أبا عبد الله وقيل أبا محمد وقيل غير ذلك أمه أم رومان بنت الحرث من بني فراس بن غنم بن كنانة أسلمت وهاجرت وكان عبد الرحمن شقيق عائشة رضي الله تعالى عنها شهد بدراً وأحداً مع المشركين وكان من الشجعان وكان رامياً حسن الرمي له مواقف في الجاهلية والإسلام مشهورة دعا إلى البراز يوم بدر فقام إليه أبو بكر رضي الله تعالى عنه ليبارزه فقال له رسول الله ﷺ متعني بنفسك ثم من الله عليه فأسلم في هدنة الحديبية وكان اسمه عبد الكعبة فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن وشهد اليمامة مع خالد بن الوليد فقتل سبعة من أكابرهم وشهد وقعة الجمل مع أخته عائشة ومات بمكة قبل أن تتم البيعة ليزيد فجأة سنة ثلاث وخمسين، ومروياته في كتب الأحاديث ثمانية وله عقب نقله بعضهم (ومحمد) ويكنى أبا القاسم أمه أسماء بنت عميس الخثعمية وهي من المهاجرات الأول وكانت تحت جعفر بن أبي طالب وهاجرت معه إلى الحبشة ولما استشهد جعفر بمؤتة من أرض الشام تزوجها بعده أبو بكر فولدت له محمدا بذي

الحليفة لخمس ليال بقين من ذي القعدة سنة عشر من الهجرة وهي شاخصة إلى الحج في حجة الوداع مع النبي ﷺ وأبي بكر فأمرها النبي ﷺ أن تغتسل وترحل ثم تهل بالحج وتصنع ما يصنع الحاج إلا أنها لا تطوف بالبيت فكانت سببا لحكم شرعي إلى قيام الساعة رضي الله عنها ولما توفي أبو بكر رضي الله تعالى عنه تزوجها علي بن أبي طالب فنشأ محمد ولدها في حجر علي رضي الله تعالى عنهما وكان معه يوم الجمل وشهد معه صفين وولاه سيدنا عثمان مصر وكتب له العهد فكان سبباً لاستشهاده وولاه أيضاً علي رضي الله تعالى عنه مصر مكان قيس بن سعد بعد رجوعه من صفين وفي تاريخ ابن خلكان وغيره أن علي بن أبي طالب ولى محمد ابن أبي بكر الصديق مصر فدخلها سنة سبع وثلاثين من الهجرة فأقام بها إلى أن بعث معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص في جيوش أهل الشام ومعهم معاوية ابن حديج بحاء مهملة مضمومة ودال مهملة مفتوحة وبالجيم في آخره هكذا ضبطه بعضهم فاقتتلوا وانهزم محمد بن أبي بكر واختفى في بيت مجنونة فمر أصحاب معاوية بن حديج ببيت المجنونة وهي قاعدة على الطريق وكان لها أخ في الجيش فقالت تريدون قتل أخي قالوا لا قالت هذا محمد بن أبي بكر داخل بيتي فأمر معاوية أصحابه فدخلوا إليه وربطوه بالحبال وجروه على الأرض وأتوا به إلى معاوية فقال له محمد احفظني لأبي بكر فقال له قتلت من قومي في قصة عثمان ثمانين رجلاً وأتركك وأنت صاحبه لا والله فقتله في صفر سنة ثمان وثلاثين وأمر به معاوية أن يجر في الطريق ويمر به على دار عمرو بن العاص لما يعلم من كراهته لذلك وأمر به أن يحرق بالنار في جيفة حمار وقيل وضعه حيا في جيفة حمار ميت وأحرقه هذا وسببه دعوة أخته عائشة لما أدخل يده في هودجها يوم الجمل وهي لا تعرفه فظنته أجنبيا فقالت من هذا الذي يتعرض لحريم رسول الله أحرقه الله بالنار قال يا أختاه قولي بنار الدنيا قالت بنار الدنيا (ودفن) في الموضع الذي قتل فيه فلما كان بعد سنة من دفنه أتى غلامه وحفر قبره فلم يجد فيه إلا الرأس فأخرجه ودفنه في المسجد تحت المنارة وقيل في القبلة (وأما البنات) فعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها شقيقة عبد الرحمن تزوجها رسول الله ﷺ وكانت أحب الناس إليه وورد

«قيل من أحب الناس إليك يا رسول الله؟ قال عائشة فقيل ومن الرجال؟ قال أبوها». وقد تقدم الكلام على ما يتعلق بها في الكلام على أزواجه ﷺ (وأسماء) بنت أبي بكر شقيقة عبد الله وهي أكبر بناته وتدعى ذات النطاقين لأنها قطعت نطاقها وربطت به فم الجراب الذي فيه زاد الهجرة وكان في بيت أبي بكر. قالت عائشة في حديث الهجرة فجهزناهما أحسن الجهاز ووضعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب ذكر أهل السيّر أن أسماء بنت أبي بكر قالت لما خفي علينا أمر رسول الله ﷺ أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل فقال أين أبوك؟ فقلت والله لا أدري فلطم خدي لطمة حتى خر منها قرطي ولما لم ندر أين توجه سمعنا صوت جني ولم نر شخصه ينشد أبياتاً فقال:

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أم معبد

إلى آخر الأبيات، فلما سمعنا قوله علمنا أين توجه النبي ﷺ، تزوج أسماء سيدنا الزبير بن العوّام بمكة وولدت له عدة أولاد ذكور وإناث (فأما الذكور) فالمنذر وعبد الله وعروة وهو أحد الفقهاء السبعة (وأما الإناث) فخديجة الكبرى وأم الحسن وعائشة فجملتهن ستة ثلاثة ذكور وثلاث إناث ثم طلقها فكانت مع ولدها عبد الله بن الزبير بمكة حتى قتله الحجاج وغسلته بماء زمزم بمحضر من الصحابة وغيرهم ولم ينكر عليها أحد منهم واستدل به الفقهاء على جواز ازالة النجاسة بماء زمزمٍ فكانت سبباً لاظهار حكم إلى يوم القيامة رضي الله عنها وعاشت بعده قليلاً وعمرت مائة سنة ولم يسقط لها سن وماتت بمكة (وأم كلثوم) وهي أصغر بنات أبي بكر رضي الله تعالى عنه أمها حبيبة بنت خارجة بن زيد كان أبو بكر قد نزل عليه في الهجرة فتزوجها وتوفي عنها وتركها حبلى فولدت بعده أم كلثوم هذه وتزوجها طلحة بن عبيد الله ذكره ابن قتيبة وغيره ولم أقف لها على وفاة.

فصل
في ذكر مناقب سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عدي بن عبد العزى بن رباح ابن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب، يلتقي هو ورسول الله في كعب وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم وكان مولده في السنة الثالثة عشرة من مولده ﷺ وقيل غير ذلك ولم يزل اسمه في الجاهلية والإسلام عمر وكناه رسول الله ﷺ بأبي حفص وهو ولد الأسد وكان يوم بدر ذكره ابن إسحق وسماه رسول الله ﷺ بالفاروق يوم أسلم في دار الأرقم وبه تمّ المسلمون أربعين فخرجوا وأظهروا الإسلام ففرق الله بعمر الحق من الباطل ولما أسلم نزل جبريل وقال يا محمد استبشر أهل السماء بإسلام عمر. وهو أول من دعي أمير المؤمنين وأول من كتب التاريخ وأول من أشار على أبي بكر بجمع القرآن في المصحف وجمع الناس في قيام شهر رمضان وأول من حمل الدرة لتأديب الناس وتعزيرهم ووضع الخراج ومصر الأمصار واستقضى القضاة وكان نقش خاتمه كفى بالموت واعظاً يا عمر وكان يختم بخاتم رسول الله ﷺ. وفي سبب إسلامه رضي الله عنه أقوال أشهرها ما روي أن قريشاً اجتمعت فتشاورت في أمر النبي ﷺ فقالوا أي رجل يقتله؟ فقال عمر بن الخطاب أنا لها فقالوا أنت لها يا عمر فخرج متقلداً سيفه طالباً للنبي ﷺ وكان النبي ﷺ مع أصحابه في منزل حمزة في الدار التي في أصل الصفا فلما خرج عمر إلى الصفا لقيه سعد بن أبي وقاص الزهري فقال أين تريد يا عمر؟ فقال أريد أن أقتل محمداً قال أنت أحقر وأصغر من ذلك فكيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمداً فقال عمر ما أراك إلا قد صبأت وتركت الدين الذي أنت عليه وفي رواية لعلك قد صبأت إلى محمد فأبدأ بك فأقتلك فعند ذلك قال سعد اعلم أني آمنت بمحمد وأشهد أن

لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فسل عمر سيفه وكشف سعد عن سيفه وشد كل واحد منهما على الآخر حتى كادا أن يختلطا فقال سعد ما لك يا عمر لا تصنع هذا بأختك آمنة بنت الخطاب وفي المواهب فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل فقال أأسلما؟ قال نعم فتركه عمر وسار إلى منزل آمنة مسرعاً حتى أتاها وعندهما رجل من الأنصار يقال له خباب بن الأرتّ وهم يقرأون سورة طه فلما سمع خباب صوت عمر توارى في البيت فدخل عمر عليهما فقال ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم؟ فقالا ما عدا حديثاً حدثناه بيننا قال فلعلكما قد صبأتما فقال له ختنه أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك فوثب عمر على ختنه سعيد وبطش بلحيته فتواثبا وكان عمر رجلاً شديداً قوياً فضرب بسعيد الأرض وجلس على صدره فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فلطمها عمر لطمة شج بها وجهها فلما نظرت إلى الدم على وجهها غضبت وقالت يا عدو الله أتضربني على أن أوحد الله؟ قال نعم وفي رواية قالت يا عمر إن كان الحق في غير دينك أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لقد أسلمنا على رغم أنفك فاصنع ما أنت صانع فلما سمعها عمر ندم وقام عن صدر زوجها فقصد ناحية ثم قال اعرضوا عليّ الصحيفة التي كنتم تدرسونها وكان عمر يقرأ الكتب فقالت أخته لا أفعل قال ويحك قد وقع في قلبي ما قلت فأعطينيها أنظر إليها وأعطيك من المواثيق أن لا أخونك حتى تحرزيها حيث شئت قالت له أخته إنك رجس فانطلق فاغتسل أو توضأ فإنه كتاب لا يمسه إلا المطهرون فخرج عمر ليغتسل وخرج إليها خباب بن الأرت فقال أتدفعين كتاب الله إلى عمر وهو كافر؟ قالت نعم إني أرجو أن يهدي الله أخي فدخل خباب البيت وجاء عمر فدفعت إليه الصحيفة فإذا بها بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن إلى قوله إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري فقال عمر عند هذه ينبغي لمن يقول هذا أن لا يعبد معه غيره فقال عمر دلوني على محمد فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت وقال أبشر يا عمر فإني أرجو أن تكون سبقت فيك دعوة رسول الله ﷺ البارحة قال اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام وذكر الدارقطني

أن عائشة قالت إنما قال رسول الله ﷺ اللهم أعز عمر بالإسلام لأن الإسلام يعز ولا يعز فقال عمر يا خباب انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فقام خباب وسعيد معه حتى أتوا منزل حمزة دار الأرقم التي بأصل الصفا فدقوا الباب فخرج بعض الأصحاب فنظر في شق الباب فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله هذا عمر نعوذ بالله من شره فقال افتحوا له الباب فإن جاء بخير قبلناه وإن جاء بشرّ قتلناه ففتح لعمر الباب فدخل فاستقبله رسول الله ﷺ في صحن الدار فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وفي رواية أخذ ساعده وهزه فارتعد عمر هيبة لرسول الله ﷺ وأجلس فقال أما أنت بمنته حتى ينزل الله بك ما أنزل بالوليد بن المغيرة يعني الخزي والنكال اللهم هذا عمر بن الخطاب اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب فقال عمر أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد وفي رواية سمعت بطرف مكة فقال رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا قال بلى والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم فقال ففيم الإخفاء وفي رواية قال يا رسول الله علام نخفي ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل فقال يا عمر إنا قليل وقد رأيت ما لقينا فقال عمر والذي بعثك لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالإيمان ثم خرج في صفين حمزة في أحدهما وعمر في الآخر له كديد ككديد الطحين حتى دخلوا المسجد فنظر قريش إلى عمر وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها فسماه رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق وكان إسلامه رضي الله تعالى عنه بعد إسلام سيدنا حمزة بن عبد المطلب بثلاثة أيام سنة ست على الراجح.

(صفته) كان أبيض اللون يعلوه حمرة أصلع شديد حمرة العينين في عارضيه خفة أضبط وهو الذي يعمل بكلتا يديه على السواء وصفته في التوراة قال وهب قرن من حديد أمين شديد والقرن الجبل الصغير وقد ورد في فضله رضي الله تعالى عنه آيات وأحاديث كثيرة منها ما هو خاص به ومنها ما هو مشترك بينه وبين أبي بكر وقد مر بعضها في ترجمة أبي بكر.

(وهذه نبذة من الأحاديث الخاصة به) عن أم سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ قد كان في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي منهم فهو عمر قال بعضهم المحدث بالكسر على صيغة اسم الفاعل راوي الحديث وبالفتح على صيغة اسم المفعول الملهم صاحب الكشف والمكاشفة ولعله المراد اهـ. وقال رسول الله ﷺ قال لي جبريل ليبكينّ الإسلام على موت عمر رواه الطبراني وقال رسول الله ﷺ لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر رواه الديلمي وقال رسول الله ﷺ لو كان نبي بعدي لكان عمر بن الخطاب رواه الإمام أحمد وقال رسول الله ﷺ لو نزل عذاب ما أفلت إلا ابن الخطاب رواه ابن مردويه وقال رسول الله ﷺ عمر معي وأنا مع عمر والحق مع عمر حيث كان رواه الطبراني وقال رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة رواه البزار وقال رسول الله ﷺ ما لقي الشيطان عمر إلا خرّ لوجهه وما سمع حسه إلا فر رواه الحكيم الترمذي في النوادر وقال ﷺ ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر رواه الترمذي وقال رسول الله ﷺ يا أخي يا عمر لا تنسنا من دعائك رواه الإمام أحمد وقال رسول الله ﷺ كاد أن يصيبنا في خلافك شر يا عمر رواه الديلمي في مسند الفردوس وقال رسول الله ﷺ رضا الرب رضا عمر رواه الحاكم وقال رسول الله ﷺ لو لم أبعث لبعث بعدي عمر رواه الديلمي وقال رسول الله ﷺ يا عمر إنك لذو رأي رشيد في الإسلام رواه أبو داود.

(ومن الأحاديث المشتركة زيادة على ما مر) صالحو المؤمنين أبو بكر وعمر رواه الطبراني. أبو بكر وعمر مني بمنزلة السمع والبصر رواه الترمذي. أبو بكر وعمر سراجا أهل الجنة رواه الديلمي أبو بكر وعمر مني بمنزلة هرون من موسى رواه الخطيب (بويع له بعد موت أبي بكر رضي الله عنه) لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة. ولما دفن أبو بكر رضي الله عنه صعد المنبر فجلس دون مجلس أبي بكر ثم قام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله ﷺ ثم قال: أيها الناس إني داع فأمنوا اللهم إني غليظ فألني إلى أهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك من

غير ظلم مني ولا اعتداء عليهم اللهم إني شحيح فسخني في نوائب المؤن قصد من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة أبتغي بذلك وجهك الكريم والدار الآخرة وارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين فإني كثير الغفلة والنسيان وألهمني ذكرك على كل حال ثم قال ألا ورب الكعبة لأحملنهم على الطريق ثم نزل رضي الله عنه. عن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال استأذن عمر رضي الله تعالى عنه على النبي ﷺ وعنده نسوة من قريش يسألنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته فلما أذن له النبي ﷺ تبادرن الحجاب فدخل ورسول الله ﷺ يضحك فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر فأنت يا رسول الله بأبي وأمي كنت أحق أن يهبنك ثم أقبل عليهن فقال أي عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ قلن نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ ايها يا ابن الخطاب فوالذي نفس محمد بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك وكان في ايامه فتوح الأمصار منها دمشق من أيدي الروم وطبرية وقيسارية وفلسطين وعسقلان وسار بنفسه ففتح بيت المقدس صلحاً وفتحت أيضاً بعلبك وحمص وحلب وقنسرين وأنطاكية وجلولاء والرقة وحران والموصل والجزيرة ونصيبين وآمد والرها والقادسية والمدائن وزال ملك الفرس وانهزم يزدجرد ملك الفرس ولجأ إلى فرغانة والترك وفتحت أيضاً كور دجلة والأبلة وفتحت كور الأهواز والجابية وفتحت نهاوند واصطخر واصفهان وبلاد فارس وتستر وسوس وهمذان والنوبة والبربر وأذربيجان وبعض أعمال خراسان نقله بعضهم عن الرياض النضرة وفتحت مصر على يد عمرو بن العاص غرة المحرم سنة عشرين وفتح أيضاً الاسكندرية وطرابلس الغرب وما يليها من الساحل. وفي حياة الحيوان عد مما فتح في ايامه رأس العين وخابور وبيسان ويرموك والري وما يليها.

(كرامتان): الأولى لما فتح عمرو بن العاص مصر أتاه أهلها وقالوا إن النيل يحتاج في كل سنة إلى جارية بكر من أحسن الجواري فنلقيها فيه وإلا فلا يجري

وتخرب البلاد وتقحط فبعث عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يخبره بالخبر فبعث إليه عمر: الإسلام يجب ما قبله وبعث إليه بطاقة وأمره أن يلقيها في النيل فأخذها عمرو بن العاص فقرأها فإذا فيها «بسم الله الرحمن الرحيم» من عبدالله أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك» فألقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم واحد فلما أصبحوا يوم الصليب أجرى الله النيل ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة وقطع الله تلك السنة السيئة عن أهل مصر ذكرها غير واحد (الثانية) عن عمرو ابن الحرث قال بينما عمر يخطب يوم الجمعة إذ ترك الخطبة ونادى يا سارية الجبل مرتين أو ثلاثاً ثم أقبل على خطبته فقال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ إنه لمجنون ترك الخطبة ونادى يا سارية الجبل فدخل عبد الرحمن بن عوف وكان ينبسط إليه فقال يا أمير المؤمنين تجعل للناس عليك مقالاً بينما أنت في خطبتك إذ ناديت يا سارية الجبل أي شيء هذا فقال والله ما ملكت ذلك حين رأيت سارية وأصحابه يقاتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم فلم أملك أن قلت يا سارية الجبل ليلحقوا بالجبل فلم يمض إلا أيام حتى جاء رسول سارية بكتابه ان القوم لاقونا يوم الجمعة فقاتلناهم من حين صلاة الصبح إلى أن حضرت الجمعة فسمعنا صوت مناد ينادي يا سارية الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله اهـ من الرياض النضرة، قال بعضهم يقال في جبل نهاوند غار سمع منه سارية نداء عمر وإلى الآن يعظم ذلك الغار ويتبرك به.

(نوادر): الأولى رفع إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن الحطيئة آذى الناس بهجائه فاستحضره وأنبه وأوهمه أنه يقطع لسانه فقال الحطيئة بالله يا أمير المؤمنين إلا ما قتلتني فقد هجوت والله أمي وأبي وامرأتي ونفسي فقال له عمر ما الذي قلت في أمك وأبيك؟ قال قلت فيهما:

ولقد رأيتك في النساء فسؤتني — وأبا بنيك فساءني في المجلس

وقلت فيها أيضاً :

تنحي فاجلسي مني بعيداً ... أراح الله منك العالمينا
أغربالاً إذا استودعت سراً ... وكانونا على المتحدثينا

ثم قلت في امرأتي :

أطوّف ما أطوف ثم آوي ... إلى بيت قعيدته لكاع

ثم نظرت في بئر فرأيت وجهي فاستقبحته فقلت :

أبت شفتاي اليوم إلا تكلما ... بشر فما أدري لمن أنا قائله
أرى لي وجهاً قبح الله خلقه ... فقبح من وجه وقبح حامله

فأمر به فسجن ، فكتب إليه بعد أيام يقول :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ ... ضمر الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة ... فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ... ألقت إليك مقاليد النهى البشر
ما آثروك بها إذ قدموك لها ... لا بل لأنفسهم قد كانت الأثر

فأمر به فأحضر فاستتابه وخلى سبيله كذا في المحاضرات (الثانية) مر سيدنا عمر رضي الله عنه في بعض سكك المدينة فسمع امرأة تقول :

ألا طال هذا الليل وازورّ جانبه ... وليس إلى جنبي خليل ألاعبه
فوالله لولا الله تخشى عواقبه ... لحرك من هذا السرير جوانبه
مخافة ربي والحياء يعفني ... وأكرم بعلي أن تنال مراتبه

فسأل عمر رضي الله عنه عنها فقيل له إنها امرأة فلان وله في الغزاة ثمانية أشهر فأمر عمر رضي الله عنه أن لا يغيب الرجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر (الثالثة) ذكر ابن الجوزي في كتابه تلقيح فهوم الأثر عن محمد بن عثمان بن أبي خيثمة السلمي عن أبيه عن جده قال بينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف ذات ليلة في سكك المدينة إذ سمع امرأة تقول :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ... أم من سبيل إلى نصر بن حجاج
إلى فتى ماجد الأعراق مقتبل ... سهل المحيا كريم غير ملجاج
تنميه أعراق صدق حين تنسبه ... أخا وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر رضي الله عنه لا أرى معي بالمدينة رجلاً تهتف العواتق به في خدورهن عليّ بنصر بن حجاج فلما أصبح أتي بنصر بن حجاج فإذا هو من أحسن الناس وجهاً وأحسنهم شعراً فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لتأخذنّ من شعرك فأخذ من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال له اعتمّ فاعتمّ فافتتن الناس بعينيه فقال له عمر والله لا تساكنني في بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ما ذنبي؟ قال هو ما أقول لك ثم سيره إلى البصرة وخشيت المرأة التي سمع عمر منها ما سمع أن يبدو من عمر إليها شيء فدست إليه المرأة أبياتاً وهي :

قل للامام الذي تخشى بوادره ... ما لي وللخمر أو نصر بن حجاج
لا تجعل الظن حقاً أن تبينه ... إن السبيل سبيل الخائف الراجي
إن الهوى زم بالتقوى فتحبسه ... حتى يقر بالجام وإسراج

قال فبكى عمر رضي الله عنه وقال الحمد لله الذي زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الأذان والإقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد خرج في إزار ورداء وبيده الدرة فقالت له يا أمير المؤمنين والله لأقفن أنا وأنت بين يدي الله تعالى وليحاسبنك الله أيبيتن عبد الله وعاصم إلى جنبيك وبيني وبين ابني الفيافي والأودية فقال لها إن ابني لم تهتف بهما العواتق في خدورهن ثم أرسل عمر إلى البصرة بريداً إلى عتبة بن غزوان فأقام أياماً ثم نادى عتبة من أراد أن يكتب إلى أمير المؤمنين فليكتب فان بريداً خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فاسمع الأبيات مني هذه :

لعمري لئن سيرتني أو حرمتني ... وما نلت من عرضي عليك حرام
فأصبحت منفيا على غير ريبة ... وقد كان لي بالمكتين مقام

لئن غنت الذلفاء يوما بمنية — وبعض أماني النساء غرام
ظننت بي الظن الذي ليس بعده — بقاء ومالي جرمة فألام
فيمنعني مما تقول تكرمي — وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تقول صلاتها — وحال لها في قومها وصيام
فهاتان حالانا فهل أنت راجعي — فقد جب مني كاهل وسنام

قال فلما قرأ عمر هذه الأبيات قال أما ولي السلطان فلا وأقطعه داراً بالبصرة ، فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة اهـ من المستطرف.

(فوائد) : الأولى جاء رجل إلى عمر رضي الله عنه يشكو إليه خلق زوجته فوقف ببابه ينتظره فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل قائلاً إذا كان هذا حال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فكيف حالي فخرج عمر فرآه موليا فناداه ما حاجتك يا أخي؟ فقال يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك خلق زوجتي واستطالتها عليّ فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي؟ فقال له عمر تحملتها لحقوق لها عليّ فإنها طباخة لطعامي خبازة لخبزي غسالة لثيابي مرضعة لولدي وليس ذلك بواجب عليها وسكن قلبي بها عن الحرام فأنا أتحملها لذلك فقال الرجل يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي قال فتحملها يا أخي فإنما هي مدة يسيرة اهـ عبد البر من حاشية البجيرمي على المنهج. (الثانية) وقف أعرابي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال :

يا عمر الخير جزيت الجنه — اكس بنياتي وأمهنه
أقسم بالله لتفعلنه

فقال عمر رضي الله عنه فإن لم أفعل يكون ماذا؟ قال :

تكون عن حالي لتسألنه — يوم تكون الأعطيات منه
والواقف المسؤول بينهنه — إما إلى نار وإما جنه

فبكى عمر رضي الله عنه حتى اخضلت لحيته وقال لغلامه يا غلام أعطه

قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره وقال أما والله لا أملك غيره وكان عمر رضي الله عنه يدني يده من النار ثم يقول يا ابن الخطاب هل لك على هذا صبر ويبكي حتى كان بوجهه خطان أسودان من البكاء؟ وكان يقول ألا من يأخذها بما فيها يعني الخلافة ليتني لم أخلق ليت أمي لم تلدني ليتني لم أكن شيئاً ليتني كنت نسيا منسياً.

(الثالثة) خرج عمر رضي الله عنه من المسجد والجارود العبدي معه فبينما هما خارجان إذا بامرأة على ظهر الطريق فسلم عليها عمر فردت السلام ثم قالت رويدك يا عمر حتى أكلمك كلمات قليلة قال لها قولي قالت يا عمر عهدي بك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ تصارع الصبيان فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين فاتق الله في الرعية واعلم أنه من خاف الموت خشي الفوت فبكى عمر رضي الله عنه فقال الجارود هيه قد اجترأت على أمير المؤمنين وأبكيته فقال عمر دعها أما تعرف هذه يا جارود هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من فوق سبع سموات فعمر والله أحرى أن يسمع كلامها أراد بذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾.[1] (الرابعة) روي من حديث أسلم وهو عبد من عبيد سيدنا عمر بن الخطاب قال خرجنا مع عمر بن الخطاب إلى حمرة واف كما في رواية وهي منزلة بظاهر المدينة فرأى ناراً فقال يا أسلم انظر إلى تلك النار هل هو ركب أضرّ بهم الليل والبرد فقلت لا أعلم يا أمير المؤمنين قال انطلق بنا إليهم قال فخرجنا نهرول فإذا امرأة معها صغار ولها قدر منصوب على نار وصبيانها يبكون قال عمر رضي الله عنه السلام عليكم يا أهل هذا الضوء وكره أن يقول يا أهل هذه النار، فقالت المرأة وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ادن بخير أو فدع فقال لها ما بال هذه الصبية يتضاغون؟ قالت من الجوع قال فما هذا القدر؟ قالت ماء أسكتهم به حتى يناموا والله بيننا وبين عمر قال إي يرحمك الله وما يدري عمر بكم؟ قالت يتولى أمرنا ثم يتغافل عنا قال فأقبل عليّ فقال انطلق بنا فخرجنا حتى أتينا دار الدقيق فأخرجنا عدلاً من دقيق وكبة من شحم فقال احمله عليّ فقلت أنا أحمله عنك فقال أنت تحمل وزري لا أم لك فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه إليها وهو

(١) سورة المجادلة ١.

يهرول حتى أتينا إليها فألقى ذلك العدل عندها فأخرج قطعة من دهن وألقاها في القدر وجعل يقول للمرأة ذري وأنا أحرك لك كذا في المحاضرات ، وفي رواية قال أسلم والله لقد رأيت أمير المؤمنين وهو ينفخ في النار والدخان يخرج من خلال شعر ذقنه حتى طبخ القدر ثم أنزله بيده وقال لها أعطيني شيئاً فأتته بقصعة أو قال بصحفة فأفرغ الطعام فيها وقال لهم كلوا وأنا أسطح لكم ثم توارى من المرأة وجعل يربض كما يربض السبع وأنا أقول يا أمير المؤمنين ما خلقت لهذا فلم يلتفت إليّ حتى رأيت الصغار يضحكون ثم قام وقاموا وهو يضحك ويحمد الله تعالى ثم جعل يده على يدي ثم قصدنا المدينة وقال لي يا أسلم إن الجوع عدو وقد رأيتهم وهم يبكون فأحببت أن أفارقهم وهم يضحكون. (الخامسة) قال الأعمش كنت جالساً عنده يوماً فأتي بمائتين وعشرين ألف درهم فلم يقم من مجلسه حتى فرقها وكان إذا أعجبه شيء من ماله تصدق به وكان كثيراً ما يتصدق بالسكر فقيل له في ذلك فقال إني أحبه وقد قال الله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.[1] (السادسة) أعتق رضي الله عنه ألف عبد كان إذا رأى عبداً من عبيده ملازماً للصلاة أعتقه فقيل له إنهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له. (السابعة) قيل لما رجع عمر رضي الله عنه من الشام إلى المدينة انفرد عن الناس ليتعرف أخبار رعيته فمر بعجوز في خباء لها فقصدها فقالت ما فعل عمر رضي الله عنه قال قد أقبل من الشام سالماً فقالت يا هذا لاجزاه الله خيراً عني قال ولم؟ قالت لأنه ما أنالني من عطاياه منذ ولي أمر المسلمين ديناراً ولا درهماً فقال وما يدري عمر بحالك وأنت في هذا الموضع؟ قالت سبحان الله والله ما ظننت أن أحداً يلي على الناس ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها فبكى عمر رضي الله عنه وقال واعمراه كل واحد أفقه منك حتى العجائز يا عمر ثم قال يا أمة الله بكم تبيعيني ظلامتك من عمر فإني أرحمه من النار؟ فقالت لا تهزأ بنا يرحمك الله فقال عمر لست أهزأ بك ولم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين ديناراً فبينا هو كذلك إذ أقبل علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما فقالا السلام عليك يا أمير المؤمنين فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت

(١) سورة آل عمران ٩٢.

واسوأتاه شتمت أمير المؤمنين في وجهه فقال لها عمر رضي الله عنه لا بأس عليك يرحمك الله ثم طلب قطعة جلد يكتب فيها فلم يجد فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولي الخلافة إلى يوم كذا وكذا بخمسة وعشرين ديناراً مما تدّعي عليه عند وقوفه في المحشر بين يدي الله تعالى فعمر بريء منه شهد على ذلك علي وابن مسعود ثم دفعها إلى ولده وقال إذا أنا مت فاجعلها في كفني ألقى بها ربي اهـ من إعلام الناس.

(لطيفة) لما استخلف عمر رضي الله عنه حمل إليه مال يفرقه فبدأ بالحسن والحسين رضي الله عنهما فالتفت إليه ولده عبد الله وقال يا أبت أنا أحق أن تقدمني بالعطية لمكانك في الخلافة فقال له هات لك أبا كأبيهما أو جداً كجدهما حتى أقدمك بالعطية فأعادا مقالة عمر على أبيهما رضي الله عنه فالتفت إليهما وقال سيرا له وفرحاه بأني سمعت رسول الله ﷺ يقول عن جبريل عن الله عز وجل : «إن عمر سراج أهل الجنة فجاءا وبشراه بذلك ففرح فرحاً شديداً وقال خذا بهذا الذي ذكرتما خط علي رضي الله عنه فجاءا إليه وأخذا خطه بذلك فلما دنا قبض عمر رضي الله عنه قال لولده إذا مت فادفنوا معي خط الإمام علي رضي الله عنه ففعل ذلك نقله الإسحاقي. عن الأوزاعي أن عمر بن الخطاب خرج في سواد الليل فرآه طلحة فذهب عمر فدخل بيتا آخر فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا عجوز عمياء مقعد فقال لها ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى فقال طلحة ثكلتك أمك يا طلحة لعثرات عمر تتبع ومناقبه الحسنة وسيرته المستحسنة وزهده وشجاعته وهيبته مشهورة وحسبك أنه كان وزير رسول الله ﷺ. (وكان كاتبه) عبد الرحمن بن خلف الخزاعي وزيد بن ثابت وزيد بن أرقم (وأما قضاته) فزيد بن أبي النمر بالمدينة وأبو أمية شريح بن الحرث الكندي بالكوفة وكان القاضي بمصر قيس بن العاص السهمي ثم كعب بن يسار وحاجبه مولاه يرفأ وقيل اسمه بشر. (وأما أمراؤه) فكان بمصر عمرو بن العاص السهمي ثم صرفه عن الصعيد ورد أمره إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري وكان أمير الشام معاوية بن أبي سفيان

نقله بعض المؤرخين واستعمل أول سنة. ولى على الحج عبد الرحمن بن عوف فحج بالناس ثم لم يزل عمر يحج بالناس في خلافته كلها فحج بها عشر سنين وحج بأزواج النبي ﷺ في آخر حجة حجها قال ابن عباس حججت مع عمر إحدى عشرة حجة واعتمر في خلافته ثلاث مرات وقالت عائشة رضي الله عنها لما كانت آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين مررت بالمحصب فسمعت رجلاً على راحلته يقول أين كان عمر أمير المؤمنين وسمعت رجلاً آخر يقول ههنا قد كان فأناخ راحلته ورفع عقيرته وقال:

عليك سلام من إمام وباركت	يد الله في ذاك الأديم الممزق
فمن يسع أو يركب جناحي نعامة	ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق
قضيت أموراً ثم غادرت بعدها	بوائق في أكمامها لم تفتق

قالت عائشة فلم ندر ذلك الراكب من هو فكنا نحدث أنه من الجن قالت فقدم عمر من تلك الحجة فطعن فمات كذا في المحاضرات وغيره. وعن سعيد بن المسيب قال حج عمر رضي الله عنه فلما كان بضجنان قال لا إله إلا الله العظيم المعطي لمن شاء كنت أرعى إبل الخطاب بهذا الوادي في مدرعة صوف وكان فظاً يتعبني إذا عملت ويضربني إذا قصرت وقد أصبحت وأمسيت ليس بيني وبين الله أحد ثم تمثل بهذه الأبيات:

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته	يبقى الاله ويودي المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه	والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له	والإنس والجن فيما بينها ترد
أين الملوك التي كانت لعزتها	من كل أوب إليها وافد يفد
حوض هناك مورود بلا كذب	لا بد من ورد يوما كما وردوا

وعن سعيد بن المسيب أيضاً لما صدر عمر بن الخطاب من منى أناخ بالأبطح ثم كوّم كومة بطحاء ثم طرح عليها رداء فاستلقى ثم مد يديه إلى السماء فقال اللهم كبر سني وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط ثم قدم المدينة فخطب الناس فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل.

فصل
في ذكر نبذة من كلامه رضي الله عنه

كان رضي الله عنه يقول: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسول الله وكان رضي الله عنه يقول لولا خوف الحساب لأمرت بكبش يشوى لنا في التنور وكان رضي الله عنه يقول من خاف من الله تعالى لم يشف غيظه ومن يتق الله لم يضيع ما يريد وصعد يوماً إلى المنبر فقال الحمد لله الذي صيرني ليس فوقي أحد فقيل له ما حملك على ما تقول؟ فقال إظهار الشكر ثم نزل وكان يقول ليتني كنت كبشا أهلي سمنوني ما بدا لهم ثم ذبحوني فأكلوني وأخرجوني عذرة ولم أكن بشرا. ولما مرض كانت رأسه في حجر ولده عبد الله فقال له يا ولدي ضع رأسي على الأرض فقال له عبد الله وما عليك أن كانت على فخذي أم على الأرض؟ فقال ضعها على الأرض فوضع عبد الله رأسه على الأرض فقال ويلي وويل أمي ان لم يرحمني ربي ثم قال وددت أن أخرج من الدنيا كما دخلت لا أجر لي ولا وزر عليّ. وكان رضي الله عنه إذا وقع بالمسلمين أمر يكاد يهلك اهتماماً بأمرهم وكان يأتي المجزرة ومعه الدرة فكل من رآه يشتري لحماً يومين متتابعين يضربه بالدرة ويقول له هلا طويت بطنك لجارك وابن عمك وأبطأ يوما عن الخروج لصلاة الجمعة ثم خرج فاعتذر إلى الناس وقال إنما حبسني عنكم ثوبي هذا كان يغسل وليس عندي غيره وحج رضي الله عنه من المدينة إلى مكة فلم يضرب فسطاطا ولا خباء حتى رجع وكان إذا نزل يلقى له كساء أو نطع على شجرة فيستظل بذلك وكان رضي الله عنه لا يجمع في سماطه بين أدمين وقدمت إليه حفصة مرقا بارداً وصبت عليه زيتاً فقال أدمان في إناء واحد لا آكله حتى ألقى الله عز وجل وكان في قميصه أربع رقاع بين كتفيه وكان إزاره مرقوعاً بقطعة من

جراب وعدّوا مرة في قيصه أربع عشرة رقعة إحداها من أدم أحمر. وكان رضي الله عنه أبيض يعلوه حمرة وإنما صار في لونه سمرة في عام الرمادة حين أكثر من أكل الزيت توسعة على الناس أيام الغلاء فترك لهم اللحم والسمن واللبن وكان قد حلف أنه لا يأكل إداما غير الزيت حتى يوسع الله على المسلمين ومكث الغلاء تسعة أشهر وكانت الأرض صارت سوداء مثل الرماد وكان يخرج يطوف على البيوت ويقول من كان محتاجاً فليأتنا وكان يقول اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد ﷺ على يدي ، أورد ذلك كله الشعراني في طبقاته. ومن كلامه أيضاً حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا فإنه أهون عليكم من الحساب غداً ، ومن كلامه أيضاً من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون.

(تتمة في الكلام على وفاته وأولاده رضي الله عنه) روي أن عمر كان لا يأذن لمشرك قد احتلم أن يدخل المدينة حتى كتب إليه المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يستأذنه في غلام صنع اسمه فيروز أبو لؤلؤة فقال إن لديه أعمالاً كثيرة حداد ونقاش ونجار ومنافع للناس فأذن له فأرسل به المغيرة وضرب عليه المغيرة مائة درهم في كل شهر فجاء الغلام إلى عمر واشتكى فقال له عمر ما تحسن من الأعمال؟ فذكرها فقال له عمر ما خراجك بكثير وعن أبي رافع قال كان أبو لؤلؤة عبداً للمغيرة بن شعبة وكان يصنع الأرحاء وكان المغيرة كل يوم يستغله أربعة دراهم فلقي أبو لؤلؤة عمر فقال يا أمير المؤمنين إن المغيرة أثقل عليّ غلتي فكلمه لي يخفف عني فقال له عمر اتق الله وأحسن إلى مولاك فغضب العبد وقال وسع الناس كلهم عدله غيري فأضمر على قتله فاصطنع خنجراً له رأسان وسمه ثم أتى به الهرمزان فقال كيف ترى هذا فقال إنك لا تضرب بهذا أحداً الا قتله انتهى من الرياض النضرة. حكى الطبري قال جاء كعب الأحبار إليه رضي الله عنه فقال له يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت بعد ثلاث فقال عمر وما يدريك؟ قال أجد صفتك وحليتك في التوراة وإنه قد اقترب أجلك وكان عمر رضي الله عنه حينئذ لا يجد وجعاً ولا ألماً فلما كان الغد جاء كعب الأحبار وقال يا أمير المؤمنين ذهب

يومان وبقي يوم وليلة قال فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجلاً فاذا استوت الصفوف جاء هو ينظر في الناس فدخل أبو لؤلؤة في الناس وفي يده الخنجر الذي له الرأسان نصابه في وسطه فضرب عمر ثلاث ضربات وفي رواية ستا إحداهن تحت سرته وهي التي قتلته وقتل معه كليب بن النضر الليثي فلما وجد رضي الله عنه حر الحديد سقط في الأرض وقال أفي الناس عبد الرحمن بن عوف؟ قالوا نعم يا أمير المؤمنين قال فليتقدم يصلي بالناس فصلى عبد الرحمن بن عوف وعمر طريح على الأرض ثم حمل إلى داره ثم قال لولده وقيل لعبد الله بن عباس اخرج فانظر من قتلني فقال له يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فقال الحمد لله الذي لم يجعل قتلي إلا على يد رجل لم يسجد لله سجدة واحدة يا عبد الله اذهب إلى عائشة فاسألها هل تأذن لي أن أدفن مع النبي ﷺ وأبي بكر يا عبد الله ان اختلف القوم فكن مع الأكثر ولو ثلاثة يا عبد الله ائذن للناس أن يدخلوا قال فجعل الناس يدخلون من المهاجرين والأنصار فيسلمون عليه ويقول لهم أعن ملأ منكم كان هذا فيقولون معاذ الله ودخل في الناس كعب فلما نظر إليه عمر أنشأ يقول:

واعدني كعب ثلاثة أعدها ولا شك أن القول ما قاله كعب

وما بي حذار الموت إني لميت ولكن حذار الذنب يتبعه ذنب

وفي رواية قتل أبو لؤلؤة لعنه الله سبعة في مسجد رسول الله ﷺ وجرح جماعة فأخذ عبد الرحمن بن عوف بساطاً ورماه عليه وقبضه ولما رأى الكلب أنه قد أخذ قتل نفسه وكان طعن عمر رضي الله عنه يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وبقي ثلاثة أيام وتوفي لأربع بقين من ذي الحجة وقيل توفي يوم الاثنين وعاش ثلاثاً وستين سنة وقيل خمساً وقيل غير ذلك وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر إلا يوما وصلى عليه صهيب بن سنان الرومي ودفن في حجرة عائشة رضي الله عنها. ومروياته في كتب الأحاديث خمسمائة حديث واثنان وثلاثون حديثاً كذا في المسامرات.

(وأما أولاده رضي الله عنه) فثلاثة عشر ولداً تسعة بنين وأربع بنات. أما الذكور فعبد الله ويكنى أبا عبد الرحمن آمن بمكة في صغره مع أبيه وهاجر معه وهو ابن عشر سنين وشهد المشاهد كلها بعد بدر وأحد وكان يوم أحد ابن أربع عشرة سنة ومات بمكة ودفن بفخ بالفاء والخاء المعجمة المشددة موضع قريب من مكة وهو ابن أربع وثمانين سنة وله عقب ومروياته ألف وستمائة وثلاثون حديثاً وعبد الرحمن الأكبر شقيقه وأمها زينب بنت مظعون الجمحي أدرك النبي ﷺ ولم يحفظ عنه وزيد الأكبر وأمه أم كلثوم بنت الإمام علي كرم الله وجهه بنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ويقال إنه رمي بحجر بين حيين في حرب فمات ولا عقب له ويقال إنه مات هو وأمه في ساعة واحدة فلم يرث أحدهما من الآخر وصلى عليهما عبد الله بن عمر وقدم زيداً على أمه فصار سنة وكان بسببهما حكمان، وعاصم وأمه أم كلثوم جميلة بنت عاصم بن ثابت وعاصم هذا هو الذي تزوج بابنة المرأة التي كانت تغش اللبن. فعن أبي وائل قال مر عمر رضي الله عنه بعجوز تبيع لبناً معها في سوق الليل فقال لها يا عجوز لا تغشي المسلمين وزوار بيت الله ولا تشوبي اللبن بالماء فقالت نعم يا أمير المؤمنين ثم مر بعد ذلك فقال لها يا عجوز ألم أتقدم إليك أن لا تشوبي لبنك بالماء فقالت والله ما فعلت فتكلمت ابنة لها من داخل الخباء فقالت يا أمه أغشاً وكذباً جمعت على نفسك فسمعها عمر فهم بمعاقبة العجوز فتركها لكلام ابنتها ثم التفت إلى بنيه فقال أيكم يتزوج هذه فلعل الله عز وجل أن يخرج منها نسمة طيبة مثلها فقال عاصم بن عمر أنا أتزوجها يا أمير المؤمنين فزوجها إياه فولدت له أم عاصم فتزوج أم عاصم عبد العزيز بن مروان فولدت له عمر بن عبد العزيز ثم تزوج بعدها حفصة ففيها قيل ليست حفصة من رجال أم عاصم وتوفي عاصم سنة سبعين وله عقب وعياض وأمه عاتكة بنت زيد وزيد الأصغر وعبيد الله أمهما مليكة بنت جرول الخزاعية، وكان عبيد الله شديد البطش لما قتل عمر والده رضي الله عنه جرد سيفه وقتل الهرمزان وجفينة وهو رجل نصراني من أهل الحيرة وقتل بنتاً صغيرة لأبي لؤلؤة قاتل عمر والده فأخذ عبيد الله ليقتص منه فاعتذر بأن عبد الرحمن بن أبي بكر

أخبره أنه رأى أبا لؤلؤة والهرمزان وجفينة يدخلون في مكان يتشاورون وبينهم خنجر له رأسان مقبضه في وسطه فقتل عمر صبيحة تلك الليلة فاستدعى عثمان رضي الله عنه عبد الرحمن فسأله في ذلك فقال انظروا إلى السكين فان كانت ذات طرفين فلا أرى القوم إلا وقد اجتمعوا على قتله فنظروا اليها فوجدوها كما وصف عبد الرحمن فقال عمرو بن العاص قتل أمير المؤمنين بالأمس ويقتل ابنه اليوم لا والله لا يكون هذا أبداً فترك عثمان قتل عبيد الله ثم لحق عبيد الله بمعاوية وقتل في صفين معه وله عقب وأخو زيد الأصغر وعبيد الله لأمها عبد الله بن أبي جهم بن حذيفة وحارثة بن وهب الخزاعي وعبد الرحمن الأوسط أمه لهية أم ولد وعبد الرحمن الأصغر أمه أم ولد ويكنى أحد الثلاثة أبا شحمة ويلقب آخر مجبراً، فأما أبو شحمة فهو الذي ضربه عمر في الحد حتى مات ولا عقب له، وأما مجبر فكان له عقب فبادوا ولم يبق منهم أحد ذكره ابن قتيبة. وفي أسد الغابة عبد الرحمن الأصغر هو أبو المجبر والمجبر أيضاً اسمه عبد الرحمن وإنما قيل له المجبر لأنه وقع وهو غلام فتكسر فأتي به إلى عمته حفصة أم المؤمنين فقيل لها انظري إلى ابن أخيك انكسر فقالت ليس بالمنكسر ولكنه المجبر قاله أبو عمر وقال الدارقطني عبد الرحمن الأوسط هو أبو شحمة المجلود في الحد، وقطع به عن عمرو بن العاص قال: بينا أنا بمنزلي بمصر إذ قيل لي هذا عبد الرحمن بن عمر وأبو سروعة يستأذنان عليك وفي رواية غيره عبد الرحمن ورجل يعرف بعقبة بن الحارث فقلت يدخلان فدخلا وهما منكسران فقالا أقم علينا حد الله فإنا أصبنا البارحة شراباً وسكرنا قال فزبرتهما وطردتهما فقال عبد الرحمن إن لم تفعله أخبرت والدي إذا قدمت عليه فعلمت أني إن لم أقم عليهما الحد غضب علي عمر وعزلني فأخرجتهما إلى صحن الدار فضربتهما الحد ودخل عبد الرحمن ناحية إلى بيت في الدار فحلق رأسه وكانوا يحلقون مع الحدود والله ما كتبت إلى عمر بحرف مما كان حتى إذا كتابه جاءني فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر إلى عمرو بن العاص عجبت لك وجراءتك عليّ وخلافك عهدي فما أراني إلا عازلك تضرب عبد الرحمن في بيتك وتحلق رأسه في بيتك وقد عرفت أن هذا يخالفني إنما عبد الرحمن

رجل من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين ولكن قلت هو ابن أمير المؤمنين وعرفت أن لا هوادة لأحد من الناس عندي في حق فاذا جاءك كتابي هذا فابعث به في عباءة على قتب حتى يعرف سوء ما صنع فبعث به كما قال أبوه وكتب عمرو إلى عمر يعتذر اليه إني ضربته في صحن داري وبالله الذي لا يحلف بأعظم منه إني لأقيم الحدود في صحن داري على المسلم والذمي وبعث بالكتاب مع عبد الرحمن بن عمر فقدم به عبد الرحمن على أبيه فدخل وعليه عباءة ولا يستطيع المشي من سوء مركبه فقال يا عبد الرحمن فعلت وفعلت فكلمه عبد الرحمن بن عوف وقال يا أمير المؤمنين قد أقيم عليه الحد فلم يلتفت اليه فجعل عبد الرحمن يصيح ويقول إني مريض وأنت قاتلي قال فضربه الحد ثانية وحبسه فرض ثم مات. وعن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لقد رأيت عمر وقد أقام الحد على ولده فقتله فيه فقيل له يا ابن عم رسول الله حدثنا كيف أقام الحد على ولده فقتله فيه؟ فقال كنت ذات يوم في المسجد وعمر جالس والناس حوله إذ أقبلت جارية فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال عمر وعليك السلام ورحمة الله ألك حاجة؟ قالت نعم خذ ولدك هذا مني فقال عمر إني لا أعرفه فبكت الجارية وقالت يا أمير المؤمنين إن لم يكن من ظهرك فهو ولد ولدك فقال أيّ أولادي؟ قالت أبو شحمة فقال أبحلال أم بحرام؟ فقالت من قبلي بحلال ومن جهته بحرام قال عمر وكيف ذلك اتقي الله ولا تقولي إلا حقاً قالت يا أمير المؤمنين كنت مارة في بعض الأيام إذ مررت بحائط بني النجار إذ أتاني ولدك أبو شحمة يتمايل سكراً وكان شرب عند نسيكة اليهودي قالت ثم راودني عن نفسي وجرني إلى الحائط ونال مني ما ينال الرجل من المرأة وقد أغمي عليّ فكتمت أمري عن عمي وجيراني حتى أحسست بالولادة فخرجت إلى موضع كذا وكذا فوضعت هذا الغلام وهممت بقتله ثم ندمت على ذلك فاحكم بحكم الله بيني وبينه فأمر عمر منادياً فنادى فأقبل الناس يهرعون إلى المسجد ثم قام عمر فقال لا تفرقوا حتى آتيكم ثم خرج فقال يا ابن عباس أسرع معي فلم يزل حتى أتى منزله فقرع الباب وقال ههنا ولدي أبو شحمة فقيل له إنه على الطعام فدخل عليه وقال كل يا بنيّ

فيوشك أن يكون آخر زادك مـ الدنيا قال ابن عباس فلقد رأيت الغلام وقد تغير لونه وارتعد وسقطت اللقمة من يده فقال عمر يا بنيّ من أنا؟ فقال أنت أبي وأمير المؤمنين فقال فلي حق طاعة أم لا؟ قال لك طاعتان مفترضتان لأنك والدي وأمير المؤمنين قال عمر بحق نبيك وبحق أبيك هل كنت ضيفاً لنسيكة اليهودي فشربت الخمر عنده فسكرت؟ قال قد كان ذلك وقد تبت فإن رأس مال المؤمنين التوبة قال يا بنيّ أنشدك بالله هل دخلت حائط بني النجار فرأيت امرأة فواقعتها؟ فسكت وبكى قال عمر لا بأس اصدق يا بني فان الله يحب الصادقين قال قد كان ذلك وأنا تائب نادم فلما سمع ذلك عمر منه قبض على يده ولببه وجره إلى المسجد فقال يا أبت لا تفضحني وخذ السيف واقطعني إرباً إرباً قال أما سمعت قوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين؟ ثم جره إلى بين يدي أصحاب رسول الله ﷺ في المسجد وقال صدقت المرأة وأقر أبو شحمة بما قالت وكان له مملوك يقال له أفلح فقال يا أفلح خذ ابني هذا إليك واضربه مائة سوط ولا تقصر في ضربه فقال لا أفعل وبكى فقال يا غلام إن طاعتي طاعة لله ورسوله ﷺ فافعل ما آمرك به قال فنزع ثيابه وضج الناس بالبكاء والنحيب وجعل الغلام يشير إلى أبيه يا أبتي ارحمني فقال له عمر وهو يبكي وإنما أفعل هذا كي يرحمك الله ويرحمني ثم قال يا أفلح اضرب فضربه وهو يستغيث وعمر يقول اضربه حتى بلغ سبعين فقال يا أبت اسقني شربة من ماء فقال يا بني إن كان ربك يطهرك فيسقيك محمد ﷺ شربة لا تظمأ بعدها أبداً يا غلام اضربه فضربه حتى بلغ ثمانين فقال يا أبت السلام عليك فقال وعليك السلام إن رأيت محمداً أقرئه مني السلام وقل له خلفت عمر يقرأ القرآن ويقيم الحدود يا غلام اضربه فلما بلغ تسعين انقطع كلامه وضعف فرأيت أصحاب رسول الله ﷺ قالوا يا عمر انظر كم بقي فأخره إلى وقت آخر فقال كما لم تؤخر المعصية لا تؤخر العقوبة وجاء الصريخ إلى أمه فجاءت باكية صارخة وقالت أحج بكل سوط حجة ماشية وأتصدق بكذا وكذا درهماً فقال إن الحج والصدقة لا ينوبان عن الحد فضربه فلما كان آخر سوط سقط الغلام ميتاً فصاح وقال يا بني محص الله عنك الخطايا ثم جعل رأسه في حجره وجعل

يبكي ويقول بأبي من قتله الحق بأبي من مات عند انقضاء الحد بأبي من لم يرحمه أبوه وأقاربه فنظر الناس اليه فاذا هو قد فارق الدنيا فلم نر يوماً أعظم منه وضج الناس بالبكاء والنحيب فلما كان بعد أربعين يوماً أقبل حذيفة بن اليمان صبيحة يوم الجمعة فقال إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام وإذا الفتى معه وعليه حلتان خضراوان وقال رسول الله ﷺ أقرئ عمر مني السلام وقل هكذا أمرك الله أن تقرأ القرآن وتقيم الحدود وقال الغلام يا حذيفة أقرئ أبي مني السلام وقل له طهرك الله كما طهرتني أخرجه الديلمي في كتاب المنتقى اهـ من الرياض النضرة وخرجه غير الديلمي مختصراً بتغيير اللفظ . (**وأما البنات الأربع**) فحفصة زوج النبي ﷺ وهي شقيقة عبد الله وعبد الرحمن الأكبر ، ورقية وهي شقيقة زيد الأكبر تزوجها ابراهيم بن نعيم بن عبد الله فماتت عنده ولم تلد له ، وفاطمة أمها أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة تزوجها ابن عمها عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب فولدت له عبد الله ذكره الدارقطني وزينب أمها فكيهة تزوجها عبد الله بن سراقة العدوي وروت عن أختها حفصة ذكره ابن قتيبة وغيره .

فصل
في ذكر مناقب سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه

هو أبو عبد الله عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف يلتقي هو ورسول الله ﷺ في عبد مناف فبين عثمان وعبد مناف أربعة آباء وبين النبي وعبد مناف ثلاثة فهو أقرب الأربعة إلى رسول الله ﷺ بعد علي رضي الله عنه. وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف وأمها أم حكيم بنت عبد المطلب وأسلمت رضي الله عنها قديماً وهاجرت الهجرتين. وولد عثمان رضي الله عنه بالطائف في السنة السادسة من عام الفيل وكان إسلامه على يد أبي بكر رضي الله عنهما قبل دخول النبي دار الأرقم وهو ابن تسع وثلاثين سنة وقيل ثلاث وثلاثين سنة قال ابن إسحق هو أول الناس إسلاماً بعد أبي بكر وعليّ وزيد بن حارثة وهو ثالث الخلفاء وشهد المشاهد كلها إلا بدراً قيل خلفه النبي لأجل ابنته رقية بمرضها وضربَ له بسهمه وأجره ولذا يعدّ من أهل بدر فكان كمن شهدها وبايع عنه رسول الله ﷺ بيده في بيعة الرضوان ودعا له بالخصوصية غير مرة فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رمقت رسول الله ﷺ من أول الليل إلى طلوع الفجر يقول: «اللهم اني رضيت عن عثمان فارض عنه». وقال رسول الله ﷺ: «غفر الله لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة». وهذه نبذة من الأحاديث الواردة في فضله قال رسول الله ﷺ: «أشدّ أمتي حياء عثمان بن عفان». رواه الطبراني وقال رسول الله ﷺ: «عثمان في الجنة». رواه ابن عساكر وقال رسول الله ﷺ: «عثمان أحيا أمتي وأكرمها». رواه أبو نعيم وقال رسول الله ﷺ: «عثمان حيي تستحي منه الملائكة». رواه ابن عساكر وقال رسول الله ﷺ:

«عثمان رفيقي معي في الجنة». وقال رسول الله ﷺ : «عثمان وليي في الدنيا والآخرة». وقال رسول الله ﷺ : «رحمك الله يا عثمان ما أصبت من الدنيا ولا أصابت منك». وقال رسول الله ﷺ : «يا عثمان إنك ستبلى بعدي فلا تقاتلن». وقال رسول الله ﷺ : «يوم يموت عثمان يصلّي عليه ملائكة السماء». وقال رسول الله ﷺ : «يشفع عثمان في سبعين ألفاً عند الميزان ممن استوجبوا النار». وأخرج ابن عدي عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما زوّج النبي ﷺ بنته أم كلثوم لعثمان رضي الله عنه قال لها: «إن بعلك أشبه الناس بجدك ابراهيم عليه السلام وأبيك محمد». وروي عن عليّ رضي الله عنه أنه قال: دخل عثمان رضي الله عنه على النبي ﷺ وركبته بادية فغطى رسول الله ﷺ ركبته فقيل له دخل عليك أبو بكر وعمر وعلي فلم تغطها؟ فقال رسول الله ﷺ : «إني لأستحيي ممن استحيت منه الملائكة». وعن جابر رضي الله عنه أني رسول الله ﷺ بجنازة رجل فلم يصلِّ عليها فقيل له يا رسول الله ما نراك تركت الصلاة على أحد قبل هذا؟ قال: إنه كان يبغض عثمان فأبغضه الله عزّ وجل.

(نادرة) عن أبي قلابة قال كنت بالشام مع رفقة فسمعت رجلاً يقول: واويلاه من النار فقمت إليه وإذا رجل مقطوع اليدين والرجلين أعمى العينين منكبّ على وجهه فسألته عن حاله فقال إني كنت ممن دخل على عثمان يوم الدار فلما دنوت منه صرخت زوجته فلطمتها فقال عثمان ما لك قطع الله يديك ورجليك وأعمى عينيك وأدخلك النار. قال فأخذتني رعدة عظيمة وخرجت هارباً ولم يبق من دعائه إلا النار.

(موعظة من مواعظ سيدنا عثمان رضي الله عنه) عن يزيد بن عثمان قال آخر خطبة خطبها عثمان: أيها الناس إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة فلم يعطكموها لتركنوا إليها إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى لا تبطرنّكم الفانية ولا تشغلنّكم عن الباقية آثروا ما يبقى على ما يفنى فإن الدنيا منقطعة وإن المصير إلى الله، اتقوا الله فإن تقواه جنة من بأسه ووسيلة عنده، واحذروا من الله الغيرة،

والزموا جماعتكم لا تصيروا أحداثاً ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً .

(صفة عثمان رضي الله عنه) كان أبيض اللون ، وقيل أسمر رقيق البشرة كثير شعر الرأس عظيم اللحية ، وكان ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير حسن الوجه ضخم الكراديس بعيد ما بين المنكبين وكان يصفر لحيته ويشد أسنانه بالذهب ، عن عبد الله بن حزام المازني قال : رأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه فما رأيت قط ذكراً ولا أنثى أحسن وجهاً منه وبويع له بعد وفاة عمر رضي الله عنه يوم الاثنين لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين واستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين ، وقيل يوم السبت غرة المحرم سنة أربع وعشرين بعد دفن عمر بثلاثة أيام . قال في المختصر : ولما كان في اليوم الثالث من وفاة عمر خرج عبد الرحمن بن عوف وعليه عمامته التي عممه بها رسول الله ﷺ متقلداً سيفه وصعد المنبر ثم قال : أيها الناس إني سألتكم سراً وجهراً عن إمامكم فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين إما عليّ وإما عثمان وقال قم يا علي فقام علي فوقف تحت المنبر وأخذ عبد الرحمن بيده وقال هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر فقال اللهم لا ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي فأرسل يده ثم نادى قم يا عثمان فقام فأخذ بيده وقال أبايعك فهل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة رسوله وفعل أبي بكر وعمر فقال اللهم نعم فرفع رأسه إلى سقف المسجد وقال : اللهم اسمع قد خلعت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان فازدحم الناس يبايعون عثمان وقعد عبد الرحمن مقعد النبي ﷺ من المنبر وقعد عثمان في الدرجة الثانية تحته فجعل الناس يبايعونه ، ويقال لسيدنا عثمان ذو النورين لأن النبي ﷺ زوجه ابنته رقية فلما ماتت زوجه أم كلثوم فلما ماتت قال لو كان عندي ثالثة لزوجتكها ، وفي أسد الغابة لو كان لنا ثالثة لزوجناك . وفي أسد الغابة أيضاً عن أبي محبوب عقبة بن علقمة قال : سمعت علي بن أبي طالب يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لو أن لي أربعين بنتاً لزوجت عثمان واحدة بعد واحدة حتى لا تبقى منهن واحدة» .

(**نكتة**) قيل للمهلب بن أبي صفرة لم قيل لعثمان ذو النورين قال لأنه لم نعلم أحداً أرسل ستراً على ابنتي نبي غيره وكان عثمان رضي الله عنه شديد الحياء حتى إنه ليكون في البيت والباب مغلق عليه فما يضع الثوب عنه عند الغسل ليفيض الماء ويمنعه الحياء أن يقيم صلبه. وفي طبقات الشعراني وكان يصوم النهار ويقوم الليل إلا هجعة من أوله وكان يختم القرآن في كل ركعة كثيراً وكان يخطب الناس وعليه إزار عدني غليظ ثمنه أربعة دراهم أو خمسة وكان يطعم الناس طعام الإمارة ويدخل بيته يأكل الخل والزيت وكان يردف غلامه خلفه في أيام خلافته ولا يستعيب ذلك وكان إذا مرّ على المقبرة بكى حتى تبتلّ لحيته رضي الله عنه اهـ واشترى بئر رومة بأربعين ألف درهم ووقفها على المسلمين وأصاب الناس قحط في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فلما اشتد بهم الأمر جاءوا إلى أبي بكر وقالوا يا خليفة رسول الله إن السماء لم تمطر والأرض لم تنبت وقد توقع الناس الهلاك فما نصنع؟ فقال لهم انصرفوا واصبروا فإني أرجو الله أن لا تمسوا حتى يفرج الله عنكم فلما كان آخر النهار ورد الخبر بأن عيراً لعثمان جاءت من الشام وتصبح المدينة فلما جاءت خرج الناس يتلقونها فإذا هي ألف بعير موسوقة براً وزيتاً وزبيباً فأناخت بباب عثمان رضي الله عنه فلما جعلها في داره جاء التجار فقال لهم ما تريدون قالوا إنك لتعلم ما نريد بعنا من هذا الذي وصل إليك فإنك تعلم ضرورة الناس قال حباً وكرامة كم تربحوني على شرائي قالوا الدرهم درهمين قال أعطيت زيادة على هذا قالوا أربعة قال أعطيت زيادة على هذا قالوا خمسة قال أعطيت أكثر من هذا قالوا يا أبا عمرو ما بقي في المدينة تجار غيرنا وما سبقنا إليك أحد فمن ذا الذي أعطاك قال ان الله أعطاني بكل درهم عشرة أعندكم زيادة قالوا لا قال فإني أشهد الله أني جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله على المساكين وفقراء المسلمين اهـ من الغرر والعرر، وجهز رضي الله عنه جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيراً بأحلاسها وأقتابها وأتم الألف بخمسين فرساً وعن قتادة حمل عثمان على ألف بعير وسبعين فرساً فقال عليه الصلاة والسلام ما على عثمان بعد هذا. وأصاب الناس مجاعة في غزوة تبوك فاشترى طعاماً يسع العسكر.

(**فائدة**) اختصم عثمان هو وأبو عبيدة عامر بن الجراح فقال أبو عبيدة: يا عثمان تخرج عليّ في الكلام وأنا أفضل منك بثلاث فقال عثمان: وما هن؟ قال: الأولى إني كنت يوم البيعة حاضراً وأنت غائب والثانية شهدت بدراً ولم تشهده والثالثة كنت ممن ثبت يوم أحد ولم تثبت أنت فقال عثمان صدقت، أما يوم البيعة فإن رسول الله ﷺ بعثني في حاجة ومد يده عني وقال: هذه يد عثمان بن عفان وكانت يده الشريفة خيراً من يدي وأما يوم بدر فإن رسول الله ﷺ استخلفني على المدينة ولم يمكني مخالفته وكانت ابنته رقية مريضة فاشتغلت بخدمتها حتى ماتت ودفنتها. وأما انهزامي يوم أحد فإن الله عفا عني وأضاف فعلي إلى الشيطان فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[1]. فخصمه عثمان وغلبه. ومناقبه رضي الله عنه مشهورة وفتح في أيام خلافته سابور وأفريقية وسواحل الأردن وسواحل الروم واصطخر الأخيرة وفارس الأولى وطبرستان وسجستان والأساورة. ومروياته مائة وستة وأربعون حديثاً (**وكاتبه**) مروان بن الحكم. (**وقاضيه**) كعب بن سور وعثمان بن قيس بن أبي العاص (**وأميره بمصر**) أخوه من الرضاعة عبد الله بن سعد بن أبي سرح (**وحاجبه**) حمران مولاه (**وصاحب شرطته**) عبد الله بن معبد التيمي وفي المحاضرات ابن قنفذ التيمي. ونقش خاتمه آمنت بالله مخلصاً وقيل آمنت بالذي خلق فسوّى وكان في يده خاتم رسول الله ﷺ يطبع به إلى أن وقع في بئر أريس.

(**تتمة في ذكر أولاده واستشهاده**) أما أولاده رضي الله عنه فستة عشر تسعة ذكور وسبع بنات أما الذكور (فعبد الله) ويعرف بالأصغر وأمه رقية بنت رسول الله ﷺ وقيل فاختة بنت غزوان ومات صغيراً وقيل بلغ ست سنين ونقره ديك في عينه فمرض ومات (وعبد الله الأكبر) وكان أسنهم وأشرفهم عقباً وولداً ومات بمنى (وأبان) ويكنى أبا سعيد وهو من رواة الحديث وشهد حرب الجمل مع عائشة قيل وكان أول من انهزم وكان أبرص أحول أصم، ولي المدينة في أيام عبد

---

(١) سورة آل عمران ١٥٥

الملك بن مروان، ومات في خلافة يزيد بن عبد الملك وعقبه كثير وله ولد في الأندلس (وخالد) وكان في يد أولاده المصحف الذي قطر عليه دم عثمان يوم قتل؛ توفي في خلافة أبيه بركض دابة وله عقب وهو الذي يقال له الكسير (وعمرو) وله عقب أيضاً وأمهم بنت جندب من الأزد (وسعيد والوليد) أمهما فاطمة بنت الوليد وكان سعيد يكنى أبا عثمان ولاه معاوية خراسان وكان حاكماً بها من قبل معاوية وقتل هناك (وعبد الملك) مات غلاماً وأمه مليكة وهي أم البنين بنت عيينة ابن حصن الفزاري. (وأما البنات) فريم الكبرى أخت عمرو لأمه وأم سعيد أخت سعيد لأمه وتزوّجها عبد الله وعائشة وتزوجها الحرث بن الحكم بن أبي العاص ثم خلف عليها بعده عبد الله بن الزبير، وأم أبان تزوجها مروان بن الحكم بن أبي العاص، وأم عمرو أمها رملة بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس، ومريم الصغرى أمها نائلة بنت الفرافصة الكلبية وتزوجها عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وأم البنين أمها أم ولد نقله بعض المؤرخين.

(وأما سبب قتله) فروي عن ابن شهاب قال قلت لسعيد بن المسيب هل أنت مخبري كيف كان قتل عثمان وما كان شأن الناس وشأنه ولم خذله أصحاب محمد ﷺ قال قتل عثمان مظلوماً ومن قتله كان ظالماً ومن خذله كان معذوراً فقلت وكيف كان ذلك؟ قال لما ولي كره ولايته نفر من أصحاب رسول الله ﷺ لأن عثمان كان يحب قومه فولي اثنتي عشرة سنة وكان كثيراً ما يولي بني أمية ممن لم يكن له مع رسول الله ﷺ صحبة وكان يجيء من أمرائه ما يكره أصحاب رسول الله وكان يستغاث عليهم فلا يغيثهم فلما كان في الستة الحجج الأواخر استأثر بني عمه فولاهم وأمرهم وولى عبد الله بن أبي سرح مصر فشكا أهل مصر وكان من قبل ذلك من عثمان هنات إلى عبد الله بن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر وكانت هذيل وبنو زهرة في قلوبهم ما فيها لأجل عبد الله بن مسعود وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لأبي ذر في قلوبهم ما فيها وكانت بنو مخزوم حنقت على عثمان لأجل عمار بن ياسر وجاء أهل مصر يشكون ابن أبي سرح فكتب إليه يهدده فأبى ابن أبي سرح أن يقبل ما نهاه عنه وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان ومن أهل مصر ممن كان أتى عثمان فقتله فخرج جيش أهل مصر في سبعمائة رجل إلى

المدينة فنزلوا المسجد وشكوا إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدخل عليه عليّ بن أبي طالب وكان متكلم القوم وقال قد سألوك رجلاً مكان رجل وقد ادعوا قبله دماً فاعزله عنهم وإن وجب عليه حق فأنصفهم من عاملك فقال لهم اختاروا رجلاً فأشاروا إلى محمد بن أبي بكر فكتب عهده وولاه وخرج معهم مدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وبين ابن أبي سرح فخرج محمد ومن معه فلما كانوا على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير يخبط الأرض خبطاً حتى كأنه يطلب أو يطلب فقال له أصحاب محمد ما قصتك وما شأنك كأنك هارب أو طالب فقال لهم: أنا غلام أمير المؤمنين وجهني إلى عامل مصر فقال رجل هذا عامل مصر معنا قال ليس هذا الذي أريد فأخبروا بأمره محمد بن أبي بكر فبعث في طلبه رجالاً فأخذوه وجاءوا به إليه فقال غلام من أنت؟ فاعتل مرة يقول أنا غلام أمير المؤمنين ومرة يقول أنا غلام مروان فقال له محمد إلى من أرسلت قال إلى عامل مصر قال بماذا قال برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوه فلم يجدوا معه كتاباً وكان معه إداوة قد يبست وفيها شيء يتقلقل فراودوه ليخرجه فلم يخرج فشقوا الإداوة فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم ثم فك الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه إذا أتاك محمد وفلان فاحتل لقتلهم وأبطل كتابه وقف على عملك حتى يأتيك أمري إن شاء الله تعالى فلما قرأوا الكتاب فزعوا ورجعوا إلى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتيم نفر كانوا معه من أصحاب رسول الله ﷺ ودفع الكتاب إلى رجل منهم وقدموا المدينة فجمعوا طلحة والزبير وعلياً وسعداً ومن كان من أصحاب محمد ﷺ. ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه إذا أتاك محمد وفلانٌ وفلان فاحتل لقتلهم فقرأوا الكتاب عليهم وأخبروهم بقصة العبد فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان وزاد ذلك من غضب ابن مسعود وأبي ذر وعمار وقام أصحاب رسول الله ﷺ إلى منازلهم وما منهم من أحد إلا مغتم وحاصر الناس عثمان، فلما رأى ذلك عليّ بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من أصحاب رسول الله ﷺ ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير فقال له

علي هذا الغلام غلامك؟ قال نعم وهذا البعير بعيرك؟ قال نعم قال فأنت كتبت الكتاب قال لا وحلف بالله ما كتبت الكتاب ولا أمرت به ولا علمت به ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر وأما الخط فعرفوا أنه خط مروان وسألوه أن يدفعه إليهم وكان معه في الدار فأبى وخشي عليه القتل فخرج أصحاب رسول الله ﷺ من عنده غضاباً وعلموا أن عثمان لا يحلف باطلاً فحاصره الناس ومنعوه الماء وأشرف على الناس وقال أفيكم علي قالوا لا قال: أفيكم سعد؟ قالوا لا فقال: ألا أحد يسقينا من ماء؟ فبلغ ذلك علياً فبعث إليه ثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل حتى جرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية ثم بلغ علياً أنهم يريدون قتل عثمان فقال: إنما أردنا منه مروان فأما قتل عثمان فلا فقال للحسن والحسين: اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه وبعث الزبير ابنه وبعث عدة من الصحابة أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان ويسألونه إخراج مروان فلما رأى الناس ذلك رموا باب عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بن علي بدمائه وأصاب مروان سهم وهو في الدار وكذلك محمد ابن طلحة وشج قنبر مولى عليّ، ثم إن بعض من حضر عثمان خشي أن تغضب بنو هاشم لأجل الحسن والحسين فتنتشر الفتنة فأخذ بيده رجلان وقالا إن جاء بنو هاشم ورأوا الدم على وجه الحسن كشف الناس عن عثمان وبطل ما تريدون ولكن اذهبوا بنا نتسور الدار فنقتله من غير أن يعلم أحد فتسوروا من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان وما يعلم أحد ممن كان معه لأن كل من كان معه فوق البيت ولم يكن معه إلا امرأته فقتلوه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها من الجلبة فصعدت إلى الناس فقالت إن أمير المؤمنين قتل فدخل عليه الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوه مذبوحاً فانكبوا عليه يبكون ودخل الناس فوجدوا عثمان مقتولاً فبلغ علياً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولاً فاسترجعوا وقال علي لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ورفع يده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين وشتم محمد بن طلحة ولعن عبد الله بن

الزبير وخرج علي وهو غضبان فلقيه طلحة فقال ما لك يا أبا الحسن ضربت الحسن والحسين وكان يرى أنه أعان على قتل عثمان فقال: عليك كذا وكذا رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بدري لم تقم عليه بينة ولا حجة فقال طلحة: لو دفع مروان لم يقتل فقال علي: لو أخرج مروان لقتل قبل أن تثبت عليه حكومة وخرج علي فأتى منزله. وفي الاستيعاب روى سعيد المقبري عن أبي هريرة وكان محصوراً مع عثمان في الدار قال رمي رجل منا فقلت يا أمير المؤمنين الآن طاب الضراب قتلوا منا رجلاً قال عزمت عليك يا أبا هريرة إلا رميت بسيفك فإنما يراد نفسي وسأقي المؤمنين بنفسي قال أبو هريرة: فرميت سيفي لا أدري أين هو حتى الساعة وما أحسن قول كعب بن ماللك فيه:

وكفَّ يديه ثم أغلق بابه ... وأيقن أن الله ليس بغافل

وقال لأهل الدار لا تقتلوهم ... عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل

وكان أول من دخل عليه الدار محمد بن أبي بكر الصديق فأخذ بلحيته فقال له: دعها يا ابن أخي فوالله لقد كان أبوك يكرمها فاستحيا وخرج، وفي رواية فلما دخل أخذ بلحيته وهزها وقال: ما أغنى عنك معاوية وما أغنى عنك ابن أبي سرح وما أغنى عنك عبدالله بن عامر فقال: يا ابن أخي أرسل لحيتي فوالله لتجبذ لحية كانت تعز على أبيك وما كان أبوك يرضى مجلسك هذا مني فيقال انه حينئذ تركه وخرج عنه ويقال حينئذ أشار إلى من معه فطعنه واحد منهم فقتلوه انتهى. روي أنه ضربه يسار بن علياص أو يسار بن عياض الأسلمي وسودان بن حمران بسيفيهما فنضح الدم على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1]. وفي رواية وجلس عمرو بن الحمق على صدره وضربه حتى مات ووطئ عمير بن ضابئ على بطنه فكسر له ضلعين من أضلاعه، وفي رواية لما خرج محمد دخل رومان بن سرحان رجل أزرق محدود عداده في مراد وهو من ذي أصبح معه خنجر فاستقبله به وقال على أي دين أنت يا نعثل؟ فقال لست بنعثل ولكني عثمان بن عفان وأنا على ملة ابراهيم حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين قال: كذبت وضربه على صدغه الأيمن. وفي رواية على صدغه الأيسر فقتله فخر

(١) سورة البقرة ١٣٧

فأدخلته امرأته نائلة بينها وبين ثيابها وكانت امرأة جسيمة ودخل رجل من أهل مصر ومعه السيف صلتاً فقال: والله لأقطعنّ أنفه فعالج المرأة فكشف عن ذراعيها. وفي رواية فعالجت امرأته وقبضت على السيف فقطع يدها فقالت لغلام لعثمان يقال له رباح ومعه سيف عثمان أعني على هذا وأخرجه عني فضربه الغلام بالسيف فقتله. وفي أسد الغابة اختلف فيمن باشر قتله بنفسه فقيل محمد بن أبي بكر ضربه بمشقص وقيل بل حبسه محمد بن أبي بكر وأشفره غيره وكان الذي قتله سودان بن حمران وقيل بل قتله رومان اليمامي وقيل بل رومان رجل من بني أسد بن خزيمة وقيل بل أسود التجيبي من أهل مصر ويقال جبلة بن الأيهم رجل من أهل مصر وقيل سودان بن رومان المرادي ويقال ضربه التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف سورة البقرة وقطرت قطرة من دمه على فسيكفيكهم الله وكان يومئذ صائماً. عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام قال: تقتل وأنت مظلوم وتسقط قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله قال إنها إلى الساعة لفي المصحف والله أعلم وقال له رسول الله ﷺ: يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصاً فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني يوم القيامة. قتل عثمان رضي الله عنه بالمدينة في ذي الحجة يوم الجمعة لثمان أو سبع خلت منه يوم التروية سنة خمس وثلاثين من الهجرة ذكره المدائني عن ابن معشر عن نافع. وقال ابن اسحق قتل عثمان على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً من مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى رأس خمس وعشرين سنة من متوفى رسول الله ﷺ يوم الأربعاء بعد العصر ودفن يوم السبت بعد الظهر وكان مدة حصاره أربعين يوماً وقيل خمسين وعاش سبعاً وثمانين سنة وقيل ثمانين على ما قاله ابن إسحق وقيل قتل وهو ابن ثمان وثمانين سنة وقيل تسعين سنة وقيل غير ذلك وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة إلا يوماً وقيل غير ذلك. قال أبو عمرو: ولما قتل عثمان أقام مطروحاً يومه ذلك إلى الليل فحمله رجال على باب ليدفنوه فعرض لهم ناس ليمنعوهم من دفنه فوجدوا قبراً كان حفر لغيره فدفنوه فيه وصلى عليه جبير بن مطعم. وعن عروة أنه قال أرادوا أن يصلوا

على عثمان فمنعوا فقال رجل من قريش وهو أبو جهم بن حذيفة دعوه فقد صلى عليه رسول الله ﷺ قال الواقدي دفن ليلاً ليلة السبت في موضع أو قال في أرض يقال له حش كوكب وأخفي قبره وكوكب رجل من الأنصار والحش البستان كان عثمان رضي الله عنه قد اشتراه وزاده في البقيع فكان أول من قبر فيه.
(وروى) محمد بن عبد الله بن الحكم وعبد الملك بن الماجشون عن مالك قال: لما قتل عثمان ألقي على المزبلة ثلاثة أيام فلما كان في الليل أتاه اثنا عشر رجلاً منهم حويطب بن عبد العزى وحكيم بن حزام وعبد الله بن الزبير وجدي فاحتملوه فلما صاروا به إلى المقبرة ليدفنوه فإذا هم بقوم من بني مازن قالوا والله لئن دفنتموه ههنا لنخبرنّ الناس غداً فاحتملوه وكان على باب وإن رأسه على الباب يقول طق طق حتى صاروا به إلى حش كوكب فاحتفروا له وكانت عائشة ابنة عثمان معها مصباح في حق فلما أخرجوه ليدفنوه صاحت فقال لها ابن الزبير: والله لئن لم تسكتي لأضربنّ الذي فيه عيناك فسكتت فدفنوه أخرجه القلعي. وعن الحسن قال: شهدت عثمان بن عفان دفن في ثيابه بدمائه خرجه ابن الجوزي ورواه عبد الله بن الإمام أحمد في زيادات المسند وزاد فيه ولم يغسل، وشهدت الملائكة عثمان رضي الله عنه. فعن سهل بن خنيس وكان ممن شهد قتل عثمان قال: لما أمسينا قلت لئن تركتم صاحبكم حتى يصبح مثلوا به فانطلقنا به إلى بقيع الغرقد فأمكنا له من جوف الليل ثم حملناه فغشينا سواد من خلفنا فهبناهم حتى كدنا أن نتفرق فإذا مناد ينادي لا روع عليكم اثبتوا فإنا جئنا لنشهد معكم وكان ابن خنيس يقول: هم الملائكة رواه الضحاك. عن عبد الله بن سلام قال: أتيت عثمان يوم الدار فدخلت لأسلم عليه وهو محصور فقال: مرحباً بأخي فقلت يسرني لو كنت فداءك يا أمير المؤمنين فقال: الليلة رأيت رسول الله ﷺ وقد مثل لي في هذه الخوخة وأشار عثمان بيده إلى خوخة في أعلى داره فقال: يا عثمان حصروك قلت نعم قال: عطشوك قلت نعم قال: فدلى دلواً شربت منه فها أنا أجد برودة ذلك الدلو بين ثديي وبين كتفي فقال: إن شئت أفطرت عندنا وإن شئت نصرت عليهم فاخترت الفطر نقله الإسحاقي. وفي أسد الغابة عن أبي سعيد مولى عثمان بن

عفان أن عثمان أعتق عشرين مملوكاً وهو محصور ودعا بسراويل فشدها عليه ولم يلبسها لا في جاهلية ولا في إسلام وقال : إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في المنام ورأيت أبا بكر وعمر فقالوا لي : اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة رضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين ، ولما قتل عثمان رضي الله عنه فتشوا خزائنه فوجدوا فيها صندوقاً مقفلاً ففتحوه فوجدوا فيه حقة فيها ورقة مكتوب فيها هذه وصية عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الله يبعث من في القبور ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد عليها نحيا وعليها نموت وعليها نبعث إن شاء الله من الآمنين برحمة الله اهـ. من المحاضرات.



فصل
في ذكر مناقب سيدنا علي بن أبي طالب ابن عم الرسول وسيف الله المسلول

ولد رضي الله عنه بمكة داخل البيت الحرام على قول يوم الجمعة ثالث عشر رجب الحرام سنة ثلاثين من عام الفيل قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة وقيل بخمس وعشرين وقبل المبعث باثنتي عشرة سنة وقيل بعشر سنين ولم يولد في البيت الحرام قبله أحد سواه قاله ابن الصباغ (وأمه) فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف تجتمع مع أبي طالب في هاشم جد النبي ﷺ أسلمت وهاجرت مع النبي ﷺ نقل عنها أنها كانت إذا أرادت أن تسجد لصنم وعلي رضي الله عنه في بطنها لم يمكنها يضع رجله على بطنها ويلصق ظهره بظهرها ويمنعها من ذلك ولذلك يقال عند ذكره كرم الله وجهه أي عن أن يسجد لصنم وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً ولما ماتت كفنها ﷺ بقميصه لأنها كانت عنده بمنزلة أمه وأمر ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود فحفروا قبرها بالبقيع فلما بلغوا لحدها حفره رسول الله ﷺ بيده وأخرج ترابه فلما فرغ اضطجع فيه وقال اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك محمد والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين فقيل يا رسول الله رأيناك صنعت شيئاً لم تكن صنعته بأحد قبلها فقال ﷺ ألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة واضطجعت في قبرها ليخفف عنها من ضغطة القبر لأنها كانت من أحسن خلق الله تعالى صنعاً إليّ بعد أبي طالب (وتربى علي) رضي الله عنه عند النبي ﷺ وذلك أنه لما أصاب أهل مكة جدب وقحط أجحف بذي المروءة وأضر بذي العيال قال رسول الله ﷺ لعمه العباس رضي الله عنه وكان من أيسر بني هاشم يا عم إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى فانطلق بنا

إلى بيته لنخفف من عياله عنه فتأخذ أنت رجلاً وأنا آخذ رجلاً فنكفلهما عنه فقال العباس : افعل فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما أبو طالب إذا تركتما لي عقيلاً وطالباً فاصنعا ما شئتما فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه إليه وأخذ العباس جعفراً فضمه إليه فلم يزل علي رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ حتى بعث النبي ﷺ فاتبعه علي رضي الله عنه وآمن به وصدقه وكان عمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة. وقال ابن إسحق أسلم علي بن أبي طالب وهو ابن عشر وقيل غير ذلك. وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله ﷺ خلفه في أهله فقال: يا رسول الله أتخلفني في النساء والصبيان قال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى غير أنه لا نبي بعدي أخرجه الشيخان.

(صفته) كان آدم شديد الأدمة ثقيل العينين عظيمهما أقرب إلى القصر من الطول ذا بطن كثير الشعر عريض اللحية أصلع أبيض الرأس واللحية. وفي ذخائر العقبى كان ربعة من الرجال أدعج العينين عظيمهما حسن الوجه كأنه قمر بدري عظيم البطن وكان رضي الله عنه عريض ما بين المنكبين لمنكبه مشاش كمشاش السبع الضاري لا تبين عضده من ساعده أدمج إدماجاً شثن الكفين عظيم الكراديس أغيد كأن عنقه إبريق فضة. وفي أسد الغابة عن رازم بن سعد الضبي قال: سمعت أبي ينعت علياً قال كان رجلاً فوق الربعة ضخم المنكبين طويل اللحية وإن شئت قلت إذا نظرت إليه قلت آدم وإن تبينته من قرب قلت أن يكون أسمر أدنى من أن يكون آدم.

(لطيفة) عن أبي سعيد التيمي أنه قال: كنا نبيع الثياب على عواتقنا ونحن غلمان في السوق فإذا رأينا علياً قد أقبل علينا قلنا بزرك أشكم قال: على ما يقولون؟ قالوا: يقولون عظيم البطن قال: أجل أعلاه علم وأسفله طعام وأشكم بالعجمية البطن وبزرك بضم الباء والزاي وسكون الراء عظيم / (وقد ورد في فضله آيات وأحاديث جمة) نقل الواحدي في كتابه المسمى بأسباب النزول أن الحسن والشعبي والقرطبي قالوا إن علياً رضي الله عنه والعباس وطلحة بن شيبة افتخروا فقال طلحة: أنا صاحب البيت مفتاحه بيدي ولو شئت كنت فيه وقال العباس

رضي الله عنه : وأنا صاحب السقاية والقائم عليها فقال علي رضي الله عنه : لا أدري لقد صليت ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد في سبيل الله فأنزل الله تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ وجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللهِ ـ إلى أن قال ـ الَّذِينَ آمَنُوا وهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا في سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ درجةً عِندَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ ﴾[1]. وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : «صليت مع رسول الله ﷺ يوماً من الأيام الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يديه إلى السماء وقال اللهم إني سألت في مسجد نبيك محمد ﷺ فلم يعطني أحد شيئاً وكان علي رضي الله عنه في الصلاة راكعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنى وفيها خاتم فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره وذلك بمرأى من النبي ﷺ وهو في المسجد فرفع رسول الله ﷺ طرفه إلى السماء وقال : اللهم إن أخي موسى سألك فقال ربي اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري فأنزلت عليه قرآناً سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما اللهم وإني محمد نبيك وصفيك اللهم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري قال أبو ذر رضي الله عنه فما استتم دعاءه حتى نزل جبريل عليه السلام من عند الله عز وجلّ وقال يا محمد اقرأ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون». نقله أبو اسحق أحمد الثعلبي في تفسيره. ونقل الواحدي في تفسيره يرفعه بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : «كان مع علي رضي الله عنه أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية فأنزل الله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أموالَهُمْ باللَّيلِ والنَّهارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[2]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «لما نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ

---

(١) سورة التوبة ١٩ ــ ٢٠. (٢) سورة البقرة ٢٧٤.

﴿الْبَرِيَّةِ﴾[1] قال النبي ﷺ لعلي: أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة أنت وهم راضين مرضيين ويأتي أعداؤك غضاباً مقمحين». وعن مكحول عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[2]. قال: قال رسول الله ﷺ سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي ففعل فكان علي رضي الله عنه يقول: ما سمعت من رسول الله ﷺ كلاماً إلا وعيته وحفظته ولم أنسه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزل قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[3] قال رسول الله ﷺ: أنا المنذر وعلي الهادي وبك يا علي يهتدي المهتدون». قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس آية من كتاب الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[4] إلّا وعلي أولها وأميرها وشريفها. ونقل الإمام أبو إسحق الثعلبي رحمه الله في تفسيره: «أن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى سئل عن قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[5]. فيمن نزلت فقال للسائل لقد سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك حدثني أبي عن جعفر بن محمد عن آبائه رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ لما كان بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد علي رضي الله عنه وقال من كنت مولاه فعلي مولاه فشاع ذلك فطار في البلاد وبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري فأتى رسول الله ﷺ على ناقة له فأناخ راحلته ونزل عنها وقال يا محمد أمرتنا عن الله عزّ وجلّ أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلنا منك وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلنا منك وأمرتنا بالزكاة فقبلنا وأمرتنا أن نصوم رمضان فقبلنا وأمرتنا بالحج فقبلنا ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا فقلت من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شيء منك أم من الله عزّ وجلّ فقال النبي ﷺ والذي لا إله إلا هو إن هذا من الله عزّ وجلّ فولى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فما وصل إلى راحلته حتى رماه الله عزّ وجلّ بحجر

---

(١) سورة البينة ٧.
(٢) سورة الحاقة ١٢.
(٣) سورة الرعد ٧.
(٤) أكثر من مائة آية تشتمل على هذا القول الكريم
(٥) سورة المعارج ١ ــ ٣.

سقط على هامته فخرج من دبره فقتله فأنزل الله عز وجل ﴿ سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ . لِلْكافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دافِعٌ . مِنَ اللهِ ذي المَعارِجِ ﴾.[1]

(تنبيه) قال العلماء لفظ المولى يستعمل بإزاء معان متعددة ورد بها القرآن العظيم فتارة يكون بمعنى أولى قال الله تعالى في حق المنافقين: ﴿ مَأْواكُمُ النّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ ﴾.[2] أي أولى بكم وتارة بمعنى الناصر قال الله تعالى: ﴿ ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الكافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ ﴾.[3] وبمعنى الوارث قال الله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنا مَوالِيَ مِمّا تَرَكَ الوالِدانِ وَالأَقْرَبُونَ ﴾.[4] أي ورثة وبمعنى العصبة قال تعالى: ﴿ وَإِنّي خِفْتُ المَوالِيَ مِنْ وَرائِي ﴾.[5] أي عصبتي وبمعنى الصديق قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا ﴾.[6] أي صديق عن صديق وبمعنى السيد المعتق وهو ظاهر فيكون معنى الحديث من كنت ناصره أو حميمه أو صديقه فإن علياً كذلك.

(ومن الأحاديث) ما أخرجه الترمذي والحاكم وصححه عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم قيل يا رسول الله سمهم لنا قال: علي منهم يقول ذلك ثلاثاً وأبو ذر والمقداد وسلمان». وأخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن حبشي بن جناده قال: قال رسول الله ﷺ: «علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا علي». وأخرج الترمذي عن ابن عمر قال: «آخى النبي ﷺ بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد فقال ﷺ: أنت أخي في الدنيا والآخرة». وأخرج مسلم عن علي قال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي به أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق». وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: «كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً». وأخرج الحاكم وصححه عن علي قال: «بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقلت يا رسول الله

---

(١) سورة المعارج ١ ـ ٣.
(٢) سورة الحديد ١٥.
(٣) سورة محمد ١١.
(٤) سورة النساء ٣٣.
(٥) سورة مريم ٥.
(٦) سورة الدخان ٤١.

بعثني وأنا شاب أقضي بينهم ولا أدري ما القضاء فضرب صدري ثم قال: اللهم اهد قلبه وثبت لسانه فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين». وسبب قوله ﷺ «أقضاكم علي» ما روي أن النبي ﷺ كان جالساً مع جماعة من الصحابة فجاء خصمان فقال أحدهما: يا رسول الله إن لي حماراً وإن لهذا بقرة وإن بقرته قتلت حماري فبدأ رجل من الحاضرين فقال: لا ضمان على البهائم فقال ﷺ: اقض بينهما يا علي فقال علي لهما: كانا مرسلين أم مشدودين أم أحدهما مشدوداً والآخر مرسلاً فقالا: كان الحمار مشدوداً والبقرة مرسلة وصاحبها معها فقال: على صاحب البقرة ضمان الحمار فأقر ﷺ حكمه وأمضى قضاءه. عن أبي عثمان النهدي عن علي كرّم الله وجهه قال: «بينما رسول الله ﷺ آخذ بيدي ونحن نمشي في بعض سكك المدينة إذ أتينا على حديقة قال: فقلت يا رسول الله ما أحسنها من حديقة فقال: ما أحسنها ولك في الجنة أحسن منها ثم مررنا بأخرى فقلت يا رسول الله ما أحسنها من حديقة فقال: ما أحسنها ولك في الجنة أحسن منها حتى مررنا بسبع حدائق وكل ذلك أقول له ما أحسنها ويقول لك في الجنة أحسن منها فلما خلا له الطريق اعتنقني ثم أجهش باكياً فقلت يا رسول الله ما يبكيك قال ضغائن لك في صدور أقوام لا يبدونها لك إلا من بعد موتي قال: قلت يا رسول الله في سلامة من ديني قال: في سلامة من دينك».

(لطيفة) روي أن رجلاً أتي به إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان صدر منه أنه قال لجماعة من الناس وقد سألوه كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أحب الفتنة وأكره الحق وأصدق اليهود والنصارى وأومن بما لم أره وأقر بما لم يخلق فأرسل عمر إلى علي رضي الله عنهما فلما جاء أخبره بمقالة الرجل فقال: صدق يحب الفتنة قال الله تعالى إنما أموالكم وأولادكم فتنة ويكره الحق يعني الموت قال الله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق ويصدق اليهود والنصارى قال الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ويؤمن بما لم يره يؤمن بالله عزّ وجلّ ويقرّ بما لم يخلق يعني الساعة فقال عمر رضي الله عنه: أعوذ بالله من معضلة لا علي بها. قال سعيد بن المسيب كان عمر يقول: اللهم لا تبقني لمعضلة ليس لها أبو الحسن.

(نادرة) وهي أن رجلاً تزوج بخنثى لها فرج كفرج النساء وفرج كفرج الرجال وأصدقها جارية كانت له ودخل بالخنثى وأصابها فحملت منه وجاءت بولد ثم إن الخنثى وطئت الجارية التي أصدقها لها الرجل فحملت منه الجارية بولد فاشتهرت قصتها ورفع أمرها إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فسأل عن حال الخنثى فأخبر أنها تحيض وتطأ وتوطأ وتمني من الجانبين وقد حبلت وأحبلت فصار الناس متحيري الأفهام في جوابها وكيف الطريق إلى حكم قضائها وفصل خطابها فاستدعى علي رضي الله عنه غلاميه وأمرهما أن يذهبا إلى هذه الخنثى ويعدا أضلاعها من الجانبين إن كانت متساوية فهي امرأة وإن كان الجانب الأيسر أنقص من الجانب الأيمن بضلع واحد فهو رجل فذهبا إلى الخنثى كما أمرهما وعدا أضلاعها من الجانبين فوجدا أضلاع الجانب الأيسر أنقص من أضلاع الجانب الأيمن بضلع فجاءا وأخبراه بذلك وشهدا عنده فحكم على الخنثى بأنها رجل وفرق بينها وبين زوجها. ودليل ذلك أن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام وحيداً أراد الله سبحانه وتعالى لإحسانه إليه ولخفي حكمته فيه أن يجعل له زوجاً من جنسه ليسكن كل واحد منهما إلى صاحبه فلما نام آدم عليه السلام خلق الله عزّ وجلّ من ضلعه القصرى من جانبه الأيسر حواء فانتبه فوجدها جالسة إلى جانبه كأحسن ما يكون من الصور فلذلك صار الرجل ناقصاً من جنبه الأيسر عن المرأة بالضلع والمرأة كاملة الأضلاع من الجانبين والأضلاع الكاملة أربعة وعشرون ضلعاً هذا في المرأة وأما الرجل فثلاثة وعشرون ضلعاً اثنا عشر في الأيمن وأحد عشر في الأيسر وباعتبار هذه الحالة ضلع المرأة أعوج اهـ من الفصول المهمة ولنرجع إلى ما نحن بصدده. وأخرج الطبراني والحاكم وصححه عن أم سلمة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا غضب لم يجترئ أحد أن يكلمه إلا علي». وأخرج الطبراني والحاكم بإسناد حسن عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «النظر إلى عليّ عبادة». وأخرج أبو يعلى والبزار عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «من آذى علياً فقد آذاني». وأخرج الطبراني بسند عن أم سلمة عن رسول الله ﷺ قال: «من أحبّ علياً فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن

أبغض علياً فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله». وأخرج الإمام أحمد والحاكم وصححه عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سبّ علياً فقد سبّني». وأخرج الطبراني بسند ضعيف أن علياً قال: «إن خليلي ﷺ قال: يا علي إنك ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين ويقدم أعداؤك غضاباً مقمحين». ثم جمع علي رضي الله عنه يده إلى عنقه يريهم الإقماح. وشيعته هم أهل السنة لأنهم هم الذين أحبوه كما أمر الله ورسوله لا الروافض وأعداؤه الخوارج. وأخرج البزار وأبو يعلى والحاكم عن علي قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: «إن فيك مثلاً من عيسى أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه وأحبته النصارى حتى نزلوه بالمنزل الذي ليس به». ألا وانه يهلك فيَّ اثنان محب مفرط يطريني بما ليس فيَّ ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني. وأخرج الطبراني في الأوسط عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عليّ مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض». وأخرج الحاكم عن جابر أن النبي ﷺ قال: «علي إمام البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله». وأخرج الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «علي مني بمنزلة رأسي من بدني». وأخرج البيهقي والديلمي عن أنس أن النبي ﷺ قال: «علي يزهو في الجنة ككوكب الصبح لأهل الدنيا». وأخرج الترمذي والحاكم أن النبي ﷺ قال: «إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة عليّ وعمار وسلمان». وأخرج الشيخان عن سهل: «أن النبي ﷺ وجد علياً مضطجعاً في المسجد وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب فجعل النبي ﷺ يمسحه عنه ويقول قم أبا تراب». وكانت هذه الكنية أحبّ الكنى إليه رضي الله عنه. في صحيح البخاري عن أبي حازم أن رجلاً جاء إلى سهل بن سعد فقال: هذا فلان لأمير المدينة يدعو علياً عند المنبر قال فيقول ماذا؟ قال يقول له أبو تراب فضحك قال والله ما سماه إلا النبي ﷺ وما كان له اسم أحب إليه منه فاستطعمت الحديث سهلاً وقلت: يا أبا عباس كيف؟ قال: دخل علي على فاطمة رضي الله عنها ثم خرج فاضطجع في المسجد فقال النبي ﷺ: أين ابن عمك قالت: في المسجد فخرج إليه فوجد رداءه قد

سقط عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره فجعل يمسح التراب عن ظهره فيقول اجلس يا أبا تراب مرتين قال الفقهاء وفيه جواز النوم في المسجد واستحباب ملاطفة الغضبان وممازحته والمشي إليه لاسترضائه ومن كتاب الآل لابن خالويه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه: «حبك إيمان وبغضك نفاق وأول من يدخل الجنة محبك وأول من يدخل النار مبغضك». وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ قال لعلي: طوبى لمن أحبك وصدق فيك وويل لمن أبغضك وكذب فيك». وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ نظر إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة من أحبك فقد أحبني ومن أبغضك فقد أبغضني وبغيضك بغيض الله فالويل كل الويل لمن أبغضك». وأخرج البخاري عن علي رضي الله عنه أنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة. وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب قال: كان عمر بن الخطاب يتعوّذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن يعني علياً وقد تقدم. وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال: أفرض أهل المدينة وأقضاها علي. وأخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: ما أنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلّا وعلي أميرها وشريفها ولقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان وما ذكر علياً إلا بخير وقد تقدم صدره أيضاً. وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال: ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في علي رضي الله عنه. وأخرج عنه أيضاً قال: نزلت في علي ثلاثمائة آية وفضائله رضي الله عنه كثيرة مشهورة؛ وحسبك أنه أخو رسول الله ﷺ بالمؤاخاة وصهره على فاطمة وأحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والخطباء المعروفين وأحد من جمع القرآن وعرضه على رسول الله ﷺ. وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد وغيرهما عن غيره أن النبي ﷺ قال: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» فبات الناس يخوضون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلّ منهم يرجو أن يعطاها فقال ﷺ: أين علي بن أبي طالب فقيل يا

رسول الله أرمد قال : فأرسلوا إليه فأتي به فبصق في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال علي رضي الله عنه أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا قال فانفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم قال فمضى ففتح الله على يديه.

(فائدتان) : الأولى اشترى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه تمراً بدرهم فحمله في ردائه فسأل بعض أصحابه حمله عنه فقال أبو العيال أحق بحمله. (الثانية) قال علي كرّم الله وجهه : «من سعادة المرء أن تكون زوجته موافقة وإخوانه صالحين وأولاده أبراراً ورزقه في بلده الذي هو فيه. وبالجملة فتعداد فضائله ومناقبه ومكانته في العلم والفهم والاستقامة والشجاعة والشهامة والفراسة الصادقة والكرامات الخارقة وشدته في نصر الإسلام ورسوخ قدمه في الإيمان وسخائه وصدقته مع ضيق الحال وشفقته على المسلمين وزهده وتواضعه وتحمّله وتفاصيل ذلك باب واسع يحتمل مجلدات. ولذلك قال الإمام أحمد بن حنبل والقاضي إسمعيل بن إسحق وأبو علي النيسابوري والنسائي لم نرو في فضائل أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ما روي في فضل علي بن أبي طالب قال السيد السمهودي في جواهر العقدين والسبب في ذلك والله أعلم أن الله تعالى أطلع نبيه ﷺ على ما يكون بعده مما ابتلي به علي رضي الله عنه وما وقع من الاختلاف لما آل إليه أمر الخلافة فاقتضى ذلك نصح الأمة بإشهاره لتلك الفضائل لتحصل النجاة لمن تمسك به ممن بلغته ثم لما وقع ذلك الاختلاف والخروج عليه نشر من سمع من الصحابة تلك الفضائل وبينها نصحاً للأمة ثم أيضاً لما اشتد الخطب واشتغلت طائفة من بني أمية بتنقيصه وسبه على المنابر ووافقهم الخوارج بل قالوا بكفره اشتغل جهابذة الحفاظ من أهل السنة ببث الفضائل حتى كثرت نصحاً للأمة ونصرة للحق اهـ من بغية الطالب لمعرفة أولاد علي بن أبي طالب.

فصل
في ذكر بعض من كلامه رضي الله عنه

فمن كلامه كما نقله غير واحد: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا. الناس أشبه بزمانهم منهم بآبائهم. قيمة كل امرىء ما يحسنه. من عرف نفسه فقد عرف ربه. المرء مخبوء تحت لسانه. من عذب لسانه كثر إخوانه. بالبر يستعبد الحر. بشر مال البخيل بحادث أو وارث. لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال. الجزع عند البلاء تمام المحنة. لا ظفر مع البغي. لا ثناء مع الكبر. لا برّ مع الشح. لا صحة مع الهمّ. لا شرف مع سوء الأدب. لا اجتناب لمحرم مع الحرص. لا راحة مع الحسد. لا سؤدد مع الانتقام. لا محبة مع المراء. لا صواب مع ترك المشورة. لا مروءة لكذوب. لا زيارة مع زعارة. لا وفاء لملول. لا كرم أعز من التقى. لا شرف أعلى من الإسلام. لا معقل أحصن من العقل. لا شفيع أنجح من التوبة. لا لباس أجمل من العافية. لا داء أعيا من الجهل. لا مرض أضنى من قلة العقل. لسانك يقضتيك ما عودته. المرء عدوّ ما جهله. رحم الله امرأ عرف نفسه ولم يتعد طوره. إعادة الاعتذار تذكير للذنب. النصح بين الملا تقريع. إذا تم العقل نقص الكلام. الشفيع جناح الطالب. نفاق المؤمن ذلة. نعمة الجاهل كروضة على مزبلة. الجزع أتعب من الصبر. المسؤول حر حتى يعد. أكبر الأعداء أخفاهم مكيدة. من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعنيه. السامع للغيبة أحد المغتابين. الذل مع الطمع. العز مع اليأس. الحرمان مع الحرص. من كثر مزاحه حقد عليه واستخف به. عبد الشهوة أذل من عبد الرق. الحاسد يغتاظ على من لا ذنب له. منع الجود سوء ظن بالمعبود. كفى بالظفر شفيعاً للمذنب. رب ساع فيما يضره. لا تتكل على المنى فإنها بضائع النوكى. اليأس حر والرجاء عبد. ظن العاقل كهانة. من

نظر اعتبر. العداوة شغل القلب. القلب إذا أكره عمي. الأدب صورة العقل. من لانت أسافله صلبت أعاليه. من أتى مجانة قل حياؤه وبذؤ لسانه. السعيد من وعظ بغيره. البخل جامع لمساوي العيوب. كثرة الوفاق نفاق. كثرة الخلاف شقاق. رب رجاء يؤدي إلى الحرمان. رب ربح يؤدي إلى خسران. رب طمع كاذب. البغي سائق إلى الحين. في كل جرعة شرقة. ومع كل أكلة غصة. من كثر فكره في العواقب لم يشجع. إذا حلت المقادير بطلت التدابير. إذا حل القدر بطل الحذر. الإحسان يقطع اللسان. الشرف بالعقل والأدب بالأصل. أكرم النسب حسن الأدب. أفقر الفقراء الحمق. أوحش وحشة العجب. أغنى الغنى العقل. الطامع في وثاق الذل. ليس العجب ممن هلك كيف هلك إنما العجب ممن نجا كيف نجا. احذروا كفران النعم فما كل شارد بمردود. أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع. من أبدى صفحته للخلق هلك. إذا أملقتم فبادروا بالصدقة. من لان عوده كثرت أغصانه. قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه. من جرى في ميدان أمله عثر في عنان أجله. إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر. إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكر القدرة عليه. ما أضمر أحد شيئاً في قلبه إلا ظهر عليه في فلتات لسانه وصفحات وجهه. البخيل يستعجل الفقر يعيش في الدنيا عيشة الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء. لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه.

(وعنه. أيضاً رضي الله عنه في العلم) العلم يرفع الوضيع والجهل يضع الرفيع. العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال. العلم حاكم والمال محكوم عليه (وعنه رضي الله عنه) قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك هذا ينفر الناس بتهتكه وهذا يضل الناس بتنسكه (وعنه) أقل الناس قيمة أقلهم علماً إذ قيمة كل امرىء ما يحسنه، وكفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح به إذا نسب اليه، وكفى بالجهل ذماً أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا نسب إليه، والناس عالم أو متعلم وسائرهم همج رعاع.

(وعنه في العقل) الإنسان عقل وصورة فمن أخطأ العقل لزمته الصورة ولم

يكن كاملاً وكأن بمنزلة جسد بلا روح **(وعنه في صفة الدنيا)** كأن ما هو كائن من الدنيا لم يكن وكان ما هو كائن من الآخرة لم يزل ، وكل ما هو آت قريب ، فكم من مؤمل أمر لا يدركه ، وكم جامع مال لا يأكله وداخرما عساه أن يتركه ولعله من باطل جمعه ومن حرام رفعه أصابه حراماً وورثه عدواناً واحتمل وزره وباء منه بما يضره خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين (وعنه) لا تكون غنياً حتى تكون عفيفاً ، ولا تكون زاهداً حتى تكون متواضعاً ، ولا تكون متواضعاً حتى تكون حليماً ، ولا يسلم قلبك حتى تحب للمسلمين ما تحب لنفسك ، وكفى بالمرء جهلاً أن يرتكب ما عنه نهي ، وكفى به عقلاً أن يسلم الناس من شره ، وأعرض عن الجهل وأهله ؛ اكفف عن الناس ما تحب أن يكف الناس عنك ، وأكرم من صافاك وأحسن مجاورة من جاورك وإن جانبك ، واكفف الأذى واصفح عن سوء الأخلاق ، ولتكن يدك العليا إن استطعت ، ووطن نفسك على الصبر على ما أصابك ، وألهم نفسك القناعة وأكثر الدعاء تسلم من سورة الشيطان ، ولا تنافس على الدنيا ، ولا تتبع الهوى ، وعليك بالشيم العالية تقهر من يناويك (وعنه) قل عند كل شدة : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم تكف ، وقل عند كل نعمة : الحمد لله تزد منها ، وإذا أبطأت عليك الأرزاق فاستغفر الله يوسع عليك ، مفتاح الجنة الصبر ، مفتاح الشرف التواضع ، مفتاح الكرم التقوى ، من أراد أن يكون شريفاً فليلزم التواضع ، عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله (وقال رضي الله عنه) لا شرف لبخيل ، ولا همة لمهين ، ولا سلامة لمن أكثر من مخالطة الناس ، ولا كنز أغنى من القناعة ، ولا مال أذهب للفاقة من الرضا بالقوت (وقال رضي الله عنه) من كثرت عوارفه كثرت معارفه ؛ من أجمل في الطلب اتاه رزقه من حيث لا يحتسب ، من كثر دينه لم تقر عينه ، من فعل ما شاء لقي ما ساء ، من استعان بالرأي ملك ، ومن كابد الأمور هلك ، من أمسك عن الفضول عد من أرباب العقول ، من لم يكتسب بالأدب مالا اكتسب به جمالاً ، من كساه الغنى ثوباً حجبت عن العيون عيوبه ، من حسنت سياسته دامت رياسته ، من ركب العجلة لم يأمن الكبوة ، من تقدم بحسن النية

نصره التوفيق (وقال كرم الله وجهه) الوحدة راحة، والعزلة عبادة، والقناعة غنى، والاقتصاد بلغة، والعزيز بغير الله ذليل، والغني الشره فقير، ولا تعرف الناس إلا بالاختبار، فاختبر أهلك وولدك في غيبتك، وصديقك في مصيبتك، وذا القربة عند فاقتك، والتودد والملق عند عطلتك لتعلم بذلك منزلتك. وقال رضي الله عنه ما ذب عن الأعراض كالصفح والإعراض. وقال رضي الله عنه خير الكلام ما دل وقل وجل ولم يمل. وقال كرم الله وجهه في إغضائك راحة أعضائك. أجل النوال ما وصل قبل السؤال. الحكيم لا يعجب بقضاء محتوم حل بمخلوق. عفة اللسان صمته. من الفراغ تكون الصبوة. وقال رضي الله عنه لا تحدث عن غير ثقة تكن كذاباً، وقارن أهل الخير تكن منهم وأبن أهل الشر تبن عنهم، واعلم أن من الحزم العزم، وساعد أخاك إن جفاك، وإن قطعته فاستبق له بقية من نفسك ولا ترغب فيمن زهد فيك، وليس جزاء من سرك أن تسوءه، واعلم أن عاقبة الكذب الذم وعاقبة الصدق النجاء. (وقال كرم الله وجهه) خير أهلك من كفاك، ترك الخطيئة أهون من التوبة. عدو عاقل خير من صديق جاهل. التوفيق من السعادة. من تجنب عيوب الناس بنفسه بدأ. من سلم من ألسنة الناس فهو السعيد. من تحفظ من سقط الكلام أفلح. كم من غريب خير من قريب. خير إخوانك من واساك، وخير منه من كفاك. خير مالك ما أعانك على حاجتك. من أحب الدنيا جمع لغيره. المعروف فرص، والدنيا دول. من كان في النعمة جهل قدر البلية. من قل سروره كان في الموت راحته. السؤال مذلة. والعطاء محبة والمنع مبغضة. وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار. الحر حر ولو مسه الضر. ما ضل من استرشد، ولا خاب من استشار. الحازم لا يستبدل به. آمن من نفسك عندك من وثقته على سرك. المودة بين الآباء صلة بين الأبناء. من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه. من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته. من عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها. رب مفتون بحسن القول فيه. الدهر يومان يوم لك ويوم عليك، فإن كان لك فلا تبطر، وإن كان عليك فلا تضجر. الراكن إلى الدنيا مع ما يعاين فيها جاهل. الطمأنينة إلى كل

أحد قبل الاختبار له عجز. البخل جامع لمساوي الأخلاق. نعم الله على العبد جالبة حوائج الناس إليه، فمن قام فيها بما يجب عرضها للدوام، ومن لم يقم بها عرضها للزوال والفناء، والعفاف زينة الفقراء. الناس أبناء الدنيا فلا لوم عليهم في حبهم أمهم. الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب. الدنيا والآخرة كالمشرق والمغرب إن قربت من أحدهما بعدت عن الآخر. الطمع ضامن غير وفي. الأماني تعمي أعين البصائر، ولا تجارة كالعمل الصالح ولا ربح كالثواب، ومن أطال الأمل أساء العمل.

(عن ابن عباس رضي الله عنهما قال): ما انتفعت بكلام بعد رسول الله ﷺ كانتفاعي بكتاب كتبه إليّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه كتب إلي: أما بعد فإن المرء يسوءه فوت ما لم يكن ليدركه ويسره إدراك ما لم يكن ليفوته، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك وليكن أسفك على ما فات منها، وما نلت من دنياك فلا تكن به فرحاً، وما فاتك منها فلا تأس عليه. وليكن همك لما بعد الموت والسلام. وقال رضي الله عنه يخاطب سيدنا عمر رضي الله عنه ان أردت أن تلحق بصاحبيك فاقصر الأمل وكل دون الشبع وارقع القميص والبس الازار واخصف النعل تلحق بهما. وقال رضي الله عنه الشيء شيئان شيء قصر عني لم أرزقه فيما مضى ولا أرجوه فيما بقي وشيء لا أناله دون وقته ولو استعنت عليه بقوة أهل السموات والأرض؛ فما أعجب الإنسان يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه، ولو أنه فكر لأبصر ولعلم أنه مدبر واقتصر على ما تيسر ولم يتعرض لما تعسر واستراح قلبه مما استوعر فكونوا أقل ما تكونوا في الباطن آمالاً وأحسن ما تكونوا في الظاهر أعمالاً فإن الله تعالى أدب عباده المؤمنين أدباً حسناً فقال عز من قائل: ﴿**يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً**﴾[1] ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله تعالى، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله. (ومن كلامه رضي الله عنه) يوم العدل على الظالم شر من يوم الجور على المظلوم. خير ما ساس الإنسان به نفسه ضبط اللسان. خصلتان لا تجتمعان

---

(١) سورة البقرة ٢٧٣.

الكذب والمروءة. خير المعروف ما لم يتقدمه المطل ويقارنه التعبيس ويتبعه المن. خف الله خوفاً لا تيأس فيه من رحمته، وارجه رجاء لا تأمن فيه عقابه. رب حيلة أهلكت المحتال. إذا نزل القضا كان العطب في الحيلة. خفاء عيب الإنسان عليه أشد عيوبه مضرة عليه. أول الحرب شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى. الحيوان جسم نام حساس. إذا ارتفع الوضيع وضع الرفيع. علة الفرار في الحرب المعصية دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾[1] الآية. ومن كلامه رضي الله عنه لابنه الحسن رضي الله عنه: يا بني ابذل لصديقك كل المودة ولا تطمئن إليه كل الطمأنينة وأعطه كل المواساة ولا تفش له كل الأسرار. ومن كلامه المنظوم رضي الله عنه ما نقله صاحب الكنز المدفون:

ألا لن تنال العلم إلا بستة ... سأنبيك عن مجموعها ببيان
ذكاء وحرص واصطبار وبلغة ... وإرشاد أستاذ وطول زمان

ومن كلامه رضي الله عنه كما في الفصول المهمة:

وكن معدنا للحلم واصفح عن الأذى ... فإنك لاق ما عملت وسامع
وأحبب إذا أحببت حباً مقارباً ... فإنك لا تدري متى الحب راجع
وأبغض إذا أبغضت بغضاً مقارباً ... فإنك لا تدري متى البغض رافع

ومن كلامه رضي الله عنه من الديوان المنسوب له:

وما طلب المعيشة بالتمني ... ولكن ألق دلوك في الدلاء
تجئك بملئها يوماً ويوماً ... تجئك بحمأة وقليل ماء
لنعم اليوم يوم السبت حقاً ... لصيد إن أردت بلا امتراء
وفي الأحد البناء لأن فيه ... تبدى الله في خلق السماء
وفي الإثنين إن سافرت فيه ... ستظفر بالنجاح وبالثراء
ومن يرد الحجامة فالثلاثا ... ففي ساعته سفك الدماء
وإن شرب امرؤ يوماً دواء ... فنعم اليوم يوم الأربعاء
وفي يوم الخميس قضاء حاج ... ففيه الله يأذن بالدعاء

---

(١) سورة آل عمران ١٥٥.

وفي الجمعات تزويج وعرس ولـذات الرجال مع النساء
وهـذا العلم لم يعلمه إلا نبي أو وصي الأنـبـيـاء

ومنه أيضاً :

شيئان لو بكت الدماء عليهما عيناي حتى تؤذنا بذهاب
لم تبلغا المعشار من حقيهما فقد الشباب وفرقة الأحباب

ومنه أيضاً :

إذا ما المرء لم يحفظ ثلاثاً فبعه ولو بكف من رماد
وفاء للصديق وبذل مال وكتمان السرائر في الفؤاد

ومنه أيضاً :

الناس من جهة التمثيل أكفاء أبوهـم آدم والأم حواء
فإن يكن لهم في أصلهم شرف يفاخرون به فالطين والماء
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
وإن أتيت بجود من ذوي نسب فإن نسبتنا جود وعلياء
فقم بعلم ولا تبغي به بدلاً فالناس موتى وأهل العلم أحياء

ومن كلامه رضي الله عنه ما أورده صاحب الفصول المهمة أيضاً :

فارق تجد عوضاً عمن تفارقه وانصب فإن لذيذ العيش في النصب
فالأسد لولا فراق الغاب ما اقتنصت والسهم لولا فراق القوس لم تصب

ومنه أيضا :

وإن تعط نفسك آمالها فعند مناها يحل الندم
فكم آمن عاش من نعمة فما حس بالفقر حتى هجم
إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الإله فإن الإله سريع النقم

ومنه أيضاً :

أحمد ربي على خصال خص بها سادة الرجال
لزوم صبر وخلع كبر وصون عرض وبذل مال

عن جابر رضي الله عنه قال : دخلت على علي كرم الله وجهه في بعض علاته وقد تغير فلما نظر إلي قال لي : يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه فإن قام فيها بما أمر الله تعالى عرضها للدوام والبقاء ، وإن لم يعمل فيها بما أمر الله تعالى عرضها للزوال والفناء ثم أنشأ يقول :

من لم يواس الناس من فضله عرض للإدبار إقبالها
فاحذر زوال الفضل يا جابر وأعط من الدنيا لمن سالها
فإن ذا العرش جزيل العطا يضعف بالحبة أمثالها

قال جابر رضي الله عنه : ثم هز بضبعي هزة خيل لي أن عضدي خرجت من كاهلي وقال : يا جابر حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم فتحل بكم النقم ، واعلموا أن خير المال ما أكسب حمداً وأعقب أجراً ثم أنشأ يقول :

لا تخضعن لمخلوق على طمع فإن ذلك وهن منك في الدين
واسأل الملك مما في خزائنه فإنما هي بين الكاف والنون
إنا نرى كل من نرجو ونأمله في البرية مسكين ابن مسكين
ما أحسن الجود في الدنيا وفي الدين وأقبح البخل ممن صيغ من طين

قال جابر رضي الله عنه : فهممت أن أقوم قال وأنا معك يا جابر فلبس نعليه وألقى ازاره عن منكبيه وخرجنا نساير فذهب بنا إلى جبانة الكوفة فسلم على أهل القبور فسمعت ضجة وهدة فقلت ما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال هؤلاء بالأمس كانوا معنا واليوم فارقونا لا تسل عن أحوالهم فهم إخوان لا يتزاورون وأوداء لا يتعاودون ثم خلع نعليه وحسر عن ذراعيه وقال : يا جابر أعطوا من دنياكم الفانية

لآخرتكم الباقية ومن حياتكم لموتكم ومن صحتكم لسقمكم ومن غناكم لفقركم اليوم أنتم في الدور وغداً في القبور وإلى الله تصير الأمور ثم أنشأ يقول :

سلام على أهل القبور الدوارس   كأنهم لم يجلسوا في المجالس

ولم يشربوا من بارد الماء شربة   ولم يأكلوا ما بين رطب ويابس

ألا فاخبروا في أي قبر ذليلكم   وقبر العزيز الباذخ المتشاوس

إذا عقد القضاء عليك أمراً   فليس يحله غير القضاء

فما لك قد أقمت بدار ذل   وأرض الله واسعة الفضاء

ومن كلامه رضي الله عنه كما في الفصول :

صن النفس واحملها على ما يزينها   تعش سالماً والقول فيك جميل

وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد   عسى نكبات الدهر عنك تزول

وما أكثر الإخوان حين تعدهم   ولكنهم في النائبات قليل

ومن كلامه أيضاً رضي الله عنه :

وعش موسراً شئت أو معسراً   فلا بد تلقى بدنياك غم

ودنياك بالغم مقرونة   فلا بقطع العمر إلا بهم

حلاوة دنياك مسمومة   فلا تأكل الشهد إلا بسم

محامدك اليوم مذمومة   فلا تكسب الحمد إلا بذم

إذا تم أمر بدا نقصه   توقع زوالاً إذا قيل تم

فصل
في ذكر شيء من شجاعته رضي الله عنه

فمن شجاعته نومه على فراش رسول الله ﷺ لما أمره بذلك وقد اجتمعت قريش على قتل النبي ﷺ ولم يكترث علي رضي الله عنه بهم. قال بعض أصحاب الحديث أوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام أن انزلا إلى علي واحرساه في هذه الليلة إلى الصباح فنزلا إليه وهم يقولون بخ بخ من مثلك يا علي قد باهى الله بك ملائكته (وأورد) الإمام الغزالي في كتابه إحياء العلوم: أن ليلة بات علي رضي الله عنه على فراش رسول الله ﷺ أوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل إني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة وأحباها فأوحى الله إليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الأرض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه ينادي ويقول بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رءوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[1]. وفي تلك الليلة أنشأ علي رضي الله عنه:

وقيت بنفسي خير من وطئ الحصى ... وأكرم خلق طاف بالبيت والحجر
وبت أراعي منهم ما يسوءني ... وقد صبرت نفسي على القتل والأسر
وبات رسول الله في الغار آمناً ... وما زال في حفظ الإله وفي الستر

(ومن شجاعته رضي الله عنه) ما وقع على يديه في غزوة بدر وكان عمره إذ ذاك سبعاً وعشرين سنة. قال بعضهم إن أهل الغزوات أجمعت على أن جملة من قتل من المشركين يوم بدر سبعون رجلاً قال قتل علي رضي الله عنه منهم أحداً وعشرين تسعة باتفاق الناقلين وأربعة شاركه فيهم غيره وثمانية مختلف فيهم. روي

(١) سورة البقرة ٢٠٧

عن رافع مولى رسول الله ﷺ قال لما أصبح الناس يوم بدر اصطفت قريش أمامها عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد فنادى عتبة رسول الله ﷺ يا محمد أخرج لنا أكفاءنا من قريش فبرز إليهم ثلاثة من شبان الأنصار فقال لهم عتبة من أنتم فانتسبوا فقال لا حاجة لنا في مبارزتكم إنما طلبنا بني عمنا فقال رسول الله ﷺ للأنصار ارجعوا مواقفكم ثم قال قم يا علي قم يا حمزة قم يا عبيدة قاتلوا على حقكم الذي بعث الله به نبيكم فقاموا فصفوا في وجوههم وكان على رؤوسهم البيض فلم يعرفوهم فقال عتبة من أنتم يا هؤلاء؟ تكلموا فإن كنتم أكفاءنا قاتلناكم فقال حمزة بن عبد المطلب أنا حمزة بن عبد المطلب أنا أسد الله وأسد رسوله فقال عتبة كفء كريم وقال علي أنا علي بن أبي طالب وقال عبيدة أنا عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب فقال عتبة لابنه الوليد قم يا وليد ابرز لعلي وكان أصغر الجماعة سناً فاختلفا بضربتين أخطأت ضربة الوليد ووقعت ضربة علي رضي الله عنه على اليد اليسرى من الوليد فأبانتها ثم ثني عليه بأخرى فخر قتيلاً. روي عن علي رضي الله عنه: أنه كان إذا ذكر بدراً وقتله الوليد قال في حديثه كأني أنظر إلى وميض خاتمه في شماله عندما أبنت يده وبها أثر من خلوق فعلمت أنه قريب عهد بعروس. وبارز عتبة حمزة وبارز عبيدة شيبة وكان من أسن القوم فاختلفا بضربتين فأصاب ذباب سيف شيبة عضلة ساق عبيدة فقطعها فاستنقذه علي وحمزة رضي الله عنهما وقتلا شيبة وحمل عبيدة فمات بالصفراء (ومن شجاعته) رضي الله عنه قتاله يوم أحد. ومحصل القول في هذه الغزوة أن أشراف قريش لما كسروا يوم بدر وقتل بعضهم وأسر بعض آخر دخل الحزن على أهل مكة بقتل رؤسائهم وأشرافهم فتجمعوا .وبذلوا أموالاً واستمالوا جمعاً من كنانة وغيرهم ليقصدوا النبي ﷺ بالمدينة لاستئصال المسلمين وتولى ذلك أبو سفيان بن حرب فحشد وحث وقصد المدينة فخرج النبي ﷺ بالمسلمين فنفق النفاق بين جماعة من المسلمين من الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ فرجع قريب من ثلثهم وبقي مع النبي ﷺ سبعمائة من المسلمين فالتقى الجمعان واشتد الحرب واضطرب المسلمون واستشهد حمزة وجماعة من المسلمين وقتل من مقاتلة المشركين اثنان وعشرون

رجلاً. نقل أصحاب المغازي أن علياً رضي الله عنه: قتل منهم سبعة طلحة بن أبي طلحة وعبدالله بن جميل وأبا الحكم بن الأخنس وسباع بن عبد العزى وأبا أمية بن المغيرة وهؤلاء الخمسة متفق على أنه رضي الله عنه قتلهم والاثنان مختلف فيهما. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج طلحة بن أبي طلحة يوم أحد فكان صاحب لواء المشركين فقال يا أصحاب محمد تزعمون أن الله يعجلنا بأسيافكم إلى النار ويعجلكم بأسيافنا إلى الجنة فأيكم يبرز إليّ فبرز إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال والله لا أفارقك حتى أعجلك بسيفي إلى النار فاختلفا بضربتين فضربه علي رضي الله عنه على رجله فقطعها وسقط إلى الأرض فأراد أن يجهز عليه فقال أنشدك الله والرحم يا ابن عم فانصرف عنه إلى موقفه فقال المسلمون هلا أجهزت عليه فقال ناشدني الله ولن يعيش فمات من ساعته وبشر النبي ﷺ بذلك فسر وسر المسلمون قال ابن إسحق كان الفتح يوم أحد بصبر علي رضي الله عنه. روى الحافظ محمد بن عبد العزيز الجنابذي في كتابه معالم العترة النبوية مرفوعا إلى قيس بن سعد عن أبيه أنه سمع علياً رضي الله عنه يقول: أصابتني يوم أحد ست عشرة ضربة سقطت إلى الأرض في أربع منهن فجاء رجل حسن الوجه طيب الريح وأخذ بضبعي فأقامني ثم قال أقبل عليهم فإنك في طاعة الله ورسوله وهما عنك راضيان قال علي فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال يا علي اقر الله عينيك ذاك جبريل عليه السلام اهـ ثم رجع أبو سفيان ومن معه إلى مكة والنبي ﷺ إلى المدينة وهذه الغزوة ذكرها الله في سورة آل عمران في قوله: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]. (ومن شجاعته) رضي الله عنه في غزوة الخندق وذلك أنه لما بلغ رسول الله ﷺ أن قريشاً تجمعت وقائدهم أبو سفيان بن حرب وأن غطفان تجمعت وقائدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر واتفقوا مع بني النضير من اليهود على قصد رسول الله ﷺ وحصار المدينة أخذ النبي ﷺ في حراسة المدينة بحفر الخندق عليها وعمل النبي ﷺ فيه بنفسه الشريفة وأحكمه في أيام فلما فرغ رسول الله ﷺ من حفره أقبلت قريش بجموعها وجيوشها ومن تبعها من كنانة وأهل تهامة في عشرة آلاف وأقبلت

(١) سورة آل عمران ١٢١.

غطفان ومن تبعها من أهل نجد فنزلوا من فوق المسلمين ومن أسفلهم كما قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾[1] فخرج النبي ﷺ ومن معه من المسلمين وكانوا ثلاثة آلاف وجعلوا الخندق بينهم واتفق اليهود مع المشركين على قتال رسول الله ﷺ فلما رأى المسلمون ذلك اشتد الأمر عليهم وكان مع المشركين من قريش عمرو بن عبدود وكان من مشاهيرهم الصناديد وعكرمة بن أبي جهل وجاءوا حتى وقفوا على الخندق ثم قصدوا مكاناً ضيقاً منه وضربوا خيولهم فاقتحمت وجالت خيولهم بين الخندق وبين المسلمين فلما رأى ذلك علي رضي الله عنه: خرج ومعه نفر من المسلمين وبادروا الثغرة التي دخلوا منها وأخذوا عليهم المضيق الذي اقتحمته خيولهم فرجع عمرو بن عبدود من بينهم ومعه ولده حنبل وقال هل من مبارز فأراد علي أن يبرز إليه فأرسل النبي ﷺ لعلي أن لا يبرز إليه فجعل عمرو ينادي هل من مبارز وجعل يقول أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل دخلها أفلا يبرز إلى رجل منكم فجاء علي رضي الله عنه إلى النبي ﷺ فقال: أنا له يا رسول الله فقال ﷺ إنه عمرو قال وإن كان عمراً. فأذن له في مبارزته ونزع عمامته ﷺ عن رأسه وعمم علياً رضي الله عنه بها وقال امض لشأنك فخرج علي رضي الله عنه وعمرو يقول:

ولقد بححت من الندا	ء لجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ وقف الشجا	ع مواقف القرن المناجز
وكـــذاك إني لم أزل	متبرعاً قبل الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى	والجود من خير الغرائز

فأجابه علي رضي الله عنه:

لا تعجلن فقد أتا	ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نـــيـــة وبصيرة	والصدق منجي كل فائز

---

(١) سورة الأحزاب ١٠.

إني لأرجو أن أقيم عـلـيك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى ذكـرهـا عـنـد المزاهز

ثم قال يا عمرو إنك كنت قد أخذت على نفسك عهداً أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أجبته إلى واحدة منهما قال أجل فقال علي رضي الله عنه إني أدعوك إلى الله تعالى ورسوله ﷺ وإلى الإسلام فقال أما هذه فلا حاجة لي فيها فقال له علي رضي الله عنه : فإذا كرهت هذه فإني أدعوك إلى النزال قال ولم يا ابن أخي؟ فما أحب أن أقتلك ولقد كان أبوك خلاً لي فقال علي رضي الله عنه أما أنا والله فأحب أن أقتلك فحمي عمرو وغضب من كلامه واقتحم عن فرسه إلى الأرض وضرب وجهها ونزل علي رضي الله عنه عن فرسه وأقبل كل منهما على الآخر فتصاولا وتجاولا ساعة ثم ضربه علي رضي الله عنه على عاتقه بالسيف رمى جنبه الأرض وتركه قتيلاً ثم ركب علي رضي الله عنه فرسه وكر على ابنه حنبل فقتله أيضاً فخرجت خيول قريش منهزمة ورمى عكرمة بن أبي جهل رمحه وفر وأرسل الله عليهم ريحاً وجنوداً ﴿وَرَدَّ اللهُ الذين كَفَروا بِغَيْظِهِمْ لم يَنالُوا خيراً وَكَفَى اللهُ المؤمنينَ القِتالَ﴾[1].

(١) سورة الأحزاب ٢٥

فصل
في الكلام على وقعة الجمل وقتال صفين

في ذخائر العقبى عن محمد بن الحنفية قال : أتى رجل عليا وعثمان محصور فقال إن أمير المؤمنين مقتول ثم جاء آخر فقال إن أمير المؤمنين مقتول الساعة فقام علي قال محمد أخذت بوسطه تخوفاً عليه فقال خل لا أم لك فأتى على الدار وقد قتل الرجل فأتى داره فدخلها وأغلق عليه بابه وأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه فقالوا إن هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من خليفة ولا نعلم أحداً أحق بها منك فقال لهم علي رضي الله عنه لا تريدوني فإني لكم وزيراً خيراً لكم مني أميراً فقالوا والله لا نعلم أحداً أحق بها منك قال فإن أبيتم عليّ فإن بيعتي لا تكون سراً ولكن ائتوا المسجد فمن شاء أن يبايعني بايعني قال فخرج إلى المسجد فبايعه الناس أخرجه الإمام أحمد في المناقب. قال ابن إسحاق إن عثمان لما قتل بويع علي بن أبي طالب بيعة العامة في مسجد رسول الله ﷺ وبايع له أهل البصرة وبايع له بالمدينة طلحة والزبير. وفي الفصول المهمة أول من بايعه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فنظر إليه رجل بقتاف يقال حبيب ابن ذؤيب فقال إنا لله وإنا إليه راجعون أول يد بايعت يد شلاء لا يتم هذا الأمر ثم بايعه الزبير رضي الله عنه ثم بقية الناس من المهاجرين والأنصار غير نفر يسير لأنهم كانوا عثمانية منهم محمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وكانت البيعة يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة فما كان من النعمان بن بشير إلا أن أخذ قميص عثمان رضي الله عنه الذي قتل فيه ملطخاً بالدم وأخذ أصابع زوجته نائلة وهرب إلى الشام عند معاوية. وأما طلحة والزبير رضي الله عنهما فهربا إلى مكة بعد المبايعة بأربعة أشهر، ثم إن عليا رضي الله عنه فرق إلى

البلدان عماله وكتب إلى بعض عمال عثمان رضي الله عنه يستقدمهم عليه وكتب إلى معاوية أيضاً يستقدمه فعند فراغه من كتابة الكتاب جاء المغيرة بن شعبة فقال ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال كتاب كتبته إلى معاوية وأريد أن أبعث الرسول فقال يا أمير المؤمنين عندي لك نصيحة فاقبلها مني قال إنه ليس أحد يتشغب عليك غير معاوية وفي يده بلاد الشام وهو ابن عم عثمان وعامله فابعث إليه بعهده تلزمه طاعتك فإذا استقرت قدماك رأيت فيه رأيك فقال علي لا والله لا يراني الله مستعيناً بمعاوية أبداً ولكن إلى ما نحن فيه فإن أجاب والا حاكمته إلى الله فخرج عنه المغيرة فلما كان الغد جاء المغيرة وقال يا أمير المؤمنين إني قد جئتك بالأمس وأشرت عليك بما أشرت وخالفتني ثم إني رأيت ليلتي هذه أن الرأي ما رأيت فأرسل إلى معاوية الكتاب الذي كتبت فان قدم والا فاعزله فقال أفعل ان شاء الله تعالى فخرج المغيرة بن شعبة وفر إلى مكة وكان يقول نصحت علياً فلما لم يقبل غششته. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أتيت علياً رضي الله عنه بعد مبايعة الناس له فوجدت المغيرة بن شعبة مستخلياً به فقلت له بعد أن خرج ما كان يقول لك هذا؟ فقال قال لي مرة قبل مرته هذه إن النصيحة أن تقر معاوية على عهده وابن عامر وعمال عثمان حتى يأتيك بيعتهم ويسكن الناس ثم اعزل من شئت منهم وأبق من شئت منهم فأبيت عليه ذلك ثم عاد إليّ الآن فقال إني رأيت أن تصنع الذي رأيت أن تعزل من تختار وتقر من تثق به قال ابن عباس فقلت لعلي أما المرة الأولى فقد نصحك وأما المرة الثانية فقد غشك قال وكيف نصحه لي؟ قلت لأن معاوية وأصحابه أهل دنيا فمتى أثبتهم على عملهم سكنوا ومتى عزلتهم يقولون أخذ الأمر بغير حق وهو قتل صاحبنا عثمان مع أني لا آمن عليك من طلحة والزبير وأنا أشير عليك أن تبقي معاوية فإن بايع فلك علي أن أقلعه من منزله فقال علي رضي الله عنه لا أعطيه الا السيف فقلت له افعل فإن أيسر ما لك عندي الطاعة وإني باذلها لك فقال علي رضي الله عنه أريد منك أن تسير إلى الشام فقد وليتكها فقال ابن عباس ما هذا برأي إن معاوية رجل من بني أمية وهو ابن عم عثمان ولست آمن أن يضرب عنقي بعثمان وإن أدنى ما هو صانع بي إن أحسن إلي أن يحبسني

ويتحكم فيّ لقرابتي منك وكل ما حمل عليك حمل علي ولكن أرسل إليه الكتاب الذي كتبته تستقدمه فيه وانظر بماذا يجيب قال فأرسل علي الكتاب الذي كتبه بيد الجهني فلما قدم على معاوية بالكتاب أخذه منه ووقف على ما فيه ولم يجب عنه بشيء حتى إذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان وذلك في أواخر صفر دعا معاوية رجلاً من بني عبس فدفع إليه طوماراً مختوماً من غير كتابة ليس في باطنه شيء عنوانه من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب وقال للعبسي إذا دخلت المدينة فادخلها نهاراً وأعط علياً الطومار على رؤوس الناس فإذا قبضه وفتحه إلى آخره ولم يجد فيه شيئاً يقول لك ما الخبر؟ فقل له كيت وكيت بكلام أسره للرسول ثم دعا معاوية الجهني رسول علي فجهزه مع رسوله فخرجا معاً فقدما المدينة في اليوم العاشر من ربيع الأول فرفع رسول معاوية الطومار على يده عند دخوله المدينة وتبعه الناس ينظرون ما أجاب به معاوية ودخل الرسول على علي وأعطاه الطومار ففض خاتمه وفتحه إلى آخره فلم يجد فيه كتابة فقال للرسول ما وراءك قال آمن أنا؟ قال نعم ان الرسول لا يقتل قال إني تركت ورائي أقواماً يقولون لا نرضى الا بالقود قال ممن؟ قال يقولون من خيط رقبة علي وتركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم قد ألبسوه منبر مسجد دمشق وأصابع زوجته نائلة معلقة فيه فقال علي رضي الله عنه أمني يطلبون دم عثمان اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان اخرج قال وأنا آمن قال وأنت آمن فخرج العبسي وأراد الناس أن يقتلوه ولولا أمان علي لقتلوه ثم أحب أهل المدينة بعد ذلك أن يعلموا رأي علي رضي الله عنه في معاوية رضي الله عنه هل يقاتله أو يتركه؟ وقد بلغهم أن الحسن ابنه دعاه إلى العقود فدسوا إليه زياد ابن حنظلة التيمي وكان يتردد إلى علي رضي الله عنه فجلس إليه ساعة فقال له علي رضي الله عنه يا زياد نسير فقال لأي شيء يا أمير المؤمنين فقال لحرب الشام فقال زياد الأناة والرفق أمثل يا أمير المؤمنين فقال لا إلا السيف فخرج زياد من عنده والناس ينتظرونه فقالوا ما وراءك؟ قال السيف فعرفوا ما هو فاعل، ثم إن علياً رضي الله عنه تجهز يريد الشام لقتال معاوية رضي الله عنه ودعا بمحمد بن الحنفية

فأعطاه اللواء وجعل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ميمنته وعمرو بن مسلمة ميسرته وجعل أبا ليلى عمرو بن الجراح ابن أخي عبيدة رضي الله عنه على مقدمته واستخلف على المدينة قثم بن العباس رضي الله عنهما وكتب إلى العراق إلى قيس ابن سعد وإلى عثمان وإلى أبي موسى الأشعري أن يندبوا الناس إلى الخروج إليه إلى أهل الشام فبينما هم كذلك على قصد التوجه إلى الشام إذ أتاهم الخبر عن طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم أنهم على الخلاف وأنهم قد سخطوا إمارته وهم يريدون الخروج إلى البصرة. وكان سبب ذلك أن طلحة والزبير لما قدما من المدينة إلى مكة وجدا عائشة رضي الله عنها بها فقالت لهما ما وراءكما؟ فقالا إنا تحملنا هرباً من المدينة من غوغاء وأعراب وفارقنا قوماً حيارى لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلاً ولا يمنعون أنفسهم فقالت ننهض إلى هذه الغوغاء فقالا كيف يكون؟ قالت نأتي الشام فقال ابن عامر وكان قد أتى من البصرة إلى مكة بعد مقتل عثمان لا حاجة لكم في الشام فقد كفاكم معاوية ولكن نأتي البصرة فإن لي بها صنائع ولي بها المال ولأهل البصرة في طلحة هوى وهو الأوفق بنا والأليق فاستقل رأيهم على التوجه إلى البصرة وأجابتهم عائشة رضي الله عنها إلى ذلك ودعوا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يسير معهم فأبى وقال أنا من أهل المدينة أفعل ما يفعلون فتركوه وأرادت حفصة أخته زوج النبي ﷺ أن تسير معهم فمنعها (ثم) إن يعلي بن منية جهزهم بستمائة ألف درهم وستمائة بعير وكان من عمال عثمان رضي الله عنه على اليمن قدم مكة بعد مقتل عثمان.ونادى منادي عائشة رضي الله عنها إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة فمن أراد اعزاز الدين والطلب بثأر عثمان وليس له مركب وجهاز فليأت فحملوا على ستمائة بعير وساروا في ألف من أهل مكة ولحقهم أناس آخرون فكانوا ثلاثة آلاف رجل وأعطى يعلي بن منية جملاً لعائشة اسمه عسكر اشتراه بمائة درهم قالوا وخرجت عائشة ومن معها من مكة وخرج معها أمهات المؤمنين رضي الله عنهن مودعات لها إلى ذات عرق وبكوا على الإسلام بكاء شديداً في هذا اليوم وكان يسمى يوم النحيب ثم إنهم ساروا متوجهين نحو البصرة ونقل غير واحد أنهم مروا بمكان اسمه الحوأب فنبحتهم كلابه

فقالت عائشة أي ماء هذا؟ قيل هذا ماء الحوأب فصرخت وقالت إنا لله وإنا إليه راجعون سمعت رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه: «ليت شعري أيتكن تنبحها كلاب الحوأب». ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته وقالت ردوني فأناخوا يوما وليلة وقال لها عبد الله بن الزبير إنه كذب يعني ليس هذا ماء الحوأب ولم يزل بها وهي تمتنع فقال النجاء النجاء فقد أدرككم علي بن أبي طالب فارتحلوا ونزلوا على البصرة واستولوا عليها بعد قتال شديد مع عثمان بن حنيف عاملها وقتل من أصحابه أربعون رجلاً وأمسك فنتفت لحيته ورأسه وأشفار عينيه وحاجباه وسجن، هذا وقد سار علي رضي الله عنه من المدينة في عسكره على قصد الشام وكان ذلك في آخر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين. فبينما هو في مسيره إذ أتاه رسول أم الفضل يخبره عن طلحة والزبير وعائشة بما كان منهم فلما بلغه ذلك دعا وجوه أهل المدينة فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال إن هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح أوله فانصروا الله ينصركم ويصلح أمركم، ثم إنه أعرض عن المسير إلى الشام وحث عليه إلى جهة البصرة رجاء أن يدرك طلحة والزبير وعائشة فلما انتهى إلى الربذة أتاه الخبر بأنهم سبقوا إلى البصرة وقد نزلوا بفنائها، ثم إنه كتب وهو بالربذة إلى طلحة والزبير. أما بعد يا طلحة ويا زبير فقد علمتما أني لم أرد الناس حتى أرادوني ولم أبايعهم حتى أكرهوني وأنتما أول من بادر إلى بيعتي ولم تدخلا في هذا الأمر لسلطان غالب ولا لغرض حاضر وأنت يا زبير فارس قريش وأنت يا طلحة فارس المهاجرين ودفعكما هذا الأمر قبل دخولكما فيه كان أوسع لكما من خروجكما عنه الآن وهؤلاء هم بنو عم عثمان وأولياؤه المطالبون به وأنتما رجلان من المهاجرين وقد أخرجتما أمكما من بيتها الذي أمرها الله أن تقر فيه والله حسبكما والسلام. وكتب إلى عائشة رضي الله عنها، أما بعد: فإنك خرجت من بيتك تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً ثم تزعمين أنك لم تريدي إلا الإصلاح بين الناس فخبريني ما للنساء وقود العسكر وزعمت أنك مطالبة بدم عثمان وعثمان رجل من بني أمية وأنت امرأة من بني تيم بن مرة لعمري إن الذي أخرجك لهذا الأمر وحملك عليه لأعظم ذنباً إليك من

كل أحد فاتقي الله يا عائشة وارجعي إلى منزلك واسبلي عليك سترك والسلام. وكتب عليّ رضي الله عنه إلى أهل الكوفة كتاباً يحثهم على الخروج معه وأرسله مع محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر فقدموا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بذي قار وكانوا اثني عشر ألفاً فلقيهم في ناس من وجوه أصحابه منهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. ثم إن علياً رضي الله عنه دعا بالقعقاع فأرسله إلى أهل البصرة وقال له ألف هذين الرجلين يعني طلحة والزبير فذهب إليهم واستمالهم للصلح فمالوا فرجع القعقاع إلى علي رضي الله عنه وأخبره بذلك فسر به وأعجبه وأشرف القوم على الصلح فكره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه ثم قال علي رضي الله عنه ألا وإني راحل غداً فارتحلوا فشق ذلك على الذين خرجوا على عثمان وباتوا بأسوإ ليلة وهم يتشاورون فقال رئيسهم عبد الله بن بشار وهو الشهير بابن السوداء يا قوم إن عزكم في مخالطة الناس فلا تتركوا علياً والزموه فإذا كان الغد والتقى بالناس فانشبوا القتال فمن كنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع فإذا اشتغل الناس تنظروا ماذا يكون فتفرقوا على رأيه وأصبح علي رضي الله عنه وأخذ في المسير إلى البصرة مع الجيش فقام اليه الأعور بن بيان المنقري فقال يا أمير المؤمنين ما تريد باقدامك على البصرة قال الإصلاح وإطفاء الثائرة لعل الله يجمع شمل هذه الأمة قال فإن لم يجيبوا قال تركناهم ما تركونا قال فإن لم يتركوا قال دفعناهم عن أنفسنا ثم وسار طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم فالتقوا عند قصر عبد الله بن زياد فنزل الجيشان هناك ثلاثة أيام وكان نزولهم في النصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين وكان أصحاب عليّ رضي الله عنه عشرين ألفاً وأصحاب طلحة والزبير وعائشة ثلاثين ألفاً وأرسل علي رضي الله عنه عشية اليوم الثالث من نزولهم عبد الله بن عباس إلى طلحة والزبير بالسلام فأرسل طلحة والزبير إلى علي رضي الله عنه بالسلام وترددت الرسل بينهم في الصلح فتداعوا إليه وشاع ذلك في الفئتين فسر الناس بذلك وباتوا تلك الليلة في غاية السرور والفرح وبات الذين أثاروا أمر عثمان رضي الله عنه بأسوإ ليلة لما رأوه من تراسل القوم وتصافيهم فباتوا يتشاورون ليلتهم فاجتمع رأيهم على إنشاب الحرب مع الفجر فلما

كان غلس الصبح ثاروا على أصحاب طلحة ووضعوا فيهم السلاح فثارت كل قبيلة إلى أختها وقام الحرب بينهم ولم يدر الناس كيف الأمر فقام في ميمنة أصحاب طلحة عبدالله بن الحرث وفي الميسرة عبد الرحمن بن عتاب وفي وسطهم طلحة والزبير وقالا لأصحابهم كيف كان هذا الأمر قالوا لا ندري إلا وقد طرقونا واضعين فينا السيوف وكانت عائشة رضي الله عنها إذ ذاك راكبة في هودجها على الجمل ، هذا وعليّ رضي الله عنه راكب على بغلة رسول الله ﷺ وعليه قميص ورداء وعمامة فلما أسفر النهار خرج رضي الله عنه ومشى بين الصفين ونادى بأعلى صوته أين الزبير بن العوام فليخرج إليّ فخرج إليه الزبير ودنا كل منهما إلى الآخر فقال له علي رضي الله عنه ما حملك على ما صنعت يا زبير قال حملني على ذلك الطلب بدم عثمان فقال عليّ إن أنصفت من نفسك فأنت وأصحابك قتلتموه ولكني أنشدك الله يا زبير أما تذكر يوم قال لك رسول الله ﷺ يا زبير: تحب علياً فقلت وما يمنعني من حبه وهو ابن خالي فقال لك أما إنك ستخرج عليه وأنت ظالم له فقال اللهم بلى قد كان ذلك وقال أنشدك الله ثانياً أما تذكر يوم جاء رسول الله ﷺ من بني عوف وأنت معه وهو آخذ بيدك فاستقبلته فسلمت عليه فضحك في وجهي وضحكت إليه فقلت أنت لا يدع ابن أبي طالب زهوّه فقال لك ﷺ مهلاً يا زبير ليس بعلي زهو ولتخرجن عليه وأنت ظالم له فقال الزبير اللهم بلى ولكني نسيت ذلك وبعد أن أذكرتني لأمضين ولو ذكرت هذا قبل ما خرجت عليك ما خرجت ولكن هذا تصديق لقوله ﷺ ثم كر راجعاً فقالت له عائشة رضي الله عنها ما وراءك يا زبير فقال والله ما وقفت موقفاً ولا شهدت مشهداً في شرك ولا في إسلام إلا ولي فيه بصيرة وأنا اليوم على شك من أمري وما أكاد أبصر موضع قدمي وشق الصفوف وخرج من بينهم آخذاً طريق مكة فنزل على قوم فقام إليه عمرو بن جرموز فضيفه وخرج معه إلى وادي السباع وأراه أنه يريد مسايرته ومؤانسته فقتله غيلة وهو ساجد وقيل وهو نائم وأخذ سيفه وخاتمه ومضى يؤم علياً رضي الله عنه فلما وصل إليه سلم عليه وأخبره بقتله الزبير فقال علي رضي الله عنه أبشر بالنار فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«بشروا قاتل الزبير بالنار». فقال ابن جرموز إنا لله وإنا إليه راجعون ان قاتلناكم فنحن في النار وان قتلنا لكم فنحن في النار فقال علي رضي الله عنه هذا شيء سبق لابن صفية وفي ذلك قال عمرو بن جرموز:

أتيت عليا برأس الزبير وقد كنت أحسبها زلفه
فبشر بالنار قبل العيان فبئس البشارة والتحفه
وسيان عندي قتل الزبير وضرطة عير بذي الجحفه

(وأما طلحة) فأصابه سهم من مروان بن الحكم وهو من مقاتلة عائشة فمات به وقيل من غيره. ثم إن جماعة طلحة والزبير وعائشة انهزمت وقد أحاطت الخيل بالجمل واختلط القوم بعضهم ببعض ووقعت مقتلة عظيمة وكان الآخذ بزمام الجمل نحو سبعين رجلاً من قريش لم ينج منهم واحد وكان من جملتهم محمد بن طلحة وكان معروفاً عندهم بالسجاد لكثرة صلاته وكان على جانب عظيم من العبادة والزهد واعتزال الناس وإنما خرج براً بأبيه وقتل محمد بن الزبير وجرح عبد الله اخوه سبعاً وثلاثين جراحة، وفي الغرر والعرر وأطاف بنو ضبة والأزد بالجمل وأقبلوا يرتجزون:

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل ننزل بالموت إذا الموت نزل
فالموت أحلى عندنا من العسل نبغي ابن عفان بأطراف الأسل

وفيه وقطع على خطام الجمل سبعون يداً من بني ضبة اهـ وكان لا يأخذ بخطام الجمل إلا من ينتسب ويقول أنا فلان بن فلان وقتل في هذه الوقعة خلق كثير. قال أصحاب السير عدة من قتل من أصحاب الجمل ستة عشر ألفاً وسبعمائة وتسعون رجلاً وكانت عدتهم ثلاثين ألفاً فكانت القتلى أكثر من الأحياء وقتل من أصحاب علي منهم ألفا رجل وسبعون رجلاً وكانت جماعته عشرين ألفاً وقيل غير ذلك، ولما كثر القتل على خطام الجمل قال علي رضي الله عنه اعقروا الجمل فضربه رجل فسقط نقل صاحب الغرر أنه لما سمع صارخ يقول راقبوا الله في حرمة رسول الله ﷺ وقال علي رضي الله عنه لابنه الحسن هلكت قال نهيتك

عن مسيرك قال لم أكن أرى أن الأمر يصير إلى هذا انتهى وبقيت عائشة رضي الله عنها في هودجها إلى الليل وأدخلها أخوها محمد بن أبي بكر الصديق البصرة إلى دار عبد الله بن خلف الخزاعي وتسللت الجرحى ليلاً من بين القتلى وأمر علي رضي الله عنه بالنداء في الناس أن لا يتبعوا مدبراً ولا يجهزوا على جريح ولا يدخلوا داراً وأقام رضي الله عنه بظاهر البصرة ثلاثة أيام وطاف على القتلى فصلى عليهم وأمر بدفنهم ودفن الأطراف ولما رأى طلحة قال إنا لله وإنا إليه راجعون لقد كنت أكره أن أرى قريشاً صرعى أنت والله يا أبا محمد كما قال الشاعر:

فتى كان يدنيه الغنى عن صديقه إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

(تنبيه) سيدنا طلحة هو ابن عبيد الله بن عثمان بن عبيد الله بن عمرو بن كعب ابن سعيد بن تيم الله، وهو ابن عم أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وأحد العشرة المبشرين بالجنة وكنيته أبو محمد وأمه الصعبة بنت أبي سفيان صخر بن حرب قتل وهو ابن أربع وستين سنة ودفن بالبصرة وقبره ومسجده بها. وأما قبر سيدنا الزبير رضي الله عنه فبوادي السباع وهو مشهور أيضاً يزار وإضافة هذا الوادي للسباع لكثرتها فيه وفيه قال سحيم:

مررت على وادي السباع ولا أورى كوادي السباع حين يظلم واديا

وأمر علي رضي الله عنه بجمع ما كان في العسكر من سلاح وثياب وقال من عرف شيئاً فليأخذه إلا سلاحاً كان في الخزائن عليه سمة السلطان ودخل يوم الاثنين البصرة فبايعه أهلها ثم أمر عائشة رضي الله عنها بالرجوع إلى مكة وجهزها بما احتاجت إليه وسير معها أولاده مسيرة يوم فأقامت للحج تلك السنة ثم رجعت إلى المدينة واستعمل على البصرة عبد الله بن عباس ثم نزل على الكوفة وانتظم له الأمر بالعراق ومصر واليمن والحرمين وفارس وخراسان هذا ومعاوية بالشام وأهل الشام مطيعون له فأرسل إليه علي رضي الله عنه جرير بن عبد الله البجلي ليأخذ البيعة عليه فماطله معاوية حتى قدم عمرو بن العاص من فلسطين فوجد أهل الشام

يحضون على الطلب بدم عثمان فقال لهم عمرو أنتم على الحق واتفق مع معاوية إذا ظفر أن يوليه مصر كذا في تتمة المختصر (وقعة صفين) على وزن سجين. موضع قريب من الرقة بشاطئ الفرات وهو من الصف أو من الصفون فعلى الأول النون زائدة وعلى الثاني أصلية كذا في المصباح. ولما اتفق معاوية وعمرو على حرب علي قدم جرير بن عبد الله البجلي على عليّ رضي الله عنه فأعلمه بذلك، قال صاحب الفصول المهمة فخرج وعسكر بالنخيلة واستنفر الناس للمسير إلى الشام لقتال معاوية رضي الله عنه فبلغه فخرج هو أيضاً وعمرو بن العاص رضي الله عنه وعن أصحاب رسول الله أجمعين وهيأ الجيوش معاوية وأعطى لواء لعمرو بن العاص ولواءين لابنيه عبد الله ومحمد ولواء لغلامه وردان ثم سار كل منهما للقاء الآخر فاجتمعوا على الفرات فدعا علي رضي الله عنه أبا عمرو بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري بن قيس الهمداني وشبيب بن ربعي التميمي وقال لهم اذهبوا إلى هذا يعني معاوية رضي الله عنه وادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة فلعل الله أن يهديه ويلم شمل هذه الأمة وكان ذلك في أول يوم السبت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين فأتوه ودخلوا عليه فابتدأ بشير فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا معاوية إن الدنيا عنك زائلة وإنك راجع إلى الآخرة وإن الله محاسبك على ذلك ومجازيك عليه وإني أنشدك بالله تعالى أن لا تفرق جماعة هذه الأمة وأن لا تسفك دماءها فيما بينها فقطع معاوية رضي الله عنه كلامه وقال هلا أوصيت صاحبك؟ فقال إن صاحبي ليس أحد مثله وهو صاحب السابقة في الإسلام والفضل من قرابة رسول الله ﷺ فقال فما عندك يا ابن عمرو وما الذي تأمرني به؟ قال الذي عندي والذي آمرك به تقوى الله تعالى وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق فإنه أسلم لك في دينك ودنياك قال معاوية وأترك دم عثمان؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً، ثم تكلم سعد بن قيس وشبيب فلم يلتفت معاوية إلى كلامهما وقال انصرفوا عني فليس عندي إلا السيف فقال له شبيب أتهوّل علينا بالسيف والله لنعجلها إليك فأتوا علياً رضي الله عنه فأخبروه بذلك، فجعل علي رضي الله عنه بعد إتيان كلام معاوية يأمر الرجل ذا الشرف من أصحابه أن يخرج في خيل فيخرج إليه

جماعة من أصحاب معاوية في خيل مثلها فيقتتلان ثم تنصرف كل خيل إلى أصحابها وذلك خوفاً من استئصال العسكرين وذهاب الفئتين وهلاك المسلمين فاقتتلوا أيام ذي الحجة كلها وربما اقتتلوا في اليوم الواحد مرتين ثم دخلت سنة سبع وثلاثين فحصل في شهر المحرم منها بين علي ومعاوية موادعة على الحرب طمعاً في الصلح فاختلفت الرسل بينهما فلم يتفق صلح فلما انسلخ المحرم أمر علي رضي الله عنه منادياً فنادى في أهل الشام يقول لكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إني قد استقدمتكم لتراجعوا الحق وتنيبوا إليه فلم تفعلوا ولم تنتهوا عن طغيان ولم تجيبوا إلى طاعة وإني قد نبذت إليكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ثم أصبح علي رضي الله عنه فجعل على خيل الكوفة الأشتر وعلى خيل البصرة سهل بن حنيف وعلى رجالة الكوفة عمار بن ياسر وعلى رجالة البصرة قيس بن سعد وجعل مسعر بن مذكي على قراء أهل الكوفة وقراء أهل البصرة وأعطى الراية هاشم بن عتبة وخرج إلى مصافهم وذلك في أول يوم من صفر فخرج إليهم معاوية وقد جعل على ميمنته ابن ذي الكلاع الحميري وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الفهري وعلى مقدمته أبا أربعة وهو يقول: ﴿الشَّهْرُ الحَرامُ بِالشَّهْرِ الحَرامِ وَالحُرُماتُ قِصاصٌ فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فاعْتَدوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ واتَّقوا اللهَ واعْلَموا أنَّ اللهَ مَعَ المتَّقينَ﴾[1]. ثم صاح علي كرم الله وجهه يا معاوية هلم إلى مبارزتي لئلا تفنى العرب بيننا فقال معاوية لا حاجة لي في مبارزتك بعد أربعة أبطال من العرب فحسبك فصاح فارس من أصحاب معاوية يقال له عروة يا ابن أبي طالب ان كان معاوية قد كره مبارزتك فأنا لها وجرد سيفه وخرج للامام فتجاولا ثم إنه سبق الإمام بضربة فتلقاها الإمام في سيفه ثم ان علياً رضي الله عنه ضربه ضربة على رأسه ألقاه إلى الأعور السلمي وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص وعلى رجالة دمشق أسلم بن عيينة المزني وعلى بقية أصحابه الضحاك بن قيس وبايع رجالاً من أهل الشام على الموت فعقلوا أنفسهم بعمائمهم وكانوا خمسة صفوف فلما تواقفت الأبطال وتصافت الخيل للمبارزة والنزال خرج من عسكر معاوية فارس من أهل الشام معروف بشدة البأس وقوة الرأس يقال له المخراق بن عبد الرحمن فوقف بين الصفين وسأل

---

(١) سورة البقرة ١٩٤.

المبارزة فخرج إليه فارس من أهل العراق يقال له عبيد المرادي فتطاعنا بالرماح ثم تضاربا بالصفاح فظفر به الشامي وقتله ثم نزل عن فرسه وحز رأسه وحك بوجهه الأرض وتركه مكبوباً على وجهه ثم ركب فرسه وسأل المبارزة فخرج إليه فتى من الأزد يقال له مسلم بن عبد ربه فقتله الشامي أيضاً وفعل به كما فعل بالأول ثم ركب فرسه وسأل المبارزة فخرج إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه متنكراً فتجاولا ساعة ثم ضربه الإمام البطل الهمام علي رضي الله عنه ضربة بالسيف على عاتقه رمت بشقه إلى الأرض وسقط فنزل علي رضي الله عنه وحز رأسه وجعل وجهه إلى السماء ثم ركب ونادى هل من مبارز فخرج إليه فارس آخر من فرسان أهل الشام فقتله وفعل به كما فعل بصاحبه الأول وهكذا إلى أن قتل منهم سبعة فأحجم الناس عنه ولم يقدر على مبارزته أحد بعد أولئك فجال بين الصفين جولة ورجع إلى أصحابه ولم يعرفه أهل الشام فانه كان متنكراً رضي الله عنه (وخرج) في بعض أيامها وقد تقابل الجيشان فارس من أبطال عسكر الشام يقال له كريب ابن الصباح فوقف بين الصفين وسأل المبارزة فخرج إليه فارس من أهل العراق يقال له المبرقع الخولاني فقتله الشامي ثم خرج الحارث الحكمي فقتله الشامي أيضاً فنظر الناس إلى مقام فارس صنديد فخرج إليه علي رضي الله عنه بنفسه الكريمة فوقف بازائه وقال من أنت أيها الفارس؟ قال له أنا كريب بن الصباح الحميري فقال له علي رضي الله عنه ويحك إني أحذرك الله في نفسك وأدعوك إلى كتابه وسنة نبيه ﷺ فقال له كريب من أنت؟ فقال أنا علي بن أبي طالب يا كريب الله الله في نفسك فإني أراك فارساً بطلاً فيكون لك ما لنا وعليك ما علينا ولا يغررك معاوية فقال ادن مني يا علي وجعل يلوّح بسيفه فجعل يلوح الامام علي رضي الله عنه بسيفه ودنا منه فتجاولا ساعة ثم اختلفا بضربتين فسبقه الامام بالضربة فقتله وسقط كريب إلى الأرض ثم نادى هل من مبارز فخرج إليه الحارث الحميري فقتله هكذا فلم يزل يخرج إليه فارس بعد فارس إلى أن قتل منهم الأرض قتيلاً فعظم على أهل الشام قتل عروة لأنه كان من أعظم شجعانهم ومشاهيرهم ثم حجز الليل بينهم (واتفق) في بعض الأيام وقد تقابل الجيشان أن

خرج علي رضي الله تعالى عنه متنكراً فدعا بالمبارزة فقال معاوية لعمرو بن العاص عزمت عليك الا ما خرجت لمبارزة هذا الفارس فخرج إليه عمرو وهو لا يعرف أنه علي فلما رآه علي عرفه فانهزم بين يديه ليبعده من أصحابه فتبعه عمرو وهو يقول :

يا قادة الكوفة يا أهل الفتن   أضربكم ولا أرى أبا الحسن

فكر عليه علي رضي الله عنه وهو يقول :

أبو الحسين فاعلمن والحسن   قد جاك يقتاد العنان والرسن

فعرفه عمرو فولى عنه راكضاً وهو يقول مكره أخاك لا بطل فلحقه علي رضي الله عنه فطعنه طعنة جاءت في فصول درعه فألقته إلى الأرض وظن أن عليا قاتله فرفع رجليه فبدت سوأته فصرف علي رضي الله عنه وجهه راجعاً إلى عسكره وهو يقول : عورة المؤمن حمى ، فقام عمرو وركب فرسه وأقبل على معاوية فجعل معاوية يضحك فقال عمرو م تضحك والله لو تكون أنت وبدا له من صفحتك ما بدا من صفحتي لضرب قذالك وما أقالك فقال له معاوية لو كنت أعلم أنك ما تحمل مزاحاً ما مازحتك فقال عمرو ما أحملني للمزاح ولكن أرأيت ان لقي رجل رجلاً فصد أحدهما الآخر أنقطر السماء دماً قال لا ولكنها سوأة تعقب فضيحة الأبد أما والله لو عرفته ما أقدمت عليه وفي ذلك يقول أبو فراس :

ولا خير في رد الردى بمذلة   كما ردها يوماً بسوأته عمرو

ثم ان فارساً من فرسان معاوية كان مشهوراً بالشجاعة يقال له بشر بن أرطأة حدثته نفسه بالخروج إلى علي كرم الله وجهه ومبارزته وكان له غلام شجيع يقال له لاحق فشاوره في ذلك فقال ما أشير عليك الا أن تكون واثقاً من نفسك أنك من أقرانه ومن فرسان ميدانه فابرز له فانه الأسد الخادر والشجاع المطرق وأنشد العبد :

فأنت له يا بشر إن كنت مثله   وإلا فان الليث للضبع آكل

متى تلقه فالموت في رأس رمحه   وفي سيفه شغل لنفسك شاغل

فقال له ويحك هل هو إلا الموت؟ والله لا بد لي من مبارزته على كل حال فخرج بشر بن أرطاة لمبارزة عليّ كرم الله وجهه فلما رآه علي حمل عليه ودقه بالرمح فسقط إلى الأرض على قفاه فرفع رجله فبدت سوأته فصرف علي رضي الله عنه وجهه فوثب بشر قائماً فسقط المغفر عن رأسه فعرفه أصحاب علي رضي الله عنه فصاحوا يا أمير المؤمنين إنه لبشر بن أرطاة لا يذهب فقال ذروه فركب جواده ورجع إلى معاوية يضحك منه ويقول لا عليك ولا بأس لا تستحي فقد نزل بعمرو مثلها فصاح فتى من أهل الكوفة ويلكم يا أهل الشام أما تستحون من كشف السوآت وأنشد:

أفي كل يوم فارس بعد فارس ... له عورة تحت العجاجة باديه

يكف علا عنه علي سنانه ... ويضحك منها في الخلاء معاويه

فقولا لعمرو وابن أرطاة انظرا ... سبيلكما لاتلقيا الليث ثانيه

ولا تحمد إلا الحيا وخصاكما ... فإنهما والله للنفس واقيه

فلولاهما لم تنجيا من سنانه ... وتلك ما فيها عن العود كافيه

متى تلقيا الخيل المغيرة صبحة ... وفيها عليّ فاتركا الخيل ناحيه

فجعل بشر بن أرطاة يضحك من عمرو وصار عمرو يضحك منه وخاف أهل الشام من علي رضي الله عنه خوفاً شديداً ولم يجسر واحد منهم على مبارزته وصار لا يخرج إلى مبارزتهم إلا متنكراً ثم إن مولى من موالي عثمان رضي الله عنه يقال له الأحمر وكان شجاعاً خرج يبغي المبارزة فخرج إليه مولى لعلي رضي الله عنه يقال له كيسان فحمل كل واحد منهما على صاحبه فسبقه الأحمر بالضربة فقتله فقال علي كرم الله وجهه قتلني الله ان لم أقتلك به فكر علي رضي الله عنه على العبد فرجع العبد عليه بالسيف فضربه فتلقاه علي رضي الله عنه في سيفه فنشب بالسيف فدنا منه عليّ ومد يديه إلى عنقه فقبض عليها ورفعه عن فرسه ثم جلد به الأرض فكسر ظهره وأضلاعه ثم رجع عنه (وكان) لمعاوية عبد يقال له حريث وكان فارساً بطلاً شجاعاً ومعاوية يحذره من التعرض لعلي بن أبي طالب فخرج علي متنكراً يطلب المبارزة وقد عرفه عمرو بن العاص فقال لحريث عليك بهذا

الفارس لا يفوتك اقتله. وتشيع به فخرج له حريث وهو لا يعرفه أنه علي بن أبي طالب فما كان بأسرع من أن ضربه الإمام بالسيف على أم رأسه ضربة سقط منها إلى الأرض قتيلاً وتبين لمعاوية ولأهل الشام أن قاتله علي بن أبي طالب فشق ذلك على معاوية وقال لعمرو أنت قتلت عبدي وغررته ولم يقتله أحد غيرك (واتفق) في أيامها أن خرج العباس بن ربيعة الهاشمي من أصحاب علي رضي الله عنه وخرج إليه فارس مشهور يقال له عرار من أصحاب معاوية رضي الله عنه فقال له يا عباس هل لك في المبارزة فقال له عباس هل لك في المنازلة قال نعم فنزل كل واحد منهما عن فرسه وتلاقيا وكف أهل الجيشين عنهما لينظرا ما يكون من أمرهما فتجاولا ساعة بسيفيهما فلم يقدر أحدهما على الآخر ثم إنهما تجاولا ثانية فتبين للعباس وهن في درع الشامي وكان سيف العباس قاطعاً فضربه بالسيف على وسط الدرع فقسمه نصفين فكبر الناس وعجبوا لذلك وعطف العباس على فرسه فركبها وجال بين الصفين فقال معاوية لأصحابه من خرج منكم لهذا الفارس فقتله فله عندي ديتان فخرج فارسان من لخم وقال كل واحد منهما أنا له فقال اخرجا فأيكما قتله كان له عندي ما قلت وللآخر مثل نصفه فخرجا معاً ووقفا في مقر المبارزة ثم صاحا يا عباس هل لك في المبارزة فابرز لأينا اخترت فقال أستأذن أميري ثم أرجع إليكما فجاء إلى علي رضي الله عنه فاستأذنه فقال له علي رضي الله عنه أنا لهما ادن مني يا عباس وهات لبسك وفرسك وجميع ما عليك وخذ لبسي وفرسي ثم إن علياً رضي الله عنه خرج إليهما فجال بين الصفين وكل من رآه يظنه العباس فقال له اللخميان استأذنت أميرك فتحرر علي رضي الله عنه من الكذب وقال: ﴿ أُذِنَ للذين يُقاتِلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ [1]. فتقدم إليه أحدهما فاختلفا بضربتين وسبقه أمير المؤمنين بضربة فجاءت على مراق بطنه فقطعته نصفين فتقدم إليه الآخر فما كان بأسرع من أن ألحقه بالآخر وجال بين الصفين جولة ورجع إلى مكانه فتبين لمعاوية ولأهل الشام أنه علي رضي الله عنه ولكنه تنكر فقال معاوية قبح الله اللجاج إنه لقعود ما ركبه أحد إلا خذل قال فقال عمرو المخذول والله اللخميان (ومما وقع) في أيامها ليلة الهرير قال بعضهم شبهت

(1) سورة الحج ٣٩.

بليلة القادسية التي كلما أردى علي رضي الله عنه قتيلاً نطق عليه بالتكبير فأحصيت تكبيراته تلك الليلة خمسمائة تكبيرة وثلاثاً وعشرين تكبيرة بخمسمائة قتيل وثلاثة وعشرين قتيلاً وكان الناس يتلاطمون في هذه الليلة تلاطم الأمواج ويتصادمون تصادم الفحول عند الهياج. ولما أسفر صبح هذه الليلة عن ضيائه وحسر الليل عن ظلمائه كانت عدة القتلى من الفريقين ستة وثلاثين ألفاً وكانت هذه الليلة ليلة الجمعة وأصبح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والمعركة كلها خلف ظهره وهو في قلب عسكره والأشتر في الميمنة وابن عباس في الميسرة والناس يقتلون من كل جانب ولوائح النصر لائحة لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه والأشتر بالميمنة يقاتل ويقول لأصحابه ارجعوا قيد رمح ويزحف بهم ويقول قيد هذا القوس وكلما فعلوا يزحف بهم نحو أهل الشام ولما رأى علي رضي الله عنه الظفر من ناحية الأشتر أمده بالرجال فلما رأى عمرو بن العاص وهن أهل الشام وتخيل منهم الهزيمة والفرار قال لمعاوية هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فرقة؟ قال نعم قال نرفع المصاحف على رؤوس الرماح ثم نقول لهم ندعوكم إلى كتاب الله وهذا حكم بيننا فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول ينبغي أن نقبل كتاب الله تعالى فتكون فرقة وإن قبلوا أخرنا القتال عنا إلى أجل فرفعوا المصاحف فوق الرماح وقالوا هذا كتاب الله يحكم بيننا وبينكم فلما رآها الناس قالوا نجيب إلى كتاب الله تعالى فقال علي رضي الله عنه عباد الله امضوا على حقكم وصدقكم في قتال عدوكم فإن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي سرح والضحاك أنا أعرف بهم منكم ليسوا بأصحاب قرآن وقد صحبتهم أطفالاً ورجالاً ويلكم والله ما رفعوها إلا مكيدة وخديعة وقد وهنوا/فقال أصحاب علي رضي الله عنه القراء منهم لا يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله عز وجل ونأبى أن نقبله فقال لهم علي رضي الله عنه إني إنما أقاتلهم ليدينوا لحكم الكتاب فقال له مسعود بن فدك التميمي وزيد ابن حصين الطائي في عصابة من القراء الذين صاروا خوارج فيما بعد يا علي أجب إلى كتاب الله إذا دعيت إليه وإلا دفعناك برمتك إلى القوم وكان الأشتر في الميمنة وعليّ بالوسط وابن عباس بالميسرة كما علمت فكف علي وابن عباس عن القتال

ولم يكف الأشتر وذلك لما رأى من علامات النصر والظفر فقالوا ابعث إلى الأشتر فليأتك ويكف عن القتال فبعث إليه علي رضي الله عنه يزيد بن هانئ يستدعيه فقال الأشتر قل لأمير المؤمنين ليست هذه الساعة بالساعة التي ينبغي أن يزيلني بها عن مكاني فإني وجدت ريح الظفر فأتى علياً رضي الله عنه فأخبره بمقالة الأشتر فرده إليه ثانياً وهو يقول له أقبل إليّ فإن الفتنة تريد أن تقع فجاء الأشتر وقال والله لقد ظننت أنها سترجع اختلافاً وفرقة وإنها لمشورة عمرو بن العاص فأقبل الأشتر على القوم من أصحابه وقال يا أهل العراق يا أهل الذل والوهن أحين علوتم القوم وعرفوا أنكم قاهرون لهم رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ويلكم أمهلوني فواقا فإن الفتح قد حصل والنصر قد أقبل قالوا لا يكون ذلك أبداً قال أمهلوني عدو الفرس قالوا إذا تدخل معه في خطئه قال خبروني عنكم متى كنتم محقين أحين تقاتلون وخياركم يقتلون أم الآن حين أمسكتم عن القتال فقالوا دعنا عنك يا أشتر قاتلناهم لله وندع قتالهم لله قال خدعتم فانخدعتم ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم يا أصحاب الجباه السود كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى الله تعالى فلا أرى مرادكم إلا الدنيا يا أشباه البقر الجلالة ما أنتم برائين بعدها عزاً أبدا فابعدوا كما بعد القوم الظالمون فسبوه وسبهم وضربوا وجه دابته فصاح به وبهم علي رضي الله عنه/(فاتفق) الناس على أن يجعلوا القرآن حكماً ورضوا بذلك فقام الأشعث بن قيس إلى علي رضي الله عنه فقال أرى الناس قد رضوا بما دعوا إليه من حكم القرآن بينهم فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد قال ائته فأتاه فقال يا معاوية لأي شيء رفعتم المصاحف قال لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله تعالى في كتابه تبعثون رجلاً ترضونه ونبعث رجلاً نرضاه ونأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله تعالى لا يتعديانه ثم نتبع ما اتفقا عليه فقال الأشعث هذا الحق وعاد إلى علي رضي الله عنه وأخبره بما قال معاوية فقال الناس قد رضينا ذلك وقبلناه فقال أهل الشام نرضى عمراً وقال الأشعث وأولئك القوم الذين صاروا خوارج فيما بعد نرضى بأبي موسى الأشعري فقال لهم علي كرم الله وجهه قد عصيتموني أوّل الأمر فلا تعصوني الآن لا أرى أن تولوا أبا موسى الحكومة فإنه يضعف عن

عمرو ومكايده فقال الأشعث ومن معه لا نرضى إلا به فإنه حذرنا مما وقعنا فيه فلم نسمع وكان أبو موسى ممن اعتزل القتال فقال علي إن أبا موسى لا يكمل في هذا الأمر ولكن هذا ابن عباس دعوني أوليه ذلك فإنه أدرى منه بهذا الأمر فقالوا والله لا نريد الا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء فقال دعوني أجعل الأشتر قالوا وهل سعر الأرض ناراً الا الأشتر فقال قد أبيتم الا أبا موسى؟ قالوا نعم قال اصنعوا ما أردتم فبعثوا إلى أبي موسى وجاءوا به وكان معتزل القتال عن الفئتين كما تقدم وحضر عمرو بن العاص رضي الله عنه عند علي رضي الله عنه ليكتب القصة بحضوره/ فكتب الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضيا عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومعاوية بن أبي سفيان ومن معهما فقال عمرو بن العاص هو أميركم وأما أميرنا فلا أمح اسم الامرة فقال الأحنف بن قيس يا أمير المؤمنين لا تمحها ولو قتل الناس بعضهم بعضاً فاني أخوف إن محوتها أن لا ترجع إليك أبداً فأبى علي ذلك ملياً من النهار وإن الأشعث بن قيس كلمه في ذلك فمحاه وقال علي رضي الله عنه الله أكبر سنة لسنة والله إني لكاتب رسول الله ﷺ يوم الحديبية وكتبت محمداً رسول الله فقالوا لست برسول الله ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فأمرني رسول الله ﷺ بمحوه فقلت لا أستطيع فقال أرنيه فأريته اياه فمحاه فقال إنك ستدعى لمثلها فتجيب فقال عمرو سبحان الله أنشبه بالكفار ونحن مؤمنون؟ فقال اكتبوا فكتبوا هذا ما تقاضيا عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضى علي على أهل الكوفة ومن معهم وقاضي معاوية على أهل الشام ومن معهم أنا ننزل عند حكم الله تعالى وكتابه وأن لا يكون بيننا غيره وأن كتاب الله تعالى بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحيي ما أحيا ونميت ما أمات فما وجد الحكمان في كتاب الله تعالى وهما أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عملا به وما لم يجدا في كتاب الله تعالى فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة وأخذ الحكمان من علي ومعاوية عهوداً ومواثيق ومن جنديهما أنهما آمنان على أنفسهما وأهلها والأمة لهما أنصار على ما تقاضيا عليه وعلى أبي موسى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة بحكم القرآن ولا يرداها

ولا فرقة حتى يتقاضيا وأجلا القضاء إلى رمضان وإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه وأن يقضيا مكان قضيتهما مكان عدل بين الناس من أهل الكوفة وأهل الشام وكتب في الصحيفة الأشعث بن قيس وعدي بن حجر وسعد بن قيس الهمداني وورقاء بن شمس وعبد الله بن عكل العجلي وحجر بن عدي الكندي وعقبة بن زياد الحضرمي ويزيد بن حجرة التيمي ومالك بن كعب الهمداني هؤلاء كلهم من أصحاب علي رضي الله عنه وكتب من أصحاب معاوية أبو الأعور السلمي وحبيب بن سلمة ورميل بن عمرو العدوي وحمزة بن مالك الهمداني وعبد الرحمن بن خالد المخزومي وسبيع بن يزيد الأنصاري وعتبة بن أبي سفيان ويزيد ابن الحر العبسي وخرج الأشعث بن قيس فقرأه على الناس وكتابته كانت يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين واتفقوا على أن يكون اجتماع الحكمين بدومة الجندل وهو موضع كثير النخل والزرع وبه حصن اسمه مارد. وكانت عدة من قتل من أصحاب عليّ رضي الله عنه خمسة وعشرين ألفاً منهم عمار بن ياسر وخمسة وعشرين من البدريين وكانت عدة عسكره تسعين ألفاً وقتل من أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً وكانت عدتهم مائة ألف وعشرين وأقاما بصفين مائة يوم وعشرة أيام وكان بينهم سبعون وقعة وقيل تسعون ذكر ذلك كله صاحب الفصول المهمة وغيره. وفي عقائد الشيخ أبي إسحق الفيروزابادي أن عمرو بن العاص كان وزير معاوية فلما قتل عمار بن ياسر أمسك عن القتال وتابعه على ذلك خلق كثير فقال له معاوية لم لا تقاتل؟ قال قتلنا هذا الرجل وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول تقتله الفئة الباغية فدل على أنا نحن بغاة قال له معاوية اسكت فوالله لا تزال تدحض في بولك أنحن قتلناه إنما قتله علي وأصحابه جاءوا به حتى ألقوه بيننا، وفي رواية قال قتله من أرسله إلينا يقاتلنا وإنما دفعنا عن أنفسنا فقتل فبلغ ذلك عليا فقال إن كنت قتلته أنا فالنبي ﷺ قتل حمزة حين أرسله إلى قتال الكفار (وقتل) مع علي رضي الله عنه خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين وأويس القرني زاهد التابعين (ولما رجع) علي رضي الله عنه ودخل الكوفة خالفت الحرورية وخرجت وأنكرت التحكيم وقالت لا حكم إلا لله ولا

طاعة لمن عصى الله وكان ذلك أول ما ظهر من أمرهم ورجعوا على غير الطريق الذي كانوا عليه وأتوا حروراء فنزلوا بها وبذلك سموا بها وكانوا اثني عشر ألفاً. وفي الفصول المهمة ونادى مناديهم إن أمير القتال شبيب بن ربعي التميمي وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري والأمر شورى بعد الفتح والبيعة لله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وزعموا أن علياً رضي الله عنه كان إماماً إلى أن حكم الحكمين فشك في دينه وحار في أمره وأنه الحيران الذي ذكره الله تعالى في القرآن بقوله تعالى: ﴿حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا﴾[1]. وأنهم أصحابه الداعون له إلى الهدى ولكن كذبوا فيما زعموا قاتلهم الله تعالى وإنما ضرب الله تعالى بالآية المذكورة مثلاً لغيره كما هو معلوم في كتب التفسير وليس علي رضي الله عنه بحيران بل به يهتدي الحيارى/(ولما) سمع علي رضي الله عنه هو وأصحابه بذلك بعث إليهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وقال لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك فإني في أثرك فلما أتاهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أكرموه ورحبوا به وقالوا له ما جاء بك يا ابن عباس قال قد جئتكم من عند صهر رسول الله ﷺ وابن عمه وأعلمنا بربه وسنة نبيه ﷺ فقالوا يا ابن عباس إنا أذنبنا ذنباً عظيماً حين حكمنا الرجال في دين الله تعالى وإن تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدوّنا رجعنا إليه فلم يصبر ابن عباس عن مجاوبتهم وقال أنشدكم الله إلا ما صدقتم أما قال الله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾[2] في أمر المرأة وزوجها قالوا اللهم نعم قال فكيف بأمة محمد ﷺ؟ فقالت الخوارج أما ما جعل الله تعالى حكمه إلى الناس، وأمرهم بالنظر فيه فهو إليهم وأما ما حكم به وأمضاه فليس للعباد أن ينظروا في هذا قال ابن عباس رضي الله عنهما وقال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة في أرنب تساوي ربع درهم تصاد في الحرم فقالوا يجعل الحكم في الصيد وشقاق الرجل وزوجته كالحكم في دماء المسلمين ثم قالوا له أعدل عندك عمرو بن العاص وهو بالأمس يقاتلنا وإن كان عدلاً فلسنا بعدول وقد حكمتم في أمر الله الرجال وقد أمضى الله تعالى حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو

---

(١) سورة الأنعام ٧١.
(٢) سورة النساء ٣٥.

يرجعوا وقد كتبتم كتاباً وجعلتم بينكم الموادعة وقد قطع الله الموادعة بين المسلمين وأهل الحرب مذ نزلت براءة إلا من أقر بالجزية ثم خرج علي رضي الله عنه في أثر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فانتهى إليهم وهم يخاصمونه فقال له علي رضي الله عنه ألم أنهك عن كلامهم ثم قال لهم علي رضي الله عنه من زعيمكم قالوا عبد الله بن الكواء فقال عليٌّ به فلما حضر قال له علي رضي الله عنه ما أخرجكم علينا هذا المخرج؟ قال تحكيم يوم صفين فقال لهم علي رضي الله عنه أنشدكم الله تعالى ألم أقل لكم حين رفع المصاحف أنا أعلم بالقوم منكم إنهم استحر بهم القتل وإنما رفعوها خديعة ومكيدة لكم ليفتنوكم ويثبطوكم عنهم ويقطعوا الحرب ويتربصوا بكم الدوائر وذكرهم جميع ما قاله لهم في ذلك اليوم فلم تسمعوا مني واشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن وأن يميتا ما أماته فإن حكموا بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف وإن أبيا فنحن من حكمهما برآء، فقالوا فأخبرنا عن عمرو بن العاص أتراه عدلاً حتى تحكمه في الدماء؟ قال إنما حكمت القرآن وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق وإنما يتكلم به الرجال قالوا فأخبرنا عن الأجل لم جعلته بينكم؟ قال ليعلم الجاهل ويتثبت العالم ولعل الله عز وجل أن يصلح الأمة في مدة هذه الهدنة ويلهمها ويرشدها قالوا فأخبرنا عن يوم كتبت الصحيفة إذ كتب الكاتب هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان فأبى عمرو أن يقبل منك أنك أمير المؤمنين فمحوت اسمك من إمرة المؤمنين وقلت للكاتب اكتب ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان فإن لم تكن أنت أمير المؤمنين ونحن المؤمنون فلست بأميرنا فقال علي رضي الله عنه يا هؤلاء أنا كنت كاتب رسول الله ﷺ يوم الحديبية فقال النبي ﷺ اكتب هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله ﷺ وسهيل بن عمروٍ فقال سهيل لو علمنا أنك رسول الله ما صددناك ولا قاتلناك فأمرني رسول الله ﷺ فمحوت اسمه من الكتاب وكتب هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وإنما محوت اسمي من إمرة المؤمنين كما محا رسول الله ﷺ اسمه من الرسالة وكان لي به أسوة فهل عندكم شيء غير هذا تحتجون به عليَّ؟ فسكتوا فقال لهم علي رضي الله

عنه قوموا فادخلوا مصركم يرحمكم الله فقالوا ندخل ولكن نريد أن نمكث مدة الأجل الذي بينك وبين القوم ههنا ليحيا المال ويسمن الكراع ثم ندخل فانصرف عنهم علي رضي الله عنه وهم كاذبون فيما زعموا قاتلهم الله تعالى (ولما جاء) وقت الحكمين أرسل علي رضي الله عنه مع أبي موسى الأشعري أربعمائة راكب وعليهم شريح بن هانئ الحارثي ومعهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يصلي بهم وأرسل معاوية مع عمرو بن العاص أربعمائة رجل من أهل الشام وتوافقوا بدومة الجندل وحضر معهم عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وعبد الرحمن بن الزبير وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهري وأبو الجهم بن حذيفة العدوي والمغيرة بن شعبة وكان سعد بن أبي وقاص على ماء لبني سليم بالبادية فأتاه ابنه عمر فقال له إن أبا موسى وعمرو بن العاص قد حضرا للحكومة وقد شهدهم نفر من قريش فاحضر معهم فإنك صاحب رسول الله ﷺ وأحد الستة الذين كانت الشورى بينهم ولم تدخل في أمر تكرهه هذه الأمة وأنت أحق الناس بالخلافة فلم يفعل، وقيل بل حضر ثم ندم على حضوره فأحرم بعمرة من بيت المقدس وتوجه إلى مكة محرماً وكان عمرو بن العاص بعد تحكيم علي ومعاوية له ولأبي موسى يقدم أبا موسى في كل شيء ويظهر له الاحترام والإعظام ويقول له لا أتقدم عليك في أمر من الأمور ولا في شيء من الأشياء لا في كلام ولا في غيره لأنك أسن مني وأنت صاحب رسول الله ﷺ وقد دعا لك فقال اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلا كريماً حتى استقر ذلك في نفس أبي موسى وسكن في خاطره وظن أنه يقدمه على نفسه تعظيماً وتكريماً وإنما هو دهاء وخديعة منه له، ولما اجتمعا للحكومة وتفاوضا في الكلام كان من كلام عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري ألم تعلم أن عثمان قتل مظلوماً قال أشهد قال ألم تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه قال أعلم قال فما يمنعك من توليته وبيته في قريش كما علمت وإن خفت أن يقول الناس ليس له سابقة فقد وجدته ولي عثمان الخليفة المقتول ظلماً وهو المطالب بدمه مع ماله من حسن السياسة والتدبير وهو أخو أم حبيبة زوج النبي ﷺ وكاتب وحي رسول الله ﷺ وعرض له بسلطان

فقال أبو موسى الأشعري يا عمرو اتق الله أما ما ذكرت من شرف معاوية فالشرف لأهل الدين والفضل مع أني لو كنت معطيه أفضل قريش شرفاً لأعطيته علي بن أبي طالب وأما قولك إن معاوية ولي دم عثمان فوله هذا الأمر فلم أكن أوليه وأدع المهاجرين الأولين وأما تعريضك لي بالسلطان فوالله لو خرج معاوية عن سلطانه ما وليته فقال له عمرو فما تقول في ابني عبد الله وأنت تعلم فضله وصلاحه فقال قد غمست ابنك في هذه الفتنة لا يكون ذلك فقال عمرو إن هذا الأمر لا يصلح إلا لرجل يأكل ويطعم فسمع ابن الزبير كلامه فقال يا أبا موسى تفطن وتنبه لكلام عمرو وقال يا بن العاص إن العرب أسندت أمرها إليك بعد ما تنازعوا بالسيوف وأشرفوا على الحتوف فلا تردنهم في فتنة واتق الله ولما راود عمرو ابن العاص أبا موسى على معاوية وعلى ابنه عبد الله فأبى أبو موسى راوده على توليته عبد الله بن عمر فأبى عمرو ثم قال هات رأياً غير هذا فقال أبو موسى أرى أن نخلع هذين الرجلين يعني علياً ومعاوية ونجعل الأمر شورى بينهم فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا فقال الرأي ما رأيت فأقبلا على الناس بوجوههم وهم مجتمعون ينظرون ما يتفقان عليه فقال عمرو تكلم يا أبا موسى وأخبرهم أن رأينا اتفق فقال أبو موسى أيها الناس إن رأينا قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله تعالى به أمر هذه الأمة ويلم شعثها ويجمع كلمتها فقال عمرو صدق أبو موسى وبر فيما قال تقدم يا أبا موسى فتكلم فقام إليه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وقال له يا أبا موسى إن كنت وافقته على أمر فقدمه يتكلم به قبلك فإني أخشى من خديعته لك وإني لا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه فإذا قمت في الناس خالفك فقال أبو موسى قد توافقنا وتراضينا وما ثم مخالفة أبدا وكان أبو موسى سليم القلب فتقدم فحمد الله وأثني عليه ثم قال أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أسلم لأمرها ولا ألم لشملها من أمر قد اجتمع عليه رأيي ورأي عمرو وهو أن نخلع علياً ومعاوية ويستقبل الناس هذا الأمر بأنفسهم فيولوا عليه من أحبوا واختاروا وإني قد خلعت علياً ومعاوية فاستقبلوا أمركم فولوا عليكم من رأيتموه أهلاً لذلك ثم تنحى وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه فحمد الله وأثنى

عليه ثم قال أيها الناس إن أبا موسى قد خلع صاحبه وقد قال ما سمعتم وأنا أيضاً قد خلعت صاحبه وأبقيت صاحبي معاوية على الخلافة فإنه ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه والمطالب بدمه وأحق الناس بمقامه ثم تنحى فقال له أبو موسى ما لك لا وفقك الله غدرت وفجرت وإنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فقال عمرو لأبي موسى وأنت إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً قال سعد لأبي موسى ما أضعفك يا أبا موسى عن عمرو ومكايده فقال أبو موسى ما أصنع وافقني على أمر وغدر وقال ابن عباس لا ذنب لك يا أبا موسى وإنما الذنب لمن قدمك وأقامك في هذا المقام وقال عبد الرحمن بن أبي بكر لو غاب الأشعري قبل هذا اليوم لكان خيرا له وحمل شريح بن هانئ على عمرو فضربه بالسوط وحمل ابن عمرو على شريح فضربه بعصا وحجز الناس بينهم وكان شريح يقول بعد ذلك ما ندمت على شيء ندامتي إلا من أن أكون ضربت عمراً بالسيف عوضاً عن السوط والتمس الناس أبا موسى رضي الله عنه فوجدوه قد ركب راحلته وهرب إلى مكة وكان أبو موسى يقول حذرني ابن عباس غدر عمرو ولكني اطمأننت إليه لما يظهر لي وانصرف عمرو بن العاص وأهل الشام إلى معاوية وسلموا عليه بالخلافة. قيل إن معاوية قام في الناس فقال أما بعد فمن كان متكلماً في هذا الأمر بعد ذلك فليطلع لنا قرنه وخرج شريح بن هانئ مع ابن عباس إلى علي رضي الله عنه فأخبراه الخبر فقام في أهل الكوفة فخطبهم فقال: الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدثان الجليل وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ أما بعد فإن المعصية تورث الحسرة وتعقب الندامة وكنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة أمري فأبيتم ونحلتكم رأيي فما لويتم فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى   فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

أما إن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكين فقد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما وأحييا ما أمات القرآن واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله

فحكما بغير حجة بينة ولا سنة مضيئة واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشدا استعدوا وتأهبوا للمسير إلى الشام واصبحوا في معسكركم يوم الاثنين ثم نزل وكتب إلى الخوارج بالنهروان بسم الله الرحمن الرحيم من علي أمير المؤمنين إلى زيد بن حصين وعبدالله بن وهب وعبدالله بن الكواء ومن معهم من الناس أما بعد فإن هذين الرجلين اللذين ارتضيا حكمين قد خالفا كتاب الله واتبعا هواهما بغير هدى من الله ولم يعملا بالسنة ولم ينفذا حكم القرآن فإذا وصلكم كتابي هذا فاقبلوا إلينا فإنا سائرون إلى عدونا وعدوكم ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه ؛ فكتبوا إليه أما بعد فإنك لم تغضب لله تعالى وإنما غضبت لنفسك فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك وإلا فقد نابذناك على سواء إن الله لا يحب الخائنين ، فلما قرأ كتابهم أيس منهم ورأى أن يدعهم ويمضي بالناس إلى أهل الشام فيناجزهم فقام في أهل الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإنه من ترك الجهاد في الله وداهن في أمره كان على شفا هلكة إلا أن يتداركه الله بنعمته فاتقوا الله وقاتلوا من حاد الله وحاول أن يطفىء نوره وقاتلوا الخاطئين الضالين فبينما علي رضي الله عنه معهم في الكلام اتاه الخبر أن الخوارج خرجوا على الناس وأنهم قتلوا عبدالله بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله ﷺ وبقروا بطن امرأته وهي حامل وقتلوا ثلاث نسوة من طيء وقتلوا أم سنان فلما بلغ علي رضي الله عنه ذلك بعث إليهم الحرث بن مرة العبدي ليأتيهم وينظر صحة الخبر فيما بلغه عنهم ويكتب به إليه ولا يكتمه شيئاً من أمرهم فلما دنا منهم وسألهم قتلوه وأتى عليا رضي الله عنه الخبر بذلك وهو بمعسكره فقال الناس يا أمير المؤمنين علام ندع هؤلاء وراءنا يخلفونا في أموالنا وعيالنا سر بنا إليهم فإذا فرغنا منهم سرنا إلى أعدائنا من أهل الشام وجاءهم منجم يقال له مسافر بن عدي الازدي فقال يا أمير المؤمنين إذا أردت المسير إلى هؤلاء القوم فسر إليهم في الساعة الفلانية فإنك إن سرت في غيرها لقيت أنت وأصحابك ضرراً شديداً ومشقة عظيمة فخالف علي رضي الله عنه قوله ولما قرب علي رضي الله عنه منهم بحيث يرونه ويراهم نزل وأرسل اليهم أن ادفعوا الينا قتلة اخواننا منكم نقتلهم بهم وأتارككم وأكف عنكم

حتى ألقى أهل الشام فلعل الله أن يأخذ بقلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أموركم فقالوا كلنا قتلناهم وكلنا مستحلون لدمائكم وأموالكم ودمائهم ، فخرج إليهم قيس بن عبادة رضي الله عنه فقال لهم عباد الله أخرجوا إلينا قتلة اخواننا منكم وادخلوا في هذا الأمر الذي خرجتم منه وعودوا إلى قتال عدونا وعدوكم فانكم قد ركبتم عظيماً من الأمر تشهدون علينا بالشرك وتسفكون دماء المسلمين ، فقال عبد الرحمن بن صخر السلمي إن الحق قد أضاء لنا فلسنا بتابعيكم ؛ ثم إن عليا رضي الله عنه خرج إليه بنفسه فقال لهم أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء والحجاج وصدها عن الحق اتباع الهوى واللجاج ان أنفسكم الأمارة سولت لكم فراقي لهذه الحكومة التي أنتم ابتدأتموها وسألتموها وأنا لها كاره وأنبأتكم أن القوم انما فعلوها مكيدة فأبيتم على إباء المخالفين وعندتم على عناد العاصين حتى صرفت رأيي إلى رأيكم وإن معاشركم والله صغار الهام سفهاء الأحلام وأجمع رأي رؤسائكم وكبرائكم أن اختاروا رجلين وأخذنا عليهما أن يحكما بالقرآن ولا يتعديانه فتاها وتركا الحق وهما يبصرانه فبينوا لنا بم تستحلون دماءنا والخروج عن جماعتنا ثم تستعرضون الناس تضربون أعناقهم ان هذا لهو الخسران المبين فتنادوا لا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيأوا للقتال الرواح الرواح إلى الجنة فرجع علي رضي الله عنه إلى أصحابه فهيأهم للقتال فجعل ميمنته حجر بن عدي وميسرته شبيب بن ربعي وقيل معقل بن قيس الرياحي وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصاري وفي مقدمتهم قيس بن سعد ابن عبادة رضي الله عنهم وأعطى علي رضي الله عنه لأبي أيوب الأنصاري راية أمان فناداهم أبو أيوب رضي الله عنه فقال من جاء إلى هذه الراية فهو آمن ممن لم يكن قتل ولا تعرض لأحد من المسلمين بسوء ومن انصرف منكم إلى الكوفة فهو آمن ومن انصرف إلى المدائن فهو آمن لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة اخواننا في سفك دمائكم فانصرف فورة بن نوفل الأشجعي في خمسمائة فارس وخرج طائفة أخرى منصرفين إلى الكوفة وطائفة أخرى إلى المدائن وتفرق أكثرهم بعد أن كانوا اثني عشر ألفاً فلم يبق منهم غير أربعة آلاف جعلوا على ميمنتهم زيد بن قيس

الطائي وعلى الميسرة شريح بن أوفى العبسي وعلى خيلهم حمزة بن سنان الأسدي وعلى رجالتهم حرقوص بن زهير السعدي وقال علي رضي الله عنه لأصحابه كفوا حتى يبدأوكم فتنادوا الرواح الرواح إلى الجنة وحملوا على الناس فانفرقت خيل علي رضي الله عنه فرقتين حتى صاروا في وسطهم وعطفوا عليهم من الميمنة إلى الميسرة واستقبلت الرماة وجوههم بالنبل وعطف عليهم الرجالة بالسيوف والرماح فما كان بأسرع من أن قتلوهم عن آخرهم وكانوا أربعة آلاف ولم يفلت منهم إلا تسعة رجال لا غير رجلان هربا إلى خراسان وبها نسلهما إلى الآن ورجلان سارا إلى حران وبها نسلهما ورجلان سارا إلى اليمن وبها نسلهما وهم الذين يقال لهم الأباضية أصحاب عبدالله بن أباض ورجلان سارا إلى الجزيرة ورجلان سارا إلى تل مؤذن، وغنم جماعة علي رضي الله عنهم منهم غنائم كثيرة وقتل من جماعته رجلان ولم يسلم من الخوارج المارقين غير هذه التسعة وهذه كرامة من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فإنه قال قبل ذلك نقتلهم ولا يقتل منا عشرة ولا يسلم منهم عشرة.

(تنبيه) الخوارج هؤلاء الذين خرجوا على علي رضي الله عنه لما حكم الحكمين وقالوا لا حكم إلا لله هم الذين قال فيهم النبي ﷺ «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» كما جاء في حديث البخاري ومنهم عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي الذي جاء إلى النبي ﷺ وهو يقسم الصدقات فقال اعدل يا رسول الله فقال ﷺ ويلك ومن يعدل إن لم أعدل فقال عمر رضي الله عنه فأذن لي يا رسول الله في أن أضرب عنقه فقال له ﷺ دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وفيهم نزل ومنهم من يلمزك في الصدقات ويقال لهم الحرورية بحاء مهملة وراء مكررة بينهما واو ثم ياء نسبة إلى حروراء أرض نزلوا بها لما خرجوا على علي رضي الله عنه اهـ من الفصول المهمة. وفي كلام بعض المؤرخين أن عليا همّ بقتال معاوية فلم يتمكن علي كرم الله وجهه من المسير إلى الشام لقتال معاوية ثانياً لما دهمه من ابن ملجم لعنه الله.

(تتمة: في ذكر أولاده ومقتله وقاتله وما يتصل بذلك) اعلم ان الناس قد اختلفوا في عدد أولاده ذكوراً وإناثاً فنهم من أكثر ومنهم من أقل؛ ففي كتاب الأنوار لأبي القاسم اسمعيل أن أولاده اثنان وثلاثون ستة عشر ذكراً وست عشرة أنثى وقال اليعمري تسعة وعشرون اثنا عشر ذكراً وسبع عشرة أنثى وقال المحب الطبري كان له من الولد أربعة عشر ذكراً وثمان عشرة أنثى وفي الصفوة أربعة عشر ذكراً وتسع عشرة أنثى وفي بغية الطالب أولاده رضي الله عنهم خمسة عشر ذكراً وثمان عشرة أنثى بالاتفاق. واختلف في الذكور إلى عشرين والإناث إلى اثنتين وعشرين أما الذكور فالحسن والحسين ومحسن وفي كلام غيره مات صغيراً أمهم فاطمة البتول بنت رسول الله ﷺ سميت البتول لانقطاعها عن النساء فضلاً وديناً وحسباً وقيل لانقطاعها عن الدنيا يقال امرأة بتول منقطعة عن الرجال وبه سميت أم عيسى ومحمد الأكبر أمه من سبي بني حنيفة واسمها خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية وعبد الله قتله المختار بن أبي عبيد وأبو بكر قتل مع الحسين أمها ليلى بنت مسعود النهشلي وتزوجها عبد الله بن جعفر بعد عمه فجمع بين زوجة علي وابنته والعباس الأكبر ويلقب بالسقاء وعثمان وجعفر وعبد الله قتلوا مع الحسين أمهم أم البنين بنت حزام الوحيدية ثم الكلابية ومحمد الأصغر قتل مع الحسين أمه أم ولد ويحيى وعون أمها أسماء بنت عميس وعمر الأكبر أمه أم حبيب الصهباء التغلبية من سبي الردة ومحمد الأوسط أمه أمامة بنت أبي العاص بن الربيع العبشمية وهي التي حملها ﷺ في صلاة الظهر وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ. وأما البنات فأم كلثوم الكبرى ولدت قبل وفاة رسول الله ﷺ وتزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وولدت زيداً الأكبر ورقية وتوفيت هي وابنها زيد في وقت واحد وصلى عليهما ابن عمر وكان فيهما سنتان فيما ذكروا لم يرث واحد منهما من صاحبه لأنه لا يعرف أولها موتا وقدم زيد قبل أمه مما يلي الأيمن في الصلاة وزينب الكبرى شقيقة الحسن والحسين ورقية شقيقة عمر الأكبر وأم الحسن ورملة الكبرى أمها أم سعد بنت عروة بن مسعود الثقفي وأم هانيء وميمونة ورملة الصغرى وزينب الصغرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وأمامة وخديجة وأم الخير وأم سلمة

وأم جعفر وجمانة ونفيسة لأمهات شتى والعقب من ولده رضي الله عنه من الحسن والحسين ومحمد الأكبر وعمر والعباس السقاء اهـ وفي حاشية البجيرمي على المنهج في باب الوصايا نقلاً عن البرماوي ما نصه جملة أولاد علي بن أبي طالب من الذكور أحد وعشرون والذي أعقب منهم خمسة الحسن والحسين ابنا فاطمة والعباس بن الكلابية ومحمد بن الحنفية نسبة إلى بني حنيفة وعمر بن التغلبية نسبة لقبيلة يقال لها تغلب ومن الإناث ثمان عشرة والتي أعقبت منهن واحدة فقط زينب أخت السبطين من فاطمة اهـ.

(تذييل: في الكلام على مناقب محمد بن الحنفية) في طبقات الشعراني كان يقول رضي الله عنه: من كرمت عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قدر، وكان يقول: ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من لم يجد من معاشرته بداً حتى يجعل الله له مخرجاً. ولما كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان يتهدده ويتوعده ويحلف ليحملن إليه مائة ألف في البر ومائة ألف في البحر أو يؤدي إليه الجزية كتب عبد الملك إلى الحجاج أن اكتب إلى محمد بن الحنفية تهدده وتوعده ثم أعلمني بما يرد عليك فكتب إليه فأرسل محمد بن الحنفية كتابه إلى الحجاج يقول إن لله عز وجل ثلاثمائة وستين نظرة إلى خلقه وأنا أرجو أن ينظر إلي نظرة يمنعني بها منك فبعث الحجاج بذلك الكتاب إلى عبد الملك فكتب مثل ذلك إلى ملك الروم فقال ملك الروم ما خرج هذا منك ولا كتبت أنت به ولا خرج إلا من بيت نبوّة اهـ ولما بلغ محمداً مسير أخيه الحسين رضي الله عنهما إلى الطف وكان بين يديه طست يتوضأ فيه بكى حتى ملأه من دموعه.

(كرامة) مر زيد بن علي زين العابدين بمحمد بن الحنفية فنظر إليه وقال أعيذك بالله أن تكون زيد بن علي المصلوب بالعراق فكان كما قال كذا في الخطط. ومن كلامه رضي الله عنه: وكل الله الجهل بالعطاء والعقل بالحرمان ليعتبر العاقل وليعلم أن ليس له من الأمر شيء. حكى أبو طالب المكي في القوت أن علياً رضي الله عنه قال: لابنه محمد بن الحنفية وقد قدمه أمامه يوم الجمل اقدم ومحمد

يتأخر وهو يكرهه بقائم الرمح فالتفت إليه وقال هذه والله الفتنة المظلمة العمياء فوكزه علي بالرمح وقال له تقدم لا أم لك أتكون فتنة أبوك قائدها وسائقها ا هـ

وكانت الشيعة تسميه المهدي وهو يقول كل مؤمن مهدي وكان صاحب راية أبيه يوم الجمل وكان شجاعاً كريماً فصيحاً توفي محمد بن الحنفية رضي الله عنه بالمدينة المنورة سنة إحدى وثمانين من الهجرة كذا في مختصر التواريخ ويقال إنه مات بالطائف. وأما ألقاب الإمام علي رضي الله عنه فالمرتضى وحيدر وأمير المؤمنين والأنزع البطين. وأما كنيته فابو الحسن وأبو السبطين وأبو تراب كناه ﷺ وكانت أحب الكنى إليه كما سبق وكان نقش خاتمه أسندت ظهري إلى الله وقيل حسبي الله وكان تحته يوم قتل أربع زوجات وهن أمامة وليلى بنت مسعود التميمية وأسماء بنت عميس وأم البنين. وأمهات أولاده عشر إماء. وبوابه سلمان الفارسي رضي الله عنه. وشاعره حسان بن ثابت رضي الله عنه. ومعاصروه أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية رضي الله عنهم أجمعين (وأما مقتله ومدة عمره وقاتله) فقال أهل السير انتدب ثلاثة نفر من الخوارج عبد الرحمن بن ملجم المرادي وهو من حمير وعداده في بني مراد وحليف بني جبلة من كندة والبرك بن عبد الله التميمي وعمرو ابن بكير التميمي فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة علي بن أبي طالب ومعاوية وعمرو بن العاص ويريحن العباد منهم فقال ابن ملجم أنا لكم بعلي وقال البرك أنا لكم بمعاوية وقال عمرو بن بكير وأنا أكفيكم عمرو بن العاص وتوافقوا أن لا ينكص واحد منهم عن صاحبه وأن يكون ليلة سبع عشرة من رمضان وقيل ليلة الحادي والعشرين سنة أربعين ثم توجه كل واحد منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه فقدم البرك دمشق وضرب معاوية فجرحه في أليته فسلم منها وفي حياة الحيوان فأصاب أوراكه فقطع منه عرق النكاح فلم يولد له بعد ذلك فلما قبض عليه قال الأمان والبشارة فقد قتل علي في هذه الليلة فاستبقاه معاوية حتى أتاه الخبر فقطع معاوية يده ورجله وأطلقه وقيل قتله وأما عمرو بن بكير فقدم مصر وكان يومئذ بعمرو بن العاص وجع الظهر أو البطن فبعث مكانه سهلاً العامري وقيل خارجة وهو المشهور ليصلي بالناس فقتله عمرو بن بكير يحسبه

عمرو بن العاص وقبض عليه وقتل. وفي الفصول المهمة أن الذي استخلفه عمرو وقتل خارجة وفيه وأخذ قاتل خارجة وأدخل على عمرو بن العاص فلما رآه قال له من قتلت؟ قال يقولون خارجة فقال أردت عمراً وأراد الله خارجة وأمر به فقتل وفي ذلك يقول بن عبدون:

وليتها إذ فدت عمراً بخارجة فدت علياً بما شاءت من البشر

ولما بلغ معاوية قتل خارجة وسلامة عمرو كتب اليه هذه الأبيات:

وقتك وأسباب الأمور كثيرة منية شيخ من لؤي بن غالب
فيا عمرو مهلاً إنما أنت عمه وصاحبه دون الرجال الأقارب
نجوت وقد بل المرادي سيفه من ابن أبي شيخ الأباطح طالب
ويضربني بالسيف آخر مثله وكانت عليه تلك ضربة لازب
وأنت تناغي كل يوم وليلة بمصرك بيضا كالظباء السوارب

وأما عبد الرحمن بن ملجم فقدم الكوفة فلقيه جماعة من أصحابه فكاتمهم أمره كراهة أن يظهر عليه شيء من ذلك فرأى في بعض الأيام بدار من دور الكوفة فيها عرس فخرج منها نسوة فرأى فيهن امرأة جميلة يقال لها قطام بنت الأصبغ التيمي فوقع في قلبه حبها فقال يا جارية أيم أنت أم ذات بعل؟ فقالت بل أيم فقال لها هل لك في زوج لا تذم خلائقه فقالت نعم ولكن لي أولياء أشاورهم فتبعها فدخلت داراً ثم خرجت إليه فقالت يا هذا إن أوليائي لا يزوجوني إلا على ثلاثة آلاف دينار وعبد وقينة فقال لك ذلك قالت وشريطة أخرى قال وما هي؟ قالت قتل علي بن أبي طالب فإنه قتل أبي وأخي يوم النهروان قال ويحك ومن يقدر على قتل علي بن أبي طالب وهو فارس الفرسان وواحد الشجعان؟ فقالت لا تكثر فذلك أحب إلينا من المال إن كنت تفعل ذلك وتقدر عليه وإلا فاذهب إلى سبيلك فقال لها والله ما جئت إلا لقتل علي فقد أعطيتك ما سألت وفي رواية الزبير بن بكار قال صدقت ولما رأيتك آثرت تزويجك فقالت ليس إلا الذي قلت لك قال وما يغنيك أو ما يغنيني من قتل علي وأنا أعلم أني إن قتلته لم

أفلت؟ قالت إن قتلته ونجوت فهو الذي أردت فتبلغ شفاء نفسي ويهنيك العيش معي وإن قتلت فما عند الله خير لك من الدنيا وما فيها فقال لها لك ما اشترطت قال الفرزدق :

ولم أر مهراً ساقه ذو شجاعة	كمهر قطام من فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة	وضرب عليّ بالحسام المسمم
ولا مهر أعلى من عليّ وإن علا	ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم
ولا غرو للأشراف إن ظهرت بهم	كلاب الأعادي من فصيح وأعجم
فحربة وحشي سقت حمزة الردى	وحتف علي من حسام ابن ملجم

ثم إنها قالت له سألتمس لك من يشد ظهرك فبعثت إلى ابن عم لها يدعى وردان بن مجالد فأجابها ولقي ابن ملجم شبيب بن بجرة الأشجعي بفتح الباء والجيم كما ضبطه بعضهم وضبطه أبو عمرو بضم الباء وسكون الجيم فقال له يا شبيب هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال وما هو قال تساعدني على قتل علي بن أبي طالب قال ثكلتك أمك لقد جئت شيئاً إداً كيف تقدر على ذلك قال إنه رجل لا حرس له ويخرج إلى المسجد منفرداً فنكمن له في المسجد فإذا خرج للصلاة قتلناه فإن نجونا اشتفينا وان قتلنا سعدنا بالذكر في الدنيا وبالجنة في الآخرة فقال ويلك إن عليا ذو سابقة في الإسلام مع النبي ﷺ ما تنشرح نفسي لقتله قال ويلك إنه حكم الرجال في دين الله وقتل إخواننا الصالحين فنقتله ببعض من قتل ولا تشكن في دينك فأجابه وأقبلا حتى دخلا على قطام وهي معتكفة في المسجد الأعظم في قبة ضربتها لها فدعت لها فقاما وأخذا سيفيهما ثم جاءا حتى جلسا قباله السدة التي يخرج منها علي ودخل ابن النباح المؤذن فقال الصلاة فقام علي يمشي وابن النباح بين يديه والحسن ابنه خلفه فلما خرج من الباب نادى أيها الناس الصلاة الصلاة كذلك كان يصنع كل يوم يخرج ومعه درته يوقظ الناس فاعترضه الرجلان فقال بعض من حضر ذلك رأيت بريق السيف وسمعت قائلاً يقول لله الحكم يا علي لا لك وفي رواية الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك ثم رأيت سيفاً ثانياً فضربا جميعاً فأما سيف شبيب فوقع في الطاق وأخطأ وأما سيف ابن ملجم فأصاب

جبهته إلى قرنه ووصل إلى دماغه وهرب وردان حتى دخل منزله فدخل عليه رجل فقتله وهرب شبيب في الغلس (وأما ابن ملجم) فإنه لما هم الناس به حمل عليهم بسيفه ففرجوا له فتلقاه المغيرة بن نوفل بقطيفة فرماها عليه واحتمله وضرب به إلى الأرض وقعد على صدره وانتزع سيفه وجاء به إلى أمير المؤمنين فنظر إليه ثم قال النفس بالنفس إن أنا مت فاقتلوه كما قتلني وإن برئت أبديت رأيي فيه. وفي ذخائر العقبى فقال علي رضي الله عنه فإن مت فاقتلوه ولا تمثلوا به وإن لم أمت فالأمر لي في العفو والقصاص فقال ابن ملجم والله ابتعته بألف وسممته شهراً فإن أخلفني أبعده الله وأسحقه يعني سيفه فقالت أم كلثوم ابنة علي رضي الله عنه يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين فقال إنما قتلت أباك قالت يا عدو الله إني لأرجو أن لا يكون عليه بأس قال فلم تبكين إذاً والله لقد ضربته ضربة لو قسمت على أهل مصر ما بقي منهم أحد فأخرج من بين يدي أمير المؤمنين والناس يلعنونه ويقولون له قتلت خير الناس يا عدو الله وفي أسد الغابة لما أخذ ابن ملجم أدخل على علي رضي الله عنه فقال احبسوه وأطيبوا طعامه وألينوا فراشه فإن أعش فأنا ولي دمي عفواً أو قصاصاً وإن أمت فألحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين ومكث رضي الله عنه جريحاً يوم الجمعة والسبت وتوفي ليلة الأحد الثالثة عشر من رمضان سنة أربعين وكان عمره إذ ذاك خمساً وستين سنة وقيل ثلاثاً وستين كالنبي وأبي بكر وعمر وهو من عجيب الاتفاق قال الواقدي وهذا هو المثبت عندنا وقيل غير ذلك.

(وصيته رضي الله عنه الحسن والحسين رضي الله عنهما) روي أنه لما ضربه ابن ملجم أوصى الحسن والحسين وصية طويلة في آخرها: يا بني عبد المطلب لا تخوضوا دماء المسلمين خوضاً تقولون قتل أمير المؤمنين ألا لا تقتلوا بي إلا قاتلي انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا تمثلوا به فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور» أخرجه الفضائلي؛ وفي رواية عن الحسن رضي الله عنه لما حضرت أبي الوفاة أقبل يوصي فقال هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أخو محمد ﷺ وابن عمه وصاحبه أول وصيتي أني

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسوله وخيرته اختاره بعلمه وارتضاه لخلقه وإن الله باعث من في القبور وسائل الناس عن أعمالهم عالم بما في الصدور ، ثم إني أوصيك يا حسن وكفى بك وصياً بما أوصاني به رسول الله ﷺ فإذا كان ذلك فالزم بيتك وابك على خطيئتك ولا تكن الدنيا أكبر همك ، وأوصيك يا بني بالصلاة عند وقتها والزكاة في أهلها عند محلها ، والصمت عند التشبه والاقتصاد والعدل في الرضا والغضب وحسن الجوار وإكرام الضيف ورحمة المجهود وأصحاب البلاء وصلة الرحم وحب المساكين ومجالستهم والتواضع فإنه من أفضل العبادة وذكر الموت والزهد في الدنيا فإنك رهن موت وعرض بلاء وطريح سقم. وأوصيك بخشية الله تعالى في سرائرك وعلانيتك وأنهاك عن مخالفة الشرع بالقول والفعل وإذا عرض لك شيء من أمر الآخرة فابدأ به وإذا عرض لك شيء من أمر الدنيا فتأنه حتى تصيب رشدك فيه ، وإياك ومواطن التهمة والمجلس المظنون به السوء فإن قرين السوء يغير جليسه ، وكن لله يا بني عاملاً وعن الخنا زجوراً وبالمعروف آمراً وعن المنكر ناهياً وآخ الإخوان في الله وأحب الصالح لصلاحه ودار الفاسق عن دينك وأبغضه بقلبك وزايله بأعمالك لئلا تكون مثله. وإياك والجلوس في الطرقات ودع المماراة ومجاراة من لا عقل له واقتصد يا بني في معيشتك واقتصد في عبادتك وعليك فيها بالأمر الدائم الذي تطيقه والزم الصمت وبه تسلم وقدم لنفسك تغنم وتعلم الخير وكن ذاكراً لله تعالى على كل حال وارحم من أهلك الصغير ووقر الكبير ولا تأكل طعاماً حتى تتصدق منه قبل أكله ، وعليك بالصوم فإنه زكاة البدن وجنة لأهله وجاهد نفسك واحذر جليسك واجتنب عدوك وعليك بمجالس الذكر وأكثر من الدعاء فإني لم آلك يا بني نصحاً وهذ فراق بيني وبينك ، وأوصيك بأخيك محمداً خيراً فإنه ابن أبيك وقد تعلم حبي له ، وأما أخوك الحسين فهو شقيقك وابن أمك وأبيك والله الخليفة عليكم وإياه أسأله أن يصلحكم وأن يكف الطغاة البغاة عنكم ، والصبر الصبر حتى يقضي الله هذا الأمر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ». ثم قال يا حسن أبصروا ضاربي أطعموه من طعامي واسقوه من شرابي فإن عشت فأنا أولى بحقي وإن مت فاضربوه

ضربه ولا تمثلوا به فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور». يا حسن إن أنا مت لا تغال في كفني فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا تغالوا في الأكفان وامشوا بين المشيين فإن كان خيراً أعجلتموني إليه وإن كان شراً ألقيتموني عن أكتافكم» يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تريقون دماء المسلمين بعدي تقولون قتلتم أمير المؤمنين ألا لا يقتلن بي إلا قاتلي ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض رضي الله عنه ؛ وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية رضي الله عنهم (وكفن) في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة (وصلى) عليه ابنه الحسن (ودفن) في الغري ليلاً موضع معروف يزار إلى الآن وقيل بالنجف وفيه يقول بعض الشعراء :

سقته سحائب الرضوان سحا ... كجود يديه ينسجم انسجاما
ولا زالت رواة المزن تهدي ... إلى النجف التحية والسلاما

وقيل دفن بين منزله والمسجد، وقيل دفن بقصر الإمارة بالكوفة كذا في الفصول وقيل غير ذلك (ومروياته) في كتب الأحاديث خمسمائة وستة وثمانون حديثاً (وكاتبه) عبد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ (وقاضيه) شريح بن الحرث الكندي (ولما) فرغوا من دفنه جلس الحسن رضي الله عنه وأمر أن يؤتى بابن ملجم فجيء به فلما وقف بين يديه أمر بضرب عنقه وأخذه الناس وأحرقوه. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال مرض علي رضي الله عنه فدخلت عليه وعنده أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فجلست عنده معهما فجاء النبي ﷺ فنظر في وجهه فقال أبو بكر وعمر قد تخوفنا عليه يا رسول الله فقال ﷺ لا بأس عليه ولن يموت الآن ولا يموت حتى يملأ غيظاً ولن يموت إلا مقتولاً. وعن صهيب قال قال رسول الله ﷺ لعلي : «من أشقى الأولين يا علي؟ قال الذي عقر ناقة صالح قال صدقت فمن أشقى الآخرين؟ قال الله ورسوله أعلم قال أشقى الآخرين الذي يضربك على هذه وأشار إلى يافوخه وكان علي كرم الله وجهه يقول لاهله والله لوددت أن لو انبعث اشقاها» أخرجه أبو حاتم. وعن فضالة الأنصاري قال خرجت مع أبي إلى البقيع عائدين لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان مريضاً

بها قد نقل إليها من المدينة فقال له أبي ما يقيمك في هذا المنزل ولو هلكت به لم تدفنك إلا أعراب جهينة؟ وكان أبو فضالة من أهل بدر فقال له علي رضي الله عنه إني لست بميت من وجعي هذا وذلك أن النبي ﷺ عهد إلي أن لا أموت حتى أؤمر وتخضب هذه من دم هذا وأشار إلى لحيته ورأسه قضاء مقضياً وعهداً معهوداً منه إلي (وعن أبي الأسود الدؤلي) أنه عاد عليا رضي الله عنه في شكوى اشتكاها قال فقلت له لقد تخوفنا عليك يا أمير المؤمنين في شكواك هذه فقال لكن والله ما تخوفت على نفسي لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول إنك ستضرب ضربة ههنا وأشار إلى رأسي فيسيل دمها حتى يخضب لحيتك يكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود/ (وفي الفصول المهملة) قيل وسئل علي رضي الله عنه وهو على المنبر في الكوفة عن قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾[1] فقال اللهم غفراً هذه الآية نزلت فيّ وفي عمي حمزة وفي ابن عمي عبيدة الحرث بن عبد المطلب رضي الله عنهم فأما عبيدة فإنه قضى نحبه شهيداً يوم بدر وأما عمي حمزة فإنه قضى نحبه شهيداً يوم أحد وأما انا فأنتظر أشقاها يخضب هذه من هذا وأشار إلى لحيته ورأسه عهداً عهده إلي حبيبي أبو القاسم ﷺ. وبالإسناد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال إني لحاضر عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وقت إذ جاءه عبد الرحمن بن ملجم يستحمله فحمله ثم قال:

أريـد حـيـاتـه ويـريـد قتلي عـذيرك مـن خليلك من مراد

ثم قال هذا والله قاتلي قلت يا أمير المؤمنين أفلا نقتله قال لا فمن يقتلني ثم قال:

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت إذا حل بناديكا

وقال تميم بن المغيرة كان علي رضي الله عنه في شهر رمضان من السنة التي قتل فيها يفطر ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد الله بن جعفر لا يزيد

---

(١) سورة الأحزاب ٢٣.

في أكله على ثلاث أو أربع لقم ويقول يأتيني أمر الله وأنا خميص إنما هي ليال قلائل فلم يمض الشهر حتى قتل رضي الله عنه (وعن) الحسن بن كثير عن أبيه قال خرج رضي الله عنه في فجر اليوم الذي قتل فيه فأقبل الوز يصحن في وجهه فطردن عنه فقال رضي الله عنه ذروهن فإنهن نوائح فقتله ابن ملجم (وقال) الحسن بن علي رضي الله عنهما قمت ليلاً فوجدت أبي قائماً يصلي في مسجد داره فقال يا بني أيقظ أهلك يصلون فإنها ليلة جمعة صبيحة بدر ولقد ملكتني عيناي فنمت فرأيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من اللأواء واللدد؟ فقال ﷺ ادع عليهم فقلت اللهم أبدلني بهم من هو خير منهم وأبدلهم بي من هو شر مني فجاء المؤذن فأذن بالصلاة فخرج وخرجت خلفه فضربه ابن ملجم فقتله. قال بكر بن حسان:

قل لابن ملجم والأقدار غالبة ... هدمت للدين والإسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشي على قدم ... وأفضل الناس إسلاما وإيمانا
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما ... سن الرسول لنا شرعا وتبيانا
صهر النبي ومولاه وناصره ... أضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له ... مكان هرون من موسى بن عمرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر ... فقلت سبحان رب العرش سبحانا
قد كان يخبرنا أن سوف يخضبها ... قبل المنية أشقاها وقد كانا
إني لأحسبه ما كان من بشر ... يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مراداً إذا عدت قبائلها ... وأخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الأولى التي جلبت ... على ثمود بأرض الحجر خسرانا
فلا عفا الله عنه ما تحمله ... ولا سقى قبر عمران بن حطانا
لقوله في شقي ظل مجترما ... ونال ما ناله ظلماً وعدوانا
يا ضربة من تقي ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
بل ضربة من غوي أورثته لظى ... مخلدا قد أتى الرحمن غضبانا
كأنه لم يرد قصدا بضربته ... إلا ليصلى عذاب الخلد نيرانا

ولما سمع القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الشافعي قول عمران بن حطان الرقاشي الخارجي:

لله در المرادي الذي فتكت كفاه مهجة شر الخلق إنسانا
يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوما فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

أجابه بقوله:

إني لأبرأ مما أنت قائله عن ابن ملجم الملعون بهتانا
يا ضربة من شقي ما أراد بها إلا ليهدم للاسلام أركانا
إني لأذكره يوما فألعنه دينا وألعن عمرانا وحطانا
عليه ثم عليه الدهر متصلا لعائن الله إسرارا وإعلانا
فأنتما من كلاب النار جاء به نص الشريعة برهانا وتبيانا
عليكما لعنة الجبار ما طلعت شمس وما أوقدوا في الكون نيرانا

وقال أبو الأسود الدؤلي:

ألا بلغ معاوية بن حرب فلا قرت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا بخير الناس طرا أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا ورحلها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ومن قرأ المثاني والمثينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين رأيت البدر راع الناظرين
لقد علمت قريش حيث كانت بأنك خيرها حسبا ودينا
وقل للشامتين بنا رويدا ستلقى الشامتون كما لقينا

(وبالإسناد) عن الزهري قال قال لي عبد الملك بن مروان أي واحد أنت إن حدثتني ما كان علامة يوم قتل علي رضي الله عنه قلت يا أمير المؤمنين ما رفعت حصاة من بيت المقدس إلا وكان تحتها دم عبيط فقال أنا وإياك غريبان في هذا الحديث. (غريبة) من كتاب المناقب لأبي بكر الخوارزمي قال قال أبو القاسم بن

محمد كنت في المسجد الحرام فرأيت الناس مجتمعين حول مقام إبراهيم عليه السلام فقلت ما هذا؟ فقالوا راهب قد أسلم وجاء إلى مكة وهو يحدث الناس بحديث عجيب فأشرفت عليه فإذا شيخ كبير عليه جبة صوف وقلنسوة صوف عظيم الجثة وهو قاعد عند المقام يحدث الناس وهم يستمعون له فقال بينما أنا قاعد في صومعتي في بعض الأيام إذ أشرفت منها اشرافة فإذا طائر كالنسر الكبير قد سقط على صخرة على شاطىء البحر فتقايأ فرمى من فيه ربع إنسان ثم طار فغاب يسيراً ثم عاد فتقايأ ربعاً آخر ثم طار وعاد فتقايأ هكذا إلى أن تقايأ أربعة أرباع إنسان ثم طار فدنت الأرباع بعضها من بعض فالتأمت فقام منها إنسان كامل وأنا أتعجب مما رأيت فإذا بالطائر قد انقض عليه فاختطف ربعه ثم طار ثم عاد واختطف ربعاً آخر ثم طار وهكذا إلى أن اختطف جميعه فبقيت متفكراً وأتحسر أن لا كنت سألته ومن هو وما قصته فلما كان في اليوم الثاني إذا بالطائر قد أقبل وفعل كفعله بالأمس فلما التأمت الأرباع وصارت شخصاً كاملاً نزلت من صومعتي مبادراً إليه وسألته بالله من أنت يا هذا فسكت فقلت بحق من خلقك إلا ما أخبرتني من أنت فقال أنا ابن ملجم فقلت ما قصتك مع هذا الطائر قال قتلت علي بن أبي طالب فوكل الله بي هذا الطائر يفعل بي ما ترى فخرجت من صومعتي وسألت عن علي ابن أبي طالب فقيل لي إنه ابن عم رسول الله ﷺ فأسلمت وأتيت إلى بيت الله الحرام قاصداً الحج وزيارة رسول الله ﷺ اهـ قالوا ولم يحج الإمام علي رضي الله عنه في سني خلافته لاشتغاله بالحرب وكان يحج قبلها كثيراً.

(فوائد) : الأولى قال معاوية لضرار بن ضمرة صف لي علياً فقال اعفني فقال أقسمت عليك لتصفنه قال أما إذا كان ولا بد فانه والله كان بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من لسانه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته وكان غزير الدمعة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما خشن وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدين ويقرب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس

الضعيف من عدله ، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا غري غيري ألي تعرضت أم لي تشوقت هيهات هيهات قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها فعمرك قصير وخطرك كبير وعيشك حقير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق فبكى معاوية وقال رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال من ذبح ولدها في حجرها فهي لا يرقأ دمعها ولا يخفى فجعها . (الثانية) سأل معاوية خالد بن يعمر فقال له علام أحببت علياً فقال على ثلاث خصال : على حلمه إذا غضب وعلى صدقه إذا قال وعلى عدله إذا حكم . (الثالثة) نقل عن سودة بنت عمارة الهمدانية أنها قدمت على معاوية بعد موت علي رضي الله عنه فجعل معاوية يؤنبها على تحريضها عليه يوم صفين ثم قال لها ما حاجتك؟ فقالت ان الله تعالى سائلك عن أمرنا وما فرض عليك من حقنا وما فوض إليك من أمرنا لا يزال يقدم علينا من قبلك من يسمو بمكانك ويبطش بلسانك فيحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دوس الحرمل ، يسومنا الخسف ويذيقنا الحتف ، هذا بشر بن أرطاة قدم علينا فقتل رجالنا وأخذ أموالنا ، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فإن عزلته عنا شكرنا وإلا فإلى الله شكونا فقال معاوية إياي تعنين ولي تهددين لقد هممت يا سودة أن أحملك على قتب أشرس فأردك إليه فينفذ فيك حكمه فأطرقت ثم أنشأت تقول :

صلى الاله على جسم تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلا فصار بالحق والإيمان مقرونا

فقال من هذا يا سودة؟ فقالت هذا والله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقد جئته في رجل كان قد ولاه صدقاتنا فجار علينا فصادفته قائماً يريد الصلاة فلما رآني أقبل علي بوجه طلق ورحمة ورفق وقال ألك حاجة؟ فقلت نعم وأخبرته الأمر فبكى ثم قال اللهم أنت الشاهد إني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك ثم أخرج من جيبه قطعة من جلد فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين وإذا قرأت

كتابي فاحتفظ بما في يدك من عملك حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام ثم دفع إلي الرقعة فجئت بالرقعة إلى صاحبه فانصرف عنا معزولاً فقال معاوية رضي الله عنه اكتبوا لها بما تريد واصرفوها إلى بلدها غير شاكية. (الرابعة) حكي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن سعيد بن جبير كان يقوده بعد أن كف بصره فمر على صفة زمزم فإذا بقوم من أهل الشام يسبون علياً رضي الله عنه فسمعهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال لسعيد ردني إليهم فرده فوقف عليهم وقال أيكم الساب لله عز وجل فقالوا سبحان الله ما فينا أحد يسب الله فقال أيكم الساب لرسوله فقالوا ما فينا أحد يسب رسول الله ﷺ فقال أيكم الساب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فقالوا أما هذا فقد كان منه فقال أشهد على رسول الله ﷺ بما سمعته اذناي ووعاه قلبي سمعته يقول لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «يا علي من سبك فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله كبه الله على منخريه في النار». وولى عنهم وقال يا بني ماذا رأيتهم صنعوا؟ قال فقلت:

نظروا إليك بأعين محمرة ... نظر التيوس إلى شفار الجازر

فقال زدني فداك أبوك فقلت:

خزر العيون نواكس أبصارهم ... نظر الذليل إلى العزيز القاهر

فقال زدني فداك أبوك فقلت ليس عندي مزيد فقال عندي المزيد وأنشد:

أحياؤهم عار على أمواتهم ... والميتون مسبة للغابر

(الخامسة) أورد صاحب الغرر ان علياً رضي الله عنه كان إذا صلى الغداة لعن معاوية رضي الله عنه وعمرو بن العاص وأصحابه فبلغ ذلك معاوية رضي الله عنه فكان إذا قنت لعن علياً وابن عباس وحسناً وحسيناً والأشتر، ولم يزل الأمر على ذلك برهة من ملك بني أمية إلى أن ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة فمنع من ذلك وجعل بدل اللعن في الخطبة ﴿رَبَّنَا اغفر لَنَا وَلِإخوانِنَا الذينَ سبقُونا بِالإيمانِ وَلاَ تَجعلْ في قُلُوبِنَا غلاً للذين آمنوا ربنَا إنك رَؤُوف رَحيم﴾[1]

---

(1) سورة الحشر ١٠.

الباب الثاني

في ذكر مناقب الحسن والحسين
وباقي الأئمة الاثني عشر رضي الله عنهم أجمعين


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

اعلم أنه قد اختلف في أهل البيت فقيل نساؤه ﷺ لأنهن في بيته قاله سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو قول عكرمة ومقاتل وقيل علي وفاطمة والحسن والحسين قاله أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة، وقيل هم من تحرم عليهم الصدقة بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قاله زيد بن أرقم وقال ابن الخطيب الفخر الرازي والأولى أن يقال هم أولاده وأزواجه والحسن والحسين وعلي منهم لأنه كان من أهل بيته لمعاشرته فاطمة بنته وملازمته له قسطلاني على البخاري وفي متن الشعراني ما نصه وفي الحديث الصحيح عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله ﷺ: «أنشدكم الله في أهل بيتي». قالها ثلاثاً وفسر زيد رضي الله عنه أهل بيته بآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وقال الجلال السيوطي رحمه الله تعالى وهؤلاء هم الأشراف حقيقة عند سائر الأمصار وتخصيص الشرف بآل علي فقط اصطلاح لأهل مصر خاصة انتهى. هذا ويشهد للقول بأنهم علي وفاطمة والحسن والحسين ما وقع منه ﷺ حين أراد المباهلة هو ووفد نجران كما ذكره المفسرون في تفسير آية المباهلة وهي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾.(١) وقيل أراد بالأبناء الحسن والحسين وبالنساء فاطمة وبالنفس نفسه ﷺ وعلياً رضي الله عنه كذا في تفسير الخازن ثم نبتهل قال ابن عباس نتضرع في الدعاء وقيل معناه نجتهد ونبالغ في الدعاء وقيل معناه نلتعن. والابتهال الالتعان يقال عليه بهلة الله أي لعنة الله «فنجعل لعنة الله على الكاذبين» يعني منا ومنكم في أمر عيسى قال المفسرون لما قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية على وفد نجران ودعاهم إلى المباهلة قالوا حتى نرجع

---

(١) سورة آل عمران ٦١

ونتظر في أمرنا ثم نأتيك غداً فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رأيهم ما ترى يا عبد المسيح؟ قال لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل ولئن فعلتم ذلك لتهلكن وفي رواية قال لهم والله ما لاعن قوم قط نبياً إلا هلكوا عن آخرهم فإن أبيتم إلا الإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فأتوا رسول الله ﷺ وقد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي يمشي خلفها والنبي ﷺ يقول لهم اذا دعوت فأمنوا فلما رآهم أسقف نجران قال يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نباهلك وأن نتركك على دينك وتتركنا على ديننا فقال لهم رسول الله ﷺ فإن أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا ذلك فقال فإني أنابذكم. فقالوا ما لنا في حرب العرب طاقة ولكنا نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا وأن نؤدي إليك في كل سنة ألفي حلة ألف في صفر وألف في رجب زاد في رواية وثلاثاً وثلاثين درعاً عادية وثلاثاً وثلاثين بعيراً وأربعاً وثلاثين فرساً غازية فصالحهم رسول الله ﷺ على ذلك وقال والذي نفسي بيده إن العذاب تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي ناراً ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا اهـ خازن وغيره (وفي) الخطيب عن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ خرج وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾(1)». وفي ذلك دليل على نبوته ﷺ وعلى فضل أهل الكساء رضي الله عنهم وعن بقية الصحابة أجمعين اهـ.

(تنبيه) ما قدمناه من أن أهل البيت هم علي وفاطمة والحسن والحسين هو ما جنح إليه الفخر الرازي في تفسيره والزمخشري في كشافه وعبارته عند تفسير قوله تعالى ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾(2) روي أنها لما نزلت قيل يا رسول

(1) سورة الأحزاب ٣٣. (2) سورة الشورى ٢٣.

الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما ويدل له ما روي عن علي رضي الله عنه : «شكوت إلى رسول الله ﷺ حسد الناس لي فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا». وعن النبي ﷺ «حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها غداً إذا لقيني يوم القيامة». وروي : «أن الأنصار قالوا فعلنا وفعلنا كأنهم افتخروا فقال عباس أو ابن عباس رضي الله عنهما لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال ألم تكونوا ضلالاً فهداكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال أفلا تجيبوني قالوا ما نقول يا رسول الله قال ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك ألم يكذبوك فصدقناك أو لم يخذلوك فنصرناك فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله فنزلت الآية». (وروي) من طرق عديدة صحيحة «أن رسول الله ﷺ جاء ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين ثم أخذ كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم كساء ثم تلا هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1] وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». وفي رواية اللهم هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية أم سلمة قالت فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي فقلت وأنا معكم يا رسول الله فقال إنك من أزواج النبي ﷺ على خير وفي رواية لها أن رسول الله ﷺ كان في بيتها إذ جاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة بخاء معجمة مفتوحة فزاي مكسورة فتحتية ساكنة فراء وهو ما يتخذ من الدقيق على هيئة العصيدة ولكن أرق منها فوضعتها بين يديه فقال أين ابن عمك وابناك فقالت في البيت فقال ادعيهم فجاءت إلى علي وقالت أجب رسول الله ﷺ أنت وابناك فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا عليه فجعلوا يأكلون من تلك الخزيرة تحت الكساء فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣.

﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وفي رواية أنه ﷺ أدرج معهم جبريل وميكائيل وفي رواية أن ذلك الفعل كان في بيت فاطمة وقد أشار المحب الطبراني إلى أن هذا الفعل تكرر منه ﷺ (روى) أحمد والطبراني عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ أنزلت هذه الآية في خمسة في وفي علي وحسن وحسين وفاطمة وروى ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه عن أنس أن رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية كما في رواية الترمذي كان يمر ببيت فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول الصلاة أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. وفي رواية ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري أنه ﷺ جاء أربعين صباحاً إلى دار فاطمة يقول: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته الصلاة رحمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. وفي رواية له عن ابن عباس سبعة أشهر وفي رواية لابن جرير وابن المنذر والطبراني ثمانية أشهر (وقد جاء) في فضلهم وشرفهم آيات وأحاديث، فمن الآيات زيادة على ما سبق ما أخرجه الثعلبي في تفسير قوله تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾[1] عن جعفر الصادق أنه قال نحن حبل الله وأخرج بعضهم عن محمد الباقر في قوله تعالى ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[2] أنه قال أهل البيت هم الناس وأخرج بعضهم عن محمد بن الحنيفة في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدّاً﴾[3] أنه قال لا يبقى مؤمن الا وفي قلبه ودّ لعلي وأهل بيته وذكر النقاش أنها نزلت في علي رضي الله عنه (وعن) ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[4] قال لعلي هو أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة أنت وهم راضين مرضيين ويأتي أعداؤك غضابا مقمحين (وعن) أنس بن مالك رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾[5] قال علي وفاطمة رضي الله

(١) سورة آل عمران ١٠٣.
(٢) سورة النساء ٥٤.
(٣) سورة مريم ٩٦.
(٤) سورة البينة ٧.
(٥) سورة الرحمن ٩.

عنها يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان قال الحسن والحسين رواه صاحب كتاب الدرر (وعن) محمد بن سيرين في قوله تعالى: ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً﴾[1] أنها نزلت في النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب هو ابن عم النبي ﷺ وزوج فاطمة رضي الله عنها فكان نسباً وصهراً (روى) الإمام أبو الحسين البغوي في تفسيره يرفعه بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت هذه الآية ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾[2] قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله تعالى بمودتهم قال علي وفاطمة وابناهما. وفي مسامرات الشيخ الأكبر أن عبد الله ابن عباس قال في قوله ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً﴾[3] مرض الحسن والحسين رضي الله عنهما وهما صبيان فعادهما رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر فقال عمر لعلي يا أبا الحسن لو نذرت عن ابنيك نذراً ان الله عافاهما قال أصوم ثلاثة أيام شكراً لله قالت فاطمة وأنا أيضاً أصوم ثلاثة أيام شكراً لله وقال الصبيان ونحن نصوم ثلاثة أيام وقالت جاريتهما فضة وأنا أصوم ثلاثة أيام فألبسهما الله العافية فأصبحوا صياماً وليس عندهم طعام فانطلق علي إلى جار له من اليهود يقال له شمعون يعالج الصوف فقال له هل لك أن تعطيني جزة من صوف تغزلها لك بنت محمد بثلاثة آصع من شعير قال نعم فأعطاه فجاء بالصوف والشعير فأخبر فاطمة فقبلت وأطاعت ثم غزلت تلك الصوف وأخذت صاعاً من الشعير فطحنته وعجنته وخبزته خمسة أقراص لكل واحد قرص وصلى علي رضي الله عنه مع النبي ﷺ المغرب ثم أتى منزله فوضع الخوان فجلسوا فأول لقمة كسرها علي رضي الله عنه إذا مسكين واقف على الباب فقال السلام عليكم يا أهل بيت محمد أنا مسكين أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله من موائد الجنة فوضع علي اللقمة من يده ثم قال:

فاطم ذات المجد واليقين　　يا بنت خير الناس أجمعين

(١) سورة الفرقان ٥٤.
(٢) سورة الشورى ٢٣.
(٣) سورة الانسان ٧.

أما تري ذا البائس المسكين جا إلى الباب له حنين
كل امرئ بكسبه رهين

فقالت فاطمة رضي الله عنها من حينها :

أمرك سمع يا ابن عم وطاعه ما لي من لوم وما ضراعه
بالـلب غـذيت وبـالبراعـه أرجو إذا أنفقت من مجاعه
أن ألحق الأبـــرار والجماعـــه وأدخـل الجنة بـالشفـاعـه

قال فعمدت إلى ما في الخوان فدفعته إلى المسكين وباتوا جياعاً وأصبحوا صياما لم يذوقوا إلا الماء القراح ثم عمدت إلى الثلث الثاني من الصوف فغزلته ثم أخذت صاعاً فطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد قرص وصلى علي المغرب مع النبي ﷺ ثم أتى منزله فلما وضعت الخوان وجلس فأوّل لقمة كسرها علي رضي الله عنه إذا بيتيم من يتامى المسلمين قد وقف على الباب وقال السلام عليكم أهل بيت محمد أنا يتيم من يتامى المسلمين أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله من موائد الجنة فوضع علي اللقمة من يده وقال :

فـاطـم بنت السيد الكريم قـد جـاءنـا الله بذا اليتيم
مـن يطلب اليوم رضا الرحيم مـوعـده في جـنـة الـنـعيم

فأقبلت السيدة فاطمة رضي الله عنها وقالت :

فسوف أعـطـيـه ولا أبـالي وأوثـــر الله على عـــيـــالي
أمسوا جـيـاعا وهمو أمثالي أصـغـرهـم يـقـتـل في الـقـتال

ثم عمدت إلى جميع ما كان في الخوان فأعطته اليتيم وباتوا جياعاً لم يذوقوا إلا الماء القراح وأصبحوا صياماً وعمدت فاطمة إلى باقي الصوف فغزلته وطحنت الصاع الباقي وعجنته وخبزته خمسة أقراص لكل واحد قرص وصلى علي رضي الله عنه المغرب مع النبي ﷺ ثم أتى منزله فقربت إليه الخوان ثم جلس فأوّل لقمة كسرها إذا أسير من أساري المسلمين بالباب فقال السلام عليكم أهل بيت محمد إن الكفار أسرونا وقيدونا وشدونا فلم يطعمونا فوضع علي اللقمة من يده وقال :

فاطمة ابنة النبي أحمد بنت نبي سيد مسوّد
هذا أسير جاء ليس يهتدي مكبل في قيده المقيد
يشكو إلينا الجوع والتشدد من يطعم اليوم يجده في غد
عند العلي الواحد الموحد ما يزرع الزارع يوماً يحصد

فأقبلت فاطمة رضي الله عنها تقول :

لم يبق مما جاء غير صاع قد دبرت كفي مع الذراع
وابناي والله ثلاثاً جاعا يا رب لا تهلكهما ضياعا

ثم عمدت إلى ما كان في الخوان فأعطته إياه فأصبحوا مفطرين وليس عندهم شيء وأقبل علي والحسن والحسين نحو رسول الله ﷺ وهما يرتعشان كالفرخين من شدة الجوع فلما أبصرهما رسول الله ﷺ قال يا أبا الحسن أشد ما يسوءني ما أدرككم انطلقوا بنا إلى ابنتي فاطمة فانطلقوا إليها وهي في محرابها وقد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها فلما رآها رسول الله ﷺ ضمها إليه وقال واغوثاه فهبط جبريل عليه السلام وقال يا محمد خذ ضيافة أهل بيتك قال وما آخذ يا جبريل؟ قال : ﴿ ويُطعِمونَ الطَّعامَ على حُبِّهِ مِسكيناً ويَتيماً وأسيراً — إلى قوله — وكانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً ﴾[1] .

(ومن الأحاديث) ما أخرجه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «خيركم خيركم لأهلي من بعدي» . وأخرج ابن سعد والملا في سيرته أنه ﷺ قال : «استوصوا بأهل بيتي خيراً فإني أخاصمكم عنهم غداً ومن أكن خصمه خصمه الله ومن خصمه الله أدخله النار» . وروى جماعة من أصحاب السنن عن عدة من الصحابة أن النبي ﷺ قال : «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك» . وفي رواية غرق وفي أخرى : «زج في النار» . وصح أن بنت أبي لهب لما هاجرت إلى المدينة قيل لها لن تغني عنك

---

(١) سورة الانسان ٨.

هجرتك أنت بنت حطب النار فذكرت ذلك للنبي ﷺ فاشتد غضبه ثم قال على المنبر: «ما بال أقوام يؤذونني في نسبي وذوي رحمي ألا ومن آذى رحمي وذوي نسبي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله». أخرجه ابن أبي عاصم والطبراني وابن منده والبيهقي بألفاظ متقاربة/وأخرج الطبراني والدارقطني مرفوعاً «أول من أشفع له من أمتي أهل بيتي ثم الأقرب فالأقرب من قريش ثم الأنصار ثم من آمن بي واتبعني من اليمن ثم سائر العرب ثم الأعاجم ومن أشفع له أول أفضل». نقل القرطبي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[1]. قال رضا محمد ﷺ أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار وأخرج الحاكم وصححه أنه ﷺ قال: «وعدني ربي في أهل بيتي من أقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أن لا يعذبهم». وصح أن العباس شكا إلى رسول الله ﷺ ما تفعل قريش من تعبيسهم في وجوههم وقطعهم حديثهم عند لقائهم فغضب ﷺ غضباً شديداً حتى احمر وجهه ودر عرق بين عينيه وقال: «والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله». وفي رواية صحيحة أيضاً: «ما بال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لقرابتهم مني». وفي أخرى «والذي نفسي بيده لا يدخلوا الجنة حتى يؤمنوا ولا يؤمنوا حتى يحبوكم لله ورسوله أيرجون شفاعتي ولا ترجوها بنو عبد المطلب». وروى الديلمي والطبراني وأبو الشيخ بن حبان والبيهقي مرفوعاً أنه ﷺ قال: «لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وتكون عترتي أحب إليه من عترته وأهلي أحب إليه من أهله وذاتي أحب إليه من ذاته». وروى أبو الشيخ عن علي كرم الله وجهه قال: «خرج رسول الله ﷺ مغضباً حتى استوى على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال رجال يؤذونني في أهل بيتي والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذريتي». ولذلك قال أبو بكر رضي الله عنه صلة قرابة رسول الله ﷺ أحب إلي من صلة قرابتي. وأخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال أبو بكر ارقبوا محمداً ﷺ في أهل

---

(١) سورة الضحى ٥.

بيته. وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة: «أنه ﷺ قال في حسن وحسين اللهم إني أحبهما فاحبهما وأحب من يحبهما». وأخرج الترمذي عن أسامة «أنه ﷺ أجلس الحسن والحسين يوماً على فخذيه وقال هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم إني أحبهما فأحبهما». وأخرج الترمذي عن أنس «أنه ﷺ سئل أي أهل بيتك أحب إليك؟ فقال الحسن والحسين» وروي من طرق عديدة صحيحة أنه ﷺ قال: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة». وروى أحمد والترمذي عن علي كرم الله وجهه قال قال رسول الله ﷺ: «من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة». وروى ابن مسعود رضي الله عنه: «حب آل محمد ﷺ يوماً خير من عبادة سنة ومن مات عليه دخل الجنة». وفي الكشاف قال رسول الله ﷺ: «من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة».

(تنبيهان): الأول ذكر الفخر الرازي أن أهل بيته ﷺ ساووه في خمسة أشياء: في الصلاة عليه وعليهم في التشهد وفي السلام والطهارة وفي تحريم الصدقة وفي المحبة (الثاني) علم من الأحاديث السابقة وجوب محبة أهل البيت وتحريم بغضهم التحريم الغليظ وبذلك صرح البيهقي والبغوي بل نص عليه الشافعي فيما حكي عنه من قوله:

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله

يكفيكم من عظيم الفخر أنكم　　من لم يصل عليكم لا صلاة له

أي كاملة أو صحيحة على قول مرجوح لإمامنا الشافعي رضي الله عنه (وفي الفصول المهمة) لما صرح الإمام الشافعي بمحبته لأهل البيت وأنه من شيعتهم قيل فيه ما قيل فقال مجيباً عن ذلك:

إذا نحن فضلنا علياً فإننا　　روافض بالتفضيل عند ذي الجهل
وفضل أبي بكر إذا ما ذكرته　　رميت بنصب عند ذكري للفضل
فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما　　بحبهما حتى أوسد في الرمل

وحكى الإمام أبو بكر البيهقي رحمه الله في كتابه الذي صنفه في مناقب الإمام الشافعي أن الإمام الشافعي قيل له إن أناساً لا يصبرون على سماع منقبة أو فضيلة تذكر لأهل البيت فإذا رأوا أحداً يذكر شيئاً من ذلك قالوا تجاوزوا عن هذا فهو رافضي فأنشأ الشافعي رحمه الله تعالى يقول:

إذا في مجلس نذكر علياً　　وسبطيه وفاطمة الزكيه
يقال تجاوزوا يا قوم هذا　　فهذا من حديث الرافضيه
برئت إلى المهيمن من أناس　　يرون الرفض حب الفاطميه

وقال رضي الله عنه:

قالوا ترفضت قلت كلا　　ما الرفض ديني ولا اعتقادي
لكن توليت غير شك　　خير إمام وخير هادي
إن كان حب الولي رفضاً　　فإنني أرفض العباد

وقال رضي الله عنه:

يا راكباً قف بالمحصب من منى　　واهتف بساكن خيفها والناهض
سحراً إذ فاض الحجيج إلى منى　　فيضاً كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حب آل محمد　　فليشهد الثقلان أني رافضي

ولأبي الحسن بن جبير رحمه الله:

أحب النبي المصطفى وابن عمه　　علياً وسبطيه وفاطمة الزهرا

هم أهل بيت أذهب الرجس عنهم ... وأطلعهم أفق الهدى أنجما زهرا
موالاتهم فرض على كل مسلم ... وحبهم أسنى الذخائر للأخرى
وما أنا للصحب الكرام بمبغض ... فإني أرى البغضاء في حقهم كفرا
هم جاهدوا في الله حق جهاده ... وهم نصروا دين الهدى بالظبا نصرا
عليهم سلام الله ما دام ذكرهم ... لدى الملأ الأعلى وأكرم به ذكرا

ولبعضهم :

هم العروة الوثقى لمعتصم بها ... مناقبهم جاءت بوحي وإنزال
مناقب في الشورى وفي هل أتى أتت ... وفي سورة الأحزاب يعرفها التالي
وهم آل بيت المصطفى فودادهم ... على الناس مفروض بحكم واسجال

وقال آخر :

هم القوم من أصفاهم الود مخلصا ... تمسك في أخراه بالسبب الأقوى
هم القوم فاقوا العالمين مناقبا ... محاسنهم تجلى وآثارهم تروى
موالاتهم فرض وحبهم هدى ... وطاعتهم ود وودهم تقوى

وللشافعي رضي الله عنه :

آل النبي ذريعتي ... وهم إليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غدا ... بيدي اليمين صحيفتي

(وحكي) أن بعض الوعاظ أطنب في مدح آل البيت الشريف وذكر فضائلهم حتى كادت الشمس أن تغرب فالتفت إلى الشمس وقال مخاطباً لها :

لا تغربي يا شمس حتى ينقضي ... مدحي لآل محمد ولنسله
واثني عنانك إن أردتي ثناءهم ... أنسيت إذ كان الوقوف لأجله
إن كان للمولى وقوفك فليكن ... هذا الوقوف لفرعه ولنجله

فطلعت الشمس وحصل في ذلك المجلس أنس كثير وسرور عظيم انتهى من درر الأصداف وما أحسن ما قاله أبو الفضل الواعظ رحمه الله :

حب آل النبي خالط عظمي   وجرى في مفاصلي فاعذروني
أنا والله مغرم بهواهم   عللوني بذكرهم عللوني

وما أحسن قول ابن الوردي ناظم البهجة:

يا أهل بيت النبي من بذلت   في حبكم روحه فما غبنا
من جاءكم يطلب الحديث له   قولوا لنا البيت والحديث لنا

قال الشيخ الشعراني وما أحسن ما أورده الشيخ الأكبر في الفتوحات:

فلا تعدل بأهل البيت خلقا   فأهل البيت هم أهل السياده
فبغضهم من الإنسان خسر   حقيقي وحبهم عباده

وفي المنن ومما من الله به علي محبتي للشرفاء وأهل البيت ولو من قبل الأم فقط ولو كانوا على غير قدم الاستقامة لأنهم بيقين يحبون الله ورسوله ﷺ ومن أحب الله ورسوله لا يجوز بغضه ولا سبه بقرينة أنه ﷺ كان يحد نعيمان كلما شرب الخمر وأتوا به إليه مرة فحده فصار بعض الناس يلعنه فقال ﷺ لا تلعنوا نعيمان فإنه يحب الله ورسوله فعلم أنه لا يلزم من إقامة الحدود على الشرفا أننا نبغضهم بل إقامتنا الحدود عليهم إنما هو محبة فيهم وتطهير لهم وقد قال ﷺ «وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» وقال في ماعز لما رجمه «لقد تاب توبة لو قسمت على أهل الأرض لوسعتهم» أي قبلت منهم وأحبهم الله تعالى كما قال تعالى إن الله يحب التوابين (وقال الشيخ) محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى الذي أقول به أن ذنوب أهل البيت إنما هي ذنوب في الصورة لا في الحقيقة لأن الله تعالى غفر لهم ذنوبهم بسابق العناية لقوله تعالى[1]: ﴿إنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ولا رجس أرجس من الذنوب. قال وجميع ما يقع منهم من الأذى لنا يجب علينا في الأدب معهم أن نجعله شيئاً بالمقادير الإلهية من الأمراض ونحوها فيجب علينا الرضا به أو الصبر عليه وإن أخذوا أموالنا ولم يعطوها لنا لا ينبغي لنا حبس أحد منهم ولا رفعه إلى

(١) سورة الأحزاب ٣٣.

حاكم لأنه بضعة من رسول الله ﷺ انتهى (وكان الإمام أبو بكر الصديق) رضي الله عنه يقول ارقبوا محمداً في أهل بيته وكان يقول والذي نفسي بيده لقرابة محمد ﷺ أحب إلي من قرابتي، وأتى عبد الله بن الحسن مرة إلى عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال إذا كانت لك حاجة فأرسل إليّ أحضر أو اكتب لي ورقة فإني أستحيي من الله أن يراك على بابي، وصلى زيد بن ثابت على جنازة فلما ركب أخذ ابن عباس بركابه فقال خل عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال ابن عباس هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا أمرنا أن نفعل مع أهل بيت رسول الله ﷺ (ودخلت) بنت أسامة بن زيد على عمر بن عبد العزيز يوماً فأجلسها في مجلسه وجلس هو بين يديها وما ترك لها حاجة إلا قضاها هذا فعله رضي الله عنه مع بنت مولى رسول الله ﷺ فما ظنك مع أولاده وذريته؟ (وبلغ) معاوية رضي الله عنه أن كابس بن ربيعة يشبه رسول الله ﷺ فكان إذا دخل عليه كابس يقوم عن سريره ويتلقاه ويقبله بين عينيه (وكان) الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لو كان لي مدخل في العصبة مع قتلة الحسين بن علي وخيرت بين الجنة والنار لاخترت دخول النار حياء من رسول الله ﷺ أن يقع بصره علي في الجنة (ولما ضرب) جعفر بن سليمان الإمام مالكاً رضي الله عنه غشي على مالك فدخل عليه الناس فلما أفاق قال لهم أشهدكم أني قد جعلت ضاربي في حل فقيل لم؟ فقال خفت أن أموت فألقى رسول الله ﷺ فأستحي أن يدخل أحد من آله النار بسببي فلما تولى المنصور طلب أن يقتص له منه فقال الإمام مالك رضي الله عنه أعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي إلا وقد جعلته في حل منه لقرابته من رسول الله ﷺ (وكان أبو بكر بن عياش) رضي الله عنهما يقول لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي في حاجة لبدأت بحاجة علي لقربه من رسول الله ﷺ ولأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إلي من أن أقدمه عليهما في الفضل وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يزوران أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ ويقولان كان رسول الله ﷺ يزورها (ولما قدمت حليمة) مرضعته ﷺ على أبي بكر وعمر بسطا لها ثوبيهما وفي رواية أرديتهما (قال) وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول من

حق الشريف علينا أن نفديه بأرواحنا لسريان لحم رسول الله ﷺ ودمه الكريمين فيه فهو بضعة من رسول الله ﷺ وللبعض في الاجلال والتعظيم والتوقير ما للكل وحرمة جزئه ﷺ كحرمة جزئه حياً على حد سواء (**قال بعض العلماء**) ومن حقوق الشرفاء علينا وإن بعدوا في النسب أن نؤثر رضاهم على أهوائنا وشهواتنا ونعظمهم ونوقرهم ولا نجلس فوق سرير وهم على الأرض انتهى (وكان) سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه إذا جلس إليه شريف يظهر له الخشوع والانكماش بين يديه ويقول إنه بضعة من رسول الله ﷺ ويقول من آذى شريفاً فقد آذى رسول الله ﷺ وكان يقول يتأكد على كل صاحب مال إذا رأى شريفاً عليه دين أن يفديه بماله لأنه جزء من رسول الله ﷺ وكان يقول لا ينبغي لمن يؤمن بالله ويحب رسول الله ﷺ أن يتوقف عن تعظيم الشريف والإحسان إليه حتى يعرف صحة نسبه بل يكفيه تظاهر الشريف بالشرف وذلك أوجه للمؤمن عند رسول الله ﷺ من حيث أنا عظمناه ووقرناه من غير توقف على صحة النسب (وكان الإمام مالك) رضي الله عنه يقول من ادعى الشرف كاذباً يضرب ضرباً وجيعاً ثم يشهر ويحبس طويلاً حتى يظهر لنا توبته لأن ذلك استخفاف منه بحقه ﷺ ومع ذلك كان يعظم من طعن في نسبه ويقول لعله شريف في نفس الأمر (قال بعض العلماء) ولا ينبغي تعظيم الشريف إذا تعاطى المحرمات وخالفه معظم العلماء وقالوا تعظيم الشريف مطلوب بما لا إثم فيه ولو زنى وعمل عمل قوم لوط وشرب الخمر وسحر وأكل الربا وسرق وكذب وأكل أموال اليتامى وقذف المحصنات وآذى المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ولا سيا إن كانت هذه الأمور لم تثبت عنه على يد حاكم شرعي وإنما أشاعها عنه بعض الحسدة كما هو الغالب في الناس اليوم فقل من يثبت عنه شيء مما يوجب الحد لاستتار بعض هذه المعاصي عن الناس بفعلها في بيوتهم وهي مقفلة عليهم (**قال الشعراني**) قلت ولم أر من تخلق من أقراني بهذ الخلق إلا قليلاً بل رأيت بعضهم يستخدم الشريف المستور ويحمله غاشية سرجه وسجادته ويمشيه خلف بغلته وهذا من أدل دليل على شدة جهله بالأدب مع الله ورسوله ، فكيف يدعي التقرب من حضرة الله وأنه يدعو الناس إليها فلا

حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. قال وقد تقدم أن إقامة الحدود على الشرفاء لا تنافي تعظيمهم وتوقيرهم فنعظمهم من حيث كونهم من ذرية رسول الله ﷺ ونقيم عليهم الحد الذي شرعه جدهم ﷺ ولم يخص به أحداً دون أحد بدليل قوله ﷺ وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها والله أعلم (قال) وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول اصطنعوا الأيادي مع الأشراف لمكانهم من رسول الله ﷺ وانووا بذلك الهدية والمودة للقربى دون الزكاة فإن لهم في أعناقنا عبودية لا يمكننا أن نقوم ببعضها زيادة على ما لجدهم ﷺ من الحق علينا انتهى (قال) وقد تقدم في هذه المنن أن من الأدب أن لا يتزوج أحدنا شريفة إلا إن عرف من نفسه أن يكون تحت حكمها وإشارتها ويقدم لها نعلها ويقوم لها إذا وردت عليه ولا يتزوج عليها ولا يقتر عليها في المعيشة إلا إن اختارت ذلك ولا ينظر إليها إذا كانت أجنبية وهي في الإزار ولا ينظر لوجهها إذا ابتاعت منه شيئاً ولا ينظر إلى رجلها إذا كان بائع الخفاف ولا تسأله شيئاً ويمنعه عنها إلا بطريق شرعي في جميع الأمور السابقة واللاحقة ونحوها ولا يمر عليها وهي جالسة على الطرقات تسأل شيئاً يقدر عليه فلا يعطيها ونحو ذلك فاعلم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله يتولى هداك انتهى (وفي المنن) أيضاً ما نصه ومما من الله به علي عدم دعائي على شريف إذ ظلمني فضلاً عن كوني اشكوه من بيوت الحكام وإذا تخاصم الشرفاء مع بعضهم بعضاً لا أنتصر لأحد منهم دون الآخر بل أطلب الصلح بينهم لا غير وكثيراً ما أتوجه إلى رسول الله ﷺ وأقول يا رسول الله خاطرك على أولادك يصلح الله بينهم وقد بلغني أن بعض المشايخ توجه إلى الله تعالى في قتل الشريف أبي نمي سلطان مكة لأجل ولاية أولاد أعمامه بعده فقلت يا سبحان الله لا بد للمتوجه إلى الله تعالى من واسطة رسول الله ﷺ فكيف يقول يا رسول الله اقتل ولدك فلانا لأجل ولدك فلان انتهى.

(غريبة) نقل الشيخ عبد الرحمن الأجهوري المالكي في كتابه مشارق الأنوار أن رجلاً من المغرب عزم على التوجه إلى الحج فأعطاه آخر مائة دينار وقال تعطيهم بالمدينة لرجل شريف صحيح النسب فلما وصل سأل عن الاشراف فقالوا له إنهم من

الشيعة يسبون الشيخين فكره الإعطاء فجلس بجنبه رجل بالمدينة فقال له أأنت شريف؟ فقال نعم قال له ما عقيدتك؟ قال شيعي فكره الإعطاء له قال فنمت تلك الليلة فرأيت أن القيامة قامت والناس يجوزون على الصراط فأردت الجواز فمنعتني فاطمة رضي الله عنها فأقبل رسول الله ﷺ فشكوت له فقال لها لم منعتيه؟ فقالت قطع رزق ابني فقال لها رسول الله ﷺ إنه ما منعه إلا من كونه يسب الشيخين قال فالتفتت فاطمة رضي الله عنها إلى الشيخين وقالت لهما أتؤاخذان ولدي بذلك فقالا لا بل سامحناه فالتفتت إليّ وقالت ما الذي أدخلك بين ولدي وبين الشيخين؟ فانتبهت فزعاً فأخذت المبلغ وجئت به إلى ذلك الشريف ودفعته إليه فتعجب من ذلك فقصصت عليه الرؤيا فقال أشهدك على أني لا أسبهما.

(فائدة) تحرم الصدقة عليهم لكونها أوساخ الناس ولتعويضهم خمس الخمس من الفيء الغنم والغنيمة وقصر مالك وأبو حنيفة تحريمها على بني هاشم وقال الشافعي وأحمد بتحريمها على بني هاشم وبني المطلب وروي عن أبي حنيفة جوازها لبني هاشم مطلقاً وقال أبو يوسف تحل من بعضهم لبعض ومذهب أكثر الحنفية والشافعية وأحمد جواز أخذهم صدقة النفل وهو رواية عن مالك وروي عنه حل أخذ الفرض دون التطوع لأن الذل فيه أكثر ذكره الأجهوري في مشارق الأنوار.

فصل

في ذكر مناقب سيدنا الحسن السبط ابن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ابن سيدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

ولد الحسن رضي الله عنه في منتصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة/وهو أول أولاد علي وفاطمة رضي الله عنهما روي مرفوعاً إلى علي أبيه رضي الله عنهما قال: ولما حضرت ولادة فاطمة قال رسول الله ﷺ لأسماء بنت عميس وأم سلمة رضي الله عنهما احضرا فاطمة فإذا وقع ولدها واستهل صارخاً فأذنا في أذنه اليمين وأقيما في أذنه اليسرى فإنه لا يفعل ذلك بمثله إلا عصم من الشيطان ولا تحدثا شيئاً حتى آتيكما فلما ولدت فعلنا ذلك وأتاه رسول الله ﷺ فسره ولبأه بريقه وقال اللهم إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم فلما كان اليوم السابع من مولده قال رسول الله ﷺ ما سميتموه قال حربا قال بل سموه حسناً، (عن أسماء) بنت عميس قالت قبلت فاطمة بالحسن فلم أر لها دماً فقلت يا رسول الله إني لم أر لفاطمة دماً في حيض ولا نفاس فقال لها عليه السلام أما علمت أن ابنتي طاهرة مطهرة لا يرى لها دم في طمث ولا ولادة، خرجه الإمام علي بن موسى الرضا وعق عنه ﷺ فعن علي رضي الله عنه عق رسول الله ﷺ عن الحسن وقال يا فاطمة احلقي رأسه وتصدقي بزنة شعره فضة فوزناه فكان وزنه درهماً أو بعض درهم خرجه الترمذي (وعن أسماء) بنت عميس قالت عق النبي ﷺ عن الحسن يوم سابعه بكبشين أملحين وأعطى القابلة الفخذ وحلق رأسه وتصدق بزنة الشعر ثم طلى رأسه بيده المباركة بالخلوق (وختنه ﷺ) عن جابر أن النبي ﷺ عق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام وأرضعته أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب بلبن ابنها قثم فعن قابوس أن أم الفضل قالت يا رسول الله رأيت كأن عضواً من أعضائك في

بيتي فقال خيراً رأيتيه تلد فاطمة غلاماً فترضعيه بلبن قثم فولدت فاطمة الحسن فأرضعته بلبن قثم خرجه الدولابي والبغوي في معجمه فجئت به إلى النبي ﷺ فوضعته في حجره فبال فضربت كتفه فقال عليه الصلاة والسلام أوجعت ابني رحمك الله/وفي الصفوة عن علي قال الحسن أشبه الناس بالنبي ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس والحسين أشبه الناس بالنبي ﷺ ما كان أسفل من ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لا أزال أحب هذا الرجل يعني الحسن بن علي بعد ما رأيت رسول الله ﷺ يصنع به ما يصنع قال رأيت الحسن في حجر النبي ﷺ وهو يدخل أصابعه في لحية النبي ﷺ والنبي ﷺ يدخل لسانه في فيه ثم يقول اللهم إني أحبه كذا في ذخائر العقبى.

(صفة الحسن رضي الله عنه) كان أبيض مشربا بحمرة أدعج العينين سهل الخدين كث اللحية ذا وفرة كأن عنقه إبريق فضة عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير من أحسن الناس وجها وكان يخضب بالسواد وكان جعد الشعر حسن البدن ذكره الدولابي وغيره عن محمد بن علي قال الحسن إني لأستحي من ربي عز وجل أن ألقاه ولم أمش إلى بيته فمشى عشرين مرة من المدينة على رجليه، وعن علي بن زيد قال حج الحسن خمس عشرة حجة ماشياً وإن النجائب لتقاد معه (وفي حياة الحيوان) وقاسم الله عزّ وجل ماله ثلاث مرات حتى إنه ليعطي نعلاً ويمسك أخرى (وكنيته) أبو محمد، وأما ألقابه فكثيرة وهي التقي والزكي والسيد والسبط والولي وأكثرها شهرة التقي وأعلاها رتبة ما لقبه به رسول الله ﷺ كما في الحديث الصحيح «إن ابني هذا سيد» روى البخاري في صحيحه عن عقبة بن الحرث قال صلى أبو بكر رضي الله عنه العصر ثم خرج يمشي ومعه علي رضي الله عنهما فرأى الحسن رضي الله عنه يلعب مع الصبيان فحمله أبو بكر رضي الله عنه على عاتقه وقال بأبي شبيه بالنبي ﷺ. ليس شبيهاً بعلي. قال وعلي رضي الله عنه يتبسم وقد ورد في فضله رضي الله عنه أحاديث كثيرة فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم مرفوعاً إلى البراء رضي الله عنه قال: «رأيت النبي ﷺ والحسن بن علي على عاتقه وهو يقول اللهم إني أحبه

فأحبه» وروى الترمذي مرفوعاً إلى ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كان رسول الله ﷺ حامل الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام فقال النبي ﷺ ونعم الراكب هو وروي عن الحافظ أبي نعيم فيما أورده في حديثه عن أبي بكر رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يصلي بنا فيجيء الحسن رضي الله عنه وهو ساجد وهو إذ ذاك صغير فيجلس على ظهره ومرة على رقبته فيرفعه النبي ﷺ رفعاً رفيقاً فلما فرغ من الصلاة قالوا يا رسول الله إنا رأيناك تصنع بهذا الصبي شيئاً ما رأيناك تصنعه بأحد فقال إن هذا ريحانتي وإن ابني هذا سيد وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين وروى الترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».

(تنبيه) سئل الشيخ الزاهد محيي الدين النواوي عن قوله ﷺ «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» ما معناه فأجاب بجواب منه معنى الحديث أن الحسن والحسين وإن ماتا شيخين فهما سيدا كل من مات شاباً ودخل الجنة وكل أهل الجنة يكونون في سن أبناء ثلاث وثلاثين ولا يلزم كون السيد في سن من يسودهم كذا في تتمة المختصر (وعن) ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول هما ريحانتاي من الجنة وروي أنه ﷺ مر بالحسن والحسين وهما يلعبان فطأطأ لهما عنقه وحملهما وقال نعم المطية مطيتهما ونعم الراكبان هما.

(فائدة) ليس ثم خليفة هاشمي من هاشمية غير الحسن بن علي ومحمد بن زبيدة.

(حكايتان : الأولى) كان الحسن رضي الله عنه يجلس في مسجد رسول الله ﷺ ويجتمع الناس حوله فجاء رجل فوجد شخصاً يحدث عن رسول الله ﷺ والناس حوله مجتمعون فجاء إليه الرجل فقال أخبرني عن شاهد ومشهود فقال نعم أما الشاهد فيوم الجمعة وأما المشهود فيوم عرفة فتجاوزه إلى آخر يحدث في المسجد فسأله عن شاهد ومشهود كذلك فقال أما الشاهد فيوم الجمعة وأما المشهود فيوم النحر ثم تجاوزهما إلى ثالث فسأله عن شاهد ومشهود أيضاً فقال الشاهد رسول

الله ﷺ والمشهود يوم القيامة أما سمعته عزّ وجلّ يقول ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾[1] وقال تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود فسأل عن الأول فقالوا ابن عباس رضي الله عنهما وسأل عن الثاني فقالوا ابن عمر رضي الله عنهما وسأل عن الثالث فقالوا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما رواها الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي في تفسير الوسيط (الثانية) اغتسل الحسن رضي الله عنه وخرج من داره في بعض الأيام وعليه حلة فاخرة ووفرة ظاهرة ومحاسن سافرة فعرض له في طريقه شخص من محاويج اليهود وعليه مسح من جلود قد أنهكته العلة وركبته القلة والذلة وشمس الظهيرة قد شوت شواه وهو حامل جرة ماء على قفاه فاستوقف الحسن رضي الله عنه، وقال يا ابن رسول الله سؤال قال ما هو؟ قال جدك يقول: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» وأنت مؤمن وأنا كافر فما أرى الدنيا إلا جنة لك تتنعم بها وما أراها إلا سجناً عليّ قد أهلكني ضرها وأجهدني فقرها فلما سمع الحسن كلامه قال له يا هذا لو نظرت إلى ما أعد الله لي في الآخرة لعلمت أني في هذه الحالة بالنسبة إلى تلك في سجن ولو نظرت إلى ما أعد الله لك في الآخرة من العذاب الأليم لرأيت أنك الآن في جنة واسعة انتهى من الفصول المهمة.

(فائدة) روي عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين بهؤلاء الكلمات أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة.

---

(١) سورة الأحزاب ٤٥.

فصل
في ذكر طرف من أخباره ومصالحته لمعاوية وما يتصل بذلك

قال أصحاب السير لما استشهد علي رضي الله عنه عمد أهل العراق إلى ابنه الحسن فبايعوه ثم أشاروا عليه بالمسير ليأخذ الشام من معاوية وسار معاوية بجيش الشام لقصده فلما تقارب الجيشان وتراءى الجمعان بموضع يقال له مسكن بناحية الأنبار من أرض السواد علم الحسن أنه لم تغلب إحدى الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى فرأى أن المصلحة في جمع الكلمة وترك القتال فكتب إلى معاوية يراسله ويخبره بأنه يصير الأمر إليه ويتنزل عنه على أن يشترط عليه أن لا يطالب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان في أيام أبيه وأن يكون ولي العهد من بعده وأن يمكنه من بيت المال ليأخذ حاجته منه ففرح معاوية رضي الله عنه وأجاب إلى ذلك إلا أنه قال إلا عشرة أنفس لا أومنهم فراجعه الحسن فيهم فكتب إليه معاوية إني قد آليت أنني متى ظفرت بقيس بن سعد بن عبادة قطعت لسانه ويده فراجعه الحسن إني لا أبايعك أبداً وأنت تطلب قيساً وغيره بتبعة قلت أو كثرت فبعث إليه معاوية حينئذٍ برق أبيض وقال له اكتب ما شئت فيه فأنا ألتزمه فاصطلحا على ذلك فكتب الحسن كل ما اشترط عليه من الأمور المذكورة واشترط أن يكون له الأمر بعده فالتزم ذلك كله معاوية فخلع الحسن نفسه وسلم الأمر إلى معاوية ببيت المقدس تورعاً وقطعاً للشر فلما اصطلحا دخل معاوية الكوفة وارتحل الحسن إلى المدينة وأقام بها (وكان) نزوله عنها سنة إحدى وأربعين في ربيع الأول وقيل في جمادى الأولى وقيل غير ذلك وذلك مصداق قوله ﷺ في حق الحسن : «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» رواه البخاري ولكونه نزل عنها ابتغاء وجه الله عوّضه الله وأهل بيته عنها بالخلافة

الباطنة حتى ذهب قوم إلى أن قطب الأولياء في كل زمان لا يكون إلا من أهل البيت ، ولما نزل عن الخلافة كان أصحابه يقولون يا عار المؤمنين فيقول العار خير من النار.

(**موعظة**) من مواعظ الحسن رضي الله عنه كان رضي الله عنه يقول : يا ابن آدم عف عن محارم الله تكن عابداً وارض بما قسم الله لك تكن غنياً ، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً ، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلاً ، إنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيراً ويبنون مشيداً ويأملون بعيداً أصبح جمعهم بورا وعملهم غروراً ومساكنهم قبوراً. يا ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك مذ سقطت من بطن أمك فجد بما في يدك لما بين يديك فإن المؤمن يتزّود والكافر يتمتع وكان يتلو هذه الآية بعدها ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾[1] كذا في الفصول المهمة.



---

(١) سورة البقرة ١٩٧.

فصل
في ذكر نبذة من كلامه

نقل الحافظ أبو نعيم في حليته بسنده أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه سأل ابنه الحسن رضي الله عنه فقال يا بني ما السداد؟ فقال يا أبت السداد دفع المنكر بالمعروف قال فما الشرف؟ قال اصطناع العشيرة والاحتمال للجريرة قال فما السماح؟ قال البذل في العسر واليسر قال فما اللؤم؟ قال إحراز المرء ماله وبذله عرضه قال فما الجبن؟ قال الجراءة على الصديق والنكول عن العدو قال فما الغنى؟ قال رضا النفس بما قسم الله لها وإن قل قال فما الحلم؟ قال كظم الغيظ وملك النفس قال فما المنعة؟ قال شدة البأس ومنازعة أعز الناس قال فما الذل؟ قال الفزع عند الصدمة قال فما الكلفة؟ قال كلامك فيما لا يعنيك قال فما المجد؟ قال أن تعطي في الغرم وتعفو في الجرم قال فما السودد؟ قال اتيان الجميل وترك القبيح قال فما السفه؟ قال اتباع الدناءة وصحبة الغواة قال فما الغفلة؟ قال ترك المسجد وطاعة المفسد (ومن كلامه رضي الله عنه) لا أدب لمن لا عقل له، ولا مودة لمن لاهمة له، ولا حياء لمن لا دين له، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل، وبالعقل تدرك الداران جميعاً ومن حرم العقل حرمهما جميعاً (وقال) رضي الله عنه: هلاك الناس في ثلاث: في الكبر والحرص والحسد، فالكبر هلاك الدين وبه لعن إبليس، والحرص عدوّ النفس وبه أخرج آدم من الجنة، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل (وقال) رضي الله عنه: دخلت على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يجود بنفسه لما ضربه ابن ملجم فجزعت لذلك فقال لي أتجزع؟ فقلت وكيف لا أجزع وأنا أراك على هذه الحالة فقال: يا بني احفظ عني خصالاً أربعاً إن أنت حفظتهن نلت بهن النجاة، يا بني لا غنى أكثر من العقل،

ولا فقر مثل الجهل ، ولا وحشة أشد من العجب ، ولا عيش ألذ من حسن الخلق ، واعلم أن مروءة القناعة والرضا أكبر من مروءة الإعطاء ، وتمام الصنيعة خير من ابتدائها (وقال) رضي الله عنه : حسن السؤال نصف العلم وقال : من بدأ الكلام قبل السلام فلا تجيبوه ، وسئل عن الصمت فقال : هو ستر العي وزين العرض وفاعله في راحة وجليسه في أمن (وقيل) له إن أبا ذر يقول الفقر أحب إلي من الغنى والسقم أحب إلي من الصحة فقال رحم الله أبا ذر أما أنا فأقول من اتكل على حسن اختيار الله لم يتمن أنه في غير الحالة التي اختارها الله له (وكان) يقول لبنيه وبني أخيه تعلموا العلم فإن لم تستطيعوا حفظه فاكتبوه وضعوه في بيوتكم (ورأى) عيسى بن مريم عليه السلام فقال له أريد أن أتخذ خاتماً فما أكتب عليه قال اكتب عليه لا إله إلا الله الملك الحق المبين فإنه آخر الإنجيل ، ومن كلامه المنظوم كما ذكره العلامة عبد القادر الطبري المالكي في شرح الدرية :

اغن عن المخلوق بـــالخالق تغن عن الكاذب والصادق
واسترزق الرحمن من فضله لـــيس غير الله بـــالــرازق
من ظن أن الناس يغنونه فـليس بـالـرحمن بـالواثق
من ظن أن الـرزق كسبـه زلت به النعلان من حالق

(كرامة) تغوّط رجل على قبره رضي الله عنه فجن وجعل ينبح كما ينبح الكلب ثم مات فسمع يعوي في قبره أخرجه أبو نعيم عن الأعمش (وكان رضي الله عنه كريماً) فمن كرمه ما نقل عنه أنه سمع رجلاً يسأل ربه أن يرزقه عشرة آلاف درهم فانصرف الحسن إلى منزله وبعث بها إليه . ومنه أن رجلاً سأله وشكا إليه حاله فدعا الحسن وكيله وجعل يحاسبه على نفقاته ومقبوضاته حتى استقصاها فقال له هات الفاضل فأحضر خمسين ألف درهم ثم قال ما فعلت بالخمسمائة دينار التي معك قال عندي قال فأحضرها فلما أحضرها دفع الدراهم والدنانير إلى الرجل واعتذر منه (ومنه) ما رواه أبو الحسن المدائني قال : خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم حجاجاً فلما كانوا ببعض الطريق جاعوا

وعطشوا وقد فاتتهم أثقالهم فنظروا إلى خباء فقصدوه فإذا فيه عجوز فقالوا هل من شراب؟ فقالت نعم فأناخوا بها وليس عندها إلا شويهة فقالت احلبوها واشربوا لبنها ففعلوا ذلك فقالوا هل من طعام قالت هذه الشويهة ما عندي غيرها فأنا أقسم عليكم بالله إلا ما ذبحها أحدكم حتى أهيء لكم الحطب فاشووها وكلوها ففعلوا ذلك وأقاموا عندها حتى أبردوا فلما ارتحلوا من عندها قالوا لها يا هذه نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فإذا رجعنا سالمين فألمي بنا فإنا صانعون بك خيراً إن شاء الله تعالى ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته الخبر فغضب وقال ويحك تذبحين شاتنا لقوم لا نعرفهم ثم تقولين نفر من قريش ثم بعد دهر طويل أصابت المرأة وزوجها السنة فاضطرتهم الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها يلتقطان البعر فمرت العجوز في بعض سكك المدينة ومعها مكتلها تلتقط فيه البعر والحسن رضي الله عنه جالس على باب داره فنظر إليها فعرفها فناداها وقال لها يا أمة الله هل تعرفيني؟ فقالت لا فقال أنا أحد ضيوفك يوم كذا سنة كذا في المنزل الفلاني فقالت بأبي أنت وأمي لست أعرفك قال فإن لم تعرفيني فأنا أعرفك فأمر غلامه فاشترى لها من غنم الصدقة ألف شاة وأعطاها ألف دينار وبعث بها مع غلامه إلى أخيه الحسين رضي الله عنه فلما دخل بها الغلام على أخيه الحسين عرفها وقال بكم وصلها أخي الحسن فأخبره بذلك فأمر لها بمثل ذلك ثم بعث بها مع الغلام إلى عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما فلما دخلت عليه عرفها وأخبره الغلام بما فعل معها الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال والله لو بدأت بي لأتعبتهما وأمر لها بألفي شاة وألفي دينار فرجعت وهي من أغنى الناس. وعن الحسن بن سعد عن أبيه قال متع الحسن رضي الله عنه امرأتين من نسائه بعد طلاقهما بعشرين ألفا وزقين من عسل فقالت إحداهما وأراها الحنفية متاع قليل من حبيب مفارق انتهى من الفصول المهمة (وأخرج) ابن سعد عن علي أنه قال يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن فإنه رجل مطلاق فقال رجل من همدان لنزوجنه فما رضي أمسك وما كره طلق وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبه وأحصن تسعين امرأة.

(تنبيهان) : الأول قيل للحسن رضي الله عنه لأي شيء نراك لا ترد سائلاً

وإن كنت على فاقه؟ فقال إني لله سائل وفيه راغب وأنا أستحي أن أكون سائلاً وأرد سائلاً، وإن الله تعالى عودني عادة عودني أن يفيض نعمه علي وعودته أن أفيض نعمه على الناس فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعني العادة وأنشأ يقول:

إذا ما أتاني سائل قلت مرحباً   بمن فضله فرض علي معجل
ومن فضله فضل على كل فاضل   وأفضل أيام الفتى حين يسأل

(الثاني) كان يوماً جالساً فأتاه رجل وسأله أن يعطيه شيئاً من الصدقة ولم يكن عنده ما يسد به رمقه فاستحيا أن يرده فقال ألا أدلك على شيء يحصل لك منه البر فقال ماذا تدلني عليه فقال اذهب إلى الخليفة فإن ابنته توفيت وانقطع عليها وما سمع من أحد تعزية فعزه بهذه التعزية يحصل لك بها الخير فقال حفظني اياها قال قل له الحمد لله الذي سترها بجلوسك على قبرها ولا هتكها بجلوسها على قبرك فذهب إلى الخليفة وعزاه بهذه التعزية فسمعها فذهب عنه الحزن فأمر له بجائزة وقال بالله عليك أكلامك هذا؟ قال لا بل كلام فلان قال صدقت فإنه معدن الكلام الفصيح وأمر له بجائزة أخرى كذا في الكنز المدفون.

(فائدة) عن الحسن رضي الله عنه كان عطاؤه رضي الله عنه مائة ألف فحبسها عنه معاوية في بعض السنين فحصل له ضيق شديد قال الحسن رضي الله عنه فدعوت بدواة لأكتب إلى معاوية لأذكره نفسي ثم أمسكت فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال كيف أنت يا حسن؟ فقلت بخير يا أبت وشكوت اليه تأخر المال عني قال أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك تذكره؟ فقلت نعم يا رسول الله فكيف أصنع؟ قال قل: اللهم اقذف في قلبي رجاءك واقطع رجائي عمن سواك حتى لا أرجو أحداً غيرك، اللهم ما ضعفت عنه قوتي وقصر عنه عملي ولم تنته اليه رغبتي ولم تبلغه مسألتي ولم يجر على لساني مما أعطيت أحداً من الأولين والآخرين من اليقين فخصني به يا أرحم الراحمين قال فوالله ما ألححت به أسبوعاً حتى بعث إليّ معاوية بألف ألف وخمسمائة ألف فقلت الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يخيب من دعاه فرأيت النبي ﷺ فقال يا حسن كيف أنت؟ فقلت

بخير يا رسول الله وحدثته بحديثي فقال يا بني هكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوق أوردها الأجهوري في مشارق الأنوار (ومروياته) من الأحاديث ثلاثة عشر حديثاً كذا في المسامرات (وكاتبه) عبد الله بن أبي رافع رضي الله تعالى عنه.

(تتمة في مرض موته ووفاته وأولاده) قال أبو علي الفضل بن الحسن الطبري في كتابه اعلام الورى: بعد أن تم الصلح بين الحسن ومعاوية وخرج الحسن إلى المدينة أقام بها عشر سنين وسقته زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي السم فبقي مريضاً أربعين يوماً وكان قد سألها يزيد في ذلك وبذل لها مائة ألف درهم وأن يتزوجها بعد الحسن ففعلت، ولما مات الحسن بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها فقال إنا لن نرضاك للحسن أفنرضاك لأنفسنا قال الحافظ أبو نعيم في حليته لما اشتد الأمر بالحسن قال أخرجوا فراشي إلى صحن الدار لعلي أتفكر في ملكوت السموات يعني الآيات فلما خرجوا به قال اللهم إني احتسب نفسي عندك فإنها أعز الأنفس علي وعن عمرو بن إسحق قال دخلت على الحسن أنا ورجل نعوده فقال يا فلان سلني فقال له والله لا أسألك حتى يعافيك الله وأسألك قال لقد ألقيت طائفة من كبدي وإني سقيت السم مراراً فلم أسقه مثل هذه المرة ثم دخلت عليه من الغد فوجدت أخاه الحسين رضي الله تعالى عنه عند رأسه فقال له الحسين من تتهم يا أخي؟ قل لم لأن تقتله قال نعم قال إن يكن الذي أظنه فالله أشد بأساً وأشد تنكيلاً وإن لم يكن هو فما أحب أن يقتل بي بريء (وروي) أنه لما حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين يا أخي قد حضرت وفاتي وحان فراقي لك وإني لاحق بربي وأجد كبدي تقطع وإني لعارف من أين ذهبت وأنا أخاصمه إلى الله تعالى ثم توفي لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة خمسين وقيل تسع وأربعين وقيل غير ذلك من الهجرة وصلى عليه سعيد بن العاص فإنه كان والياً يومئذ بالمدينة من جهة معاوية ودفن بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد وكان عمره إذ ذاك سبعاً وأربعين سنة وكانت مدة خلافته منها ستة أشهر وخمسة أيام (وأما أولاده) فقال ابن الخشاب أحد عشر ابناً وبنت واحدة وهم عبد الله والقاسم والحسن وزيد وعمر وعبد الله وعبد الرحمن وأحمد وإسمعيل والحسين وعقيل والبنت اسمها فاطمة

وكنيتها أم الحسن وهي أم محمد الباقر بن علي (وقال) الشيخ أبو عبد الله محمد بن النعمان في الإرشاد: أولاد الحسن بن علي رضي الله عنهم خمسة عشر ولداً ما بين ذكر وأنثى وهم زيد وأختاه أم الحسن وأم الحسين أمهم أم بشر بنت أبي مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية والحسن وأمه خولة بنت منصور الفزارية وعمر وأخوه القاسم وعبد الله أمهم أم ولد واستشهدوا ثلاثتهم بين يدي عمهم الحسين ابن علي بطف كربلا وعبد الرحمن أمه أم ولد والحسين الملقب بالأشرم وأخوه طلحة وأختها فاطمة أمهم أم اسحق بنت طلحة بن عبد الله وأم عبد الله وفاطمة وأم سلمة ورقية بنات الحسن لأمهات أولاد شتى. قال الشيخ كمال الدين بن طلحة لم يكن لأحد من أولاد الحسن عقب غير اثنين وهما الحسن وزيد.

(تذييل في الكلام على مناقب زيد والحسن ولدي الحسن رضي الله عنهم) أما زيد فإنه كان يلي صدقات رسول الله ﷺ، وكان جليل القدر كريم الطبع طيب النفس كثير البر، وكان مسناً ومدحه الشعراء وقصده الناس من الآفاق لطلب بره، وكان يلقب بالأبلج وهو جد السيدة نفيسة بنت السيد حسن الأنور. وذكر أصحاب السير أنه لما ولي سليمان بن عبد الملك كتب إلى عامله بالمدينة: أما بعد إذا جاءك كتابي هذا فاعزل زيد بن الحسن عن صدقات رسول الله ﷺ وادفعها إلى رجل من قومه سماه فلما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب إلى عامله بالمدينة أما بعد فإن زيد بن الحسن شريف بني هاشم وذو سهم فإذا جاءك كتابي هذا فاردد إليه صدقات رسول الله ﷺ وأعنه على ما استعانك عليه وكانت الصدقة أولاً بعد النبي ﷺ بيد علي والعباس قال معمر فغلب عليها علي فكانت بيده ثم بيد ابنه الحسن ثم الحسين ثم علي ابنه ثم الحسن بن الحسن ثم زيد بن الحسن ثم عبد الله بن الحسن ثم وليها بنو العباس انتهى، وفي زيد بن الحسن يقول محمد بن بشر الخارجي:

وزيد ربيع الناس في كل شتوة ... إذا اختلفت أبراقها ورعودها
حمول لأشتات الديات كأنه ... سراج الدجى قد قارنتها سعودها

مات زيد رضي الله عنه سنة عشرين ومائة وله تسعون سنة ورثاه جماعة من

الشعراء ، فمن رثاه قدامة بن موسى الجمحي بقوله :

فإن يك زيد غالت الأرض شخصه ... فقد كان معروف هناك وجود
وإن يك أمسى رهن رمس فقد ثوى ... به وهو محمود الفعال حميد
سريع إلى المضطر يعلم أنه ... سيطلبه المعروف ثم يعود
وليس بقوّال وقد حطّ رحله ... لملتمس يرجوه أين تريد
إذا قصر الوعد الدني سما به ... إلى المجد آباء له وجدود
إذا مات منهم سيد قام سيد ... كريم فيبني مجدهم ويشيد

قال صاحب الفصول : مات زيد ولم يدع الإمامة ولا ادعاها له مدّعٍ من الشيعة ولا من غيرهم قال وذلك لأن الشيعة رجلان إمامي وزيدي فالإمامي يعتمد في الإمامة النصوص وهي معدومة في ولد الحسن باتفاق ولم يدّع ذلك أحد منهم لنفسه فيقع فيه الارتياب والزيدي يراعي في الامامة بعد علي والحسن والحسين الدعوة والاجتهاد وزيد بن الحسن هذا كان مسالماً لبني أمية ومتقلداً الأعمال من قبلهم وكان رأيه التبعية لأعدائه والتأليف لهم والمداراة وهذا أيضاً عند الزيدية خارج عن علامات الإمامة وزيد خارج عنها بكل انتهى. (وأما) الحسن ابن الحسن الملقب بالمثنى فكان جليلاً مهيباً فاضلاً رئيساً ورعاً زاهداً وكان يلي صدقات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه ساير الحجاج يوماً بالمدينة والحجاج إذ ذاك أمير بها فقال له الحجاج يا حسن أدخل معك عمك عمك في النظر على صدقات أبيه فإنه عمك وبقية أهلك فقال الحسن لا أغير شرطاً اشترطه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولا أدخل في صدقاته من لم يدخله فقال له الحجاج أنا أدخله معك قهراً فأمسك الحسن عنه ثم ما كان منه إلا أن فارقه وتوجه من المدينة إلى الشام قاصداً عبد الملك بن مروان ، فلما أتى الشام وقف بباب عبد الملك يطلب الإذن عليه فوافاه يحيى بن أم الحكم وهو على الباب فسلم عليه وقال ما جاء بك فأخبره بخبره فقال له أسبقك بالدخول على عبد الملك ثم ادخل أنت فتكلم واذكر قصتك فترى ما أفعل معك وأنصفك عنده إن شاء الله تعالى ، فدخل يحيى ودخل بعده الحسن فلما نظره عبد الملك رحب به وأحسن

مسألته وكان الحسن قد أسرع إليه الشيب فقال له عبد الملك قد أسرع إليك الشيب يا أبا محمد فقال يحيى وما يمنعه عن ذلك يا أمير المؤمنين شيبته أماني أهل العراق يفد عليه الركب بعد الركب في كل سنة يمنّونه الخلافة فقال الحسن بئس والله الرفد رفدت وليس الأمر كما قلت ولكنا أهل البيت يسرع إلينا الشيب وعبد الملك يسمع كلامه فأقبل عبد الملك على الحسن وقال لا عليك هلمّ حاجتك يا أبا عبد الله فأخبره بقول الحجاج فقال عبد الملك ليس ذلك له وكتب له للحجاج كتاباً يتهدده فيه ووصله بأحسن صلة وجهزه وهو راجع إلى المدينة وبعد أن خرج الحسن من عنده قصده يحيى إلى منزله فقال كيف رأيت ما فعلت معك؟ فقال والله إني عاتب عليك فيما قلت فقال إنها لك والله ما آلو بك نفعاً ولا ادخرت عنك جهداً ولولا كلمتي هذه ما هابك ولا قضى لك حاجة فاعرف لي ذلك.

(وفي الفصول المهمة والأغاني) يروى أن الحسن بن الحسن رضي الله عنهما خطب إلى عمه الحسين إحدى بنتيه فاطمة وسكينة فقال اختر يا بني أحبهما إليك فاستحى الحسن ولم يرد جواباً فقال له عمه الحسين رضي الله عنه قد اخترت لك ابنتي فاطمة فهي أكثر شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله ﷺ فزوجها منه وحضر الحسن بن الحسن مع عمه الحسين بطف كربلاء فلما قتل الحسين وأسر الباقون من أهله أسر الحسن في جملتهم فجاء أسماء بن خارجة فانتزع الحسن من بين الأسرى وقال والله لا يوصل إلى ابن خولة أبداً (مات) الحسن بن الحسن سنة سبع وتسعين وله خمس وثمانون سنة وأخوه زيد حي وأوصى إلى أخيه من أمه ابراهيم ابن محمد بن طلحة (وضربت زوجته) فاطمة بنت الحسين عمه على قبره فسطاطاً وكانت تقوم الليل وتصوم النهار وكانت تشبه بالحور العين لجمالها فلما كانت رأس السنة قالت لمواليها إذا أظلم الليل فقوّضوا هذا الفسطاط فلما أظلم الليل وقوضوه سمعت قائلاً يقول: هل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه آخر بل يئسوا فانقلبوا انتهى.
وأعقب الحسن بن الحسن خمسة رجال عبد الله المحض وابراهيم القمر والحسن المثلث وأمهم فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه وداود وجعفر وأمهما أم ولد تدعى حبيبة كذا في بحر الأنساب.

فصل

في ذكر مناقب سيدنا الحسين السبط ابن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ

(ولد) الحسين رضي الله عنه بالمدينة لخمس خلونَ من شعبان سنة أربع من الهجرة وكانت أمه علقت به بعد أن ولدت أخاه الحسن رضي الله عنه بخمسين ليلة وهكذا صح النقل في ذلك (وحنكه) ﷺ بريقه وأذن في أذنه وتفل في فمه ودعا له وسماه حسيناً يوم السابع وعق عنه بكبش وقال لأمه: احلقي رأسه وتصدقي بزنة شعره فضة كما فعلت بأخيه الحسن (وكنيته) أبو عبد الله لا غير (وألقابه) الرشيد والطيب والزكي والوفي والسيد والمبارك والتابع لمرضاة الله والسبط، وأشهرها الزكي، وأعلاها رتبة ما لقبه ﷺ في قوله عنه وعن أخيه إنهما سيدا شباب أهل الجنة وكذلك السبط فإنه صح عن رسول الله ﷺ أنه قال «حسين سبط من الأسباط» (وكان) الحسين رضي الله عنه أشبه الخلق بالنبي ﷺ من سرته إلى كعبه (وشاعره) يحيى بن الحكم وجماعة غيره (وبوابه) أسعد الهجري (ونقش) خاتمه لكل أجل كتاب (ومعاصره) يزيد بن معاوية وعبيد الله ابن زياد (ومروياته) من الأحاديث ثمانية.

(وهذه نبذة من الأحاديث الواردة في حقه): أخرج الحاكم وصححه عن يعلى العامري أن النبي ﷺ قال: «حسين مني وأنا من حسين اللهم أحب من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط». وروى ابن حبان وابن سعد وأبو يعلى وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة». وفي لفظ «إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن علي». وروى خيثمة بن سليمان عن أبي هريرة: «أن النبي ﷺ

جلس في المسجد فقال : أين لكع فجاء الحسين يمشي حتى سقط في حجره فجعل أصابعه في لحية رسول الله ﷺ ففتح رسول الله ﷺ فمه أي الحسين فأدخل فاه في فيه ثم قال : اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه». وروى أبو الحسن بن الضحاك عن أبي هريرة قال : «رأيت رسول الله ﷺ يمتص لعاب الحسين كما يمتص الرجل التمرة». وروي عن جعفر الصادق بن محمد قال : «اصطرع الحسن والحسين بين يدي رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : إيها حسن فقالت فاطمة : يا رسول الله تستنهض الكبير على الصغير فقال ﷺ : هذا جبريل يقول : «إيها حسين خذ الحسن». وعن زيد بن أبي زيادة قال : «خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة فمر على بيت فاطمة فسمع حسيناً يبكي فقال : ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني». وعن البراء بن عازب قال : «رأيت رسول الله ﷺ حاملاً الحسين بن علي رضي الله عنهما على عاتقه وهو يقول : اللهم إني أحبه فأحبه». وروى البخاري والترمذي برفعه إلى ابن عمر رضي الله عنهما أنه سأله رجل عن دم البعوضة فقال له ممن أنت؟ فقال رجل من أهل العراق فقال انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوضة وقد قتلوا ابن رسول الله ﷺ ، وسمعت النبي ﷺ يقول : هما ريحانتاي من الدنيا. وروت أم الفضل بن العباس رضي الله عنهم قالت : «دخلت على رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله رأيت البارحة حلماً منكراً قال : وما هو قالت : رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت فوضعت في حجري فقال رسول الله ﷺ خيراً رأيت تلد فاطمة غلاماً يكون في حجرك فولدت فاطمة الحسين قالت فكان في حجري كما قال رسول الله ﷺ فدخلت به عليه فوضعته في حجره ثم حانت به مني التفاتة فإذا عينا رسول الله ﷺ تدمعان فقلت بأبي وأمي يا رسول الله ما يبكيك قال : جاء جبريل عليه السلام فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا وأتاني بتربة من تربة حمراء». وروى البغوي بسنده يرفعه إلى أم سلمة أنها قالت : «كان جبريل عليه السلام عند النبي ﷺ والحسين معي فغفلت عنه فذهب إلى النبي ﷺ فأخذه النبي ﷺ وجعله على فخذه فقال له جبريل عليه السلام : أتحبه يا محمد قال : نعم قال إن أمتك ستقتله وإن شئت

لأريتك تربة الأرض التي يقتل بها ثم بسط جناحه إلى الأرض وأراه أرضاً يقال. لها كربلاء تربة حمراء بطف العراق».

(تنبيه) الطف بفتح الطاء المهملة المشددة وبالفاء المشددة موضع خارج الكوفة وجمعه طفوف وهو ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق والجانب والشاطئ؛ وفي مجمع البحرين الطف ساحل البحر وجانب البر ومنه الطف الذي استشهد فيه الحسين رضي الله عنه سمي به لأنه طرف البر مما يلي الفرات اهـ. وروى الحافظ عبد العزيز الجنابذي في كتابه معالم العترة الطاهرة مرفوعاً إلى الأصبغ بن نباتة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «أتينا مع علي رضي الله عنه في سفرة فمررنا بأرض كربلاء فقال عليّ: ههنا مناخ ركابهم وموضع رحالهم ومهراق دمائهم فتية من أمة محمد ﷺ يقتلون في هذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض».



فصل
في خروجه إلى العراق واستشهاده رضي الله عنه

قال أبو عمرو لما مات معاوية في غرة رجب سنة ستين وأفضت الخلافة إلى يزيد ووردت بيعته على الوليد بن عتبة بالمدينة ليأخذ البيعة على أهلها أرسل إلى الحسين بن علي وإلى عبد الله بن الزبير ليلاً وأتى بهما فقال : بايعا فقالا : مثلنا لا يبايع سراً ولكنّا نبايع على رؤوس الناس إذا أصبحنا فرجعا إلى بيوتهما وخرجا من ليلتهما إلى مكة وذلك ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب فأقام الحسين بمكة شعبان ورمضان وشوّالاً وذا القعدة وخرج يوم التروية يريد الكوفة نقله ابن عبد البر. وفي الفصول المهمة ولما بلغ أهل الكوفة موت معاوية وامتناع الحسين وابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم من البيعة وأن الحسين سار إلى مكة ونزل بها اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد بالكوفة وتذاكروا أمر الحسين وسيره إلى مكة وقالوا نكتب له كتاباً يأتينا الكوفة فكتبوا له كتاباً وأرسلوه مع القاصدين، وصورته : بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن علي أمير المؤمنين من شيعته وشيعة أبيه رضي الله عنهما، أما بعد فإن الناس منتظروك لا رأي لهم في غيرك فالعجل العجل يا ابن رسول الله ﷺ لعل الله أن يجمعنا بك على الحق ويؤيد الإسلام بك بعد أجزل السلام وأتمه عليك ورحمة الله وبركاته. فكتب إليهم الحسين رضي الله عنه : أما بعد فقد وصلني كتابكم وفهمت ما اقتضته آراؤكم وقد بعثت إليكم أخي وثقتي وابن عمي مسلم بن عقيل وسأقدم عليكم إثره إن شاء الله تعالى، وأرسل مسلم بن عقيل إليهم صحبة قاصديهم فلما وصل إليهم مسلم ودخل الكوفة اجتمعت عليه الشيعة وأخذ عليهم البيعة للحسين رضي الله عنه فبلغ ذلك والي الكوفة يومئذ وهو النعمان بن بشير فكتب فيه إلى يزيد بن معاوية فجهز يزيد

على الفور عبيد الله بن زياد إلى الكوفة ولما قرب منها عبيد الله بن زياد تنكر ودخلها ليلاً وأوهم أنه الحسين ودخلها من جهة البادية في زي أهل الحجاز فصار كلما اجتاز بجماعة قاموا له وهم يظنون أنه الحسين ويقولون مرحباً بابن رسول الله ﷺ قدمت خير مقدم وهو لا يكلمهم ولما رأى تباشرهم بالحسين ساءه ذلك وانكشفت له أحوالهم ثم انه قصد قصر الإمارة يريد الدخول فيه فوجد النعمان بن بشير وأصحابه أغلقوه عليهم وذلك لظن النعمان بن بشير أن ابن زياد هو الحسين فصاح عليهم عبيد الله بن زياد افتحوا لا بارك الله فيكم ولا كثر من أمثالكم فعرفوا صوته وقالوا ابن مرجانة فنزلوا وفتحوا له فدخل القصر وبات فيه ولما أصبح جمع الناس فصال وجال وقال وأطال وقتل جماعة من أهل الكوفة وتحيل بعد ذلك حتى ظفر بمسلم بن عقيل فقبض عليه وقتله ولم يقم الحسين رضي الله عنه بعد مسير ابن عمه مسلم بمكة الا قليلاً حتى تجهز للمسير في أثره فخرج ومعه جميع أهله وولده وخاصته وحاشيته ومن يليه فأتاه عمر بن الحرث بن هشام المخزومي فقال له اني جئتك لحاجة أريد ذكرها نصيحة لك فإن كنت ترى أني ناصح قلتها لك وأديت ما يجب علي من الحق فيها وإن ظننت أني غير ناصح كففت عما أريد أن أقوله لك فقال قل، فقال له: قد بلغني أنك تريد العراق وإني مشفق عليك أن تأتي بلداً فيها عمال يزيد وأمراؤه ومعهم بيوت الأموال، وإنما الناس عبيد الدرهم والدينار فلا آمن عليك من أن يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه له وذلك عند البذل وطمع الدنيا، فقال له الحسين رضي الله عنه: جزاك الله خيراً من ناصح، لقد مشيت يا ابن عم بنصح وتكلمت بعقل ولم تنطق عن الهوى ولكن مهما يقض من أمر يكن أخذت برأيك أم تركت مع أنك عندي أحمد مشير وأعز ناصح؛ ثم جاءه بعد ذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وجماعة من ذوي الحكمة والتجربة والمعرفة بالأمور فقالوا له إن الناس قد أرجفوا بأنك سائر إلى العراق فهل عزمت على شيء من ذلك؟ فقال نعم إني قد أجمعت على المسير في أحد يوميّ هذين إلى الكوفة أريد اللحوق بابن عمي مسلم إن شاء الله تعالى فقال ابن عباس ومن معه نعيذك بالله من ذلك أخبرنا أتسير إلى قوم

قتلوا أميرهم ضبطوا بلادهم نفوا عدوّهم؟ فإن كانوا قد فعلوا فسر إليهم وإن كانوا قد دعوك وأميرهم قائم لهم قاهر لهم يجبي بلادهم ويأخذ خراجهم فإنما دعوك إلى الحرب ولا آمن عليك من أن يغروك ويكذبوك ويخذلوك ولم يستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك، فقال الحسين إني أستخير الله تعالى ثم أنظر ماذا يكون، فخرج ابن عباس ومن معه؛ ثم إنه ورد على الحسين كتاب من المدينة من عبد الله بن جعفر مع ولديه عون ومحمد ومن سعيد بن العاص ومن جماعة من أهل المدينة وكل منهم يشير عليه بعدم التوجه إلى العراق؛ هذا كله والقضاء غالب فلم يكترث بما قيل له ليقضي الله أمراً كان مفعولاً؛ وجاءه ابن الزبير رضي الله عنهما فجلس عنده ساعة يتحدث ثم قال له أخبرني ما تريد أن تصنع بلغني أنك سائر إلى العراق؟ فقال له الحسين نعم نفسي تحدثني بإتيان الكوفة وذلك أن جماعة من شيعتنا وأشراف الناس كتبوا إليّ كتاباً يستحثوني على المسير إليهم ويعدوني النصرة والقيام معي بأنفسهم وأموالهم ووعدتهم الوصول إليهم وأنا أستخير الله تعالى، فقال له ابن الزبير: أما إنه لو كان لي بها شيعة مثل شيعتك ما عدلت عنهم ثم خشي أن يتهمه فقال: وإن رأيت أن تقيم هنا بالحجاز وتريد هذا الأمر قمنا معك وبايعناك وساعدناك ونصحنا لك، فقال له الحسين رضي الله عنه: إن أبي حدثني أن بها كبشاً به تستحلّ حرمتها فما أحب أن أكون ذلك الكبش والله لأن أقتل خارجاً من مكة بشبر أحبّ إليّ من أن أقتل بداخلها، فقام ابن الزبير رضي الله عنهما من عنده، فقال الحسين رضي الله عنه لجماعة كانوا عنده من خواصه إن هذا الرجل يعني ابن الزبير ليس شيء أحبّ إليه من أن أخرج من الحجاز وقد علم أن الناس لا يعدلون بي ما دمت فيه فود أني خرجت منه ليخلو به؛ ولما كان الغد جاءه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ثانياً وقال: يا ابن عم إني أتصبر ولا أصبر إني أتخوّف عليك من هذا الوجه الهلاك والاستئصال إن أهل العراق أهل غدر فلا تأمنهم وأقم بهذا البيت الشريف فإنك سيد أهل الحجاز وإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم ينفوا عاملهم ويخرجوه عنهم ثم تقدّم عليهم وإن رأيت فسر إلى اليمن فإن فيها حصوناً وشعوباً وهي أرض طويلة عريضة ولأبيك بها

شيعة كثيرة وتكون بها معتزلاً فتكتب إلى الناس ويكتبون إليك وإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الفرج بالذي تريد، فقال له الحسين رضي الله عنه: يا ابن عم إني أعلم أنك ناصح مشفق ولكن قد أزمعت وأجمعت على المسير إلى هذا الوجه فقال له ابن عباس رضي الله عنهما فإن كنت سائراً ولا بد فلا تسر بنسائك وصبيتك قال: ولا أتركهم خلفي فقال له ابن عباس رضي الله عنهما والله لو أعلم أني إن أخذت بناصيتك وأخذت بناصيتي حتى تجتمع علينا الناس أطعتَني وأقمتَ لفعلت ثم خرج عنه ابن عباس رضي الله عنهما وهو يقول: لقد أقررت عين ابن الزبير بمخرجك من الحجاز وعند خروج ابن عباس من عند الحسين رضي الله عنه صادفه ابن الزبير فقال: ما وراءك يا ابن عم؟ قال ما يقر عينك هذا الحسين يخرج إلى العراق ويخليك والحجاز ثم ولى وهو ينشد:

يا لك من قبرة بمعمر	خلا لك الجوّ فبيضي واصفري
ونقري ما شئتِ أن تنقري	لا بدّ من أخذك يوماً فاصبري

فخرج الحسين رضي الله عنه من مكة يوم الثلاثاء وهو يوم التروية الثامن من ذي الحجة سنة ستين ومعه اثنان وثمانون رجلاً من أهل بيته وشيعته ومواليه ولم يزل سائراً، فلما كان بالصفاح لقيه الفرزدق الشاعر فنزل وسلم على الحسين رضي الله عنه وقال له أعطاك الله سؤلك وبلغك مأمولك في جميع ما تحب فقال له الحسين رضي الله عنه من أين أقبلت يا أبا فراس؟ فقال من الكوفة فقال له بين لي خبر الناس فقال أجل على الخبير سقطت يا ابن رسول الله ﷺ قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء وربنا كل يوم هو في شأن، فقال الحسين: صدقت الأمر لله يفعل ما يشاء والله سبحانه كل يوم في شأن ثم فارقه الحسين رضي الله عنه وسار حتى انتهى إلى ماء قريب من الحاجر فإذا هو بعبد الله بن مطيع نازل على الماء فتلاقى هو وإياه فتسالما واعتنقا وقال له ما جاء بك يا ابن رسول الله ﷺ؟ قال له أقصد الكوفة فقال له ألم أتقدم إليك بالقول ألم أنهك عن المسير إلى هذا الوجه؟ اذكر الله تعالى في حرمة الإسلام أن تنتهك أنشدك الله تعالى في حرمة قريش وذمة العرب والله لأن طلبت

ما في يدي بني أمية ليقتلنك ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً والله انها لحرمة الإسلام وحرمة قريش وحرمة العرب فالله الله لا تفعل ولا تأت الكوفة ولا تعرض نفسك لبني أمية فأبى أن يمضي إلا في جهته ثم ارتحل من الماء وسار إلى أن أتى التلغبية فلما نزلها أتاه خبر قتل ابن عمه مسلم بن عقيل بالكوفة فقال له بعض أصحابه ننشدك بالله أن ترجع عن مقصدك فإنه ليس لك بالكوفة من ناصر وإنّا نتخوّف أن يكونوا عليك لا لك ، فوثب بنو عقيل وقالوا والله لا نرجع حتى نأخذ بثأرنا أو نذوق كما ذاق مسلم فقال لهم الحسين لا خير لي في الحياة بعدكم ثم ارتحلوا حتى انتهوا إلى زبالة ، وكان الحسين رضي الله عنه لا يمر بماء من مياه العرب ولا يجي من أحيائها إلا صحبه أهله وتبعوه فلما كان بزبالة أتاه خبر قتل أخيه من الرضاع عبد الله بن يقطر وكان أرسله من الطريق إلى مسلم بن عقيل ليأتيه بخبره من الكوفة فأخذته خيل ابن زياد من القادسية وأخذوا كتبه وقتلوه ، فلما بلغ الحسين رضي الله عنه ذلك أيضاً قال قد خذلنا شيعتنا ثم قال أيها الناس من أحب أن ينصرف فلينصرف ليس عليه منا ذم ولا لوم فتفرق الأعراب عنه يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه لا غير الذين خرج بهم من مكة وإنما فعل ذلك لأنه علم من الناس أنهم ظنوا أنه يأتي بلداً قد استقامت له وأطاعه أهلها فيتسلمها صفواً عفواً من غير حرب ولا قتال فأراد أن يعرفهم ما يقدمون عليه ثم انه سار حتى نزل بطن العقبة فأتاه رجل من مشايخ العرب فقال له أنشدك الله تعالى ألا انصرفت فوالله ما تقدم إلا على الأسنة وحدّ السيوف فإن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطأوا لك الأمور وقدمت من غير حرب كان ذلك رأياً وأما على هذه الحالة التي نرى فلا أرى لك أن تفعل فقال له لا يخفى علي شيء مما ذكرته ولكني صابر محتسب حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً ثم ارتحل نحو الكوفة فلما كان بينه وبينها مسافة مرحلتين وافاه إنسان يقال له الحر بن يزيد الرياحي ومعه ألف فارس من أصحاب عبيد الله بن زياد شاكين السلاح فقال للحسين : إن عبيد الله أخرجني عيناً عليك وقال إن ظفرت به لا تفارقه أو تجيء به وأنا والله كاره أن يبتليني الله بشيء من أمرك غير أني قد أخذت بيعة القوم فقال

له الحسين رضي الله عنه إني لم أقدم هذا البلد حتى أتتني كتب أهلها وقدمت علي رسلهم يطلبوني وأنتم من أهل الكوفة فإن دمتم على بيعتكم وقولكم في كتبكم دخلت مصركم وإلا انصرفت من حيث أتيت فقال له الحر والله لم أعلم بشيء مما ذكرت ولا علم لي بالكتب ولا بالرسل ، وأما أنا فما يمكنني الرجوع إلى الكوفة في وقتي هذا وأما أنت فخذ طريقك هذا واذهب إلى حيث شئت وأنا أكتب إلى ابن زياد أن الحسين خالفني الطريق ولم أظفر به وأنشدك الله في نفسك وفيمن معك فسلك الحسين رضي الله عنه طريقاً غير الجادة راجعاً إلى الحجاز وسار هو وأصحابه ليلتهم فلما أصبحوا فإذا الحر بن يزيد في جيشه وهو معهم فقال له الحسين كيف هذا ما جاء بك قال سعى بي إلى ابن زياد وعليّ عين من جهته فجاءني كتاب من جهته وهو يؤنبني في أمرك تأنيباً كثيراً وقال تظفر بالحسين وتتركه كن عيناً عليه ولا تفارقه إلى أن تأتيك الجيوش والعساكر ولا بقي لي سبيل إلى مفارقتك فنزل الحسين وحط بتلك الأرض التي أصبح بها وسأل عنها فقيل له هذه كربلاء وكان ذلك يوم الأربعاء الثامن من المحرم سنة إحدى وستين فقال رضي الله عنه هذه كربلاء موضع كرب وبلاء هذا مناخ ركابنا ومحط رحالنا ومقتل رجالنا وكتب الحر إلى ابن زياد يخبره بنزول الحسين بأرض كربلاء فكتب عبيد الله بن زياد إلى الحسين كتاباً يقول فيه : أما بعد فإن يزيد بن معاوية كتب إليّ أن لا تغمض جفنك من المنام ولا تشبع بطنك من الطعام إما أن يرجع الحسين إلى حكمي أو تقتله والسلام ، فلما ورد الكتاب على الحسين وقرأه ألقاه من يده وقال للرسول ما له عندي جواب فلما رجع الرسول إلى ابن زياد وأخبره بذلك اشتد غضبه وجمع الجموع وجهز إليه العساكر وجعل مقدمتها عمر بن سعد وكان والياً بالري وأعمالها واستعفى من خروجه إلى قتال الحسين وتقدّمه على العسكر فقال له ابن زياد إما أن تخرج له أو تخرج من عملنا فخرج عمر بن سعد إلى الحسين رضي الله عنه وصار ابن زياد يمده بالجيوش شيئاً فشيئاً إلى أن اجتمع عند عمر ابن سعد ألف مقاتل ما بين فارس وراجل وأول من خرج مع عمر بن سعد الشمر ابن ذي الجوشن في خيل كثيرة ثم ساروا جميعاً حتى نزلوا بشاطئ الفرات فحالوا

بين الحسين وبين الماء فعند ذلك ضاق الأمر على الحسين رضي الله عنه وعلى أصحابه واشتد بهم العطش وكان مع الحسين رجل من أهل الزهد والورع يقال له يزيد بن حصين الهمداني فقال للحسين ائذن لي يا ابن رسول الله ﷺ في أن آتي عمر بن سعد مقدم هؤلاء فأكلمه في الماء لعله أن يرتدع فأذن فجاء الهمداني إلى عمر بن سعد وكلمه في الماء فامتنع ولم يجبه إلى ذلك فقال له هذا ماء الفرات يشرب منه الكلاب والدواب وتمنعه ابن بنت رسول الله ﷺ وأولاده وأهل بيته والعترة الطاهرة يموتون عطشاً وقد حلت بينهم وبين الماء وتزعم أنك تعرف الله ورسوله فأطرق عمر بن سعد ثم قال يا أخا همدان إني لأعلم ما تقول وأنشأ يقول :

دعاني عبيدالله من دون قومه ... إلى خصلة فيها خرجت لحيني

فوالله ما أدري وإني لواقف ... على خطر لا أرتضيه ومين

أآخذ ملك الري والري بغيتي ... وأرجع مطلوباً بدم حسين

وفي قتله النار التي ليس دونها ... حجاب وملك الري قرة عيني

ثم قال : يا أخا همدان ما أجد نفسي تجيبني إلى ترك ملك الري لغيري فرجع يزيد بن حصين الهمداني إلى الحسين وأخبره بمقالة ابن سعد ، فلما عرف الحسين ذلك منهم تيقن أن القوم مقاتلوه فأمر أصحابه فاحتفروا حفيرة شبيهة بالخندق وجعلوا جهة واحدة يكون القتال منها ثم إن عسكر ابن زياد برزوا لمقاتلة الحسين رضي الله عنه وأصحابه وأحدقوا بهم من كل جانب ووضعوا السيوف في أصحاب الحسين ورموهم بالنبل وهم يقاتلونهم إلى أن قتل من أصحاب الحسين رضي الله عنه ما يزيد عن الخمسين فعند ذلك صاح الحسين رضي الله عنه أما ذاب يذب عن حريم رسول الله ﷺ وإذ بالحر بن يزيد الرياحي المتقدم ذكره الذي كان عيناً على الحسين من جهة ابن زياد قد خرج من عسكر عمر بن سعد راكباً على فرسه وقال أنا يا ابن رسول الله ﷺ كنت أول من خرج إليك عيناً ولم أظن أن الأمر يصل إلى هذا الحال وأنا الآن في حزبك وأنصارك أقاتل بين يديك حتى أقتل أرجو بذلك شفاعة جدك محمد ﷺ فقاتل بين يديه حتى قتل فلما فني أصحاب الحسين رضي الله عنه وقتلوا جميعهم وبقي وحده حمل عليهم فقتل كثيراً من

الرجال والأبطال ورجع سالماً إلى موقفه عند الحريم ثم حمل عليهم حملة أخرى وأراد الكر راجعاً إلى موقفه فحال الشمر بن ذي الجوشن بينه وبين الحريم في جماعة من أبطالهم وشجعانهم وأحدقوا به، ثم إن جماعة آخرين تبادروا إلى الحريم والأطفال يريدون سلبهم، فصاح الحسين ويحكم يا شيعة الشيطان كفوا سفهاءكم عن الحريم والأطفال فإنهم لم يقاتلوكم فقال الشمر لأصحابه كفوا عنهم واقصدوا الرجل فلم يزل يقتتل هو وهم إلى أن أثخنوه جراحاً فسقط عن فرسه إلى الأرض ونزلوا وحزوا رأسه (قيل) الذي قتله سنان بن أنس النخعي، وقيل الشمر بن ذي الجوشن والصحيح المنقول عن السدي أن الذي قتله سنان/وأرسل عمر بن سعد بالرأس إلى ابن زياد مع سنان بن أنس النخعي فلما وضع الرأس الشريف بين يدي عبيد الله ابن زياد قال:

املأ ركابي فضةً وذهبا إني قتلت السيد المحجبا
قتلت خير الناس أماً وأبا وخيرهم إذ يذكرون نسبا

فغضب عبيد الله بن زياد وقال: إذا علمت ذلك فلم قتلته والله لا نلت مني خيراً ولألحقنك به ثم ضرب عنقه. وفي أسد الغابة ولما قتل الحسين رضي الله عنه أرسل عمر بن سعد رأسه ورؤوس أصحابه إلى ابن زياد فجمع الناس وأحضر الرؤوس وجعل ينكت بقضيب بين ثنيتي الحسين فلما رآه زيد بن أرقم لا يرفع قضيبه قال له: اعل بهذا القضيب فو الله الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين يقبلها ثم بكى فقال له ابن زياد أبكى الله عينيك فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك فخرج وهو يقول أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم الحسين بن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم انتهى. وفي ذلك قال أبو الأسود الدئلي:

أقول وذاك من جزع ووجد أزال الله ملك بني زياد
وأبعدهم بما غدروا وخانوا كما بعدت ثمود وقوم عاد

ثم إن القوم ساقوا الحريم والأطفال كما تساق الأسارى حتى أتوا الكوفة فخرج

الناس فجعلوا ينظرون اليهم ويبكون وكان علي بن الحسين زين العابدين معهم قد أنهك جسمه المرض فجعل يقول إن هؤلاء يبكون من أجلنا فمن قتلنا؟ فلما دخلوا بهم على عبيد الله بن زياد أرسل بهم ورأس الحسين معهم إلى الشام إلى يزيد بن معاوية مع شخص يقال له زجر بن قيس ومعه جماعة هو مقدمهم وأرسل بالنساء والصبيان على أقتاب ومعه علي بن الحسين وقد جعل ابن زياد الغل في يده وعنقه ولم يزالوا سائرين بهم على تلك الحالة إلى أن وصلوا إلى الشام فتقدم زجر بن قيس فدخل على يزيد فقال له هات ما وراءك قال أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره ورد علينا الحسين بن علي في ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته فسرنا إليهم وسألناهم النزول على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال فاختاروا القتال فغدونا عليهم مع شروق الشمس فأحطنا بهم من كل ناحية حتى إذا أخذت السيوف مأخذها من هام القوم جعلوا يهربون إلى غير وزر ويلوذون بالآكام والحفر كما لاذ الحمائم من عقاب أو صقر فوالله ما كان إلا نحر جزور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم فهاتيك أجسادهم مجردة وثيابهم بدمائهم مضرجة وخدودهم في التراب معفرة تصهرهم الشمس وتسفي عليهم الريح زوارهم العقاب والرخم في سبسب من الأرض قال فدمعت عينا يزيد وقال كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن سمية ووالله لو كنت صاحبه لعفوت عنه فرحم الله الحسين وأخرجه من عنده لم يصله بشيء ثم إنهم دخلوا بالرأس فوضعوها بين يدي يزيد وكان في يده قضيب فجعل ينكت به في ثغره ثم قال ما أنا وهذا إلا كما قال الحصين:

أبى قومنا أن ينصفونا وأنصفت قواضب في أيماننا تقطر الدما
يفلقن هاما من رؤوس أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فقال أبو بردة الأسلمي وكان حاضراً أتنكت بقضيبك في ثغره أما إني لقد رأيت رسول الله ﷺ يرشفه ورضيت يا يزيد أن يجيء عبيد الله بن زياد شفيعك يوم القيامة ويجيء هذا ومحمد ﷺ شفيعه ثم قام من المجلس فقال يزيد والله لو أني صاحبه ما قتلته ثم قال أتدرون من أين أتى هذا؟ أما إنه ليقول أبي خير من

أبيه وأمي فاطمة خير من أمه وجدي رسول الله ﷺ خير من جده وأنا خير من يزيد وأحق بالأمر منه ، فأما قوله أبوه خير من أبي فقد تحاج أبي وأبوه إلى الله تعالى وعلم الناس أيهما حكم له وأما قوله أمي خير من أمه فلعمري فاطمة بنت رسول الله ﷺ خير من أمي وأما قوله جدي خير من جده فلعمري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله ﷺ فينا عديلاً ولا نداً وأتى هذا من قبل فقهه ولم يقرأ ﴿قُلِ اللهم مالكَ الملكِ تُؤتي الملكَ مَنْ تشاءُ وتنزعُ الملكَ ممن تشاءُ وتُعزُّ مَنْ تشاءُ وتُذِلُّ مَنْ تشاءُ بيدِكَ الخيرُ﴾ [1] ثم إنه أدخل نساء الحسين والرأس بين يديه فجعلت فاطمة وسكينة تتطاولان لتنظراه وجعل يزيد يستره عنهما فلما رأينه صحن وأعولن بالبكاء فبكى لبكائهن نساء يزيد وبنات معاوية فولولن وأعولن فقالت فاطمة وكانت أكبر من سكينة : بنات رسول الله ﷺ سبايا أسرك هذا يا يزيد فقال والله ما سرني وإني لهذا كاره وما أتى عليكن أعظم مما أخذ منكن ثم قال أدخلوهن إلى الحريم فلما دخلن على حريمه لم تبق امرأة من آل يزيد إلا أتتهن وأظهرت التوجع والحزن على ما أصابهن وعلى ما نزل بهن وأضعفن لهن جميع ما أخذ منهن من الحلي والثياب وزيادة وكانت سكينة تقول ما رأيت كافراً بالله خيراً من يزيد ثم أمر بعلي زين العابدين فدخل عليه مغلولا فقال علي رضي الله عنه يا يزيد لو رآنا رسول الله ﷺ مغلولين لفكه عنا قال صدقت وأمر بفكه فقال ولو رآنا رسول الله ﷺ على بعد لأحب أن يقربنا فأمر به فقربه ثم قال له يزيد يا علي أبوك الذي قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني فنزل به ما رأيت فقال علي : ﴿مَا أصابَ مِنْ مُصيبةٍ في الأرضِ ولا في أنفسِكُمْ إلا في كتابٍ من قبلِ أنْ نبرأَها إنَّ ذلكَ على اللهِ يسير . لكيلا تأسَوا على ما فاتكُمْ ولا تفرَحُوا بما آتاكم واللهُ لا يُحبُّ كل مختالٍ فخور﴾ [2]. فقال له يزيد : ﴿وَمَا أصابكُمْ مِنْ مُصيبةٍ فبما كسبَتْ أيديكم﴾ [3] ثم إن يزيد أمر بإنزال علي رضي الله عنه وإنزال حرمه في دار تخصهم بمفردهم وأجرى لهم كل ما يحتاجون إليه وكان لا يتغدى ولا يتعشى حتى يحضر علي بن الحسين

---

(١) سورة آل عمران ٢٦.

(٢) سورة الحديد ٢٢ — ٢٣

(٣) سورة الشورى ٣٠.

فدعاه ذات يوم ومعه عمر بن الحسين وهو صبي صغير فقال يزيد لعمر أتقاتل خالداً يعني خالد بن يزيد وكان في سنه فقال أعطني سكيناً وأعطه سكيناً حتى أقاتله فضمه يزيد إليه وقال :

شنشنة أعرفها من أخزم وهل تلد الحية إلا حوية

ثم إن يزيد بعد ذلك أمر النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم إلى المدينة الشريفة وسير معهم رجلاً أميناً من أهل الشام في خيل سيرها صحبتهم وودع يزيد علي بن الحسين وقال له لعن الله ابن مرجانة لو كنت حاضر الحسين ما سألني خصلة إلا كنت أعطيته إياها ولدفعت عنه الحتف بكل ما استطعت ولكن قضاء الله غالب ، يا علي كاتبني بكل حاجة كانت لك أقضها لك إن شاء الله تعالى وأوصى بهم الرسول الذي سيره صحبتهم/ وكان يسايرهم وهو وخيله التي معهم فيكون الحريم قدام بحيث إنهم لا يفوتون فإذا نزلوا تنحى عنهم ناحية هو وأصحابه وكانوا حولهم كهيئة الحرس وكان يسألهم عن حالهم ويتلطف بهم في جميع أمورهم ولا يشق عليهم في مسيرهم إلى أن دخلوا المدينة فقالت فاطمة بنت الحسين لأختها سكينة قد أحسن هذا الرجل إلينا فهل لك أن تصليه بشيء؟ فقالت والله ما معنا ما نصله به إلا ما كان من هذا الحلي قالت فافعلي فأخرجتا له سوارين ودملجين وبعثتا بهما إليه فردهما وقال لو كان الذي صنعته رغبة في الدنيا لكان في هذا مقنع بزيادة كثيرة ولكني والله ما فعلته إلا لله ولقرابتكم من رسول الله ﷺ وكان من جملة من كان معهم أم سكينة بنت الحسين بن علي رضي الله عنه وهي الرباب بنت امرئ القيس (ولما) بلغ أهل المدينة قتل الحسين رضي الله عنه خرجت ابنة عقيل بن أبي طالب في نساء من بني هاشم وهي حاسرة تلوي ثوبها وتقول :

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وحريمي بعد مفتقدي منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

حكى الشيخ نصر الله بن يحيى وكان من الثقات الخيرين قال رأيت في المنام

علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقلت يا أمير المؤمنين تقولون يوم فتح مكة من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ثم يتم على ولدك الحسين بكربلاء منهم ما يتم فقال لي كرّم الله وجهه أتعرف أبيات ابن الصيفي التيمي في هذا المعنى؟ فقلت لا فقال اذهب إليه واسمعها منه فاستيقظت من نومي مفكراً ثم إني ذهبت إلى دار ابن الصيفي وهو الحيص بيص الشاعر الملقب بشهاب الدين فطرقت عليه الباب فخرج إليّ فقصصت عليه الرؤيا فشهق وأجهش بالبكاء وحلف بالله إن سمعها مني أحد وإن أكون نظمتها إلا في ليلتي هذه ثم أنشد لي:

ملكنا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتم قتل الأسارى وطالما غدونا على الأسري فنعفو ونصفح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح

أورد ذلك الشيخ نور الدين بن علي بن محمد الصباغ المالكي المكي المتوفى سنة خمس وخمسين وثمانمائة في كتابه الفصول المهمة/ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رأيت النبي ﷺ في المنام نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم قلت يا رسول الله ما هذا قال دم الحسين وصحبه أرفعه إلى الله عز وجل فجاء الخبر بعد أيام أنه قتل ذلك اليوم وتلك الساعة رواه البيهقي/ وسمعت الجن تنوح عليه كما أخرجه أبو نعيم وغيره، وذكر غير واحد أنهم لما ساروا بالرأس الشريف إلى يزيد بن معاوية نزلوا في الطريق بدير ليقيلوا به فوجدوا مكتوباً على بعض جدرانه:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحساب

وفي الخطط للمقريزي ما نصه: لما قتل الحسين بكت السماء وبكاؤها حمرتها، وعن عطاء في قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماء والأَرْضُ﴾[1]. قال بكاؤها حمرة أطرافها، وعن الزهري بلغني أنه لم يقلب حجر من أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين إلا وجد تحته دم عبيط ويقال ان الدنيا أظلمت يوم قتل ثلاثاً وأصابوا إبلاً في عسكر الحسين يوم قتل فنحروها وطبخوها فصارت مثل

---

(١) سورة الدخان ٢٩.

العلقم وما استطاعوا أن يسيغوا منها شيئاً. وروي أن السماء أمطرت دماً فأصبح كل شيء لهم مملوءاً دماً انتهى. وعن الزهري أنه لم يبق أحد ممن قتل الحسين إلا عوقب في الدنيا قبل الآخرة إما بالقتل أو سواد الوجه أو تغيير الخلقة أو زوال الملك في مدة يسيرة؛ وروى سبط ابن الجوزي أن شيخاً حضر قتله فقط فعمي فسئل عن سببه فقال رأيت النبي ﷺ حاسراً عن ذراعيه وبيده سيف وبيده نطع وعليه عشرة ممن قتل الحسين مذبوحين ثم لعنني وسبني ثم أكحلني بمرود من دم الحسين فأصبحت أعمى؛ وأخرج أيضاً أن شخصاً علق رأس الحسين في لبب فرسه فرؤي بعد أيام ووجهه أشد سواداً من القار ومات على أقبح حالة؛ ويقال إن رجلاً أنكر ذلك فوثبت النار على جسده فحرقته (وكان) اليوم الذي قتل فيه الحسين رضي الله عنه يوم الجمعة عاشر محرم سنة إحدى وستين من الهجرة وكان عمره إذ ذاك خمساً وخمسين سنة وقيل غير ذلك ووجد به ثلاث وثلاثون ضربة؛ قال ابن الصباغ ودفن بأرض كربلاء بالعراق ومشهده رضي الله عنه بها معروف يزار من جميع الآفاق وكانت عدة القتلى التي حملت رؤوسها إلى عبيد الله بن زياد صحبة رأس الحسين رضي الله عنه سبعين انتهى. ودفن أهل العامرية وهم قوم من بني عامر من بني أسد الحسين وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين بعد قتلهم بيوم.

فصل
اختلفوا في رأس الحسين رضي الله عنه

بعد مسيره إلى الشام إلى أين سار وفي أي موضع استقر؛ فذهب طائفة إلى أن يزيد أمر أن يطاف به في البلاد فطيف به حتى انتهى به إلى عسقلان فدفنه أميرها بها فلما غلب الفرنج على عسقلان افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيل ومشى إلى لقائه من عدة مراحل ووضعه في كيس حرير أخضر على كرسي من الآبنوس وفرش تحته المسك والطيب وبنى عليه المشهد الحسيني المعروف بالقاهرة قريباً من خان الخليلي، وقيل دفن بالبقيع عند قبر أمه وأخيه الحسن وهو قول ابن بكار والعلامة الهمداني وغيرهما؛ وذهبت الإمامية إلى أنه أعيد إلى الجثة ودفن بكربلاء بعد أربعين يوماً من القتل واعتمد القرطبي الثاني والذي عليه طائفة من الصوفية أنه بالمشهد القاهري؛ قال المناوي في طبقاته ذكر لي بعض أهل الكشف والشهود أنه حصل له اطلاع على أنه دفن مع الجثة بكربلاء ثم ظهر الرأس بعد ذلك بالمشهد القاهري لأن حكم الحال بالبرزخ حكم الإنسان الذي تدلى في تيار جار فيطفو بعد ذلك في مكان آخر فلما كان الرأس منفصلاً طف في هذا المحل بالمشهد الحسيني المصري وذكر أنه خاطبه منه اهـ. قال الشيخ علي الاجهوري في رسالة فضائل يوم عاشوراء ذهب جمع من أهل التاريخ إلى دفن الرأس بالمشهد المصري المعروف وكذا جمع من أهل الكشف قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتاب طبقات الأولياء عند ذكره الحسين دفنوا رأسه ببلاد المشرق ثم رشا عليها طلائع بن رزيك بثلاثين ألف دينار ونقلها إلى مصر وبنى عليها المشهد الحسيني وخرج هو وعسكره حفاة إلى نحو الصالحية من طريق الشام يتلقون الرأس الشريف ثم وضعها طلائع في كيس من حرير أخضر على كرسي

آبنوس وفرشوا تحتها المسك والعنبر والطيب قدر وزنها مراراً انتهى. وفي المنن للشعراني ما نصه أخبرني يعني الخواص أن رأس الإمام الحسين رضي الله عنه حقيقة في المشهد الحسيني قريباً من خان الخليلي وأن طلائع بن رزيك نائب مصر وضعها في القبر المعروف بالمشهد في كيس من حرير أخضر على كرسي من خشب الآبنوس وفرش تحتها المسك والطيب وأنه مشى معها هو وعسكره حفاة من ناحية قطية إلى مصر لما جاءت من بلاد العجم في قصة طويلة؛ وفي المنن أيضاً في موضع آخر قال زرت مرة رأس الحسين بالمشهد أنا والشيخ شهاب الدين بن الجلبي الحنفي وكان عنده توقف في أن رأس الإمام الحسين في ذلك المكان فثقلت رأسه فنام فرأى شخصاً كهيئة النقيب طلع من عند الرأس وذهب إلى رسول الله ﷺ وما زال بصره يتبعه حتى دخل الحجرة النبوية فقال يا رسول الله أحمد بن الجلبي وعبد الوهاب زارا قبر رأس ولدك الحسين فقال رسول الله ﷺ اللهم تقبل منهما واغفر لهما، ومن ذلك اليوم ما ترك الشيخ شهاب الدين زيارة الرأس إلى أن مات وكان يقول آمنت بأن رأس الحسين هنا انتهى وهذا مما يشهد للقول الأول ويعضده أيضاً ما ذكره الشيخ عبد الفتاح بن أبي بكر بن أحمد الشهير بالرسام الشافعي الخلوتي في رسالته نور العين بقوله ومن ذلك ما لأهل الكشف والاطلاع في مقرها ما ذكره خاتمة الحفاظ والمحدثين شيخ الإسلام والمسلمين نجم الدين الغيطي رضي الله عنه نقلاً عن شيخ الإسلام الشيخ شمس الدين اللقاني شيخ السادة المالكية في عصره رحمه الله تعالى أنه كان يوماً جالساً بالجامع الأزهر مع القطب الكبير الشيخ أبي المواهب التونسي يتحدث معه وإذا بالشيخ أبي المواهب قام مستعجلاً وذهب إلى نحو باب المدرسة الجوهرية التي بالجامع وخرج منها فتبعه الشيخ شمس الدين المذكور وهو لا يشعر به إلى أن وصل إلى المشهد المبارك وهو خلفه فلما دخل المسجد وجد إنساناً واقفاً على باب الضريح الشريف ويداه مبسوطتان وهو يدعو فلما فرغ الرجل من الدعاء ومسح على وجهه بيده رجع الشيخ اللقاني إلى الجامع الأزهر وإذا بالشيخ أبي المواهب التونسي رجع فقال له الشيخ اللقاني يا مولانا رأيتك ذهبت مستعجلاً من باب الجوهرية وها أنت

رجعت فقال كنت في مصلحة وكتم عنه القضية فقال له ذهبت إلى المسجد الحسيني قال نعم فما الذي أعلمك بذلك قال كنت معك فيه قال فما رأيت قال رأيت إنساناً واقفاً على باب الضريح يدعو ووقفت أنت خلفه ووقفت أنا خلفكما أدعو أيضاً فقال أبشر يا شمس الدين فإن جميع ما دعوت به استجيب لك في ذلك الوقت قلت يا سيدي ومن هذا الرجل قال القطب الغوث الجامع يأتي كل يوم أو قال كل يوم الثلاثاء فيزور هذا المشهد فلما وقع عندي مجيئه في ذلك الوقت قمت إليه وحضرت معه الزيارة وقبلت يده فالزم ذلك يحصل لك خير فما زال الشيخ اللقاني يزور ذلك المكان إلى أن مات رحمه الله تعالى (ومن) ذلك ما نقل عن الشيخ الجليل أبي حسن التمار رضي الله عنه أنه كان يأتي إلى هذا المكان للزيارة ثم إذا دخل إلى الضريح يقول السلام عليكم فيسمع الجواب وعليك السلام يا أبا الحسن فجاء يوماً من الأيام فسلم فلم يسمع الجواب برد السلام فزار ورجع ثم جاء مرة أخرى وسلم فسمع الجواب يرد السلام فقال يا سيدي جئت بالأمس وسلمت فما سمعت جواباً فقال يا أبا حسن لك المعذرة كنت أتحدث مع جدي ﷺ فلم أسمع كلامك وهذه كرامة جليلة لأبي الحسن التمار رضي الله عنه (ومن) ذلك أيضاً ما أخبر به العلامة الشيخ فتح الدين أبو الفتح الغمري الشافعي أنه كان يتردد إلى الزيارة غالباً فجلس يوماً يقرأ الفاتحة ودعا فلما وصل في الدعاء إلى قوله واجعل ثواباً مثل ذلك فأراد أن يقول في صحائف سيدنا الحسين ساكن هذا الرمس فحصلت له حالة فنظر فيها إلى شخص جالس على الضريح وقع عنده أنه السيد الحسين رضي الله عنه فقال في صحائف هذا وأشار بيده إليه فلما أتم الدعاء ذهب إلى الشيخ الجليل الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه فأخبره بذلك فقال له الشيخ صدقت وأنا وقع لي مثل ذلك ثم ذهب إلى الشيخ كريم الدين الخلوتي رضى الله عنه فأخبره بذلك فقال له الشيخ كريم الدين صدقت وانا ما زرت هذا المكان إلا باذن من النبي ﷺ انتهى هذا ما ثبت عن أرباب الكشف. وفي كتاب الخطط للمقريزي بعد كلام على مشهد الحسين رضي الله عنه ما نصه وكان حمل الرأس الشريف إلى القاهرة من عسقلان ووصوله اليها

في يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وكان الذي وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها والقاضي المؤتمن مسكين وحصل في القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة المذكورة ويذكر أن هذا الرأس الشريف لما أخرج من المشهد بعسقلان وجد دمه لم يجف وله ريح كريح المسك فقدم به الأستاذ مكنون في عشاري من عشاريات الخدمة وأنزل به إلى الكافور ثم حمل في السرداب إلى قصر الزمرذ ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة وقال ابن عبد الظاهر مشهد الإمام الحسين قد ذكرنا أن طلائع بن رزيك المنعوت بالصالح كان قد نقل الرأس الشريف من عسقلان لما خاف عليها من الفرنج وبنى جامعه خارج باب زويلة ليدفنه به ويفوز بهذا الفخار فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا لا يكون ذلك إلا عندنا فعمدوا إلى هذا المكان وبنوه له ونقلوا اليه الرخام وذلك في خلافة الفائز على يد طلائع في سنة تسع وأربعين وخمسمائة اهـ.

(كرامتان) : الأولى اتهم شخص من أتباع السلطان الملك الناصر بأنه يعرف الدفائن والأموال التي بالقصر فأمر بتعذيبه وأخذه متولي العقوبة وجعل على رأسه خنافس وشد عليها قرمزية يقال إن هذه العقوبة أشد العقوبات وأن الإنسان لا يطيق الصبر عليها ساعة الا تنقب دماغه وتقتله ففعل به ذلك مراراً وهو لا يتأوه وتوجد الخنافس ميتة فسألوه ما سبب هذا فقال حملت رأس الحسين لما جاء فعفا عنه اهـ خطط. الثانية روى ابن خالويه عن الأعمش عن منهال الأسدي قال والله لقد رأيت رأس الحسين رضي الله عنه حين حمل وأنا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ سورة الكهف حتى بلغ ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾[1] فنطق الرأس وقال قتلي أعجب من ذلك.

(غريبة) روى سليمان الأعمش رضي الله عنه قال خرجنا ذات سنة حجاجاً لبيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه السلام فبينا أنا أطوف بالبيت إذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول اللهم اغفر لي وما أظنك تفعل فلما فرغت من طوافي قلت سبحان الله العظيم ما كان ذنب هذا الرجل فتنحيت عنه ثم مررت به

(١) سورة الكهف ٩.

مرة ثانية وهو يقول اللهم اغفر لي وما أظنك تفعل فلما فرغت من طوافي قصدت نحوه فقلت يا هذا إنك في موقف عظيم يغفر الله فيه الذنوب العظام فلو سألت منه عز وجل المغفرة والرحمة لرجوت أن يفعل فانه منعم كريم فقال يا عبد الله من أنت؟ فقلت أنا سليمان الأعمش فقال يا سليمان إياك طلبت وقد كنت أتمنى مثلك فأخذ بيدي وأخرجني من داخل الكعبة إلى خارجها فقال لي يا سليمان ذنبي عظيم فقلت يا هذا أذنبك أعظم أم الجبل أم السموات أم الأرضون أم العرش؟ فقال لي يا سليمان ذنبي أعظم مهلا علي حتى أخبرك بعجب رأيته فقلت له تكلم رحمك الله فقال لي يا سليمان أنا من السبعين رجلاً الذين أتوا برأس الحسين بن علي رضي الله عنهما إلى يزيد بن معاوية فأمر بالرأس فنصب خارج المدينة وأمر بإنزاله ووضع في طست من ذهب ووضع ببيت منامه قال فلما كان في جوف الليل انتبهت امرأة يزيد بن معاوية فإذا شعاع ساطع إلى السماء ففزعت فزعاً شديداً وانتبه يزيد من منامه فقالت له يا هذا قم فإني أرى عجباً فنظر يزيد إلى ذلك الضياء فقال لها اسكتي فإني أرى كما ترين قال فلما أصبح من الغد أمر بالرأس فأخرج إلى فسطاط هو من الديباج الأخضر وأمر بالسبعين رجلاً فخرجنا إليه نحرسه وأمر لنا بالطعام والشراب حتى غربت الشمس ومضى من الليل ما شاء الله ورقدنا فاستيقظت ونظرت نحو السماء وإذا بسحابة عظيمة ولها دوي كدوي الجبال وخفقان أجنحة فأقبلت حتى لصقت بالأرض ونزل منها رجل وعليه حلتان من حلل الجنة وبيده درانك وكراسي فبسط الدرانك وألقى عليها الكراسي وقام على قدميه ونادى انزل يا أبا البشر انزل يا آدم عليه السلام فنزل رجل أجمل ما يكون من الشيوخ شيبا فأقبل حتى وقف على الرأس فقال السلام عليك يا بقية الصالحين عشت سعيداً وقتلت طريداً ولم تزل عطشان حتى ألحقك الله بنا رحمك الله ولا غفر لقاتلك الويل لقاتلك غدا من النار ثم زال وقعد على كرسي من تلك الكراسي قال يا سليمان ثم لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابة أخرى أقبلت حتى لصقت بالأرض فسمعت مناديا يقول انزل يا نبي الله انزل يا نوح وإذا برجل أتم الرجال خلقاً وإذا بوجهه صفرة وعليه حلتان من حلل الجنة فأقبل حتى وقف على الرأس فقال السلام عليك يا

عبد الله السلام عليك يا بقية الصالحين قتلت طريداً وعشت سعيداً ولم تزل عطشان حتى ألحقك الله بنا غفر الله لك ولا غفر لقاتلك الويل لقاتلك غدا من النار ثم زال فقعد على كرسي من الكراسي قال يا سليمان ثم لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابة أعظم منها فأقبلت حتى لصقت بالأرض فقام الأذان وسمعت منادياً ينادي انزل يا خليل الله انزل يا إبراهيم صلى الله عليك وسلم وإذا برجل ليس بالطويل العالي ولا بالقصير المتداني أبيض الوجه أملح الرجال شيباً فأقبل حتى وقف على الرأس فقال السلام عليك يا عبد الله السلام عليك يا بقية الصالحين قتلت طريداً وعشت سعيداً ولم تزل عطشان حتى ألحقك الله بنا غفر الله لك ولا غفر لقاتلك الويل لقاتلك غداً من النار ثم تنحى على كرسي من الكراسي ثم لم ألبث إلا يسيراً فإذا بسحابة عظيمة فيها دوي كدوي الرعد وخفقان أجنحة فنزلت حتى لصقت بالأرض وقام الأذان فسمعت قائلاً يقول انزل يا نبي الله انزل يا موسى بن عمران قال فإذا برجل أشد الناس في خلقه وأتمهم في هيبته وعليه حلتان من حلل الجنة فأقبل حتى وقف على الرأس فقال مثل ما تقدم ثم تنحى فجلس على كرسي من تلك الكراسي ثم لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابة أخرى وإذا فيها دوي عظيم وخفقان أجنحة فنزلت حتى لصقت بالأرض وقام الأذان فسمعت قائلاً يقول انزل يا عيسى انزل يا روح الله فإذا أنا برجل محمر الوجه وفيه صفرة وعليه حلتان من حلل الجنة فأقبل حتى وقف على الرأس فقال مثل مقالة آدم ومن بعده ثم تنحى فجلس على كرسي من تلك الكراسي ثم لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابة عظيمة فيها دوي كدوي الرعد والرياح وخفقان أجنحة فنزلت حتى لصقت بالأرض فقام الأذان وسمعت منادياً ينادي انزل يا محمد انزل يا أحمد صلى الله عليك وسلم وإذا بالنبي ﷺ وعليه حلتان من حلل الجنة وعن يمينه صف من الملائكة والحسن وفاطمة رضي الله عنهما فأقبل حتى دنا من الرأس فضمه إلى صدره وبكى بكاء شديداً ثم دفعه إلى أمه فاطمة فضمته إلى صدرها وبكت بكاء شديداً حتى علا بكاؤها وبكى لها من سمعها في ذلك المكان فأقبل آدم عليه السلام حتى دنا من النبي ﷺ فقال السلام على الولد الطيب السلام على الخلق الطيب أعظم الله أجرك وأحسن

عزاءك في ابنك الحسين ثم قام نوح عليه السلام فقال مثل قول آدم ثم قام إبراهيم عليه السلام فقال كقولهما ثم قام موسى وعيسى عليهما السلام فقالا كقولهم كلهم يعزونه ﷺ في ابنه الحسين ثم قال النبي ﷺ يا أبي آدم ويا أبي نوح ويا أخي إبراهيم ويا أخي موسى ويا أخي عيسى اشهدوا وكفى بالله شهيداً على أمتي بما كافأوني في ابني وولدي من بعدي فدنا منه ملك من الملائكة فقال قطعت قلوبنا يا أبا القاسم أنا الملك الموكل بسماء الدنيا أمرني الله تعالى بالطاعة لك فلو أذنت لي أنزلتها على أمتك فلا يبقى منهم أحد ثم قام ملك آخر فقال قطعت قلوبنا يا أبا القاسم أنا الملك الموكل بالبحار وأمرني الله بالطاعة لك فإن أذنت لي أرسلتها عليهم فلا يبقى منهم أحد فقال النبي ﷺ يا ملائكة ربي كفوا عن أمتي فإن لي ولهم موعداً لن أخلفه فقام إليه آدم عليه السلام فقال جزاك الله خيراً من نبي أحسن ما جوزي به نبي عن أمته فقال الحسن يا جداه هؤلاء الرقود هم الذين يحرسون أخي وهم الذين أتوا برأسه فقال النبي ﷺ يا ملائكة ربي اقتلوهم بقتلة ابني فوالله ما لبثت إلا يسيراً حتى رأيت أصحابي قد ذبحوا أجمعين قال فلصق بي ملك ليذبحني فناديته يا أبا القاسم أجرني وارحمني يرحمك الله فقال كفوا عنه ودنا مني وقال أنت من السبعين رجلاً قلت نعم فألقى يده في منكبي وسحبني على وجهي وقال لا رحمك الله ولا غفر لك أحرق الله عظامك بالنار فلذلك أيست من رحمة الله فقال الأعمش إليك عني فإني أخاف أن أعاقب من أجلك اهـ من شرح الشفاء للعلامة التلمساني من الفصل الرابع والعشرين فيما أطلع الله نبيه ﷺ من الغيوب من ترجمة الحسين.

(نادرتان) : الأولى أن عبيد الله بن زياد لما ظفر بالحسين رضي الله عنه وأهله صعد المنبر فقال الحمد لله الذي أظهر الحق ونصر يزيد بن معاوية وحزبه على الكذاب حسين فوثب عبد الله بن عفيف رضي الله عنه وكانت عينه اليسرى قد ذهبت يوم الجمل مع علي رضي الله عنه وذهبت عينه الأخرى يوم صفين وكان يلازم المسجد يصلي فيه إلى الليل فقال يا ابن مرجانة إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي والاك تقتلون أبناء الأنبياء وتتكلمون بكلام الصديقين فأومأ إليه

ابن زياد وقال يا عدو الله ما تقول في عثمان؟ فقال عدو الله أنت، ذلك الرجل أحسن وأساء وأصلح وأفسد والله ولي خلقه يقضي في عثمان وغيره بالحق والعدل ولكن إن شئت سلني عنك وعن أبيك وعن يزيد وعن أبيه فقال لا أسألك حتى أذيقك الموت فقال دعوت الله تعالى أن يرزقني شهادة قبل أن تلدك أمك على يد أعدى خلق الله تعالى وأبغضهم له فلما ذهب بصري يئست منها فالحمد لله الذي رزقنيها على يأسي وعرفني الإجابة لي منه على قديم دعائي فنزل وقتله وصلبه بالسبخة في الكوفة انتهى من مختصر التواريخ. الثانية قضى الله أن قتل عبيد الله ابن زياد هو وأصحابه يوم عاشوراء سنة سبع وستين جهز إليه المختار بن عبيد جيشاً فقتله إبراهيم بن الأشتر في الحرب وبعث برأسه إلى المختار وبعث به المختار إلى ابن الزبير فبعثه ابن الزبير إلى علي بن الحسين (روى) الترمذي أنه لما جاء برأسه ونصب في المسجد مع رؤوس أصحابه جاءت حية فتخللت الرؤوس حتى دخلت في منخره فمكثت هنيهة ثم خرجت فعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً وكان نصبها في محل رأس الحسين ذكره الشيخ عبد الرحمن الأجهوري في كتابه مشارق الأنوار ومثله في أسد الغابة وزاد ابن الأثير هذا حديث حسن صحيح أخرجه الثلاثة.

(**عجيبة**) قال عبد الملك بن عمير رأيت في هذا القصر عجباً رأيت رأس الحسين على ترس بين يدي عبيد الله بن زياد ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار ثم رأيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير ثم رأيت رأس مصعب بين يدي عبد الملك بن مروان وكان بين يدي عبد الملك فلما سمع ذلك أمر بهدم القصر كذا في الكنز المدفون (وأخرج) الحاكم في المستدرك وصححه وقال الذهبي في التلخيص على شرط مسلم عن ابن عباس قال: «أوحى الله إلى محمد ﷺ إني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً وإني قاتل بابن بنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً». قال الحافظ بن حجر ورد من طريق واه عن علي عن المصطفى ﷺ أنه قال قاتل الحسين في تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا قال الجلال السيوطي

في المحاضرات والمحاورات حصل بالكوفة جدري في بعض السنين عمي فيه ألف وخمسمائة من ذرية من حضروا قتل الحسين رضي الله عنه.

(تتمة: في ذكر أولاده وشيء من كلامه رضي الله عنه) قال صاحب الإرشاد: أولاد الحسين بن علي ستة علي بن الحسين الأصغر كنيته أبو محمد ولقبه زين العابدين وأمه شاه زنان بنت كسرى أنوشروان ملك الفرس وعلي بن الحسين الأكبر قتل مع أبيه بالطف وأمه ليلى بنت مرة بن عروة بن مسعود الثقفي وجعفر ابن الحسين وأمه قضاعة مات في حياة أبيه ولا نسل له وعبد الله بن الحسين قتل مع أبيه صغيراً جاءه سهم وهو بكربلاء فقتله وسكينة بنت الحسين أمها الرباب بنت امرىء القيس بن عدن الكلبية وهي أيضاً أم عبد الله بن الحسين وفاطمة أمها أم إسحق بنت طلحة بن عبد الله تيمية انتهى والذي أعقب منهم علي زين العابدين. (وفي بغية الطالب لمعرفة أولاد علي بن أبي طالب) للشيخ جمال الدين الطاهر بن حسين بن عبد الرحمن الأهدل ما نصه وكان له يعني للحسين رضي الله عنه من الولد ست بنين وثلاث بنات وهم علي الأكبر وأمه ليلى بنت مرة بن عروة بن مسعود الثقفي وعلي الأوسط وعبد الله وعلي الأصغر زين العابدين ومنهم من يزعم أنه الأكبر ومحمد وجعفر وزينب وسكينة وفاطمة؛ فأما محمد وجعفر فماتا في حياة أبيهما، وأما علي الأكبر وعبد الله فاستشهدا مع أبيهما بالطف وعلي الأوسط أصابه سهم يومئذ فمات انتهى وزاد بعضهم عمرو المعقب من ولد الحسين زين العابدين رضي الله عنه باتفاق فلم يكن على وجه الأرض حسيني إلا من نسله **(ومن كلامه** رضي الله عنه) حوائج الناس اليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم فتعود نقماً، وقال رضي الله عنه: صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك فأكرم وجهك عن رده، وقال رضي الله عنه: الحلم زينة والوفاء مروءة والصلة نعمة والاستكثار صلف والعجلة سفه والسفه ضعف والغلوّ ورطة ومجالسة أهل الدناءة شر ومجالسة أهل الفسوق ريبة.

(لطيفة) قيل كان بين الحسين وبين أخيه الحسن كلام ووقفة فقيل له اذهب

إلى أخيك الحسن واسترضه وطيب خاطره فانه أكبر منك فقال سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول : «أيما اثنين بينهما كلام فطلب أحدهما رضا الآخر كان السابق سابقه إلى الجنة». وأكره أن أسبق أخي الأكبر إلى الجنة فبلغ قول الحسن رضي الله عنه فأتاه وترضاه/ (وقال) رضي الله عنه في خطبة خطبها : أيها الناس نافسوا في المكارم وسارعوا في المغانم ولا تحتسبوا بمعروف لم تعجلوه واكتسبوا الحمد بالمنح ولا تكتسبوه بالمطل فمها يكن لأحد عند أحد صنيعة ورأى أنه لا يقوم بشكرها فالله له بمكافأته بمكان وذلك أجزل عطاء وأعظم أجراً. واعلموا أن المعروف يكسب حمداً ويعقب أجراً، فلو رأيتم المعروف رجلاً لرأيتموه حسناً جميلاً يسر الناظرين ولو رأيتم اللؤم رجلاً رأيتموه منظراً قبيحاً تنفر منه القلوب وتغض منه الأبصار، أيها الناس من جاد ساد ومن بخل ذل، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه وأعف الناس من عفا عن قدرة، وان اوصل الناس من وصل من قطعه، ومن أراد بالصنيعة إلى أخيه وجه الله تعالى كافأه الله بها وقت حاجته وصرف عنه من البلاء أكثر من ذلك، ومن نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة، ومن أحسن أحسن الله اليه والله يحب المحسنين/ (ومن كلامه المنظوم رضي الله عنه) ما نقله ابن غنم صاحب كتاب الفتوح وهو أنه رضي الله عنه لما أحاطت به جموع ابن زياد وقتلوا من قتلوا من أصحابه ومنعوهم الماء وأصاب ولده الصغير سهم فقتله فزمله وحفر له بسيفه وصلى عليه ودفنه قال رضي الله عنه :

غدر القوم وقدما رغبوا	عن ثواب الله رب الثقلين
قتلوا قدماً علياً وابنه	حسن الخير كريم الأبوين
حسداً منهم وقالوا أقبلوا	نقتل الآن جميعاً للحسين
خيرة الله من الخلق أبي	ثم أمي فأنا ابن الخيرتين
فضة قد صفيت من ذهب	فأنا الفضة وابن الذهبين
من له جد كجدي في الورى	وكشيخي فأنا ابن القمرين
فاطم الزهراء أمي وأبي	قاصم الكفر ببدر وحنين

ومن كلامه رضي الله عنه :

فإن تكن الدنيا تعد نفيسة ... فإن ثواب الله أعلى وأنبل
وإن يك لا بدّ من الموت للفتى ... فقتل امرئ في الله بالسيف أجمل
وإن تكن الأرزاق قسماً مقدراً ... فقلة حرص المرء في الكسب يجمل
وإن تكن الأموال للترك جمعها ... فما بال متروك به المرء يبخل

وقال رضي الله عنه :

إذا ما عضك الدهر ... فلا تجنح إلى الخلق
ولا تسأل سوى الله ... المغيث العالم الحق
فلو عشت وقد طفت ... من الغرب إلى الشرق
لما صادفت من يقدر ... أن يسعد أو يشقي

وقال رضي الله عنه من قصيدة طويلة هذا أولها :

إذا استنصر المرء امرأً لأذية ... فناصره والخاذلون سواء
أنا ابن الذي قد تعلموا مكانه ... وليس على الحق المبين طخاء
أليس رسول الله جدي ووالدي ... أنا البدر إن خل النجوم خفاء
ألم ينزل القرآن خلف بيوتنا ... صباحاً ومن بعد الصباح مساء
ينازعني والله بيني وبينه ... يزيد وليس الأمر حيث يشاء
فيا نصحاء الله أنتم ولاته ... وأنتم على أديانه أمناء
بأي كتاب أم بأية سنة ... تناولها عن أهلها البعداء

ومن كلامه رضي الله عنه :

ذهب الذين أحبهم ... وبقيت فيمن لا أحبه
فيمن أراه يسبني ... ظهر المغيب ولا أسبه
أفلا يرى أن فعله ... مما يسير إليه غبه
حسبي بربي كافياً ... مما اجتنى والبغي حسبه

انتهى من الفصول المهمة.

فصل

في ذكر مناقب سيدنا علي بن الحسين رضي الله عنهما الملقب بزين العابدين

قال الإمام مالك رضي الله عنه: سمي زين العابدين لكثرة عبادته وهو الامام الرابع على مذهب الإمامية **(ولد)** زين العابدين رضي الله عنه بالمدينة الشريفة يوم الخميس خامس شعبان سنة ثمان وثلاثين في أيام جده علي بن أبي طالب قبل وفاته بسنتين **(وكنيته)** المشهورة أبو الحسن وقيل أبو محمد وقيل أبو بكر **(وألقابه كثيرة)** أشهرها زين العابدين وسيد العابدين والزكي والأمين وذو النفقات **(وصفته)** أصفر قصير نحيف **(شاعره)** الفرزدق وكثير عزة. **(بوابه)** أبو جبلة **(نقش خاتمه)** وما توفيقي إلا بالله **(ومعاصره)** مروان وعبد الملك والوليد ابنه **(وأمه)** سلافة ولقبها شاه زنان بفتح الشين المعجمة وكسر الهاء وفتح الزاي والنون الثانية بعد الألف كلمة فارسية معناها ملكة النساء وهي بنت يزدجرد بفتح الياء المثناة من تحت وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وكسر الجيم ودال مهملة بعد الراء الساكنة ولد أنوشروان العادل ملك الفرس ذكر الزمخشري في ربيع الأبرار أنه لما أتي بسبي فارس في خلافة سيدنا عمر كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد فباعوا السبايا وأمر عمر رضي الله عنه ببيع بنات يزدجرد فقال له علي رضي الله عنه إن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن قال كيف الطريق إلى العمل معهن؟ قال تقوّمهن ومهما بلغ ثمنهن قام به من يختارهن فقومهن فأخذهن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فدفع واحدة لولده الحسين فولدت له علياً زين العابدين وواحدة لعبد الله بن عمر فولدت له سالماً وواحدة لمحمد بن أبي بكر الصديق فولدت له القاسم فهؤلاء الثلاثة بنو خالة انتهى وكان علي زين العابدين مع أبيه بكربلاء مريضاً نائماً على الفراش فلم يقتل قاله ابن عمر رضي الله عنهما هذا هو الصحيح

وليس قول من قال إنه كان صغيراً حينئذ فلم يقتل بشيء روى الحديث عن أبيه وعمه الحسن وجابر وابن عباس والمسور بن مخرمة وأبي هريرة وصفية وعائشة وأم سلمة أمهات المؤمنين قال الزهري وابن عيينة ما رأينا قرشياً أفضل منه وقال الزهري ما رأيت أفقه منه وقال ابن المسيب ما رأيت أورع منه (ومناقبه) رضي الله عنه كثيرة . فعن سفيان قال جاء رجل إلى علي بن الحسين رضي الله عنهما فقال له إن فلاناً قد وقع فيك بحضوري فقال له انطلق بنا إليه فانطلق معه وهو يرى أنه سينتصر لنفسه منه فلما أتاه قال له يا هذا إن كان ما قلته فيَّ حقاً فأنا أسأل الله أن يغفر لي و إن كان ما قلت فيَّ باطلاً فالله تعالى يغفره لك ثم ولى عنه . وعن أبي حمزة قال كان عليّ بن الحسين رضي الله عنه يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة. وكان رضي الله عنه إذا توضأ للصلاة يصفرّ لونه فقيل له ما هذا الذي نراه يعتريك عند الوضوء فيقول أما تدرون من أريد أن أقف بين يديه . وعن طاوس قال دخلت الحجر في الليل فإذا علي بن الحسين قد دخل فقام يصلي ما شاء الله ثم سجد سجدة فأطالها فقلت رجل صالح من بيت النبوة لأصغينّ إليه فسمعته يقول عبدك بفنائك مسكينك بفنائك سائلك بفنائك فقيرك بفنائك قال طاوس فوالله ما طلبت ودعوت بهن في كرب إلا فرج الله عني.

(فائدة استطرادية) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان إذا أهمه أمر يرفع يديه إلى السماء ثم يقول يا كهيعص أعوذ بك من الذنوب التي تزيل بها النعم وأعوذ بك من الذنوب التي بها تحل النقم وأعوذ بك من الذنوب التي بها تثير الأعداء وأعوذ بك من الذنوب التي بها تحبس غيث السماء وهو دعاء مجرب عند الكرب انتهى من قرة العين في مقتل الحسين. (قال) ابن عائشة سمعت أهل المدينة يقولون ما فقدنا صدقة السر إلا بعد موت علي بن الحسين (وقال) محمد ابن إسحق كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معايشهم ومآكلهم فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلاً إلى منازلهم (وكان) يحمل جراب الخبز على ظهره في الليل يتصدق به فلما غسلوه جعلوا ينظرون إلى سواد في ظهره فقيل ما هذا فقال كان يحمل جراب الدقيق ليلاً على

ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة. ولما مات رضي الله عنه وجدوه كان يقوت أهل مائة بيت. قال سفيان أراد علي بن الحسين الحج فأنفذت إليه أخته سكينة ألف درهم فلحقوه بها بظهر الحرة فلما نزل فرقها على المساكين. وكان رضي الله عنه إذا هاجت الريح سقط مغمى عليه قال المناوي دخل على عليّ زين العابدين رضي الله عنه في مرض موته محمد بن أسامة بن زيد يبكي فقال له ما يبكيك فقال له علي دين خمسة عشر ألف دينار فقال هي علي ووفاها رضي الله عنه. (يروى) أنه مرض فدخل عليه جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ يعودونه فقالوا كيف أصبحت يا ابن رسول الله ﷺ فدتك أنفسنا قال في عافية والله المحمود على ذلك فكيف أصبحتم أنتم جميعاً قالوا أصبحنا والله لك يا ابن رسول الله ﷺ محبين وادّين فقال لهم: من أحبنا لله أسكنه الله في ظلّ ظليل يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله ومن أحبنا يريد مكافأتنا كافأه الله عنا الجنة ومن أحبنا لغرض دنيا آتاه الله رزقه من حيث لا يحتسب.

(لطيفة) وفد على علي بن الحسين نفر من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان فلما فرغوا من كلامهم قال لهم ألا تخبروني من أنتم أنتم المهاجرون الأولون الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون؟ قالوا لا قال فأنتم الذين تبوّأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة قالوا لا فقال أما أنتم الذين قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله تعالى فيهم ﴿والَّذِينَ جاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يقولونَ رَبَّنا اغْفِرْ لَنا ولإخوانِنا الَّذِينَ سَبَقونا بالإيمانِ ولَا تَجْعَلْ فِي قُلوبِنا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[1] اخرجوا عني فعل الله بكم وصنع اهـ من الفصول المهمة.

(كرامتان): الأولى عن عبد الله الزاهد قال لما ولي عبد الملك بن مروان الخلافة كتب إلى الحجاج بن يوسف بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن

---

(١) سورة الحشر ١٠.

مروان أمير المؤمنين إلى الحجاج بن يوسف أما بعد فانظر في دماء بني عبد المطلب فاجتنبها فإني رأيت آل أبي سفيان لما أولعوا بها لم يلبثوا إلا قليلاً والسلام وأرسل بالكتاب بعد أن ختمه سراً إلى الحجاج وقال له اكتم ذلك فكوشف بذلك علي بن الحسين وأن الله قد شكر ذلك لعبد الملك فكتب علي بن الحسين من فوره بسم الله الرحمن الرحيم من علي بن الحسين إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين أما بعد فإنك كتبت في يوم كذا من شهر كذا إلى الحجاج في حقنا بني عبد المطلب بما هو كيت وكيت وقد شكر الله لك ذلك وطوى الكتاب وختمه وأرسل به مع غلام له من يومه على ناقة له إلى عبد الملك بن مروان وذلك من المدينة المشرفة إلى الشام فلما وقف عبد الملك على الكتاب وتأمله وجد تاريخه موافقاً لتاريخ كتابه الذي كتبه إلى الحجاج ووجد مخرج غلام علي بن الحسين موافقاً لمخرج رسوله إلى الحجاج في يوم واحد وساعة واحدة فعلم صدقه وصلاحه وأنه كوشف بذلك فأرسل إليه مع غلامه بوقر راحلته دراهم وثياباً وكسوة فاخرة وسيره إليه من يومه وسأله أن لا يخليه من صالح دعائه كذا في الفصول ٪ (الثانية) استشاره زيد ابنه في الخروج فنهاه وقال أخشى أن تكون المقتول المصلوب أما علمت أنه لا يخرج أحد من ولد فاطمة قبل خروج السفياني إلا قتل فكان كما قال.

(نادرة) قال في درر الأصداف إنه أي علياً زين العابدين خرج يوماً من المسجد فلقيه رجل فسبه وبالغ في سبه وأفرط فعاد إليه العبيد والموالي فكفهم عنه وأقبل عليه وقال له ما ستر عنك من أمرنا أكثر ألك حاجة نعينك عليها فاستحيا الرجل فألقى إليه خميصة وألقى إليه خمسة آلاف درهم فقال أشهد أنك من أولاد المصطفى ﷺ. ولقيه رجل فسبه فقال له يا هذا بيني وبين جهنم عقبة إن أنا جزتها فما أبالي بما قلت وإن لم أجزها فأنا أكثر مما تقول (ونقل غير واحد) أن هشام بن عبد الملك حج في حياة أبيه فطاف بالبيت وجهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يصل إليه لكثرة الزحام فنصب له منبراً إلى جانب زمزم في الحطيم وجلس عليه ينظر إليه الناس وحوله جماعة من أهل الشام، فبينما هم كذلك إذ أقبل زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما يريد الطواف فلما انتهى إلى

الحجر الأسود تنحّى الناس له حتى استلم الحجر الأسود فقال رجل من أهل الشام من هذا الذي قد هابه الناس هذه المهابة فتنحوا عنه يميناً وشمالاً؟ فقال هشام لا أعرفه مخافة أن يرغب فيه أهل الشام وكان الفرزدق حاضراً فقال للشامي أنا أعرفه فقال من هو يا أبا فراس؟ فقال :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
ينمى إلى ذروة العزّ التي قصرت ... عن نيلها عرب الإسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
يغضي حياء ويُغضى من مهابته ... فلا يكلم إلا حين يبتسم
من جده دان فضل الأنبياء له ... وفضل أمته دانت له الأمم
ينشق نور الهدى من نور غرته ... كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلم
مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت عناصره والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا
الله فضله قدماً وشرفه ... جرى بذاك له في لوحه القلم
وليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرتَ والعجم
كلتا يديه غياث عمّ نفعها ... يستوكفان ولا يعروهما العدم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره ... يزينه اثنان حسن الخلق والكرم
حمال أثقال أقوام إذا فدحوا ... حلو الشمائل تحلو عنده نعم
ما قال لا قط إلا في تشهّده ... لولا التشهد كانت لاءه نعم
لا يخلف الوعد ميمون نقيبته ... رحب الفناء أريب حين يعترم
عمّ البرية بالإحسان فانفصلت ... عنه القتارة والإملاق والعدم
من معشر حبهم دين وبغضهمو ... كفر وقربهمو منجى ومعتصم
إن عُدّ أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل همو
لا يستطيع جواد بعد غايتهم ... ولا يدانيهمو قوم وإن كرموا

هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت   والأسد أسد الشرى والبأس محتدم
لا ينقص العسر بسطاً من أكفهم   سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا
يستدفع السوء والبلوى بحبهم   ويستزاد به الإحسان والنعم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم   في كل بدء ومختوم به الكلم
يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم   خيم كريم وأيد بالندى عصم
أي الخلائق ليست في رقابهم   لأوليــة هــذا أو لــه نــعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا   والدين من بيت هذا ناله الأمم

فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب ثم أخذ الفرزدق وسجنه بعسفان فبلغ ذلك علي بن الحسين رضي الله عنه فبعث إليه بأربعة آلاف درهم فردّها الفرزدق وكتب إليه إنما مدحتك بما أنت أهله فردّها عليه علي رضي الله عنه وكتب إليه أن خذها وتعاون بها على دهرك فإنا أهل بيت إذا وهبنا شيئاً لا نستعيده فقبلها منه وفي رواية فبعث إليه باثني عشر ألف درهم وفي رواية بعشرة آلاف درهم وقال اعذرنا يا أبا فراس فلو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به وجعل الفرزدق يهجو هشاماً وهو في السجن فبعث وأخرجه. ومن هجوه له كما ذكره الخطيب البغدادي وغيره من قصيدة طويلة :

أيحبسني بين المديـــنـــة والتي   إليها قلوب الناس يهوى منيبها
يقلب رأساً لم يكن رأس سيد   وعين لــه حولاء باد عيوبها

قال الشيخ عبد الجواد الشربيني في كتاب درر الأصداف في مناقب الأشراف كان علي بن الحسين عاملاً على كتمان أسرار الله تعالى في العالم كما أشار إلى ذلك في قوله رضي الله عنه :

يا رب جوهر علم لو أبوح به   لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال صالحون دمي   يرون أقبح ما يأتونه حسنا

انتهى

(تتمة في الكلام على وفاته وأولاده وذكر شيء من كلامه رضي الله عنه)

توفي علي زين العابدين رضي الله عنه في ثاني عشر المحرم سنة أربع وتسعين من الهجرة وكان عمره إذ ذاك سبعاً وخمسين سنة قال ابن الصباغ المالكي المكي يقال إنه مات مسموماً وأن الذي سمه الوليد بن عبد الملك ودفن بالبقيع في القبر الذي دفن فيه عمه الحسين بن علي بن أبي طالب في القبة التي فيها العباس بن عبد المطلب **(وأولاده)** رضي الله عنهم خمسة عشر ولداً ما بين ذكر وأنثى أحد عشر ذكراً وأربع إناث وهم محمد المكنى بأبي جعفر الملقب بالباقر أمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي عم علي زين العابدين وزيد وعمر أمهما أم ولد وعبد الله والحسن والحسين أمهم أم ولد والحسين الأصغر وعبد الرحمن وسليمان أمهم أم ولد وعلي وكان أصغر ولد علي بن الحسين وخديجة أمها أم ولد وفاطمة وعلية وأم كلثوم أمهن أم ولد فهؤلاء أولاده رضي الله عنهم أجمعين انتهى من الفصول المهمة لكن سقط منهم واحد لأن المعدود في عبارته عشرة وقد قال من الذكور أحد عشر ذكراً. هذا وفي بغية الطالب أن أولاد علي زين العابدين الذكور عشرة فقط والله أعلم. **(ومن كلامه رضي الله عنه)** عجبت لمن يحتمي من الطعام لمضرته ولا يحتمي من الذنب لمعرفته. وقال رضي الله عنه أربع عزهن ذل: البنت ولو مريم والدين ولو درهم والغربة ولو ليلة والسؤال ولو كيف الطريق. وقال رضي الله عنه من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس وكان يتصدق سراً ويقول صدقة السر تطفئ غضب الرب.

(موعظة) قال أبو حمزة الثمالي أتيت باب علي بن الحسين فكرهت أن أنادي فقعدت على الباب إلى أن خرج فسلمت عليه ودعوت له فرد علي ثم انتهى بي إلى حائط فقال يا أبا حمزة ألا ترى إلى هذا الحائط قلت بلى يا سيدي قال فإني متكئ عليه وأنا حزين مفكر إذ دخل علي رجل حسن الثياب طيب الرائحة ثم نظر في وجهي وقال يا علي بن الحسين أراك كئيباً حزيناً على الدنيا فهو رزق حاضر يأكل منه البار والفاجر فقلت ما عليها أحزن وانه كما تقول قال فعلام حزنك؟ قلت

أتخوف من فتنة ابن الزبير قال فضحك ثم قال يا علي هل رأيت أحداً خاف الله فلم ينجه؟ قلت لا قال يا علي هل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه؟ قلت لا ثم نظرت فإذا ليس قدامي أحد فعجبت من ذلك وإذا بقائل أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول يا علي بن الحسين هذا الخضر ناجاك كذا في الفصول المهمة.



فصل
في ذكر سيدنا محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهم أجمعين

قال المناوي في طبقاته سمي باقراً لأنه بقر العلم أي شقه فعرف أصله (ولد) محمد الباقر بالمدينة في ثالث صفر سنة سبع وخمسين من الهجرة قبل قتل جده الحسين بثلاثة سنين (**وكنيته**) أبو جعفر لا غير (**وألقابه**) ثلاثة الباقر والشاكر والهادي وأشهرها الباقر (روي) عن الزبير بن محمد بن مسلم المكي قال: «كنا عند جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فأتاه علي بن الحسين ومعه ابنه محمد وهو صبي فقال علي لابنه محمد وهو صبي قبل رأس عمك فدنا محمد من جابر فقبل رأسه فقال جابر من هذا؟ وكان قد كف بصره فقال له علي بن الحسين هذا ابني محمد فضمه جابر إليه وقال يا محمد محمد رسول الله ﷺ بقرئك السلام فقالوا كيف ذلك يا أبا عبد الله؟ قال: كنت عند رسول الله ﷺ والحسين في حجره وهو يلاعبه فقال يا جابر يولد لابني الحسين ابن يقال له علي فإذا كان يوم القيامة ينادي مناد ليقم سيد العابدين فيقوم علي بن الحسين ويولد لعلي بن الحسين ابن يقال له محمد يا جابر إن أدركته فأقرئه مني السلام وإن لاقيته فاعلم أن بقاءك بعده قليل» فلم يعش جابر رضي الله عنه بعد ذلك غير ثلاثة أيام وروي أن محمداً الباقر بن علي سأل جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما لما دخل عليه عن عائشة وما جرى بينها وبين علي رضي الله عنهما فقال له جابر دخلت عليها يوماً وقلت لها ما تقولين في علي بن أبي طالب رضي الله عنه؟ فأطرقت رأسها ثم رفعته وقالت رضي الله عنها:

إذا ما التبر حكّ على محك تبين غشه من غير شك

وفينا الغش والذهب المصفّى عليٌّ بيننا شبه المحك

(وأم محمد الباقر) أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فهو هاشمي من هاشميين علوي من علويين نقش خاتمه رب لا تذرني فرداً (ونقل) الثعلبي في تفسيره أن الباقر نقش في خاتمه هذه الكلمات:

ظني بالله حسن وبالنبي المؤتمن
وبالوصي ذي المنن وبالحسين والحسن

(ومعاصره) الوليد وأولاده يزيد وابراهيم (صفة الباقر) رضي الله عنه أسمر معتدل (وشاعره) الكميت والسيد الحميري (وبوابه) جابر الجعفي قال صاحب الإرشاد لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين من علم الدين والسنن وعلم القرآن والسير وفنون الأدب ما ظهر عن أبي جعفر الباقر روى عن معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين وسارت بذكر علومه الأخبار وأنشدت في مدائحه الأشعار فمن ذلك ما قاله مالك بن أعين الجهني من قصيدة يمدحه فيها:

إذا طلب الناس علم القرآ ن كانت قريش عليه عيالا
وإن فاه ابن بنية النبي تلقت يداك فروعاً طوالا

وفيه يقول الرضي:

يا باقر العلم لأهل التقى وخير من لبّى على الأجبل

(ومناقبه رضي الله عنه كثيرة ومشهورة) حكى مولاه أفلح قال حججت مع أبي جعفر محمد الباقر فلما دخل المسجد ونظر البيت بكى فقلت بأبي أنت وأمي إن الناس ينظرون إليك فلو خفضت صوتك قليلاً فقال ويحك يا أفلح ولم لا أرفع صوتي بالبكاء لعل الله ينظر إليّ برحمة منه فأفوز بها غداً ثم طاف بالبيت وجاء حتى ركع خلف المقام فلما فرغ إذا موضع سجوده مبتلّ من دموع عينيه (وروى) عنه ابنه جعفر قال كان أبي يقول في جوف الليل في تضرعه أمرتني فلم أأتمر ونهيتني

فلم أنزجر فها أنا عبدك بين يديك مقر لا أعتذر قال خالد بن الهيثم قال أبو جعفر محمد الباقر : ما اغرورقت عين من خشية الله تعالى إلا حرم الله وجه صاحبها على النار فإن سالت على الخدين دموعه لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة وما من شيء إلا وله جزاء إلا الدمعة فإن الله تعالى يكفر بها بحوراً من الخطايا ولو أن باكياً يبكي في أمة لحرم الله تلك الأمة على النار.

(فائدتان) : الأولى روى الزهري قال : حج هشام بن عبد الملك فدخل المسجد الحرام متوكئاً على سالم مولاه ومحمد بن علي في المسجد فقال له سالم : يا أمير المؤمنين هذا محمد بن علي بن الحسين في المسجد المفتون به أهل العراق فقال اذهب إليه وقل له يقول لك أمير المؤمنين ما الذي يأكله الناس ويشربونه إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة؟ فقال له قل له يحشر الناس على مثل قرص من نقي فيها أنهار متفجرة يأكلون ويشربون منها حتى يفرغوا من الحساب قال فلما سمع هشام ذلك رأى أنه قد ظفر به فقال الله أكبر ارجع إليه فقل له ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ؟ فقال محمد قل له هم في النار ولم يشغلوا أن قالوا أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله فسكت هشام ولم يرجع كلاماً. (الثانية) روي أن العلاء بن عمرو بن عبيد قدم على محمد صاحب الترجمة ابن علي بن الحسين رضي الله عنهم يمتحنه فقال له جعلت فداك ما معنى قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾[1]. ما هذا الرتق والفتق؟ فقال له أبو جعفر محمد كانت السماء رتقاً لا تنزل مطراً وكانت الأرض رتقاً لا تخرج النبات ففتقناهما بنزول المطر وخروج النبات فسكت أبو عمرو ولم يجد اعتراضاً ثم سأله عن قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾[2]. ما غضب الله تعالى فقال طرده وعقابه يا أبا عمرو ومن ظن أن الله يغيره شيء فقد كفر (وسئل) عن قوله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾[3]. فقال بصبرهم على الفقر ومصائب الدنيا حكت سلمى مولاة أبي جعفر أنه كان يدخل عليه بعض إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب ويكسوهم

---

(١) سورة الأنبياء ٣٠. (٣) سورة الفرقان ٧٥.

(٢) سورة طه ٨١.

في بعض الأحيان ويعطيهم الدراهم قال فكنت أكلمه في ذلك لكثرة عياله وتوسط حاله فيقول يا سلمى ما حسنة الدنيا إلا صلة الإخوان والمعارف فكان يصل بالخمسمائة درهم وبالستمائة إلى ألف درهم.

(كرامة) قال أبو بصير قلت يوماً للباقر أنتم ورثة رسول الله ﷺ قال نعم قلت ورسول الله ﷺ وارث الأنبياء جميعهم قال وارث جميع علومهم قلت وأنتم ورثتم جميع علوم رسول الله ﷺ قال نعم قلت فأنتم تقدرون أن تحيوا الموتى وتبرئوا الأكمه والأبرص وتخبروا الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم قال نعم نفعل ذلك بإذن الله تعالى ثم قال ادن مني يا أبا بصير وكان أبو بصير مكفوف النظر قال فدنوت منه فمسح بيده على وجهي فأبصرت السماء والجبل والأرض فقال أتحب أن تكون هكذا تبصر وحسابك على الله أو تكون كما كنت ولك الجنة قلت الجنة فمسح بيده على وجهي فعدت كما كنت.

(لطيفة) من كتاب الصفوة لابن الجوزي عن عروة بن عبد الله قال سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيف فقال لا بأس به وقد حلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه فقلت تقول الصديق قال فوثب وثبة واستقبل القبلة وقال نعم الصديق ونعم الصديق فمن لم يقل الصديق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا ولا في الآخرة اهـ.

(كرامتان) : الأولى عن جعفر الصادق رضي الله عنه قال كان أبي في مجلس عام ذات يوم إذ أطرق برأسه إلى الأرض ثم رفعه فقال يا قوم كيف أنتم إذا جاءكم رجل يدخل عليكم مدينتكم هذه في أربعة آلاف حتى يستعرضكم على السيف ثلاثة أيام متوالية فيقتل مقاتلكم وتلقون منه بلاءً لا تقدرون عليه ولا على دفعه وذلك من قابل فخذوا حذركم واعلموا أن الذي قلت لكم هو كائن لا بدّ منه فلم يلتفت أهل المدينة إلى كلامه وقالوا لا يكون هذا أبداً فلما كان من قابل تحمل أبو جعفر من المدينة بعياله هو وجماعة من بني هاشم وخرجوا منها فجاءها نافع بن الأزرق فدخلها في أربعة آلاف واستباحها ثلاثة أيام وقتل فيها خلقاً كثيراً لا يحصون وكان الأمر على ما قال. (الثانية) من كتاب الدلائل للحميري عن

زيد بن حازم قال كنت مع أبي جعفر محمد بن علي الباقر فر بنا زيد بن علي أخوه فقال أبو جعفر أما رأيت هذا ليخرجنّ بالكوفة وليقتلن وليطافن برأسه فكان كما قال.

(تتمة في الكلام على وفاته وأولاده وذكر شيء من كلامه رضي الله عنه) مات أبو جعفر محمد الباقر سنة سبع عشرة ومائة وله من العمر ثلاث وستون سنة وقيل ثمان وخمسون وقيل غير ذلك. وأوصى أن يكفن في قميصه الذي كان يصلي فيه. وفي درر الأصداف مات مسموماً كأبيه ودفن بقبة العباس بالبقيع. ومثله في الفصول المهمة عن ابنه جعفر الصادق قال كنت عند أبي في اليوم الذي قبض فيه فأوصاني بأشياء في غسله وتكفينه ودفنه ودخول القبر قال فقلت يا أبت والله ما رأيتك منذ اشتكيت أحسن منك اليوم ولا أرى عليك أثر الموت فقال يا بني أما سمعت علي بن الحسين يناديني من وراء الجدار يا محمد عجل.

(وأولاده) رضي الله عنه ستة وقيل سبعة وهم أبو عبد الله جعفر الصادق وكان يكنّى به وعبد الله أمهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وإبراهيم وعبد الله وأمهما أم حكيم بنت أسد بن المغيرة الثقفية وعلي وزينب لأم ولد نقله صاحب الإرشاد.

(ومن كلامه) رضي الله عنه: ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ذلك قل أو كثر، وقال: سلاح اللئام قبح الكلام، وكان يقول: والله لموت عالم أحب إلى الشيطان من موت سبعين عابداً، وقال رضي الله عنه شيعتنا من أطاع الله.

(موعظة) عن جابر الجعفي قال: قال لي محمد بن علي بن الحسين يا جابر إني لمشتغل القلب قلت وما يشغل قلبك؟ قال يا جابر إنه من يدخل قلبه دين الله الخالص شغله عما سواه، يا جابر ما الدنيا وما عسى أن تكون هل هي إلا مركب ركبته أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها، يا جابر إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لزوالها ولم يأمنوا الآخرة لأهوالها وإن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤنة

وأكثرهم لك معونة إن نسيت ذكروك وإن ذكرت أعانوك أليسوا قوالين لحق الله قائمين بأمر الله فاجعل الدنيا كمنزل نزلت به وارتحلت منه وكمال أصبته في منامك ثم استيقظت وليس معك منه شيء واحفظ الله فيما استرعاك من دينه وحكمته (وقال) رضي الله عنه: الغنى والفقر يجولان في قلب المؤمن فإذا وصلا إلى مكان التوكل استوطناه (ومن) كلامه رضي الله عنه: الصواعق تصيب المؤمن وغيره ولا تصيب ذاكر الله عزّ وجلّ، وقال رضي الله عنه: ما من عبادة أفضل من عفة بطن وفرج، وقال رضي الله عنه: بئس الأخ يرعاك غنيّاً ويقطعك فقيراً (وقال لابنه) يا بني إذا أنعم الله عليك نعمة فقل الحمد لله وإذا أحزنك أمر فقل لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وإذا أبطأ عليك الرزق فقل أستغفر الله (وقال) رضي الله عنه: اعرف المودة في قلب أخيك بما له في قلبك. وفي كتاب نثر الدرر لأبي سعيد منصور بن الحسين إن محمد بن زين العابدين قال لابنه جعفر الصادق رضي الله عنهم: يا بني إن الله خبأ ثلاثة أشياء في ثلاثة أشياء: خبأ رضاه في طاعته فلا تحقرن من الطاعة شيئاً فلعل رضاه فيه وخبأ سخطه في معصيته فلا تحقرن من معصيته شيئاً فلعل سخطه فيه وخبأ أولياءه في خلقه فلا تحقرن أحداً فلعله ذلك الولي.

فصل

في ذكر مناقب سيدنا جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

ولد جعفر الصادق بالمدينة سنة ثمانين من الهجرة وقيل سنة ثلاث وثمانين قلل بعضهم والأول أصح وأمه الفروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأم القاسم أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهم فكان يقول ولدني الصديق مرتين ذكره الماوردي في الطبقات وكنيته أبو عبد الله وقيل أبو اسمعيل وألقابه ثلاثة الصادق والفاضل والطاهر وأشهرها الصادق (صفته) معتدل آدم اللون (وشاعره) السيد الحميري (وبوابه) المفضل بن عمرو (نقش خاتمه) ما شاء الله لا قوة إلا بالله أستغفر الله (ومعاصره) أبو جعفر المنصور (ومناقبه) كثيرة تكاد تفوت عد الحاسب وبحار في أنواعها فهم اليقظ الكاتب. روى عنه جماعة من أعيان الأئمة وأعلامهم كيحيى بن سعيد ومالك بن أنس والثوري وابن عيينة وأبي حنيفة وأيوب السختياني وغيرهم. قال أبو حاتم جعفر الصادق ثقة لا يسأل عن مثله (في درر الأصداف) قال لأبي حنيفة بلغني أنك تقيس في الدين وأول من قاس إبليس فقال أبو حنيفة رضي الله عنه إنما أقيس فيما لا أجد فيه نصاً (قال) ابن أبي حازم كنت مع جعفر الصادق يوماً إذا سفيان الثوري بالباب فقال ائذن له فدخل فقال له جعفر يا سفيان إنك رجل يطلبك السلطان في بعض الأحيان وتحضر عنده وأنا أتقي السلطان فاخرج عني غير مطرود فقال سفيان حدثني حديثاً أسمعه منك وأقوم فقال حدثني أبي عن جدي عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «من أنعم الله عليه فليحمد الله». ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله، ومن حزبه أمر فليقل لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما قام سفيان قال

جعفر خذها يا سفيان ثلاثاً وأي ثلاث ، وفي حياة الحيوان الكبرى فائدة قال ابن قتيبة في كتاب أدب الكاتب وكتاب الجفر كتبه الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر رضي الله عنهما فيه كل ما يحتاجون علمه إلى يوم القيامة ، وإلى هذا الجفر أشار أبو العلاء المعرّي بقوله :

لقد عجبوا لآل البيت لما أتاهم علمهم في جلد جفر
ومرآة المنجم وهي صغرى تريه كل عامرة وقفر

والجفر من أولاد المعز ما بلغ أربعة أشهر وانفصل عن أمه (وفي) الفصول المهمة نقل بعض أهل العلم أن كتاب الجفر الذي بالمغرب يتوارثه بنو عبد المؤمن ابن علي من كلام جعفر الصادق وله فيه المنقبة السنية والدرجة التي في مقام الفضل علية (وكان) جعفر الصادق رضي الله عنه مجاب الدعوة إذا سأل الله شيئاً لا يتم قوله إلا وهو بين يديه.

(كرامتان) : الأولى حدث عبد الله بن الفضل بن الربيع عن أبيه أنه قال لما حج المنصور سنة سبع وأربعين ومائة قدم المدينة فقال للربيع ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتينا به متعباً قتلني الله إن لم أقتله فتغافل الربيع عنه وتناساه فأعاد عليه في اليوم الثاني وأغلظ في القول فأرسل إليه الربيع فلما حضر قال له الربيع يا أبا عبد الله اذكر الله تعالى فإنه قد أرسل لك من لا يدفع شره إلا الله وإني أتخوف عليك فقال جعفر لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم إن الربيع دخل به على المنصور فلما رآه المنصور أغلظ له في القول وقال يا عدو الله اتخذك أهل العراق إماماً يجبون إليك زكاة أموالهم وتلحد في سلطاني وتتبع لي الغوائل قتلني الله إن لم أقتلك فقال جعفر يا أمير المؤمنين إن سليمان أعطي فشكر وإن أيوب ابتلي فصبر وإن يوسف ظلم فغفر وهؤلاء أنبياء الله وإليهم يرجع نسبك ولك فيهم أسوة حسنة فقال المنصور أجل يا أبا عبد الله ارتفع إلى هنا عندي ثم قال يا أبا عبد الله إن فلاناً أخبرني عنك بما قلت لك فقال أحضره يا أمير المؤمنين ليوافقني على ذلك

فأحضر الرجل الذي سعى به إلى المنصور فقال له المنصور أحقاً ما حكيت لي عن جعفر؟ فقال نعم يا أمير المؤمنين فقال جعفر استحلفه فبادر الرجل وقال والله العظيم الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الواحد الأحد وأخذ يعدد في صفات الله تعالى فقال جعفر يا أمير المؤمنين يحلف بما أستحلفه فقال حلفه بما تختار فقال جعفر قل برئت من حول الله وقوته والتجأت إلى حولي وقوتي لقد فعل جعفر كذا وكذا فامتنع الرجل فنظر إليه المنصور نظرة منكرة فحلف بها فما كان بأسرع من أن ضرب برجله الأرض وخر ميتاً مكانه فقال المنصور جروا برجله وأخرجوه ثم قال لا عليك يا أبا عبد الله أنت البريء الساحة والسليم الناحية المأمون الغائلة عليّ بالطيب فأتي بالغالية فجعل يغلف بها لحيته إلى أن تركها تقطر وقال في حفظ الله وكلاءته وألحقه يا ربيع بجوائز حسنة وكسوة سنية قال الربيع فلحقه بذلك ثم قال له يا أبا عبد الله رأيتك تحرك شفتيك وكلما حركتها سكن غضب المنصور بأي شيء كنت تحركها؟ قال بدعاء جدي الحسين قلت وما هو يا سيدي؟ قال: اللهم يا عدتي عند شدتي ويا غوثي عند كربتي احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بركنك الذي لا يرام وارحمني بقدرتك عليّ فلا أهلك وأنت رجائي، اللهم إنك أكبر وأجلّ وأقدر مما أخاف وأحذر، اللهم بك أدرأ في نحره وأستعيذ من شره إنك على كل شيء قدير. قال الربيع فما نزل بي شدة ودعوت به إلا فرج الله عني قال الربيع وقلت له منعت الساعي بك إلى المنصور من أن يحلف بيمينه وأحلفته بيمينك فما كان إلا أن أخذ لوقته ما السر فيه؟ قال لأن في يمينه توحيد الله وتمجيده وتنزيهه فقلت يحلم عليه ويؤخر عنه العقوبة وأحببت تعجيلها إليه فاستحلفته بما سمعت فأخذه الله لوقته (الثانية) روي أن داود بن علي بن عبد الله بن العباس قتل المعلى بن حسين مولى كان لجعفر الصادق وأخذ ماله فبلغ ذلك جعفر فدخل داره ولم يزل ليله كله قائماً إلى الصباح، فلما كان وقت السحر سمع منه في مناجاته: يا ذا القوة القوية يا ذا المحال الشديد يا ذا العزة التي خلقك لها ذليل اكفنا هذه الطاغية وانتقم لنا منهم فما كان إلا أن ارتفعت الأصوات وقيل مات داود بن علي فجأة (الثالثة) لما بلغ جعفر الصادق رضي الله عنه قول الحكم بن عباس الكلبي:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم أر مهرياً على الجذع يصلب

رفع يديه إلى السماء وقال اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فبعثه بنو أمية إلى الكوفة فافترسه الأسد في الطريق فبلغ ذلك جعفراً فخر ساجداً لله تعالى وقال الحمد لله الذي أنجزنا ما وعدنا/(الرابعة) عن إبراهيم بن عبد الحميد قال اشتريت بردة من مكة وآليت على نفسي أن لا تخرج من ملكي حتى تكون كفني فخرجت بها إلى عرفة فوقفت فيها الموقف ثم انصرفت إلى المزدلفة فبعد أن صليت فيها المغرب والعشاء رفعتها وطويتها ووضعتها تحت رأسي ونمت فلما انتبهت لم أجدها فاغتممت لذلك غماً شديداً فلما أصبحت صليت وأفضت مع الناس إلى منى فوالله إني لفي مسجد الخيف إذ أتاني رسول أبي عبد الله جعفر الصادق يقول لي يقول لك أبو عبد الله تأتينا في هذه الساعة فقمت مسرعاً حتى دخلت على أبي عبد الله وهو في فسطاط فسلمت وجلست فالتفت إلي وقال يا إبراهيم تحب أن نعطيك بردة تكون لك كفناً قلت والذي يحلف به لقد كان معي بردة معدها لذلك ولقد ضاعت مني بالمزدلفة فأمر غلامه فأتى ببردة فناولنيها فإذا هي بردتي بعينها فقلت بردتي يا سيدي فقال خذها فقد جمعها الله عليك يا إبراهيم/

(فوائد) الأولى قال جعفر الصادق صاحب الترجمة لما رفعت إلى أبي جعفر المنصور بعد قتل محمد بن عبد الله بن الحسن نهرني وكلمني بكلام غليظ ثم قال يا جعفر قد علمت بفعل محمد بن عبد الله الذي تسمونه النفس السنية وما نزل به وإنما أنتظر الآن أن يتحرك منكم أحد فألحق الصغير بالكبير قال قلت يا أمير المؤمنين حدثني محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين فيصله الله إلى ثلاث وثلاثين سنة وإن الرجل ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون سنة فيبترها الله إلى ثلاث سنين» قال فقال آلله سمعت هذا من أبيك فقلت والله لقد سمعتها منه فرددها عليّ ثلاثاً ثم قال انصرف/ (الثانية) روي عن جعفر الصادق أنه قال لغلامه نافذ يا نافذ إذا كتبت كتاباً في حاجة وأردت

أن تنجح حاجتك التي تريد فاكتب في رأس الورقة بسم الله الرحمن الرحيم وعد الله الصابرين المخرج مما يكرهون والرزق من حيث لا يحتسبون جعلنا وإياكم من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال ناقد فكنت أفعل فتنجح حوائجي (الثالثة) قال جعفر الصادق رضي الله عنه: للصداقة خمس شروط، فمن كانت فيه فانسبوه إليها ومن لم تكن فيه فلا تنسبوه إلى شيء منها وهي أن يكون زين صديقه زينه وسريرته له كعلانيته وأن لا يغيره عليه مال وأن يراه أهلاً لجميع مودته ولا يسلمه عند النكبات.

(تتمة) في الكلام على وفاته وأولاده وذكر شيء من كلامه رضي الله عنه)

(قال ابن الصباغ) **مات** جعفر الصادق بن محمد سنة ثمان وأربعين ومائة في شوال وله من العمر ثمان وستون سنة يقال إنه مات بالسم في أيام المنصور ودفن بالبقيع في القبر الذي دفن فيه أبوه وجده وعم جده فلله دره من قبر ما أكرمه وأشرفه انتهى (**وأولاده**) رضي الله عنه كانوا سبعة وقيل أكثر ستة ذكور وبنت واحدة وهم اسمعيل ومحمد وعلي وعبد الله وإسحق وموسى الكاظم والبنت اسمها فروة كذا في الفصول المهمة (وفي الملل والنحل للشهرستاني) كان لجعفر الصادق خمسة أولاد محمد وإسمعيل وعبد الله وموسى وعلي وأسقط إسحق والبنت (وفي بغية الطالب) أن أولاد جعفر تسعة إلا أنه لم يسردهم بالعد جميعهم إنما عد ما في الفصول المهمة واقتصر ولم يذكر البنت. (ومن **كلامه** رضي الله عنه) لا يتم المعروف إلا بثلاث تعجيله وتصغيره وستره، وقال رضي الله عنه: ما كل من رأى شيئاً قدر عليه ولا كل من قدر على شيء وفق له ولا كل من وفق أصاب له موضعاً فإذا اجتمعت النية والمقدرة والتوفيق والإصابة فهناك السعادة، وقال: تأخير التوبة اغترار، وطول التسويف حيرة، والاعتلال على الله هلكة، والإصرار على الذنب من مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون. وقال: أربعة أشياء القليل منها كثير النار والعداوة والفقر والمرض، وسئل لم سمي البيت العتيق؟ قال لأن الله تعالى عتقه من الطوفان، وقال: صحبة عشرين يوماً قرابة، وقال: كفارة عمل الشيطان الإحسان إلى الإخوان، وقال إذا دخلت منزل أخيك فاقبل

الكرامة ما خلا الجلوس في الصدور ، وقال : البنات حسنات والبنون نعم والحسنات يثاب عليها والنعم مسئول عنها ، وقال رضي الله تعالى عنه : من لم يستح عند العيب ويرعو عند الشيب ويخش الله بظهر الغيب فلا خير فيه ، وقال : إياكم وملاحاة الشعراء فإنهم يضنون بالمدح ويجودون بالهجاء ، وكان يقول اللهم إنك بما أنت له أهل من العفو أولى بما أنا له أهل من العقوبة ، وقال : من أكرمك فأكرمه ومن استخف بك فأكرم نفسك عنه ، وقال : منع الجود سوء ظن بالمعبود ، وقال دعا الله الناس في الدنيا بآبائهم ليتعارفوا ودعاهم في الآخرة بأعمالهم ليجازوا فقال يا أيها الذين آمنوا يا أيها الذين كفروا ، وقال : إن عيال المرء أسراؤه فمن أنعم الله عليه نعمة فليوسع على أسرائه فإن لم يفعل يوشك أن تزول تلك النعمة عنه ، وقال : ثلاثة لا يزيد الله بها الرجل المسلم إلا عزاً الصفح عمن ظلمه والإعطاء لمن حرمه والصلة لمن قطعه ، وقال : المؤمن إذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل (قال) بعض شيعة جعفر الصادق دخلت عليه وموسى ولده بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية فحفظتها فكان مما أوصى به أن قال : يا بني اقبل وصيتي واحفظ مقالتي فإنك إن حفظتها تعش سعيداً وتمت حميداً . يا بني إنه من قنع بما قسم الله له استغنى ، ومن مد عينيه إلى ما في يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم ربه في قضائه ، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره . يا بني من كشف حجاب غيره انكشفت عورته ، ومن سل سيف البغي قتل به ، ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها ، ومن داخل السفهاء حقر ، ومن خالط العلماء وقر ، ومن دخل مداخل السوء اتهم . يا بني قل الحق لك أو عليك ، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال . يا بني إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه فإن للجود معادن وللمعادن أصولاً وللأصول فروعا وللفروع ثمراً ولا يطيب ثمر إلا بفروع الأصل ولا أصل ثابت إلا بمعدن طيب . يا بني إذا زرت فزر الأخيار ولا تزر الأشرار فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها وشجرة لا يخضر ورقها وأرض لا يظهر عشبها (قال) أحمد بن عمر بن مقدام الرازي وقع الذباب على وجه المنصور فذبه فعاد حتى أضجره وكان عنده جعفر

ابن محمد في ذلك الوقت فقال له المنصور يا أبا عبد الله لم خلق الله الذباب؟ قال ليذل به الجبابرة فسكت المنصور. قال سفيان الثوري سمعت جعفراً الصادق يقول: عزت السلامة حتى لقد خفي مطلبها فإن تك في شيء فيوشك أن تكون في الخمول، وإن طلبت في الخمول فلم توجد فيوشك أن تكون في العزلة والخلوة، فإن لم توجد في العزلة والخلوة فيوشك أن تكون في كلام السلف، والسعيد من وجد في نفسه خلوة تشغله عن الناس. روى محمد بن حبيب عن جعفر الصادق ابن محمد عن أبيه عن جده ورفعه قال: ما من مؤمن أدخل على قوم سروراً إلا خلق الله من ذلك السرور ملكاً يعبد الله يحمده ويمجده فإذا صار المؤمن في لحده أتاه ذلك السرور الذي أدخله على أولئك ملكاً فيقول أنا اليوم أونس وحشتك وألقنك وأثبتك بالقول الثابت وأشهد بك مشاهد القيامة وأشفع لك إلى ربك وأريك منزلتك في الجنة كذا في الفصول المهمة.



فصل

في ذكر مناقب سيدنا موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

أمه أم ولد يقال لها حميدة البربرية؛ ولد موسى الكاظم بالأبواء سنة ثمان وعشرين ومائة من الهجرة (**وكنيته**) أبو الحسن (**وألقابه**) كثيرة أشهرها الكاظم ثم الصابر والصالح والأمين (**صفته**) أسمر عتيق (**شاعره**) السيد الحميري (**بوابه**) محمد بن الفضل (**نقش خاتمه**) الملك لله وحده (**معاصره**) موسى الهادي وهرون الرشيد قال بعض أهل العلم الكاظم هو الإمام الكبير القدر الأوحد الحجة الحبر الساهر ليله قائماً القاطع نهاره صائماً المسمى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظماً وهو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج إلى الله وذلك لنجح قضاء حوائج المتوسلين به (**ومناقبه**) رضي الله عنه كثيرة شهيرة. يحكى أن الرشيد سأله يوماً فقال كيف قلتم نحن ذرية رسول الله ﷺ وأنتم بنو علي وإنما ينسب الرجل إلى جده لأبيه دون جده لأمه فقال الكاظم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وليس لعيسى أب وإنما ألحق بذرية الأنبياء من قبل أمه وكذلك ألحقنا بذرية النبي ﷺ من قبل أمنا فاطمة وزيادة أخرى يا أمير المؤمنين قال الله عزّ وجل فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل ولم يدع ﷺ عند مباهلة النصارى غير علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم وهم الأبناء. روى موسى الكاظم صاحب الترجمة عن آبائه مرفوعاً قال قال رسول الله ﷺ «نظر الولد إلى والديه عبادة» وعن إسحق بن جعفر قال سألت أخي موسى

الكاظم بن جعفر قلت أصلحك الله أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال نعم قال فقلت أيكون خائناً قال لا ولا يكون كذاباً ثم قال حدثني أبي جعفر الصادق عن آبائه رضي الله عنهم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل خلة يطوي المؤمن عليها ليس الكذب والخيانة».

(كراماته): الأولى قال حسام بن حاتم الأصم قال لي شقيق البلخي خرجت حاجاً سنة ست وأربعين ومائة فنزلت بالقادسية فبينا أنا أنظر الناس في مخرجهم إلى الحج وزينتهم وكثرتهم إذ نظرت إلى شاب حسن الوجه شديد السمرة نحيف فوق ثيابه ثوب صوف مشتمل بشملة وفي رجليه نعلان وقد جلس منفرداً فقلت في نفسي هذا الفتى من الصوفية ويريد أن يخرج مع الناس فيكون كلا عليهم في طريقهم والله لأمضين إليه ولأوبخنه فدنوت منه فلما رآني مقبلاً نحوه قال يا شقيق اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ثم تركني وولى فقلت في نفسي إن هذا لأمر عجيب تكلم بما في خاطري ونطق باسمي هذا عبد صالح لألحقنه وأسألنه الدعاء وأتحلله بما ظننت فيه فغاب عني ولم أره فلما نزلنا وادي فضة فإذا هو قائم يصلي فقلت هذا صاحبي امض إليه واستحله فصبرت حتى فرغ من صلاته فالتفت الي وقال يا شقيق اتل ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾ [1] ثم قام ومضى وتركني فقلت هذا الفتى من الأبدال قد تكلم على سري مرتين فلما نزلنا بالأبواء إذا أنا بالفتى قائم على البئر وأنا أنظر إليه وبيده ركوة فيها ماء فسقطت من يده في البئر فرمق إلى السماء بطرفه وسمعته يقول:

أنت شربي إذا ظمئت من الما ء وقوتي إذا أردت طعاما

ثم قال إلهي وسيدي ما لي سواك فلا تعدمنيها فوالله لقد رأيت الماء قد ارتفع إلى رأس البئر والركوة طافية عليه فمد يده فأخذها فتوضأ منها وصلى أربع ركعات ثم مال إلى كثيب رمل فجعل يقبض بيديه ويجعل في الركوة ويحركها ويشرب فأقبلت نحوه وسلمت عليه فرد علي السلام فقلت أطعمني من فضل ما أنعم الله به عليك فقال يا شقيق لم تزل نعم الله عليّ ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك ثم

---

(١) سورة طه ٨٢.

ناولني الركوة فشربت منها فإذا فيها سويق بسكر فوالله ما شربت قط ألذ منه ولا أطيب فشربت ورويت حتى شبعت فأقمت أياماً لا أشتهي طعاماً ولا شراباً ثم لم أره حتى نزلنا بمكة فرأيته ليلة إلى جنب قبة الشراب نصف الليل وهو قائم يصلي بخشوع وأنين وبكاء فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر ثم قام إلى حاشية المطاف فركع ركعتي الفجر هناك ثم صلى الصبح مع الناس ثم دخل المطاف فطاف إلى بعد شروق الشمس ثم صلى خلفَ المقام ثم خرج يريد الذهاب فخرجت خلفه أريد السلام عليه وإذا بجماعة أحاطوا به يميناً وشمالاً ومن خلفه ومن أمامه وخدم وحشم وأتباع خرجوا معه فقلت لأحدهم من هذا الفتى يا سيدي؟ فقال هذا موسى الكاظم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهذه الكرامة رواها جماعة من أهل التآليف ورواها ابن الجوزي في كتابه مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن ورواها الجنابذي في معالم العترة النبوية والرامهرمزي في كتابه كرامات الأولياء وهي كرامة اشتملت على كرامات (الثانية) من كتاب الدلائل للحميري روى أحمد بن محمد عن أبي قتادة عن أبي خالد الزبالي قال قدم علينا أبو الحسن موسى الكاظم زبالة ومعه جماعة من أصحاب المهدي بعثهم في إحضاره لديه إلى العراق من المدينة وذلك في مسكته الأولى فأتيته فسلمت عليه فسر برؤيتي وأوصاني بشراء حوائج وبتبقيتها عندي له فرآني غير منبسط فقال ما لي أراك منقبضاً فقلت كيف لا أنقبض وأنت سائر إلى هذه الفئة الطاغية ولا آمن عليك فقال يا أبا خالد ليس علي بأس فإذا كان في شهر كذا في اليوم الفلاني منه فانتظرني آخر النهار مع دخول الليل فإني أوافيك إن شاء الله تعالى قال أبو خالد فما كان لي هم إلا إحصاء تلك الشهور والأيام إلى ذلك اليوم الذي وعدني المجيء فيه فخرجت غروب الشمس فلم أر أحداً فلما كان دخول الليل إذا بسواد قد أقبل من ناحية العراق فقصدته فإذا هو على بغلة أمام القطار فسلمت عليه وسررت بمقدمه وتخلصه فقال لي أداخلك الشك يا أبا خالد فقلت الحمد لله الذي خلصك من هذه الطاغية فقال يا أبا خالد إن لهم إليّ عودة لا أتخلص منها (الثالثة) عن عيسى المدائني قال خرجت سنة إلى مكة فأقمت بها مجاوراً ثم قلت

أذهب إلى المدينة فأقيم بها سنة مثل ما أقمت بمكة فهو أعظم لثوابي فقدمت المدينة فنزلت طرف المصلى إلى جنب دار أبي ذر وجعلت أختلف إلى سيدنا موسى الكاظم فبينا أنا عنده في ليلة ممطرة إذ قال لي عيسى قم فقد انهدم البيت على متاعك فقمت فإذا البيت قد انهدم على المتاع فاكتريت قوماً كشفوا عن متاعي واستخرجت جميعه ولم يذهب لي غير سطل للوضوء فلما أتيته من الغد قال هل فقدت شيئاً من متاعك فندعو الله لك بالخلف فقلت ما فقدت غير سطل كان لي أتوضأ منه فأطرق رأسه ملياً ثم رفعه فقال قد ظننت أنك أنسيته قبل ذلك فأت جارية رب الدار فاسألها عنه وقل لها أنسيت السطل في بيت الخلاء فرديه قال فسألها عنه فردته (الرابعة) عن عبد الله بن إدريس عن ابن سنان قال حمل الرشيد في بعض الأيام إلى علي بن يقطين ثياباً فاخرة أكرمه بها ومن جملتها دراعة منسوجة بالذهب سوداء من لباس الخلفاء فأنفذها علي بن يقطين لموسى الكاظم فردها وكتب إليه احتفظ عليها ولا تخرجها عن يديك فسيكون لك بها شأن تحتاج معه إليها فارتاب علي بن يقطين لردها عليه ولم يدر ما سبب كلامه ذلك ثم إنه احتفظ بالدراعة وجعلها في سفط وختم عليها فلما كان بعد مدة يسيرة تغير علي بن يقطين على بعض غلمانه ممن كان يختص بأموره ويطلع عليها فصرفه عن خدمته وطرده لأمر أوجب ذلك منه فسعى الغلام بعلي بن يقطين إلى الرشيد وقال له إن علي بن يقطين يقول بإمامة موسى الكاظم وأنه يحمل إليه كل سنة زكاة ماله والهدايا والتحف وقد حمل إليه في هذه السنة ذلك وصحبته الدراعة السوداء التي أكرمته بها يا أمير المؤمنين في وقت كذا فاستشاط الرشيد لذلك غيظاً وقال لأكشفن عن ذلك فإن كان الأمر على ما ذكرت أزهقت روحه وذلك من بعض جزائه فأنفذ في الوقت والحين من أحضر علي بن يقطين فلما مثل بين يديه قال ما فعلت بالدراعة السوداء التي كسوتكها واختصصتك بها من مدة من بين سائر خواصي؟ قال هي عندي يا أمير المؤمنين في سفط فيه طيب مختوم عليها فقال أحضرها الساعة قال نعم يا أمير المؤمنين السمع والطاعة واستدعى بعض خدمه فقال امض وخذ مفتاح البيت الفلاني من داري وافتح الصندوق الفلاني وأتني بالسفط الذي فيه على حالته

بختمه فلم يلبث الخادم إلا قليلاً حتى عاد وصحبته السفط مختوماً فوضع بين يدي الرشيد فأمر بفك ختمه ففك وفتح السفط وإذا بالدراعة فيه مطوية على حالها لم تلبس ولم تدنس ولم يصبها شيء من الأشياء فقال لعلي بن يقطين ردها إلى مكانها وخذها وانصرف راشداً فلن نصدق بعدها عليك ساعياً وأمر أن يتبع بجائزة سنية وتقدم بأن يضرب الساعي ألف سوط فضرب فلما بلغوا الخمسمائة سوط مات تحت الضرب قبل الألف (الخامسة) روى إسحق بن عمار قال لما حبس هرون الرشيد موسى الكاظم دخل الحبس ليلاً أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة فسلما عليه وجلسا عنده وأرادا أن يختبراه بالسؤال لينظرا مكانه من العلم فجاء بعض الموكلين به فقال له إن نوبتي قد فرغت وأريد الانصراف من غد إن شاءالله تعالى فإن كان لك حاجة تأمرني أن آتيك بها غداً إذا جئت فقال ما لي حاجة انصرف ثم قال لأبي يوسف ومحمد بن الحسن إني لأعجب من هذا الرجل يسألني أن أكلفه حاجة يأتيني بها معه غداً إذا جاء وهو ميت في هذه الليلة فأمسكا عن سؤاله وقاما ولم يسألاه عن شيء وقالا أردنا أن نسأله عن الفرض والسنة فأخذ يتكلم معنا في علم الغيب والله لنرسلن خلف الرجل من يبيت على باب داره وينظر ماذا يكون من أمره فأرسلا شخصاً من جهتهما جلس على باب ذلك الرجل فلما كان أثناء الليل وإذا بالصراخ والناعية فقيل لهم ما الخبر؟ فقالوا مات صاحب البيت فجأة فعاد إليهما الرسول وأخبرهما فتعجبا من ذلك غاية العجب اهـ من الفصول المهمة (كان موسى الكاظم) رضي الله عنه أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم كفا وأكرمهم نفساً وكان يتفقد فقراء المدينة فيحمل إليهم الدراهم والدنانير إلى بيوتهم ليلاً وكذلك النفقات ولا يعلمون من أي جهة وصلهم ذلك ولم يعلموا بذلك إلا بعد موته (وكان) كثيراً ما يدعو باللهم إني أسألك الراحة عند الموت والعفو عند الحساب.

(**تتمة : في الكلام على وفاته وأولاده رضي الله عنه**). روى أحمد بن عبد الله ابن عمار عن محمد بن علي النوفلي قال كان السبب في أخذ الرشيد لموسى بن جعفر وحبسه إياه أنه سعى به جماعة وقالوا إن الأموال تحمل إليه من جميع الجهات

والزكاة والأخماس وأنه اشترى ضيعة وسماها السيرية بثلاثة آلاف دينار فخرج الرشيد في تلك السنة يريد الحج وبدأ بدخوله المدينة فلما أتاها استقبله موسى الكاظم في جماعة من الأشراف فلما دخلها واستقر ومضى كل واحد إلى سبيله ذهب موسى على جاري عادته إلى المسجد وأقام الرشيد إلى الليل وسار إلى قبر رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني أعتذر إليك من أمر أريد فعله وهو أن أمسك موسى الكاظم فإنه يريد التشغيب بين أمتك وسفك دمائهم وإني أريد حقنها ثم خرج فأمر به فأخذ من المسجد فدخل به إليه فقيده في تلك الساعة واستدعى بقبتين فجعل كل واحدة منهما على بغل وسترهما بالسقلاط وجعله في إحدى القبتين وجعل مع كل واحدة منهما خيلاً وأرسل بواحدة منهما على طريق البصرة وبواحدة على طريق الكوفة وإنما فعل ذلك الرشيد ليعمي على الناس أمره وكان موسى الكاظم بالقبة التي أرسلها بطريق البصرة وأوصى القوم الذين كانوا معه أن يسلموه إلى عيسى بن جعفر بن المنصور وكان على البصرة يومئذ والياً فسلموه له وحبسه عنده سنة فبعد السنة كتب إليه الرشيد في سفك دمه وإراحته منه فاستدعى عيسى بن جعفر بعض خواصه وثقاته الناصحين له فاستشارهم بعد أن أراهم ما كتبه له الرشيد فقالوا نشير عليك بالاستعفاء من ذلك وأن لا تقع فيه فكتب عيسى بن جعفر للرشيد يقول يا أمير المؤمنين كتبت إليّ في هذا الرجل وقد اختبرته طول مقامه في حبسي فلم يكن منه سوء قط ولم يذكر أمير المؤمنين إلا بخير ولم يكن عنده تطلع للولاية ولا خروج ولا شيء من أمر الدنيا ولا دعا قط على أمير المؤمنين ولا على أحد من الناس ولا يدعو إلا بالمغفرة والرحمة له ولجميع المسلمين مع ملازمته للصيام والصلاة والعبادة فإن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني من أمره ويأمر بتسلمه مني وإلا سرحت سبيله فإني منه في غاية الحرج. فلما بلغ الرشيد كتاب عيسى بن جعفر كتب إلى السندي بن شاهك أن يتسلم موسى الكاظم بن جعفر من عيسى بن جعفر وأمره فيه بأمره فكان الذي تولى به السندي قتله أن جعل له سماً في طعام وقدمه له وقيل في رطب فأكل منه موسى الكاظم ثم إنه أقام موعكاً ثلاثة أيام ومات رحمه الله تعالى. ولما مات أدخل السندي الفقهاء ووجوه

أهل بغداد وفيهم الهيثم بن عدي وغيره ينظرون إليه أنه ليس به أثر من جرح أو قتل أو خنق وأنه مات حتف أنفه (روي) أنه لما حضرته الوفاة سأل ابن السندي أن يحضر مولى له مدنياً ينزل عند دار العباس بن محمد ليتولى غسله ودفنه وتكفينه فقال له السندي أنا أقوم لك بذلك على أحسن شيء وأتمه فقال إنا أهل بيت مهور نسائنا وحج مبرورنا وكفن موتانا وجهازنا من خالص أموالنا وأريد أن يتولى ذلك مولاي هذا فأجابه إلى ذلك وحضره له فوصاه بجميع ما يفعل فلما مات تولى ذلك مولاه المذكور كذا في الفصول المهمة (ومن) كتاب الصفوة لابن الجوزي قال بعث موسى بن جعفر الكاظم إلى الرشيد من الحبس برسالة كتب فيها بأنه لم ينقض عني يوم من البلاء إلا انقضى معه يوم عنك من الرخاء حتى نمضي جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء هناك يخسر المبطلون، وقد كان قوم من الشيعة زعموا أن موسى الكاظم هو القائم المنتظر وجعلوا حبسه هو الغيبة المذكورة للقائم فأمر هرون الرشيد يحيى بن خالد أن يضعه على الجسر ببغداد وأن ينادي هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنه لا يموت فانظروا إليه ميتاً ففعل ونظر الناس إليه ثم حمل ودفن موسى الكاظم في مقابر قريش بباب التين ببغداد كذا في كتاب الأنساب وغيره وكانت وفاته لخمس بقين من شهر رجب سنة ثلاثة وثمانين ومائة وله من العمر خمس وخمسون سنة (وأما أولاده) في الفصول المهمة كان له سبعة وثلاثون ولداً ما بين ذكر وأنثى وهم علي الرضا والعباس والقاسم وإسمعيل وجعفر وهرون والحسن وعبد الله وإسحق وعبد الله وزيد والحسن وأحمد ومحمدوالفضل وسليمان وفاطمة الكبرى وفاطمة الصغرى ورقية وحليمة وأم أسماء ورقية الصغرى وأم كلثوم وميمونة اهـ ولكنه لم يستوف العدد المذكور. ومن أولاد الكاظم كما في بغية الطالب عون وإليه يرجع نسب سيدنا ومولانا الشيخ الكبير الولي المقرب جامع الشرفين شرف النسب وشرف المعرفة بالله والأدب ذي الكرامات الظاهرة والغارات المتظاهرة أبي الحسن وأبي الأشبال علي الأهدل لأنه علي بن عمر بن محمد بن سليمان بن عبيد بن عيسى بن علوي بن محمد بن حمحام بن عون بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين

ابن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين وقد نظم ذلك بعض الفضلاء فقال :

علي بن فاروق أبو محمد ثم سليمان الرضا المسدد
عبيد عيسى علوي محمد حمحام عون كاظم المؤيد
جعفر الصادق قل محمد زين حسين وعلي السيد

والأهدل لقب شريف قال بعضهم معناه الأدنى الأقرب يقال هدل الغصن إذا دنا وقرب ولان بثمره قال بعض أهل المعرفة سمي علي بالأهدل لأنه على الإله دل وناهيك به من لقب حسن رائق وله على كلا القولين دليل على المعنى مطابق وفيه سر لطيف عجيب يفهمه العاقل المنصف اللبيب اهـ من بغية الطالب.



فصل

في ذكر مناقب سيدنا علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين

(ولد) علي بن موسى بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة وقيل سنة ثلاث وأربعين ومائة وأمه أم ولد يقال لها أم البنين واسمها أروى وكنيته أبو الحسن (وألقابه) الرضا والصابر والزكي والولي وأشهرها الرضا (صفته) أسود معتدل لأن أمه كانت سوداء دخل يوماً حماماً فبينما هو في مكان من الحمام إذ دخل عليه جندي فأزاله عن موضعه وقال صب على رأسي يا أسود فصب على رأسه فدخل من عرفه فصاح يا جندي هلكت أتستخدم ابن بنت رسول الله ﷺ فأقبل الجندي يقبل رجليه ويقول هلا عصيتني إذ أمرتك فقال إنها لمثوبة وما أردت أن أعصيك فيما أثاب عليه ثم أنشأ يقول :

ليس لي ذنب ولا ذنب لمن	قال لي يا عبد أو يا أسود
إنما الـــذنب لمن ألـبسني	ظلمة وهو الذي لا يحمد

كذا في تاريخ القرماني (شاعره) دعبل الخزاعي (بوابه) محمد بن الفرات (نقش خاتمه) حسبي الله (معاصره) الأمين والمأمون قال الشيخ كمال الدين بن طلحة تقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وزين العابدين علي بن الحسين وجاء علي الرضا هذا ثالثهما عن محمد بن يحيى الفارسي قال نظر أبو نواس إلى علي بن موسى الكاظم ذات يوم وقد خرج من عند المأمون على بغلة فارهة فدنا منه وسلم وقال ابن رسول الله ﷺ قلت فيك أبياتاً أحب أن تسمعها مني فقال له قل فأنشأ أبو نواس يقول :

مطهرون نقيات ثيابهم ... تجري الصلاة عليهم كلما ذكروا
من لم يكن علويا حين تنسبه ... فما له في قديم الدهر مفتخر
أولئك القوم أهل البيت عندهم ... علم الكتاب وما جاءت به السور

قال قد جئتنا بأبيات ما سبقك إليها أحد ما معك يا غلام من فاضل نفقاتنا قال ثلاثمائة دينار قال ادفعها إليه ثم بعد أن ذهب إلى البيت قال لعله يستقلها سق يا غلام إليه البغلة/ونقل الطوسي في كتابه عن أبي الصلت الهروي قال دخل دعبل الخزاعي على علي بن موسى بمرو فقال يا ابن رسول الله ﷺ إني قلت فيكم أهل البيت قصيدة وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك وأحب أن تسمعها مني فقال له علي الرضا بن موسى رضي الله عنهما هات قل فأنشأ يقول :

ذكرت محل الربع من عرفات ... فأجريت دمع العين بالعبرات
وفل عرى صبري وهاجت صبابتي ... رسوم ديار أقفرت وعرات
مدارس آيات خلت عن تلاوة ... ومنزل وحي مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى ... وبالبيت والتعريف والجمرات
ديار علي والحسين وجعفر ... وحمزة والسجاد ذي الثفنات
ديار لعبد الله والفضل صنوه ... نجيّ رسول الله في الخلوات
منازل كانت للصلاة وللتقى ... وللصوم والتطهير والحسنات
منازل جبريل الأمين يحلها ... من الله بالتسليم والرحمات
منازل وحي الله معدن علمه ... سبيل رشاد واضح الطرقات
قفا نسأل الدار التي خف أهلها ... متى عهدها بالصوم والصلوات
وأين الألى شطت بهم غربة النوى ... فأمسين في الأقطار مفترقات
أحب فضاء الدار من أجل حبهم ... وأهجر فيهم أسرتي وثقاتي
وهم أهل ميراث النبي إذا انتموا ... وهم خير سادات وخير حماة
مطاعيم في الإعسار في كل مشهد ... لقد شرفوا بالفضل والبركات
أئمة عدل يقتدى بفعالهم ... وتؤمن منهم زلة العثرات

فيا رب زد قلبي هدى وبصيرة وزد حبهم يا رب في حسناتي
لقد أمنت نفسي بهم في حياتها واني لأرجو الأمن بعد وفاتي
ألم تر أني من ثلاثين حجة أروح وأغدو دائم الحسرات
أرى فيئهم في غيرهم متقسما وأيديهم من فيئهم صفرات
إذا وتروا مدوا إلى أهل وترهم أكفاً عن الأوتار منقبضات
وآل رسول الله نحف جسومهم وآل زياد أغلظ القصرات
سأبكيهم ما ذر في الأفق شارق ونادى منادي الخير بالصلوات
وما طلعت شمس وحان غروبها وبالليل أبكيهم وبالغدوات
ديار رسول الله أصبحن بلقعا وآل زياد تسكن الحجرات
وآل زياد في القصور مصونة وآل رسول الله في الفلوات
فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد لقطع نفسي إثرهم حسراتي
خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله بالبركات
يميز فينا كل حق وباطل ويجزي عن النعماء والنقمات
فيا نفس طيبي ثم يا نفس فاصبري فغير بعيد كل ما هو آت

وهي قصيدة طويلة عدة أبياتها مائة وعشرون بيتاً ولما فرغ دعبل من إنشادها نهض أبو الحسن علي الرضا وقال لا تبرح فانفذ اليه صرة فيها مائة دينار واعتذر اليه فردها دعبل وقال والله ما لهذا جئت وإنما جئت للسلام عليه وللتبرك بالنظر إلى وجهه الميمون وإني لفي غنى فان رأى أن يعطيني شيئاً من ثيابه للتبرك فهو أحب إليّ فأعطاه علي الرضا جبة ورد عليها الصرة وقال للغلام قل له خذها ولا تردها فانك ستصرفها أحوج ما تكون إليها فأخذها وأخذ الجبة ثم أقام بمرو مدة فتجهزت قافلة تريد العراق فتجهز دعبل صحبتها فخرجت عليهم اللصوص في الطريق ونهبوا القافلة عن آخرها وأمسكوا جماعة من جملتهم دعبل فكتفوهم وأخذوا ما معهم فساروا بهم غير بعيد ثم جلسوا يقسمون أموالهم فتمثل مقدم اللصوص بقوله :

أرى فيئهم في غيرهم متقسما وأيديهم من فيئهم صفرات

ودعبل يسمعه فقال أتعرف هذا البيت لمن؟ قال وكيف لا أعرفه هو لرجل من خزاعة يقال له دعبل شاعر أهل البيت قاله في قصيدة مدحهم بها فقال دعبل أنا والله هو وأنا صاحب القصيدة وقائلها فقال ويلك انظر ما تقول فقال والله الأمر أشهر من ذلك واسأل أهل القافلة وهؤلاء الممسكون معكم يخبرونكم بذلك فسألوهم فقالوا بأسرهم هذا دعبل الخزاعي شاعر أهل البيت المعروف الموصوف، ثم ان دعبلاً أنشدهم القصيدة من أولها إلى آخرها عن ظهر قلب فقالوا قد وجب حقك علينا وقد أطلقنا القافلة ورددنا جميع ما أخذناه منها كرامة لك يا شاعر أهل البيت ثم إنهم أخذوا دعبلاً معهم وتوجهوا به إلى قم ووصلوه بمال وسألوه في بيع الجبة التي أعطاها له أبو الحسن الرضا ودفعوا له فيها ألف دينار فقال والله لا أبيعها وإنما أخذتها للتبرك من أثره ثم ارتحل عنهم من قم بعد ثلاثة أيام فلما صار خارج البلد على نحو ثلاثة أميال خرج عليه قوم من أحداثهم فأخذوا الجبة منه فرجع إلى قم وأخبر كبارهم بذلك فأخذوا الجبة منهم وردوها عليه ثم قالوا نخشى أن تؤخذ هذه الجبة منك ويأخذها غيرنا ثم لا ترجع عليك فبالله إلا ما أخذت الألف منا وتركتها فأخذ الألف منهم وأعطاهم الجبة ثم ارتحل عنهم وعن أبي الصلت الهروي قال قال دعبل الخزاعي لما أنشدت مولاي الرضا هذه القصيدة وانتهيت فيها إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج	يقوم على اسم الله بالبركات
يميز فينا كل حق وباطل	ويجزي على النعماء والنقمات

بكى الرضا ثم رفع رأسه إلي وقال يا خزاعي لقد نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين. قال إبراهيم بن العباس ما رأيت الرضا سئل عن شيء إلا علمه ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقت عصره وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيبه الجواب الشافي وكان قليل النوم كثير الصوم لا يفوته صوم ثلاثة أيام من كل شهر ويقول ذلك صيام الدهر وكان كثير المعروف والصدقة وأكثر ما يكون ذلك منه في الليالي المظلمة وكان جلوسه في الصيف على حصير وفي الشتاء على مسح قال إبراهيم بن العباس سمعت الرضا يقول وقد سأله رجل

يكلف الله العباد ما لا يطيقون فقال هو أعدل من ذلك قال فيقدرون على كل ما يريدون قال هم أعجز من ذلك. وعن ياسر الخادم قال سمعت علياً الرضا بن موسى يقول: أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواضع يوم يولد إلى الدنيا ويخرج المولود من بطن أمه فيرى الدنيا ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا وقد سلم الله تعالى على يحيى في هذه الثلاثة المواطن وأمن روعته فقال: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾[1]. وقد سلم عيسى بن مريم على نفسه في هذه الثلاثة المواطن فقال: ﴿والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾.

(فائدة) أورد صاحب كتاب تاريخ نيسابور أن علياً الرضا بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين رضي الله عنهم لما دخل نيسابور كان في قبة مستورة على بغلة شهباء وقد شق بها السوق فعرض له الإمامان الحافظان أبو زرعة وأبو مسلم الطوسي ومعهما من أهل العلم والحديث ما لا يحصى فقالا يا أيها السيد الجليل ابن السادة الأئمة بحق آبائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين إلا ما أريتنا وجهك الميمون ورويت لنا حديثاً عن آبائك عن جدك نذكرك به فاستوقف غلمانه وأمر بكشف المظلة وأقر عيون الخلائق برؤية طلعته وإذا له ذؤابتان معلقتان على عاتقه والناس قيام على طبقاتهم ينظرون ما بين باك وصارخ ومتمرغ في التراب ومقبل حافر بغلته وعلا الضجيج فصاحت الأئمة الأعلام معاشر الناس أنصتوا واسمعوا ما ينفعكم ولا تؤذونا بصراخكم وكان المستملي أبا زرعة ومحمد بن مسلم الطوسي فقال علي الرضا رضي الله عنه حدثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه شهيد كربلاء عن أبيه علي المرتضى قال حدثني حبيبي وقرة عيني رسول الله ﷺ قال حدثني جبريل عليه السلام قال حدثني رب العزة سبحانه وتعالى قال: «كلمة لا إله إلا الله حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي». ثم أرخى الستر على المظلة وسار قال فعد أهل المحابر

(١) سورة مريم ١٥

وأهل الدواوين الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفا قال رضي الله عنه لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق من جنونه . وقال أبو القاسم القشيري رضي الله عنه اتصل هذا الحديث بهذا السند ببعض أمراء السامانية فكتبه بالذهب وأوصى أن يدفن معه في قبره فرؤي في المنام بعد موته فقيل ما فعل الله بك فقال غفر لي بتلفظي بلا إله إلا الله وتصديقي أن محمداً رسول الله أورده المناوي في شرحه الكبير على الجامع الصغير وغيره . وعن علي الرضا بن موسى عن آبائه عن النبي ﷺ أنه قال : «من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله تعالى حوضي ، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي ثم قال إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي فأما المحسنون فما عليهم من سبيل». وعن علي الرضا بن موسى عن آبائه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال قال رسول الله ﷺ : «لما أسري به ولا يكون إلى يوم القيامة مؤمن إلا وله جار يؤذيه». وعن علي الرضا أيضاً قال قال رسول الله ﷺ : «الشيب في مقدم الرأس يمن وفي العارضين سخاء وفي الذوائب شجاعة وفي القفا شؤم». وعنه عن آبائه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «لما أسري بي السماء رأيت رحماً معلقة بالعرش تشكو رحما إلى ربها أنها قاطعة لها قلت كم بينك وبينها من أب؟ قالت نلتقي في أربعين أبا». وعنه أنه قال : «من صام من شعبان يوماً واحداً ابتغاء ثواب الله دخل الجنة ، ومن استغفر الله تعالى في كل يوم منه سبعين مرة حشر يوم القيامة في زمرة النبي ﷺ ووجبت له من الله الكرامة ، ومن تصدق في شعبان بصدقة ولو بشقة تمرة حرم الله جسده على النار». وعن علي الرضا بن موسى أنه قال : «من صام أول يوم من رجب رغبة في ثواب الله وجبت له الجنة ، ومن صام يوماً من وسطه شفع في مثل ربيعة ومضر ومن صام يوماً في آخره جعله الله من أملاك الجنة وشفعه الله في أمه وأبيه وإخوانه وأعمامه وعماته وأخواله وخالاته ومعارفه وجيرانه وإن كان فيهم من هو مستوجب النار». قال صاحب كتاب نثر الدرر : سأل الفضل بن سهل عليا الرضا بن موسى في مجلس المأمون فقال يا أبا الحسن الخلق مجبرون قال الله تعالى أعدل من أن يجبر ثم يعذب قال فطلقون قال الله تعالى أحكم من أن يهمل عبده

ويكله إلى نفسه. وعن أبي الحسن القرظي عن أبيه قال حضرنا مجلس أبي الحسن الرضا فجاء رجل فشكا إليه أخاه فأنشأ الرضا يقول:

اعذر أخاك على ذنوبه ... واصبر وغط على عيوبه
واصبر على سفه السفيـ ... ـه وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تـفضلا ... وكل الظلوم على حسيبه

(لطيفة) دخل على عليّ بن موسى بنيسابور قوم من الصوفية فقالوا إن أمير المؤمنين المأمون نظر فيما ولاه الله تعالى من الأمور ثم نظر فرآكم أهل البيت أولى من قام بأمر الناس ثم نظر في أهل البيت فرآك أولى الناس بالناس من كل واحد منهم فرد هذا الأمر إليك والناس تحتاج إلى من يأكل الخشن ويلبس الخشن ويركب الحمار ويعود المريض ويشيع الجنائز قال وكان علي الرضا متكئاً فاستوى جالساً ثم قال كان يوسف بن يعقوب نبياً فلبس أقبية الديباج المزررة بالذهب والقباطي المنسوجة بالذهب وجلس على متكآت آل فرعون وحكم وأمر ونهى وإنما يراد من الإمام القسط والعدل إذا قال صدق وإذا حكم عدل وإذا وعد أنجز إن الله لم يحرم ملبوساً ولا مطعوماً وتلا قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[1].

(١) سورة الأعراف ٣٢.

فصل
في ذكر ولاية العهد من المأمون للرضا

ذكر جماعة من أهل السير ورواة الأخبار بأيام الخلفاء أن المأمون لما أراد ولاية العهد للرضا وحدث نفسه بذلك وعزم عليه أحضر الفضل بن سهل وأخبره بما عزم عليه وأمره بمشاورة أخيه الحسن في ذلك فاجتمعا وحضرا عند المأمون فجعل الحسن يعظم ذلك عليه ويعرفه ما في خروج الأمر عن أهل بيته فقال المأمون إني عاهدت الله تعالى إن ظفرت بالمخلوع سلمت الخلافة إلى أفضل بني المطلب وهو أفضلهم ولا بد من ذلك فلما رأيا تصميمه وعزيمته على ذلك أمسكا عن معارضته فقال تذهبان الآن إليه وتخبرانه بذلك عني وتلزمانه به فذهبا إلى علي الرضا وأخبراه بذلك وألزماه فامتنع فلم يزالا به حتى أجاب على أنه لا يأمر ولا ينهى ولا يعزل ولا يولي ولا يتكلم بين اثنين في حكومته ولا يغير شيئاً مما هو قائم على أصله فأجابه المأمون إلى ذلك ، ثم إن المأمون جلس مجلساً خاصاً لخواص أهل دولته من الأمراء والوزراء والحجاب والكتاب وأهل الحل والعقد وكان ذلك في يوم الخميس لخمس خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين وأحضرهم فلما حضروا قال للفضل بن سهل أخبر الجماعة الحاضرين برأي أمير المؤمنين في الرضا علي بن موسى وأنه ولاه عهده وأمرهم بلبس الخضرة والعود لبيعته في الخميس الثاني فحضروا وجلسوا على مقادير طبقاتهم ومنازلهم كل في موضعه وجلس المأمون ثم جيء بالرضا فجلس بين وسادتين عظيمتين وضعتا له وهو لابس الخضرة وعلى رأسه عمامة متقلد بسيف فأمر المأمون ابنه العباس بالقيام إليه ومبايعته أول الناس فرفع الرضا يده وجعلها من فوق فقال المأمون ابسط يدك فقال له الرضا هكذا كان يبايع رسول الله ﷺ يده فوق أيديهم فقال افعل ما ترى ثم وضعت بدر الدراهم

والدنانير وبقج الثياب والخلع وقام الخطباء والشعراء وذكروا ما كان من أمر المأمون من ولاية عهده للرضا وذكروا فضل الرضا وفرقت الصلات والجوائز على الحاضرين على قدر مراتبهم وأول من بدئ به العلويون ثم العباسيون ثم باقي الناس على قدر منازلهم ومراتبهم ؛ ثم إن المأمون قال للرضا قم فاخطب الناس فقام وحمد الله وأثنى عليه وثنى بذكر نبيه محمد ﷺ فصلى عليه وقال أيها الناس إن لنا عليكم حقاً برسول الله ﷺ ولكم علينا حق به فإذا أديتم إلينا ذلك وجب لكم علينا الحكم والسلام ولم يسمع منه في هذا المجلس غير هذا وخطب للرضا بولاية العهد في كل بلد وخطب عبد الجبار بن سعيد في تلك السنة على منبر رسول الله ﷺ بالمدينة فقال في الدعاء للرضا وهو على منبر ولي عهد المسلمين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي وأنشد :

ستة آباؤهم أمهاتهم أفضل من يشرب صوب الغمام

(ذكر المدائني) قال لما جلس الرضا ذلك المجلس وهو لابس تلك الخلع والشعراء والخطباء يتكلمون وتلك الألوية تخفق على رأسه نظر الرضا بعض مواليه الحاضرين ممن كان يختص به وقد داخله من السرور ما لا مزيد عليه وذلك لما رأى فأشار إليه الرضا فدنا منه فقال له في أذنه سراً لا تشغل قلبك بشيء مما ترى من هذا الأمر ولا تستبشر به فإنه لا يتم. وهذه صورة مختصرة من كتاب العهد الذي كتبه المأمون للرضا اختصره صاحب الفصول لطوله وهو : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب كتبه عبد الله بن هرون الرشيد لعلي بن موسى بن جعفر ولي عهده أما بعد فإن الله عز وجل اصطفى الإسلام ديناً واختار له من عباده رسلاً دالين عليه وهادين إليه يبشر أولهم بآخرهم ويصدق تاليهم ماضيهم حتى انتهت نبوة الله تعالى إلى محمد ﷺ على فترة من الرسل ودروس من العلم وانقطاع من الوحي واقتراب من الساعة فختم الله بالنبيين وجعله شاهداً عليهم ومهيمناً وأنزل عليه كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فلما انقضت النبوة وختم الله بمحمد ﷺ الرسالة جعل قوام الدين ونظام

المسلمين في الخلافة ونظامها والقيام بشرائعها وأحكامها ، ولم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة وحمل مشاقها وخبر مرارة طعمها وذاقها مسهراً لعينيه منصباً لبدنه مطيلاً لفكره فيما فيه عز الدين وقمع المشركين وصلاح الأمة وجمع الكلمة ونشر العدل وإقامة الكتاب والسنة ومنعه ذلك من الخفض والدعة ومهنأ العيش محبة أن يلقى الله سبحانه وتعالى مناصحاً له في دينه وعباده ومختاراً لولاية عهده ورعاية الأمة من بعده أفضل من يقدر عليه في دينه وورعه وأرجاهم للقيام في أمر الله وحقه مناجياً لله تعالى بالاستخارة في ذلك ومسألته إلهامه ما فيه رضاه وطاعته في آناء ليله ونهاره معملاً فكره ونظره في طلبه والتماسه في أهل بيته من ولد عبد الله ابن العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم مقتصراً ممن علم حاله ومذهبه منهم على علمه وبالغاً في المسألة ممن خفي عليه أمره جهده وطاقته حتى استقصى أمورهم معرفة وابتلى أخبارهم مشاهدة واستبرأ أحوالهم معاينة وكشف ما عندهم مساءلة وكانت خيرته بعد استخارة الله تعالى وإجهاده نفسه في قضاء حقه في عباده وبلاده في الفئتين جميعاً علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم لما رأى من فضله البارع وعلمه الذائع وورعه الظاهر الشائع وزهده الخالص النافع وتخليه عن الدنيا وتفرده عن الناس وقد استبان له من لم تزل الأخبار عليه منطبقة والألسنة عليه متفقة والكلمة فيه جامعة والأخبار واسعة ولما لم يزل يعرف به من الفضل يافعاً وناشئاً وحدثاً وكهلاً فلذلك عقد له بالعهد والخلافة من بعده واثقاً بخيرة الله في ذلك إذ علم الله تعالى أنه فعله إيثاراً له وللدين ونظراً للاسلام والمسلمين وطلباً للسلامة وثبات الحجة والنجاة في اليوم الذي تقوم فيه الناس لرب العالمين ودعا أمير المؤمنين ولده وأهل بيته وخاصته وقواده وخدمه فبايعه الكل مطيعين مسارعين عالمين بايثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى في ولده وغيره ممن هو أشبك رحماً وأقرب قرابة وسماه الرضا إذ كان مرضياً عند الله تعالى وعند الناس وقد آثر طاعة الله تعالى والنظر لنفسه وللمسلمين والحمد لله رب العالمين كتبه بيده في يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان المعظم سنة إحدى ومائتين (وصورة ما على ظهر العهد)

مكتوباً بخط الإمام علي بن موسى الرضا بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الفعال لما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وصلاته على نبيه محمد ﷺ خاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين أقول وأنا علي بن موسى بن جعفر إن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد ووفقه للرشاد عرف من حقنا ما جهله غيره فوصل أرحاماً قطعت وأمن نفوساً فزعت بل أحياها بعد أن كانت من الحياة أيست فأغناها بعد فقرها وعرفها بعد نكرها مبتغياً بذلك رضا رب العالمين لا يريد جزاء من غيره وسيجزي الله الشاكرين ولا يضيع أجر المحسنين وأنه جعل إلى عهده والإمرة الكبرى إن بقيت بعده فمن حل عقدة أمر الله بشدها أو فصم عروة أحب الله اتساقها فقد أباح حريمه وأحل محرمه إذ كان بذلك زاريا على الإمام منتهكاً حرمة الإسلام، وخوفاً من شتات الدين واضطراب أمر المسلمين وحذر فرصة تنتهز وعلقة تبتدر جعلت لله تعالى على نفسي عهداً إن استرعاني أمر المسلمين وقلدني خلافة العمل فيهم عامة وفي بني العباس بن عبد المطلب خاصة أن أعمل فيهم بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ولا أسفك دماً ولا أبيح فرجاً ولا مالاً إلا ما سفكته حدوده وأباحته فرائضه وأن أتحرى الكفاة جهدي وطاقتي وجعلت بذلك على نفسي عهداً مؤكداً يسألني الله عنه فانه عز وجل يقول: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾[1] وان أحدثت أو غيرت أو بدلت كنت للعزل مستحقاً وللنكال متعرضاً وأعوذ بالله من سخطه وإليه أرغب في التوفيق لطاعته والحول بيني وبين معصيته في عافية وللمسلمين والجامعة والجفر يدلان على ضد ذلك وما أدري ما يفعل الله بي ولا بكم إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين لكني امتثلت أمر أمير المؤمنين وآثرت رضاه والله تعالى يعصمني وإياه وأشهدت الله تعالى على نفسي بذلك وكفى بالله شهيداً وكتبت بخطي بحضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه والحاضرين من أولياء نعمته وخواص دولته هم الفضل بن سهل وسهل بن الفضل والقاضي يحيى بن أكثم وعبد الله بن طاهر وثمامة بن الأشرس وبشر بن المعتمر وحماد بن النعمان وذلك في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين (صورة رقم شهادة القاضي يحيى بن أكثم) شهد يحيى بن

---

(١) سورة الإسراء ٣٤.

أكثم على مضمون هذا المكتوب ظهره وبطنه وهو يسأل الله تعالى أن يعرف أمير المؤمنين وكافة المسلمين بركة هذا العهد والميثاق وكتب بخطه في التاريخ المبين فيه. (صورة رقم شهادة عبد الله بن طاهر) أثبت شهادته فيه بتاريخه عبد الله بن طاهر. (صورة رقم شهادة حماد شهد حماد بن النعمان بمضمونه ظهراً وبطناً وكتبه بيده في تاريخه. (صورة شهادة ابن المعتمر) شهد بمثل ذلك بشر بن المعتمر وعلى الجانب الأيسر بخط الفضل بن سهل رسم أمير المؤمنين بقراءة هذه الصحيفة التي هي صحيفة العهد والميثاق ظهراً وبطناً بحرم سيدنا رسول الله ﷺ بين الروضة والمنبر على رؤوس الأشهاد بمرأى ومسمع من وجوه بني هاشم وسائر الأولياء والأجناد بعد أخذ البيعة عليهم واستيفاء شروطها بما أوجبه أمير المؤمنين من العهد لعلي بن موسى الرضا لتقوم به الحجة على جميع المسلمين ولتبطل الشبهة التي كانت اعترضت لآراء الجاهلين وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه (وزوّجه المأمون) ابنته أم حبيب في أول سنة اثنتين ومائتين والمأمون متوجه إلى العراق.

(حكي) أن المأمون وجد في يوم عيد انحراف مزاج أحدث عنده ثقلاً عن الخروج إلى الصلاة فقال لأبي الحسن علي الرضا قم يا أبا الحسن فاركب وصل بالناس العيد فامتنع وقال قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط فاعفني من الصلاة فقال المأمون إنما أريد أن أنوه بذكرك ويشتهر أمرك بأنك ولي عهدي والخليفة من بعدي وألح عليه في ذلك فقال له الرضا ان أعفيتني من ذلك كان أحب إلي وإن أبيت إلا أن أخرج للصلاة فانما أخرج للصلاة على الصفة التي كان النبي ﷺ يخرج عليها فقال المأمون افعل كيفما أردت وأمر المأمون القواد والجند وأعيان دولته بالركوب في خدمته إلى المصلى فركب الناس إلى بيته وحضر القراء والمؤذنون والمكبرون إلى بابه ينتظرون أن يخرج فخرج إليهم الرضا وقد اغتسل ولبس أفخر ثيابه وتعمم بعمامة وألقى طرفاً منها على عاتقه ومس طيباً وأخذ عكازاً في يده وخرج ماشياً ولم يركب وقال لمواليه وأتباعه افعلوا كما فعلت ففعلوا كفعله وساروا بين يديه عند شروق الشمس رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير فلما رآه القواد والجند على تلك الحالة لم يسعهم إلا أن نزلوا عن خيولهم ومراكبهم.

وساروا بين يديه وتركوا دوابهم مع غلمانهم خلف الناس وكان كلما كبر الرضا كبر الناس بتكبيره وكلما هلل هللوا بتهليله وهم سائرون بين يديه حتى خيل للناس أن الحيطان والجدران تجاوبهم بالتكبير والتهليل وارتفع البكاء والصراخ فبلغ ذلك المأمون فقال له الفضل إن بلغ الرضا المصلى افتتن به الناس وخفنا على دمائنا وأرواحنا وعليك في نفسك فابعث إليه ورده فبعث إليه المأمون قد كلفناك يا أبا الحسن ولا نحب أن تلحقك مشقة ارجع إلى بيتك ويصلي بالناس من كان يصلي بهم من قبل فرجع علي إلى بيته وركب المأمون فصلى بالناس اهـ من الفصول المهمة. (فائدة) قال المأمون لعلي الرضا رضي الله عنه أنشدنا أحسن ما رويت في السكوت عن الجاهل وعتاب الصديق فقال:

إني ليهجرني الصديق تجنبا	فأرى بأن لهجره أسبابا
وأراه ان عاتبته أغريته	فأرى له ترك العتاب عتابا
فإذا بليت بجاهل متحكم	يجد الأمور من المحال صوابا
أوليته مني السكوت وربما	كان السكوت عن الجواب جوابا

اهـ (من درر الأصداف)

(كرامات): الأولى لما جعله المأمون ولي عهده وأقامه خليفة بعده كان في حاشية المأمون أناس كرهوا ذلك وخافوا على خروج الخلافة من بني العباس وعودها لبني فاطمة فحصل عندهم من علي الرضا بن موسى نفور وكان عادة الرضا إذا جاء إلى دار المأمون ليدخل بادر من بالدهليز من الحجاب وأهل النوبة من الخدم والحشم بالقيام له والسلام عليه ويرفعون له الستر حتى يدخل فلما حصلت لهم هذه النفرة وتفاوضوا في أمر هذه القصة ودخل في قلوبهم منها شيء قالوا فيما بينهم إذا جاء يدخل على الخليفة بعد اليوم نعرض عنه ولا نرفع له الستر واتفقوا على ذلك فبينما هم جلوس إذ جاء علي الرضا على جاري عادته فلم يملكوا أنفسهم أن قاموا وسلموا عليه ورفعوا الستر على عادتهم فلما دخل أقبل بعضهم على بعض يتلاومون لكونهم ما فعلوا ما اتفقوا عليه وقالوا الكرة الآتية إذا جاء لا نرفعه فلما كان في اليوم الثاني وجاء الرضا على عادته قاموا وسلموا عليه ولم يرفعوا

الستر فجاءت ريح شديدة فرفعت الستر أكثر مما كانوا يرفعونه فدخل ثم عند خروجه جاءت ريح من الجانب الآخر فرفعته له وخرج فأقبل بعضهم على بعض وقالوا إن لهذا الرجل عند الله منزلة وله منه عناية انظروا إلى الريح كيف جاءت ورفعت له الستر عند دخوله وعند خروجه من الجهتين ارجعوا إلى ما كنتم عليه من خدمته فهو خير لكم. (الثانية) من كتاب أعلام الورى للطوسي قال روى الحاكم أبو عبد الله الحافظ باسناده عن محمد بن عيسى عن أبي حبيب قال رأيت النبي ﷺ في المنام وكان قد وافى المسجد الذي كان ينزله الحجاج من بلدنا في كل سنة وكأني مضيت إليه وسلمت عليه ووقفت بين يديه فوجدته وعنده طبق من خوص المدينة فيه تمر صيحاني وكأنه قبض قبضة من ذلك التمر فناولنيها فعددتها فوجدتها ثماني عشرة تمرة فتأولت أني أعيش بكل تمرة سنة فلما كان بعد عشرين يوماً وأنا في أرض لي تعمر للزراعة إذ جاءني من أخبرني بقدوم أبي الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم ونزوله بذلك المسجد ورأيت الناس يسعون له من كل جهة يسلمون عليه فمضيت نحوه فاذا هو جالس في الموضع الذي رأيت النبي ﷺ جالساً فيه وتحته حصير مثل الحصير الذي كان تحته ﷺ وبين يديه طبق من خوص المدينة وفيه تمر صيحاني فسلمت عليه فرد السلام واستدناني وناولني قبضة من ذلك التمر فعددتها فاذا هي بعدد ما ناولني رسول الله ﷺ في النوم ثمان عشرة تمرة فقلت زدني فقال لو زادك رسول الله ﷺ لزدتك. (الثالثة) روى الحاكم أيضاً باسناده عن سعيد بن سعيد أن أبا الحسن عليا الرضا نظر إلى رجل فقال يا عبد الله أوص بما تريد واستعد لما لا بد منه فمات الرجل بعد ثلاثة أيام. (الرابعة) عن صفوان بن يحيى قال لما مضى موسى الكاظم وظهر ولده من بعده علي الرضا خفنا عليه وقلنا له إنا نخاف عليك من هذا يعني هرون الرشيد قال ليجهدن جهده فلا سبيل له علي قال صفوان فحدثني ثقة أن يحيى بن خالد البرمكي قال لهرون الرشيد هذا علي بن موسى قد تقدم وادعى الأمر لنفسه فقال هرون يكفينا ما صنعنا بأبيه تريد أن نقتلهم جميعاً. (الخامسة) عن مسافر قال كنت مع أبي الحسن علي الرضا فمر يحيى بن خالد البرمكي وهو مغط وجهه بمنديل من الغبار

فقال الرضا مساكين هؤلاء لا يدرون ما يحل بهم في هذه السنة فكان من أمرهم ما كان قال وأعجب من هذا أنا وهرون كهاتين وضم إصبعه السبابة والوسطى قال مسافر فوالله ما عرفت معنى حديثه في هرون إلا بعد موت الرضا ودفنه إلى جانبه. (السادسة) عن الحسين بن يسار قال قال علي الرضا إن عبد الله يقتل محمداً فقلت عبد الله بن هرون يقتل محمد بن هرون؟ قال نعم عبد الله المأمون يقتل محمداً الأمين فكان كما قال: (السابعة) عن الحسين بن موسى قال كنا حول أبي الحسن علي الرضا بن موسى ونحن شباب من بني هاشم إذ مر علينا جعفر بن عمر العلوي وهو رث الهيئة فنظر بعضنا إلى بعض نظر مستزر لهيئته وحالته وقال الرضا سترونه عن قريب كثير المال كثير الخدم حسن الهيئة فما مضى إلا شهر واحد حتى ولي أمر المدينة وحسنت حالته وكان يمر بنا كثيراً وحوله الخدم والحشم يسيرون بين يديه فنقوم له ونعظمه وندعو له. (الثامنة) روي عن جعفر بن صالح قال أتيت الرضا فقلت امرأتي أخت محمد بن سنان وكان من خواص شيعتهم وبها حمل فادع الله أن يجعله ذكراً قال هما اثنان فوليت وقلت أسمي واحداً علياً والآخر محمداً فدعاني فأتيته فقال سم واحداً عليا والآخر أم عمرو فقدمت الكوفة فولدت غلاماً وجارية فسميت الذكر عليا والأنثى أم عمرو كما أمرني وقلت لأمي ما معنى أم عمرو قالت جدتك كانت تسمى أم عمرو. (التاسعة) عن حمزة بن جعفر الأرجاني قال خرج هرون الرشيد من المسجد الحرام من باب وخرج علي بن موسى الرضا من باب فقال الرضا وهو يعني هرون الرشيد يا بعد الدار وقرب الملتقى يا طوس ستجمعيني وإياه. (العاشرة) عن موسى بن عمران قال رأيت عليا الرضا بن موسى في مسجد المدينة وهرون الرشيد يخطب قال تروني واياه ندفن في بيت واحد.

(تتمة: في الكلام على وفاته وأولاده رضي الله عنه) عن هرثمة بن أعين وكان من خدم الخليفة عبد الله المأمون وكان قائماً بخدمة الرضا قال: طلبني سيدي أبو الحسن الرضا في يوم من الأيام وقال لي يا هرثمة إني مطلعك على أمر يكون سراً عندك لا تظهره لأحد مدة حياتي فان أظهرته حال حياتي كنت خصماً لك عند

الله فحلفت له أني لا أتفوه بما يقول لي لأحد مدة حياته فقال لي اعلم يا هرثمة أنه قد دنا رحيلي ولحوقي بآبائي وأجدادي وقد بلغ الكتاب أجله واني أطعم عنباً ورماناً مفتوتاً فأموت ويقصد الخليفة أن يجعل قبري خلف قبر أبيه هرون الرشيد وان الله يقدره على ذلك وأن الأرض تشتد عليهم فلا تعمل فيها المعاول ولا يستطيعون حفرها فاعلم يا هرثمة أن مدفني في الجهة الفلانية من اللحد الفلاني لموضع عينه لي فاذا أنا مت وجهزت فأعلمه بجميع ما قلت لك لتكونوا على بصيرة من أمري وقل له إذا أنا وضعت في نعشي وأرادوا الصلاة علي فلا يصل علي وليتأن قليلا يأتكم رجل عربي متلثم على ناقة له مسرع من جهة الصحراء فينيخ ناقته وينزل عنها فيصلي علي فصلوا معه علي فإذا فرغتم من الصلاة علي وحملت إلى مدفني الذي عينته لك فاحفر شيئاً يسيراً من وجه الأرض تجد قبراً مطبقاً معموراً في قعره ماء أبيض فاذا كشفت عنه الطبقات نضب الماء فهذا مدفني فادفنوني فيه الله الله يا هرثمة أن تخبر بهذا قال هرثمة فوالله ما طالت أيامه حتى أكل الرضا عند الخليفة عنباً ورماناً فمات (عن أبي الصلت الهروي) قال دخلت على الرضا وقد خرج من عند المأمون فقال يا أبا الصلت قد فعلوها وجعل يوحد الله ويمجده فأقام يومين ومات في اليوم الثالث قال هرثمة فدخلت على الخليفة المأمون لما بلغه موت أبي الحسن علي الرضا فوجدت المنديل بيده وهو يبكي عليه فقلت يا أمير المؤمنين ثم كلام أتأذن لي أن أقوله لك قال قل فقصصت القصة عليه التي قالها لي الرضا من أولها إلى آخرها فتعجب المأمون من ذلك ثم إنه أمر بتجهيزه وخرجنا بجنازته إلى المصلى وأخرنا الصلاة عليه قليلاً فاذا بالرجل العربي قد أقبل على بعيره من جهة الصحراء كما قال فنزل ولم يكلم أحداً فصلى عليه وصلى الناس معه وأمر الخليفة بطلب الرجل فلم يروا له أثراً ولا لبعيره ثم إن الخليفة قال نحفر له من خلف قبر الرشيد لننظر ما قاله لك فكانت الأرض أصلب من الصخر الصوان عجزوا عن حفرها فتعجب الحاضرون من ذلك وتبين للمأمون صدق ما قلته له فقال أرني الموضع الذي أشار اليه فجئت بهم اليه فما كان إلا أن انكشف التراب عن وجه الأرض فظهرت الطبقات فرفعناها فظهر قبر معمور فاذا في قعره ماء أبيض وأشرف

عليه المأمون وأبصره ثم إن ذلك الماء نضب من وقته فواريناه فيه ورددنا الطبقات على حالها والتراب ولم يزل الخليفة المأمون يتعجب مما رأى ومما سمعه مني ويتأسف عليه ويندم وكلما خلوت معه يقول لي يا هرثمة كيف قال لك أبو الحسن الرضا فأعيد عليه الحديث فيتلهف ويتأسف ويقول إنا لله وإنا إليه راجعون وكانت وفاته سنة ثلاث ومائتين في آخر صفر وقيل غير ذلك وله من العمر إذ ذاك خمس وخمسون سنة في قرية يقال لها سنا باد من رستاق من أعمال طوس من خراسان وقبره في قبل قبر هرون الرشيد (وأما أولاده) رضي الله عنه فقد قال ابن الخشاب في كتابه مواليد أهل البيت ولد الرضا خمسة بنين وابنة واحدة وهم محمد القانع والحسن وجعفر وإبراهيم والحسين والبنت اسمها عائشة.



فصل

في ذكر مناقب محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

أمه أم ولد يقال لها سكينة المريسية وكنيته أبو جعفر ككنية جده محمد الباقر (وألقابه كثيرة) الجواد والقانع والمرتضي وأشهرها الجواد (صفته) أبيض معتدل (شاعره) حماد (بوابه) عمر بن الفرات (نقش خاتمه) نعم القادر الله (معاصره) المأمون والمعتصم، ولد أبو جعفر محمد الجواد بالمدينة تاسع عشر شهر رمضان المعظم سنة خمس وتسعين ومائة من الهجرة قال صاحب كتاب مطالب السول في مناقب آل الرسول ﷺ هذا محمد أبو جعفر الثاني فإنه قد تقدم في آبائه أبو جعفر محمد الباقر بن علي فجاء هذا باسمه وكنيته واسم أبيه فعرف بأبي جعفر الثاني وإن كان صغير السن فهو كبير القدر رفيع الذكر ومناقبه رضي الله عنه كثيرة (نقل) غير واحد أن والده عليا الرضا لما توفي وقدم المأمون بغداد بعد وفاته بسنة اتفق أن المأمون خرج يوماً يتصيد فاجتاز بطريق البلد وثم صبيان يلعبون ومحمد الجواد واقف عندهم فلما أقبل المأمون فر الصبيان ووقف محمد وعمره إذ ذاك تسع سنين فلما قرب منه الخليفة نظر إليه فألقى الله على قلبه حبه فقال له يا غلام ما منعك من الانصراف كأصحابك؟ فقال له محمد مسرعاً يا أمير المؤمنين لم يكن بالطريق ضيق فأوسعه لك وليس لي جرم فأخشاك والظن بك حسن أنك لا تضر من لا ذنب له فأعجبه كلامه وحسن صورته فقال له ما اسمك واسم أبيك فقال محمد بن علي الرضا فترحم على ابيه وساق جواده إلى مقصده وكان معه بزاة الصيد فلما بعد عن العمران أرسل بازاً على دراجة فغاب عنه ثم عاد من الجو وفي منقاره سمكة صغيرة فيها بقايا الحياة فتعجب من ذلك غاية العجب ورجع فرأى الصبيان على حالهم ومحمد عندهم ففروا إلا محمداً فدنا منه وقال له يا محمد ما في

يدي فقال يا أمير المؤمنين إن الله تعالى خلق في بحر قدرته سمكاً صغاراً تصيده بازات الملوك والخلفاء كي يختبر بها سلالة بني المصطفى ﷺ كرامة له فقال له أنت ابن الرضا حقاً وأخذه معه وأحسن إليه وقربه وبالغ في إكرامه ولم يزل مشغوفاً به لما ظهر له بعد ذلك من فضله وعلمه وكمال عقله وظهور براهينه مع صغر سنه وعزم على تزويجه بابنته أم الفضل وصمم على ذلك فمنعه العباسيون من ذلك خوفاً من أن يعهد اليه كما عهد إلى أبيه فلما ذكر لهم أنه إنما اختاره لتميزه عن كافة أهل الفضل علماً ومعرفة وحلماً مع صغر سنه نازعوه في اتصاف محمد بذلك ثم تواعدوا على أن يرسلوا إليه من يختبره فأرسلوا إلى يحيى بن أكثم ووعدوه بشيء كثير إن قطع لهم محمداً وخجله فحضر الخليفة وخواص الدولة ومعهم يحيى بن أكثم فأمر المأمون بفراش حسن لمحمد فجلس عليه وسأله يحيى مسائل فأجاب عنها بأحسن جواب وأوضحه فقال له الخليفة أحسنت يا أبا جعفر فإن أردت أن تسأل يحيى ولو مسألة واحدة فقال يحيى يسأل فإن كان عندي جواب أجبت به وإلا استفدت الجواب والله أسأل أن يرشدني للصواب فقال له أبو جعفر محمد الجواد ما تقول في رجل نظر إلى امرأة في أول النهار بشهوة فكان نظره إليها حراماً عليه فلما ارتفع النهار حلت له فلما زالت الشمس حرمت عليه فلما كان وقت العصر حلت له فلما غربت الشمس حرمت عليه فلما دخل وقت العشاء الآخر حلت له فلما انتصف الليل حرمت عليه فلما طلع الفجر حلت له فبماذا حلت هذه المرأة لهذا الرجل وبماذا حرمت عليه في هذه الأوقات فقال يحيى بن أكثم لا أدري فإن رأيت أن تفيد الجواب فذلك فقال أبو جعفر هذه أمة لرجل نظر لها شخص في أول النهار بشهوة وذلك حرام عليه فلما ارتفع النهار ابتاعها من صاحبها فحلت له فلما كان وقت الظهر أعتقها فحرمت عليه فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه فلما كان وقت العشاء كفر عن الظهار فحلت له فلما كان نصف الليل طلقها طلقة واحدة فحرمت عليه فلما كان وقت الفجر راجعها فحلت له فأقبل المأمون على من حضر من أهل بيته فقال هل فيكم أحد يستحضر أن يجيب عن هذه المسئلة بمثل هذا الجواب فقالوا ذلك فضل الله يؤتيه

من يشاء فقال قد عرفتم الآن ما تنكرون وظهر في وجه القاضي يحيى الخجل والتغير وعرف ذلك كل من بالمجلس فقال المأمون الحمد لله على ما من به عليّ من السداد في الأمر والتوفيق في الرأي وأقبل على أبي جعفر وقال إني مزوّجك ابنتي أم الفضل وإن رغم لذلك أنوف قوم فاخطب لنفسك فقد رضيتك لنفسي وابنتي فقال أبو جعفر: الحمد لله إقراراً بنعمته ولا إله إلا الله إخلاصاً بوحدانيته وصلى الله على سيدنا محمد سيد بريته والأصفياء من عترته؛ أما بعد فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام فقال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.[1] ثم إن محمد بن علي بن موسى خطب إلى أمير المؤمنين عبد الله المأمون ابنته أم الفضل وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت رسول الله ﷺ وله خمسمائة درهم جياد فهل زوّجتني يا أمير المؤمنين إياها على هذا الصداق فقال المأمون زوّجتك ابنتي أم الفضل على هذا الصداق المذكور فقال أبو جعفر قبلت نكاحها لنفسي على هذا الصداق المذكور (قال) الرمالي وأخرج الخدم مثل السفينة من الفضة مطلية بالذهب فيها الغالية مضروبة بأنواع الطيب والماورد والمسك فتطيب منها الحاضرون على قدر منازلهم ثم وضعت موائد الحلواء فأكل الحاضرون وفرقت عليهم الجوائز على قدر رتبتهم ثم انصرف الناس وتقدم المأمون بالصدقة على الفقراء والمساكين وأهل الأربطة والخوانيق والمدارس ولم يزل عنده محمد الجواد معظماً مكرماً إلى أن توجه بزوجته أم الفضل إلى المدينة الشريفة (روي) أن أم الفضل بعد توجهها مع زوجها إلى المدينة كتبت إلى أبيها المأمون تشكو أبا جعفر وتقول إنه يتسرى عليّ فكتب إليها أبوها يقول يا بنية إنا لم نزوّجك أبا جعفر لتحرمي عليه حلالاً فلا تعاوديني بذكر شيء مما ذكرت.

(كرامتان): الأولى عن أبي خالد قال كنت بالعسكر فبلغني أن هناك رجلاً محبوساً أتي به من الشام مكبلاً بالحديد وقالوا إنه تنبأ قال فأتيت باب السجن ودفعت شيئاً للسجان حتى دخلت عليه فإذا برجل ذو فهم وعقل ولب فقلت يا هذا ما قصتك؟ فقال إني كنت رجلاً بالشام أعبد الله تعالى في الموضع الذي يقال

(١) سورة النور ٣٢.

إنه نصب فيه رأس الحسين فبينا أنا ذات ليلة في موضعي مقبلاً على المحراب أذكر الله تعالى إذ رأيت شخصاً بين يدي فنظرت إليه فقال لي قم فقمت معه فمشى قليلاً فإذا أنا في مسجد الكوفة فقال لي تعرف هذا المسجد فقلت نعم هذا مسجد الكوفة قال فصلِّ فصليت معه ثم انصرف فانصرفت معه قليلاً فإذا نحن بمكة المشرفة فطاف بالبيت فطفت معه ثم خرج فخرجت معه فمشى قليلاً فإذا أنا بموضعي الذي كنت فيه أعبد الله تعالى بالشام ثم غاب عني فبقيت متعجباً حولاً مما رأيت فلما كان العام المقبل إذ ذاك الشخص قد أقبل عليّ فاستبشرت به فدعاني فأجبت ففعل معي كما فعل بالعام الماضي فلما أراد مفارقتي قلت له بحق الذي أقدرك على ما رأيت منك إلا ما أخبرتني من أنت؟ فقال أنا محمد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر فحدثت بعض من كان يجتمع بي في ذلك الموضع فرفع ذلك إلى محمد ابن عبد الملك الزيات فبعث إليّ من أخذني من موضعي وكبلني بالحديد وحملني إلى العراق وحبسني كما ترى وادعى علي بالمحال فقلت له أفأرفع قصتك إلى محمد ابن عبد الملك الزيات قال افعل فكتبت عنه قصته وشرحت فيها أمره ورفعتها إلى محمد بن عبد الملك فوقع على ظهرها قل للذي أخرجك من الشام إلى هذه المواضع التي ذكرتها يخرجك من السجن قال أبو خالد فاغتممت لذلك وسقط في يدي وقلت إلى غد آتيه وآمره بالصبر وأعده من الله الفرج وأخبره بمقالة هذا الرجل المتجبر فلما كان من الغد قال باكرت إلى السجن فإذا أنا بالحرس والموكلين بالسجن في هرج فسألت ما الخبر؟ فقيل لي إن الرجل المتنبىء المحمول من الشام فقد البارحة من السجن وحده بمفرده وأصبحت قيوده والأغلال التي كانت في عنقه مرماة في السجن لا ندري كيف خلص منها؟ وطلب فلم يوجد له أثر ولا خبر ولا يدرون أنزل في الأرض أم عرج به إلى السماء فتعجبت من ذلك وقلت في نفسي استخفاف ابن الزيات بأمره واستهزاؤه بقصته خلصه من السجن كذا نقله ابن الصباغ (الثانية) نقل بعض الحفاظ أن امرأة زعمت أنها شريفة بحضرة المتوكل فسأل عمن يخبره بذلك فدل على محمد الجواد فأرسل إليه فجاء فأجلسه معه على سريره وسأله فقال إن الله حرم لحم أولاد الحسين على السباع فتلقى

للسباع فعرض عليها ذلك فاعترفت المرأة بكذبها ثم قيل للمتوكل ألا تجرب ذلك فيه فأمر بثلاثة من السباع فجيء بها في صحن قصره ثم دعا به فلما دخل من الباب أغلقه والسباع قد أصمت الأسماع من زئيرها فلما مشى في الصحن يريد الدرجة مشت إليه وقد سكنت فتمسحت به ودارت حوله وهو يمسحها بكمه ثم ربضت فصعد للمتوكل فتحدث معه ساعة ثم نزل ففعلت معه كفعلها الأول حتى خرج فاتبعه المتوكل بجائزة عظيمة وقيل للمتوكل افعل كما فعل ابن عمك فلم يجسر عليه وقال تريدون قتلي ثم أمرهم أن لا يفشوا ذلك انتهى لكن نقل المسعودي أن صاحب هذه القصة علي أبو الحسن العسكري ولده وهو وجيه لأن المتوكل لم يكن معاصراً لمحمد الجواد بل لولده (الثالثة) حكي أنه لما توجه أبو جعفر محمد الجواد إلى المدينة الشريفة خرج معه الناس يشيعونه للوداع فسار إلى أن وصل إلى باب الكوفة عند دار المسيب فنزل هناك مع غروب الشمس ودخل إلى مسجد قديم مؤسس بذلك الموضع ليصلي فيه المغرب وكان في صحن المسجد شجرة نبق لم تحمل قط فدعا بكوز فيه ماء فتوضأ في أصل الشجرة وقام ليصلي فصلى معه الناس المغرب ثم تنفل بأربع ركعات وسجد بعدهن للشكر ثم قام فودع الناس وانصرف فأصبحت النبقة وقد حملت من ليلتها حملاً حسناً فرآها الناس وقد تعجبوا من ذلك غاية العجب.

(تتمة: في الكلام على وفاته وأولاده وذكر شيء من كلامه رضي الله عنه)

توفي أبو جعفر محمد الجواد ببغداد وكان سبب وصوله إليها إشخاص المعتصم له من المدينة فقدم بغداد ومعه زوجته أم الفضل بنت المأمون لليلتين بقيتا من المحرم سنة عشرين ومائتين وكانت وفاته في آخر ذي القعدة من السنة المذكورة ودفن في مقابر قريش في قبر جده أبي الحسن موسى الكاظم ودخلت امرأته أم الفضل إلى قصر المعتصم وكان له من العمر يومئذ خمس وعشرون سنة ويقال إنه مات مسموماً يقال إن أم الفضل بنت المأمون سقته بأمر أبيها **(وخلف)** من الولد علياً وموسى وفاطمة وأمامة (ومن **كلامه** رضي الله عنه كما في الفصول المهمة) إن لله عباداً يخصهم بدوام النعم فلا تزال فيهم ما بذلوها فإن منعوها نزعها الله عنهم

وحولها إلى غيرهم (وقال رضي الله عنه) ما عظمت نعمة الله على أحد إلا عظمت اليه حوائج الناس فمن لم يتحمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال (وقال رضي الله عنه) أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه لأن لهم أجره وفخره وذكره فمها اصطنع الرجل من معروف فإنما يبتدىء فيه بنفسه (وقال رضي الله عنه) من أجلّ إنسانا هابه ومن جهل شيئاً عابه والفرصة خلسة ومن كثر همه سقم جسمه وعنوان صحيفة المسلم حسن خلقه، وفي موضع آخر عنوان صحيفة المسلم السعيد حسن الثناء عليه (وقال) من استغنى بالله افتقر الناس اليه. ومن اتقى الله أحبه الناس (وقال) الجمال في اللسان والكمال في العقل (وقال) العفاف زينة الفقر، والشكر زينة البلاء، والتواضع زينة الحسب، والفصاحة زينة الكلام، والحفظ زينة الرواية، وخفض الجناح زينة العلم، وحسن الأدب زينة الورع، وبسط الوجه زينة القناعة، وترك ما لا يعني زينة الورع (وقال رضي الله عنه) حسب المرء من كمال المروءة أن لا يلقى أحداً بما يكره، ومن حسن خلق الرجل كفه أذاه، ومن سخائه بره بمن يجب حقه عليه، ومن كرمه إيثاره على نفسه، ومن إنصافه قبول الحق إذا بان له، ومن نصحه نهيه عما لا يرضاه لنفسه، ومن حفظه لجوارك تركه توبيخك عند ذنب أصابك مع علمه بعيوبك، ومن رفقه تركه عذلك بحضرة من تكره، ومن حسن صحبته لك إسقاطه عنك مؤنة التحفظ، ومن علامة صداقته كثرة موافقته وقلة مخالفته، ومن شكره معرفة إحسان من أحسن إليه، ومن تواضعه معرفته بقدره، ومن سلامته قلة حفظه لعيوب غيره وعنايته بصلاح عيوبه (وقال رضي الله عنه) العامل بالظلم والمعين عليه والراضي به شركاء (وقال رضي الله عنه) من أخطأ وجوه المطالب خذلته الحيل والطامع في وثاق الذل، ومن طلب البقاء فليعد للمصائب قلباً صبوراً (وقال رضي الله عنه) العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم (وقال رضي الله عنه) الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت (وعنه رضي الله عنه) ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله: كثرة الاستغفار ولين الجانب وكثرة الصدقة، وثلاث من كن فيه لم يندم: ترك العجلة والمشورة والتوكل على الله عند العزم (وقال رضي الله عنه) لو

سكت الجاهل ما اختلف الناس (وقال رضي الله عنه) مقتل الرجل بين فكيه والرأي مع الأناة وبئس الظهير الرأي الفطير (وقال رضي الله عنه) ثلاث خصال تجتلب بهن المودة الإنصاف في المعاشرة والمواساة في الشدة والانطواء على قلب سليم (وقال رضي الله عنه) الناس أشكال وكل يعمل على شاكلته والناس إخوان فمن كانت أخوته في غير ذات الله فإنها تعود عداوة وذلك قوله تعالى: ﴿ الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾[1] (وقال) من استحسن قبيحاً كان شريكاً فيه (وقال رضي الله عنه) كفر النعمة داعية المقت، ومن جازاك بالشكر فقد أعطاك أكثر مما أخذ منك (وقال رضي الله عنه) لا تفسد الظن على صديق قد أصلحك اليقين له، ومن وعظ أخاه سراً فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه (وقال) لا يزال العقل والحق يتغالبان على الرجل إلى أن يبلغ ثماني عشرة سنة فإذا بلغها غلب عليه أكثرها فيه، وما أنعم الله عز وجل على عبد نعمة فعلم أنها من الله إلا كتب الله على اسمه شكرها له قبل أن يحمده عليها، ولا أذنب عبد ذنباً فعلم أن الله مطلع عليه وأنه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له إلا غفر له قبل أن يستغفره (وقال رضي الله عنه) الشريف كل الشريف من شرفه علمه والسودد كل السودد لمن اتقى الله ربه (وقال) لا تعاجلوا الأمر قبل بلوغه فتندموا ولا يطولن عليكم الأمل فتقسو قلوبكم وارحموا ضعفاءكم واطلبوا الرحمة من الله بالرحمة منكم (وقال رضي الله عنه) من أمل فاجراً كان أدنى عقوبته الحرمان (وقال) موت الانسان بالذنوب أكبر من موته بالأجل وحياته بالبركة أكبر من حياته بالعمر (وقال رضي الله عنه) من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة، وعنه: لو كانت السموات والأرض رتقاً على عبد ثم اتقى الله تعالى لجعل الله له منها مخرجاً (وعنه) أنه قال لبشر بن سعد لما قدم مصر يا بشر إن للمحن أخريات لا بد أن تنتهي إليها فيجب على العاقل أن ينام لها إلى إدبارها فإن مكابدتها بالحيلة عند إقبالها زيادة فيها (وعنه) من وثق بالله وتوكل على الله نجاه الله من كل سوء وحرز من كل عدو، والدين عز، والعلم كنز، والصمت نور، وغاية الزهد الورع، ولا هدم للدين

---

(1) سورة الزخرف ٦٧.

مثل البدع ، ولا أفسد للرجال من الطمع ، وبالراعي تصلح الرعية ، وبالدعاء تصرف البلية ، ومن ركب مركب الصبر اهتدى إلى مضمار النصر ، ومن غرس أشجار التقى اجتنى ثمار المنى. وفي هذا القدر كفاية وفقنا الله للعمل المرضي والمسلمين بجاه سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ .



فصل

في ذكر مناقب سيدنا علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

قال ابن الخشاب في كتابه مواليد أهل البيت .(ولد) أبو الحسن علي الهادي بالمدينة في رجب سنة أربع عشرة ومائتين للهجرة (وأمه) أم ولد يقال لها سمانة المغربية وقيل غير ذلك (وكنيته) أبو الحسن لا غير .(وألقابه) الهادي والمتوكل والناصح والمتقي والمرتضى والفقيه والأمين والطيب وأشهرها الهادي وكان ينهي أصحابه عن تلقيبه بالمتوكل لكونه لقباً للخليفة جعفر المتوكل بن المعتصم (صفته) أسمر اللون (شاعراه) العوفي والديلمي (بوابه) عثمان بن سعيد (نقش خاتمه) الله ربي وهو عصمتي من خلقه (معاصره) الواثق ثم المتوكل ثم أخوه ثم ابنه المنتصر ثم المستعين ابن أخي المتوكل/(ومناقبه) رضي الله عنه كثيرة قال في الصواعق كان أبو الحسن العسكري وارث أبيه علماً ومنحاً ، وفي حياة الحيوان سمي العسكري لأن المتوكل لما كثرت السعاية فيه عنده أحضره من المدينة وأقره بسر من رأى على صيغة المبني للمفعول وتسمى العسكر لأن المعتصم لما بناها انتقل اليها بعسكره فقيل لها العسكر . وفي تاريخ القرماني ما نصه : سر من رأى هي سامرا وهي مدينة عظيمة كانت على شرقي دجلة بين تكريت وبغداد بناها المعتصم سنة إحدى وعشرين ومائتين وسكن بها بجنوده حتى صارت أعظم بلاد الله وهي اليوم خراب وبها أناس قلائل كالقرية انتهى (نقل) غير واحد أن أبا الحسن عليا العسكري خرج يوماً من سر من رأى إلى قرية لمهمّ فجاء رجل من بعض الأعراب يطلبه في داره فلم يجده وقيل له إنه ذهب إلى الموضع الفلاني فقصد إلى ذلك الموضع فلما وصل إليه قال له ما حاجتك فقال له أنا رجل من أعراب الكوفة المستمسكين

بولاء جدك علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد ارتكبتني الديون وأثقلت ظهري بحملها ولم أر من أقصده لقضائها فقال له أبو الحسن كم دينك فقال نحو عشرة آلاف درهم فقال طب نفساً وقر عيناً يقضى دينك إن شاء الله تعالى ثم أنزله فلما أصبح قال يا أخا العرب أريد منك حاجة لا تعصيني فيها ولا تخالفني والله الله فيما آمرك به وحاجتك تقضى إن شاء الله تعالى فقال الأعرابي لا أخالفك في شيء مما تأمرني به فأخذ أبو الحسن ورقة وكتب فيها بخطه ديناً عليه للأعرابي بالمبلغ المذكور وقال له خذ هذا الخط معك فإذا حضرت إلى سر من رأى فتراني أجلس مجلساً عاماً فإذا حضر الناس واحتفل المجلس فتعال إلي بالخط وطالبني وأغلظ عليّ في القول والطلب ولا عليك والله الله ان تخالفني في شيء مما أوصيتك به فلما وصل أبو الحسن إلى سر من رأى جلس مجلساً عاماً وحضره جماعة من وجوه الناس وأصحاب الخليفة المتوكل فجاء الأعرابي وأخرج الورقة وطالبه بالمبلغ وأغلظ عليه في الكلام فجعل أبو الحسن يعتذر له ويطيب نفسه بالقول ويعده بالخلاص وكذلك الحاضرون وطلب منه المهلة ثلاثة أيام فلما انفك المجلس نقل ذلك للخليفة المتوكل فأمر لأبي الحسن على الفور بثلاثين ألف درهم فلما حملت إليه تركها إلى أن جاء الأعرابي فقال له خذها جميعها فقال الأعرابي يا ابن رسول الله والله إن العشرة بلوغ مطلبي ونهاية أربي فقال أبو الحسن والله لتأخذن ذلك جميعه وهو رزقك ساقه الله لك ولو كان أكثر من ذلك ما نقصناه فأخذ الأعرابي الثلاثين ألف درهم وانصرف وهو يقول: «الله أعلم حيث يجعل رسالته».

(كرامة) عن الأسباطي قال قدمت على أبي الحسن علي بن محمد المدينة الشريفة من العراق فقال لي ما خبر الواثق عندك فقلت خلفته في عافية وأنا من أقرب الناس به عهداً وهذا مقدمي من عنده وتركته صحيحاً فقال إن الناس يقولون إنه قد مات فلما قال لي إن الناس يقولون إنه قد مات فهمت أنه يعني نفسه فسكت ثم قال ما فعل ابن الزيات قلت الناس معه والأمر أمره فقال أما إنه شؤم عليه ثم قال لا بد أن تجري مقادير الله وأحكامه يا جبران مات الواثق وجلس جعفر المتوكل وقتل ابن الزيات فقلت متى قال بعد مخرجك بستة أيام فما كان إلا

أيام قلائل حتى جاء قاصد المتوكل إلى المدينة فكان كما قال (حكي) أن سبب شخوص أبي الحسن علي بن محمد من المدينة إلى سر من رأى أن عبد الله بن محمد كان ينوب عن الخليفة المتوكل في الحرب والصلاة بالمدينة فسعي بأبي الحسن إلى المتوكل وكان يقصده بالأذى فبلغ أبا الحسن سعايته إلى المتوكل فكتب إلى المتوكل يذكر تحامل عبد الله بن محمد عليه وقصده له بالأذى فكتب إليه المتوكل كتاباً يعتذر له فيه ويلين له القول ودعاه فيه إلى الحضور إليه على حيل من القول والفعل، ولما وصل الكتاب إلى أبي الحسن تجهز للرحيل وخرج وخرج معه يحيى ابن هرثمة بن أعين مولى أمير المؤمنين ومن معه من الجند حافين به إلى أن وصل إلى سر من رأى فنزل في خان يعرف بخان الصعاليك فأقام فيه يومه، ثم إن المتوكل أفرد له داراً حسنة وأنزله بها فأقام أبو الحسن مدة مقامه بسر من رأى مكرماً معظماً مبجلاً في ظاهر الحال والمتوكل يتتبع له الغوائل في باطن الأمر فلم يقدره الله تعالى عليه (وفي) تاريخ ابن خلكان وغيره أنه سعي به إلى المتوكل بأن في منزله سلاحاً وكتباً من شيعته وأنه يطلب الأمر لنفسه فبعث إليه جماعته فهجموا على منزله فوجدوه على الأرض مستقبلاً القبلة يقرأ القرآن فحملوه على حاله إلى المتوكل والمتوكل يشرب فأعظمه وأجله وقال له أنشدني فقال له إني قليل الرواية للشعر فقال لا بدّ فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم	غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا بعد عز من معاقلهم	وأودعوا حفراً يا بئسما نزلوا
ناداهمو صارخ من بعد ما رحلوا	أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت محجبة	من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم	تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
يا طالما أكلوا يوماً وما شربوا	فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أكلوا

قال فبكى المتوكل والحاضرون وقال له المتوكل يا أبا الحسن هل عليك دين؟ قال نعم أربعة آلاف درهم فأمر له بها وصرفه معظماً مكرماً؛ وهذه الأبيات من

قصيدة وجدت على قصر سيف بن ذي يزن الحميري وكان يسمى عمدان وكان سيف من الملوك العادلة وكانت مكتوبة بالقلم المسند فعربت فإذا هي أبيات جليلة وموعظة بليغة وأولها :

أنظر ماذا ترى أيها الرجل ... وكن على حذر من قبل تنتقل
وقدم الزاد من خير تسر به ... فكل ساكن دار سوف يرتحل
وانظر إلى معشر باتوا على دعة ... فأصبحوا في الثرى رهناً بما عملوا
بنوا فلم ينفع البنيان وادخروا ... مالاً فلم يغنهم لما انقضى الأجل
باتوا على قلل الأجبال تحرسهم

الأبيات اهـ، ووجد مكتوباً على قصره أيضاً هذه الأبيات الثلاثة وهي :

من كان لا يطأ التراب برجله ... وطىء التراب بصفحة الخد
من كان بينك في التراب وبينه ... شبران كان بغاية البعد
لو بعثر الناس الثري ورأوهم ... لم يعرفوا المولى من العبد

اهـ من الكنز المدفون.

(تتمة في الكلام على وفاته وأولاده رضي الله عنه) توفي أبو الحسن علي الهادي المعروف بالعسكري بن محمد الجواد بسر من رأى وله من العمر أربعون سنة يوم الاثنين لخمس ليال بقيت من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين ودفن في داره بسر من رأى ويقال إنه مات مسموماً والله اعلم (وأولاده) محمد والحسن ومحمد أبو جعفر وله ابنة اسمها عائشة.

فصل

في ذكر مناقب الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

أمه أم ولد يقال لها حديث وقيل سوسن (وكنيته) أبو محمد (وألقابه) الخالص والسراج والعسكري (صفته) بين السمرة والبياض (شاعره) ابن الرومي (بوابه) عثمان بن سعد (نقش خاتمه) سبحان من له مقاليد السموات والأرض (معاصره) المعتز والمهتدي والمعتمد (ولد) أبو محمد الخالص بالمدينة لثمان خلت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين من الهجرة/(ومناقبه) رضي الله عنه كثيرة؛ ففي درر الأصداف وقع للبهلول معه أنه رآه وهو صبي يبكي والصبيان يلعبون فظن أنه يتحسر على ما بأيديهم فقال له أشتري لك ما تلعب به؟ فقال يا قليل العقل ما للعب خلقنا فقال له فلماذا خلقنا؟ قال للعلم والعبادة فقال له من أين لك ذلك؟ فقال من قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[1]. ثم سأله أن يعظه فوعظه بأبيات ثم خر الحسن رضي الله عنه مغشياً عليه فلما أفاق قال له ما نزل بك وأنت صغير ولا ذنب لك؟ فقال إليك عني يا بهلول إني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار فلا تتقد إلا بالصغار وإني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم اهـ.

(كرامات): الأولى هي جامعة الكرامات حدث أبو هاشم داود بن قاسم الجعفري قال كنت في الحبس الذي فيه الجوسق أنا والحسن بن محمد ومحمد بن إبراهيم العمري وفلان وفلان خمسة أو ستة إذ دخل علينا أبو محمد الحسن بن علي العسكري وأخوه جعفر فحففنا بأبي محمد وكان المتولي للحبس صالح بن

---

(١) سورة المؤمنون ١١٥.

يوسف الحاجب وكان معنا في الحبس رجل أعجمي فالتفت إلينا أبو محمد وقال لنا سراً لولا أن هذا الرجل فيكم لأخبرتكم متى يفرج الله عنكم وهذا الرجل قد كتب فيكم قصة إلى الخليفة يخبره فيها بما تقولون فيه وهي معه في ثيابه يريد الحيلة في إيصالها إلى الخليفة من حيث لا تعلمون فاحذروا شره قال أبو هاشم فما تمالكنا أن تحاملنا جميعاً على الرجل ففتشناه فوجدنا القصة مدسوسة معه في ثيابه وهو يذكرنا فيها بكل سوء فأخذناها منه وحذرناه وكان الحسن يصوم في السجن فإذا أفطر أكلنا معه من طعامه قال أبو هاشم فكنت أصوم معه فلما كان ذات يوم ضعفت عن الصوم فأمرت غلامي فجاء لي بكعك فذهبت إلى مكان خال في الحبس فأكلت وشربت ثم عدت إلى مجلسي مع الجماعة ولم يشعر بي أحد فلما رآني تبسم وقال أفطرت فخجلت فقال لا عليك يا ابا هاشم إذا رأيت أنك قد ضعفت وأردت القوة فكل اللحم فإن الكعك لا قوة فيه وقال عزمت عليك أن تفطر ثلاثاً فإن البنية إذا أنهكها الصوم لا تتقوى إلا بعد ثلاث قال أبو هاشم ثم لم تطل مدة أبي محمد الحسن بن علي في الحبس بسبب أن قحط الناس بسر من رأى قحطاً شديداً فأمر الخليفة المعتمد على الله بن المتوكل بخروج الناس إلى الاستسقاء فخرجوا ثلاثة أيام يستسقون فلم يسقوا فخرج الجاثليق في اليوم الرابع إلى الصحراء وخرج معه النصارى والرهبان وكان فيهم راهب كلما مد يده إلى السماء هطلت بالمطر ثم خرجوا في اليوم الثاني وفعلوا كفعلهم أول يوم فهطلت السماء بالمطر فعجب الناس من ذلك وداخل بعضهم الشك وصبأ بعضهم إلى دين النصرانية فشق ذلك على الخليفة فأنفذ إلى صالح بن يوسف أن أخرج أبا محمد الحسن من الحبس وائتني به فلما حضر أبو محمد الحسن عند الخليفة قال له أدرك أمة محمد ﷺ فيما لحقهم من هذه النازلة العظيمة فقال أبو محمد دعهم يخرجون غداً اليوم الثالث فقال له قد استغنى الناس عن المطر واستكفوا فما فائدة خروجهم قال لازيل الشك عن الناس وما وقعوا فيه فأمر الخليفة الجاثليق والرهبان أن يخرجوا أيضاً في اليوم الثالث على جاري عادتهم وأن يخرج الناس فخرج النصارى وخرج معهم أبو محمد الحسن ومعه خلق من المسلمين فوقف النصارى على جاري

عادتهم يستسقون وخرج راهب معهم ومد يديه إلى السماء ورفعت النصارى والرهبان أيديهم أيضاً كعادتهم فغيمت السماء في الوقت ونزل المطر فأمر أبو محمد الحسن بالقبض على يد الراهب وأخذ ما فيها فإذا ما بين أصابعه عظم آدمي فأخذه أبو محمد الحسن ولفه في خرقة وقال لهم استسقوا فانقشع الغيم وطلعت الشمس فتعجب الناس من ذلك وقال الخليفة ما هذا يا أبا محمد؟ فقال هذا عظم نبي من الأنبياء ظفر به هؤلاء من قبور الأنبياء وما كشف عن عظم نبي من الأنبياء تحت السماء إلا هطلت بالمطر فاستحسنوا ذلك وامتحنوه فوجدوه كما قال فرجع أبو محمد الحسن إلى داره بسر من رأى وقد أزال عن الناس هذه الشبهة وسر الخليفة والمسلمون بذلك وكلم أبو محمد الحسن الخليفة في إخراج أصحابه الذين كانوا معه في السجن فأخرجهم وأطلقهم من أجله وأقام أبو محمد بمنزله معظماً مكرماً وصلات الخليفة وإنعاماته تصل إليه في كل وقت نقله غير واحد (الثانية) عن علي ابن إبراهيم بن هشام عن أبيه عن عيسى بن الفتح قال لما دخل علينا أبو محمد الحسن الحبس قال لي يا عيسى لك من العمر خمس وستون سنة وشهر ويومان قال وكان معي كتاب فيه تاريخ ولادتي فنظرت فيه فكان كما قال ثم قال هل رزقت ولداً قلت لا فقال اللهم ارزقه ولداً يكون له عضداً فنعم العضد الولد ثم أنشد:

من كان ذا عضد يدرك ظلامته إن الذليل الذي ليست له عضد

فقلت يا سيدي وأنت لك ولد فقال إني والله سيكون لي ولد يملأ الأرض قسطاً وعدلاً وأما الآن فلا. (الثالثة) عن إسمعيل بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهم قال قعدت لأبي محمد الحسن على باب دار حتى خرج فقمت في وجهه وشكوت إليه الحاجة والضرورة وأقسمت إني لا أملك الدرهم الواحد فما فوقه فقال تقسم وقد دفنت مائتي دينار وليس قولي هذا دفعاً لك عن العطية أعطه يا غلام ما معك فأعطاني مائة دينار فشكرت له ووليت فقال ما أخوفني أن تفقد المائتي دينار أحوج ما تكون إليها فذهبت إليها فافتقدتها فإذا هي في مكانها فنقلتها إلى موضع آخر ودفنتها ولم يطلع عليها أحد ثم قعدت مدة طويلة فاضطررت إليها فجئت أطلبها في مكانها فلم أجدها فحزنت وشق ذلك علي

فوجدت ابناً لي قد عرف مكانها وقد أخذها وأنفذها ولم أحصل منها على شيء وكان كما قال/(الرابعة) عن محمد بن حمزة الدوري قال كتبت على يدي أبي هاشم داود بن القاسم وكان مؤاخياً لأبي محمد الحسن أسأله أن يدعو الله لي بالغنى وكنت قد أملقت وخفت الفضيحة فخرج الجواب على يده أبشر فقد أتاك الغنى من الله تعالى مات ابن عمك يحيى بن حمزة وخلف مائة ألف درهم ولم يترك وارثاً سواك وهي واردة عليك عن قريب فاشكر الله وعليك الاقتصاد وإياك والإسراف فورد علي المال والخبر بموت ابن عمي كما قال عن أيام قلائل وزال عني الفقر وأديت حق الله تعالى فيه وبررت إخواني وتماسكت بعد ذلك وكنت قبل ذلك مبذراً.

(فائدة) عن أبي هاشم قال سمعت أبا محمد الحسن يقول: «إن في الجنة بابا يقال له المعروف لا يدخل منه إلا أهل المعروف» فحمدت الله في نفسي وفرحت بما أتكلف من حوائج الناس فنظر إليّ وقال يا أبا هاشم دم على ما أنت عليه فإن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة. وعنه أيضاً قال سمعت أبا محمد يقول بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها.

(تتمة في الكلام على وفاته وولده رضي الله عنه) في الفصول المهمة./ولما ذاع خبر وفاته ارتجت سر من رأى وقامت صيحة واحدة وعطلت الأسواق وغلقت الدكاكين وركب بنو هاشم والقوّاد والكتّاب والقضاة والمعدلون وسائر الناس إلى جنازته فكانت سر من رأى يومئذٍ شبيهة بالقيامة فلما فرغوا من تجهيزه بعث الخليفة إلى أبي عيسى بن المتوكل ليصلي عليه فصلى عليه ودفن في البيت الذي دفن فيه أبوه من دارهما بسر من رأى/وكانت وفاة أبي محمد الحسن بن علي في يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين وخلف من الولد ابنه محمداً.

فصل

في ذكر مناقب محمد بن الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

(أمه) أم ولد وله يقال لها نرجس وقيل صقيل وقيل سوسن وكنيته أبو القاسم ولقبه الإمامية بالحجة والمهدي والخلف الصالح والقائم والمنتظر وصاحب الزمان وأشهرها المهدي (صفته رضي الله عنه) شاب مربوع القامة حسن الوجه والشعر يسيل شعره على منكبيه اقنى الأنف أجلى الجبهة (بوابه) محمد بن عثمان (معاصره) المعتمد كذا في الفصول المهمة وهو آخر الأئمة الاثني عشر على ما ذهب إليه الإمامية، وفي الفصول المهمة قيل إنه غاب في السرداب والحرس عليه وذلك في سنة ست وستين ومائتين وفي الصواعق ويسمى القائم المنتظر قيل لأنه ستر بالمدينة وغاب فلم يعلم أين ذهب ا هـ وذكر العلامة الشيخ محمد بن بطوطة في رحلته ما نصه ثم وصلت إلى مدينة الحلة وهي مستطيلة مع الفرات وأهلها كلهم إمامية اثني عشرية وبها مسجد على بابه ستر حرير يقولون إن محمد بن الحسن العسكري دخل هذا المسجد وغاب فيه وهو عندهم الإمام المهدي المنتظر فبهم كل يوم يلبس آلة الحرب مائة منهم ويأتون باب المسجد ومعهم دابة مسرجة ملجمة ومعهم الطبول والبوقات ويقولون اخرج يا صاحب الزمان فقد كثر الظلم والفساد وهذا أوان خروجك ليفرق الله بك بين الحق والباطل ويقفون إلى الليل ثم يعودون كذلك دأبهم أبداً ا هـ. وفي تاريخ ابن الوردي ولد محمد بن الحسن الخالص سنة خمس وخمسين ومائتين وتزعم الشيعة أنه دخل السرداب في دار أبيه بسر من رأى وأمه تنظر إليه فلم يعد إليها وكان عمره تسع سنين وذلك في سنة خمس وستين على خلاف فيه ا هـ. قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي في

كتابه البيان في أخبار صاحب الزمان من الأدلة على كون المهدي حياً باقياً بعد غيبته وإلى الآن وأنه لا امتناع في بقائه بقاء عيسى ابن مريم والخضر وإلياس من أولياء الله تعالى وبقاء الأعور الدجال وإبليس اللعين من أعداء الله تعالى وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب والسنة. أما عيسى عليه السلام فالدليل على بقائه قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾.[1] ولم يؤمن به مذ نزول هذه الآية إلى يومنا هذا أحد فلا بد أن يكون في آخر الزمان، ومن السنة ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن سمعان في حديث طويل في قصة الدجال قال: «فينزل عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام عند المنارة البيضاء بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين» وأما الخضر وإلياس فقد قال ابن جرير الطبري الخضر وإلياس باقيان يسيران في الأرض. وأما الدجال فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثاً طويلاً عن الدجال فكان فيما حدثنا أن قال يأتي وهو محرم عليه أن يدخل عتبات المدينة فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول الدجال إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر فيقولون لا فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن قال فيريد الدجال أن يقتله فلن يسلط عليه» قال إبراهيم بن سعيد يقال إن هذا الرجل هو الخضر وهذا لفظ صحيح مسلم. وأما الدليل على بقاء اللعين إبليس فالكتاب وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾.[2] وأما بقاء المهدي فقد جاء في تفسير الكتاب العزيز عن سعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.[3] قال هو المهدي من ولد فاطمة رضي الله عنها. وأما من قال إنه عيسى فلا منافاة بين القولين إذ هو مساعد للمهدي وقد قال مقاتل بن سليمان ومن تابعه من المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾.[4] قال هو المهدي يكون في آخر الزمان وبعد خروجه تكون أمارات

---

(١) سورة النساء ١٥٩.

(٢) سورة الأعراف ١٥.

(٣) سورة التوبة ٣٣

(٤) سورة الزخرف ٦١

الساعة وقيامها اهـ. وفي درر الأصداف ما نصه وزعمت الشيعة أن المنتظر هو محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهم يقولون بالرجعة ولهم في ذلك أشعار وروايات منها قولهم لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدي وهو محمد ابن علي رضي الله عنهما فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً ويحيي موتاهم فيرجعون إلى الدنيا ويكون الناس أمة واحدة وفي ذلك يقول شاعرهم:

ألا إن الأئمة من قريش ولاة العدل أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء

ازاد بالأسباط الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية رضي الله عنهم وهو المهدي الذي يخرج آخر الزمان بزعمهم وكان على هذا المذهب السيد الحميري وله من الأبيات:

إمام الهدى قل لي متى أنت آيب فمن علينا يا إمام برجعة
مللنا وطال الانتظار فجد لنا بحقك يا قطب الوجود بزورة
فأنت لهذا الأمر قدماً معين كذلك قال الله أنت خليفتي

قال وفي كتاب جامع الفنون في مبحث الجبال جبل رضوى هو من المدينة على سبع مراحل وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية وهو أخضر يرى من بعيد وبه أشجار ومياه زعم الكيسانية أن محمد بن الحنفية رضي الله عنه حي وهو مقيم به وأنه بين أسدين يحفظانه وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل وأنه يعود بعد الغيبة ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وهو المهدي المنتظر وإنما عوقب بهذا الحبس لخروجه إلى عبد الملك وقيل إلى يزيد بن معاوية قال وكان السيد الحميري على هذا المذهب وهو القائل:

ألا قل للوصي فدتك نفسي أطلت بذلك الجبل المقاما

وهذه كلها أقوال فاسدة وبضائع كاسدة ليس بها فائدة فإن محمد بن الحنفية رضي الله عنه توفي بالمدينة المنورة وقيل بالطائف كما تقدم وإنما الخليفة المنتظر هو محمد بن عبد الله المهدي القائم في آخر الزمان وهو يولد بالمدينة المنوّرة لأنه من

أهلها كما أخبر به وبعلاماته النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى اهـ.

(**تتمة في الكلام على أخبار المهدي**) واعلم أنهم اختلفوا فيه هل من ولد الحسن السبط رضي الله عنهما وهو ما رواه أبو داود في سننه وذهب إليه المناوي في كبيره وكأن سره تركه الخلافة لله عزّ وجل شفقة على الأمة أو من ولد الحسين السبط رضي الله عنه قال بعضهم وهو الصحيح اسمه أحمد أو محمد بن عبد الله قال القطب الشعراني في اليواقيت والجواهر المهدي من ولد الإمام الحسن العسكري ابن الحسين ومولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين بعد الألف وهو باق إلى أن يجتمع بعيسى ابن مريم عليه السلام هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كوم الريش المطل على بركة الرطل بمصر المحروسة ووافقه على ذلك سيدي علي الخواص اهـ. (**صفته**) شاب أكحل العينين أزج الحاجبين أقنى الأنف كث اللحية على خده الأيمن خال. وأخرج الروياني والطبراني وغيرهما: «المهدي من ولدي وجهه كالكوكب الدري اللون لون عربي والجسم جسم إسرائيلي أي طويل يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً» قال الشيخ محيي الدين في الفتوحات: واعلم أن المهدي إذا خرج يفرح به جميع المسلمين خاصتهم وعامتهم وله رجال الهيون يقيمون دعوته وينصرونه هم الوزراء له يتحملون أثقال المملكة عنه ويعينونه على ما قلده الله ينزل عليه عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بالمنارة البيضاء شرقي دمشق متكئاً على ملكين ملك عن يمينه وملك عن يساره والناس في صلاة العصر فيتنحى له الإمام من مكانه فيتقدم فيصلي بالناس يؤم الناس بسنة سيدنا محمد ﷺ يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقبض الله إليه المهدي طاهراً مطهراً وفي زمانه يقتل السفياني عند شجرة بغوطة دمشق ويخسف بجيشه في البيداء فمن كان مجبوراً من ذلك الجيش مكرهاً يحشر على نيته اهـ.

(**وهذه نبذة من الأحاديث الواردة في حقه**) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لو لم يبق إلا يوم لبعث الله تعالى رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً» أخرجه أبو داود في سننه وأخرج أبو داود

والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهدي مني أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً» زاد أبو داود «يملك سبع سنين» وقال الترمذي حديث ثابت صحيح ورواه الطبراني في معجمه وغيره وأخرج ابن شيرويه في كتاب الفردس في باب الألف واللام عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «المهدي طاووس أهل الجنة» وعنه بإسناده عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «المهدي ولدي وجهه كالقمر الدري واللون منه لون عربي والجسم جسم إسرائيلي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً يرضى بخلافته أهل السموات والأرض والطير في الجو يملك عشر سنين» وأخرج الحافظ أبو نعيم عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الرايات السود قد أقبلت من خراسان فأتوها ولو حبوا على الثلج فإن فيها خليفة الله المهدي» وأخرج أبو نعيم أيضاً عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «يخرج المهدي من قرية يقال لها كريمة». وأخرج الحافظ أبو عبد الله محمد بن ماجة القزويني في حديث طويل في نزول عيسى ابن مريم عليه السلام عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: «خطبنا رسول الله ﷺ وذكر الدجال فقال فيه إن المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص قالت أم شريك بنت أبي العسكر فأين العرب يومئذٍ قال ﷺ هم يومئذٍ قليل وجلهم ببيت المقدس وأمامهم المهدي وقد تقدم ليصلي بهم الصبح إذ نزل عيسى ابن مريم فرجع ذلك الإمام ينكص عن عيسى القهقرى ليتقدم عيسى يصلي بالناس فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له تقدم» وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم» رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال فينزل عيسى ابن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام فيقول أميرهم صل بنا فيقول ألا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة» أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هرون العبدي وفي

صحيح مسلم عن أبي سعيد وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده عداً». وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «أبشركم بالمهدي يملأ الأرض قسطاً كما ملئت جوراً وظلماً يرضى عنه سكان السماء والأرض يقسم المال صحاحاً فقال رجل ما معنى صحاحاً قال بالسوية بين الناس ويملأ قلوب أمة محمد ﷺ غنى ويسعهم عدله حتى يأمر منادياً ينادي يقول من له بالمال حاجة فليقم فما يقوم من الناس إلا رجل واحد فيقول أنا فيقول له ائت السادن يعني الخازن فقل له إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالا فيحثو له في ثوبه حثوا حتى إذا صار في ثوبه يندم ويقول كنت أجشع أمة محمد ﷺ نفساً أعجز عما وسعهم فيرده إلى الخازن فلا يقبل منه ويقول إنا لا نأخذ شيئاً مما أعطيناه فيكون المهدي كذلك سبعة سنين أو ثمانياً أو تسعاً ثم لا خير في العيش بعده أو قال ثم لا خير في الحياة بعده» وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «يكون عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن رجل يقال له المهدي عطاؤه هيناً». أخرجه أبو نعيم في الرد على من زعم أن المهدي هو المسيح وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «قلت يا رسول الله أمنا آل محمد المهدي أو من غيرنا فقال ﷺ لا بل منا يختم الله له الدين كما افتتح بنا وبنا ينقذون من الفتنة كما أنقذوا من الشرك وبنا يؤلف الله قلوبهم بعد عداوة الفتنة كما ألف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك وبنا يصبحون بعد عداوة الفتنة إخواناً في دينهم» قال بعض أهل العلم هذا حديث حسن عال رواه الحفاظ في كتبهم أما الطبراني فقد ذكره في المعجم الأوسط وأما أبو نعيم فرواه في حلية الأولياء وأما عبد الرحمن بن حماد فقد ساقه في عواليه وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «يخرج المهدي وعلى رأسه غمامة فيها ملك ينادي هذا خليفة الله المهدي فاتبعوه» أخرجه أبو نعيم والطبراني وغيرهما وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي يفتح القسطنطينية وجبل الديلم ولو لم يبق إلا يوم طول الله ذلك اليوم

حتى يفتحها» هذا سياق الحافظ أبي نعيم وقال هذا هو المهدي بلا شك وفقاً بين الروايات وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ سيكون بعدي خلفاء ومن بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الأمراء ملوك جبابرة ثم يخرج المهدي من بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً» رواه أبو نعيم في فوائده والطبراني في معجمه وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «تتنعم أمتي في زمن المهدي نعمة لم ينعموا مثلها قط ترسل السماء عليهم مدراراً ولا تدع الأرض شيئاً من نباتها إلا أخرجته» رواه الطبراني في معجمه الكبير وروى أبو داود عن ذر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ «لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي» وفي رواية «واسم أبيه اسم أبي».

(فوائد): الأولى قال في الصواعق الأظهر أن خروج المهدي قبل نزول عيسى وقيل بعده (الثانية) تواترت الأخبار عن النبي ﷺ أنه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلاً (الثالثة) تواترت الأخبار على أنه يعاون عيسى على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين بالشام (الرابعة) جاء في بعض الآثار أنه خرج في وتر السنين سنة إحدى أو ثلاث أو خمس أو سبع أو تسع (الخامسة) أنه بعد أن تعقد له البيعة بمكة يسير منها إلى الكوفة ثم يفرق الجند إلى الأمصار (السادسة) أن السنة من سنيه مقدار عشر سنين (السابعة) أن سلطانه يبلغ المشرق والمغرب تظهر له الكنوز لا يبقى في الأرض خراب إلا عمره. وهذه علامات قيام القائم مروية عن أبي جعفر رضي الله عنه قال: «إذا تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال وركبت ذوات الفروج السروج وأمات الناس الصلوات واتبعوا الشهوات واستخفوا بالدماء وتعاملوا بالربا وتظاهروا بالزنا وشيدوا البناء واستحلوا الكذب وأخذوا الرشا واتبعوا الهوى وباعوا الدين بالدنيا وقطعوا الأرحام وضنوا بالطعام وكان الحلم ضعفاً والظلم فخرا والأمراء فجرة والوزراء كذبة والأمناء خونة والأعوان ظلمة والقراء فسقة وظهر الجور وكثر الطلاق وبدأ الفجور وقبلت شهادة الزور واستغنت النساء بالنساء واتخذ الفيء مغنماً والصدقة مغرماً واتقى الأشرار مخافة ألسنتهم وخرج السفياني من الشام واليماني من اليمن وخسف بالبيداء

بين مكة والمدينة وقتل غلام من آل محمد ﷺ بين الركن والمقام وصاح صائح من السماء بأن الحق معه ومع أتباعه قال فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة واجتمع عليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أتباعه فأوّل ما ينطق به هذه الآية: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]. ثم يقول أنا بقية الله وخليفته وحجته عليكم فلا يسلم عليه أحد إلا قال السلام عليك يا بقية الله في الأرض فإذا اجتمع عنده العقد عشرة آلاف رجل فلا يبقى يهودي ولا نصراني ولا أحد ممن يعبد غير الله تعالى إلا آمن وصدق وتكون الملة واحدة ملة الإسلام وكل ما كان في الأرض من معبود سوى الله تعالى تنزل عليه نار من السماء فتحرقه والله أعلم».



(١) سورة هود ٨٦


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب الثالث

في ذكر جماعة من أهل البيت
لهم في مصر القاهرة مزارات مشهورة ومساجد معمورة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

حيث انجر الكلام إلى ذكر مصر القاهرة ينبغي أن نذكر طرفاً يتعلق بها فنقول مصر تذكر وتؤنث وحدها طولاً من برقة التي في جنوب البحر الرومي إلى أيلة ومسافة ذلك قريب من أربعين يوماً وعرضها من مدينة أسوان وما سامتها من الصعيد الأعلى إلى رشيد وما حاذاها من مساقط النيل في البحر الرومي ومسافة ذلك قريب من ثلاثين يوماً سميت باسم من سكنها وهو مصر بن بيصر بن سام بن نوح وقيل غير ذلك ؛ وسميت القاهرة لما روي أن جوهرا القائد لما أراد إقامة السور جمع المنجمين وأمرهم أن يختاروا طالعا لحفر الأساس وطالعا لرمي الحجارة فجعلوا قوائم من خشب بين القائم والقائم حبل فيه جرس وأفهموا البنائين أن ساعة تحريك الجرس يرمون ما بأيديهم من الطين والحجارة ووقف المنجمون لتحرير هذه الساعة وأخذ الطالع واتفق وقوع غراب على خشبة من ذلك الخشب فتحركت الأجراس فظنوا أن المنجمين حركوها فألقوا ما بأيديهم من الحجارة والطين فصاح المنجمون لا لا القاهرة فوافق أن المريخ كان في الطالع وهو عند المنجمين بالقاهر نقله بعضهم (قال السيوطي) في كتابه حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة وقد ذكرت مصر في القرآن المجيد في أكثر من ثلاثين موضعاً بعضها بطريق الصراحة وبعضها بطريق الكناية. فن الصريح ﴿ **اهبطُوا مِصْراً** /البقرة ٦١ / **ان تبَوّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بيوتاً** / يونس ٨٧ / **اشتراهُ مِنْ مِصْرَ** / يوسف ٢١ / **ادخلوا مِصْرَ** / يوسف ٩٩ / **أليس لي ملك مصرَ** / الزخرف ٥١ / **وقال نسوةٌ في المدينةِ** / يوسف ٣٠ / **ودخل المدينةَ** / القصص ١٥ / **فأصبحَ في المدينة** / القصص ١٨ / **وجاء رجلٌ من أقصى المدينةِ يسعى** /القصص ٢٠ / **لَمكرٌ مَكرْتُمُوهُ في المدينةِ** / الأعراف ١٢٣ / **وآويناهُمَا إلى رَبْوَةٍ** / المؤمنون ٥٠ / وهي مصر لان الربا لا تكون إلا بها. **اجْعَلْنِي على خزائنِ الأرضِ** /

يوسف ٥٥ / **إنَّ فِرعونَ عَلاَ في الأرضِ** / القصص ٤ / **ونريدُ أن نَمُنَّ على الذين استُضْعِفُوا في الأرضِ** القصص ٥ / **ونَمكِّنَ لَهُمْ في الأرضِ** / القصص ٦ / **إلاَّ أن تكونَ جبَّاراً في الأرضِ** / القصص ١٩ / **اليومَ ظَاهِرِينَ في الأرضِ** / غافر ٢٩ / **أو أن يُظهِرَ في الأرضِ الفسادَ** / غافر ٢٦ / **وَيَسْتَخْلِفَكُمْ في الأرضِ** / الأعراف ١٢٩ / **ليُفسِدُوا في الأرضِ** / الأعراف ١٢٧ / **كانوا يُسْتَضعَفُونَ مشارقَ الأرض ومغاربها** / الأعراف ١٣٧ / **يريدُ أن يُخرِجَكُم من أرضكم** / الأعراف ١١٠ والشعراء ٣٥ / **فأخرجنَاهُم من جنَّاتٍ وعيونٍ وكنوزٍ ومقامٍ كريمٍ** / الشعراء ٥٧ / قيل المقام الكريم الفيُّوم وقيل ما كان لهم من المنابر والمجالس التي تجلس فيها الملوك ؛ **كم تركُوا مِن جنَّاتٍ وَعُيونٍ وزروعٍ ومقامٍ كريمٍ** / الدخان ٢٥ / **مُبَوَّأ صدقٍ** / يونس ٩٣ / **كَمَثَلِ جنَّةٍ بربوةٍ** / البقرة ٢٦٥ / **ادخُلُوا الأرضَ المقدَّسةَ** / المائدة ٢١ / قيل هي مصر ؛ **نَسُوقُ الماءَ إلى الأرضِ الجُرُزِ** / السجدة ٢٧ / **وقد أحسَنَ بي إذ أخرَجَني مِنَ السِّجنِ وجاء بكم من البدوِ** / يوسف ١٠٠ / ﴾ فجعل الشام بدواً وسمى مصر مصراً ومدينة . وقد ورد في مصر عدة أخبار منها ما روي عن كعب بن مالك عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إذا افتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً» . وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : «ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمةً ورحماً» . وقال ﷺ : «إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا بها جنداً كثيفاً فذلك الجند خير أجناد الأرض فقال أبو بكر : ولمَ يا رسول الله؟ قال : لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة» . أورده الشيخ عبد الله الشرقاوي في تحفة الناظرين . وفي حاشيته على التحرير ما نصه : وقد اختار الغنى مصر وتبعه الذل واختار الكرم الشام وتبعته الشجاعة والفقر وخص الغرب بالبخل وسوء الخلق والحجاز بالقناعة والصبر والعراق بالعلم والعقل . وفي حاشية البرماوي على المنهج قال بعضهم : شأنها عجيب وسرها غريب خلقها أكثر من رزقها من لم يخرج منها لم يشبع . قال بعض الحكماء : نيلها عجب وترابها ذهب ونساؤها لعب وصبيانها طرب وأمراؤها جلب وهي لمن غلب والداخل فيها مفقود والخارج منها مولود ، وفي الحديث : «يساق

إليها أقصر الناس أعماراً». روي أن عمر بن الخطاب كتب لكعب الأحبار أن اختبر لي المنازل كلها فقال له: قد بلغنا أن الأشياء كلها اجتمعت فقال السخاء أريد اليمن فقال حسن الخلق وأنا معك وقال الحياء أريد الحجاز فقال له الفقر وأنا معك وقال البأس أي القوة والشجاعة أريد الشام فقال له السيف وأنا معك وقال العلم أريد العراق فقال له العقل وأنا معك وقال الغنى أريد مصر فقال له الذل وأنا معك فاختر لنفسك ما شئت. وروي مرفوعاً: «أن إبليس دخل العراق فقضى حاجته منها ثم دخل الشام فطرد منها حتى بلغ تلمسان ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط عبقرية فيها». وحكي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو خليفة بمصر عرفني عن مصر وأحوالها وما تشتمل عليه وأوجز في العبارة فأرسل إليه:

وما مصرنا مصر ولكن أرضها كجنة فردوس لمن كان يبصر
فأولادها الولدان والحور غيدها وروضتها الفردوس والنهر كوثر

اهـ

وأهل مصر الغالب عليهم الأفراح واتباع الشهوات والانهماك في اللذات وتصديق المحالات، وفي أخلاقهم رقة وعندهم بشاشة ومكر وخداع وتملق ولا ينظرون في عواقب الأمور، وعندهم قلة الصبر في الشدائد وشدة الخوف من السلطان ويخبرون بالأمور المغيبة قبل أن تقع.

(لطيفة) يوجد في مصر في كل شهر نوع من المأكول أو المشموم فيقال: رطب توت ورمان بابه وموز هاتور وسمك كيهك وماء طوبة ورميس أي خروف أمشير ولبن برمهات وورد برمودة ونبق بشنس وتين بؤونة وعسل أبيب وعنب مسرى والسبع زهرات التي تجتمع في أواخر الشتاء في وقت واحد ولا تجتمع في غيرها من البلاد وهي النرجس والبنفسج والورد النصيبي والهجاني وزهر النارنج والياسمين والنسرين اهـ من تحفة الناظرين. واعلم أنه لا عبرة بالاختلاف في دفن بعض أهل البيت الذين لهم بمصر القاهرة مزارات فإن الأنوار التي على أضرحتهم شاهد صدق على وجودهم بهذه الأمكنة ولا ينكر ذلك إلا من ختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة (وقد قال القطب الشعراني في منته) كان سيدي علي

الخواص رحمه الله تعالى يقول حكم باب البرزخ حكم التيار الذي نزل فيه إنسان فيغطس ثم يطفو من موضع آخر كما وقع لسيدي أحمد بن الرفاعي والسيدة نفيسة ثم إذا نفخ في الصور يوم القيامة يخرج من موضع نزل (قال الشعراني) قال سيدي علي الخواص وأصل دفنها يعني السيدة نفيسة كان بالمراغة قريباً من القبر الطويل في الشارع ولكن ظهرت في هذا المكان الذي كانت تتعبد فيه لتعلق قلبها به. وكان الإمام الشافعي رضي الله عنه يؤم بها فيه في صلاة التراويح وأما سيدي أحمد بن الرفاعي رحمه الله تعالى فله قبر في بلده أم عبيدة وقبر آخر في الصحراء التي كان يتعبد فيها والناس يزورونهما ولكن لا يحصل لهم الهيبة والرعدة إلا عند قبره الذي في البرية انتهى فعض يا أخي على ما قاله الخواص للشعراني بأسنانك واجعله نصب عينيك تسلم والله يتولى هداك. قال بعض العلماء بعد كلام يتعلق بالزيارة وصاحب المزارات مثل هذه الأشياء تؤخذ بحسن النية فإذا كان صاحب المزار ما هو فيه فالزيارة تصل إليه أينما كان اهـ (وقال الشعراني في الباب العاشر من المنن) ومما من الله تبارك وتعالى به علي زيارتي كل قليل لأهل البيت الذين دفنوا في مصر كلهم أو رؤوسهم فقط وأزورهم في السنة ثلاث مرات بقصد صلة رحم رسول الله ﷺ ولم أر أحداً من أقراني يعتني لذلك إما لجهله بمقامهم وإما لدعواه عدم ثبوت كونهم دفنوا في مصر وهذا جمود فإن الظن يكفينا في مثل ذلك انتهى، ثم إنه ذكر في هذه المنة أيضاً أسماء جماعة من أهل البيت لهم مزارات بمصر القاهرة أخبره عنهم سيدي علي الخواص رحمه الله وفي آخرها قال فهؤلاء الذين بلغنا أنهم في مصر من أهل البيت وصححه أهل الكشف قال وكان سيدي علي الخواص رضي الله عنه يختم زيارة أهل البيت بالإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه فعليك يا أخي بزيارة قرابة نبيك محمد ﷺ وقدمهم على زيارة كل ولي في مصر عكس ما عليه العامة فلا تكاد ترى أحداً منهم يعتني بزيارة أحد ممن ذكرنا أبداً ويعتني بزيارة بعض المجاذيب وينام في موالدهم وهذا كله من جملة الجهل فاحذره ترشد والحمد لله رب العالمين (وينبغي) لكل من أراد أن يزور ولياً من أولياء الله أو من هو من أهل البيت أن يتخلق بآداب الزيارة قبل التوجه ليعود

عليه المدد ممن زاره قال الشعراني في الأنوار وهي التشوق إلى المزور والجزم بفضله وطهارته من المعاصي المعنوية والحسية والتماس بركة دعائه وخلوص النية بأن يكون الباعث على الزيارة امتثال أمر الشارع وحفظ اللسان من الوقوع في أعراض الناس وإن كان هذا عاماً ، وإن خلت الزيارة عن هذه الآداب فلا نفع بها ولا ثواب بل هي تكلف ونفاق وإذا زرته بحسن القصد وحسن الأدب والتوسل به إلى ربك إن كان من الموتى وكان من أهل الله فإنه لا بد لك من المدد الأوفر فإن الله سبحانه وتعالى قد وكل بقبور الأكابر ملائكة يقضون حوائج الزائرين لأن أهل الله محل الكرم والسخاء أحياء وأمواتاً ومن دخل بيت كريم لا يرجع من غير مدد لاسيما إذا كانوا من أهل البيت رضي الله عنهم انتهى .



فصل

في ذكر مناقب السيدة سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

(أمها الرباب) بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس الكلبي كان نصرانياً فجاء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدعا له برمح وعقد له على من أسلم بالشام في قضاعة فتولى قبل أن يصلي صلاة وما أمسى حتى خطب إليه الحسين بنته الرباب فزوجه إياها فأولدها عبد الله وسكينة رضي الله عنهم نقله الخطيب البغدادي ومثله في الأغاني وسكينة بضم السين وفتح الكاف وسكون الياء كذا يؤخذ من عبارة القاموس لقب لقبتها به أمها الرباب واسم سكينة أميمة وقيل أمينة وقيل أمية وقيل آمنة قال أبو الفرج وهو الصحيح كذا في تاريخ ابن خلكان والأغاني. نقل أبو الفرج عن مالك بن أعين قال سمعت سكينة بنت الحسين رضي الله عنها تقول عاتب عمي الحسن أبي في أمي فقال أبي:

لعمرك إنني لأحب داراً ... تكون بها سكينة والرباب
أحبها وأبذل جل مالي ... وليس لعاتب عندي عتاب
ولست لهم وإن عابوا مطيعاً ... حياتي أو يغيبني التراب

قال هشام بن الكلبي كانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن وخطبت بعد قتل الحسين رضي الله عنه فقالت ما كنت لأتخذ حماً بعد رسول الله ﷺ ولما قتل الحسين رضي الله عنه رثته بأبيات منها:

إن الذي كان نوراً يستضاء به ... بكربلاء قتيل غير مدفون
سبط النبي جزاك الله صالحة ... عنا وجنبت خسران الموازين
قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به ... وكنت تصحبنا بالرحم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن ... يغني ويأوي إليه كل مسكين

والله لا أبتغي صهراً بصهركم حتى أغيب بين الرمل والطين

(وفي الفصول المهمة) وبقيت بعده سنة لا يظلها سقف بيت إلى أن ماتت رحمها الله. وفي تاريخ ابن خلكان كانت سكينة سيدة نساء عصرها ومن أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقاً وتزوجها مصعب بن الزبير فهلك عنها ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام فولدت له قريباً ثم تزوجها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها ففعل وقيل في ترتيب أزواجها غير هذا والطرة السكينية منسوبة إليها، ولها نوادر وحكايات ظريفة مع الشعراء وغيرهم انتهى. وفي الأغاني كانت سكينة أحسن الناس شعراً وكانت تصفف جمتها تصفيفاً لم ير أحسن منه حتى عرف ذلك وكانت الجمة تسمى السكينية وكان عمر بن عبد العزيز إذا وجد رجلاً يصفف جمته السكينية جلده وحلقه اهـ (وفي درر الأصداف) كانت سكينة رضي الله عنها من الجمال والأدب والفصاحة بمنزلة عظيمة وكان منزلها مألف الأدباء والشعراء وتزوجت عبد الله بن الحسن السبط بن علي كرم الله وجهه فقتل عنها بالطف قبل أن يدخل بها ثم تزوجها مصعب بن الزبير رضي الله عنهما وأمهرها ألف ألف درهم وحملها اليه علي بن الحسن رضي الله عنهما فأعطاه أربعين ألف دينار وولدت له الرباب وكانت تلبسها اللؤلؤ وتقول ما ألبستها إياه إلا لتفضحه (عن محمد بن سلام) قال اجتمع في ضيافة سكينة بنت الحسين رضي الله عنهما جرير والفرزدق وكثير ونصيب وجميل مكثوا في ضيافتها أياماً ثم أذنت لهم فدخلوا عليها فجلست حيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم ثم أخرجت وصيفة قد روت الأشعار والأحاديث فقالت أيكم الفرزدق؟ فقال ها أناذا فقالت له أنت القائل:

هما دلتاني من ثمانين قامة كما انقض باز أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا أحي فيرجى أم قتيل نحاذره

قال نعم قالت فمن دعاك إلى إفشاء سرك وسرها هلا سترتها وسترت نفسك

خذ هذه الألف والحق بأهلك ، ثم دخلت على مولاتها وخرجت فقالت أيكم جرير فقال لها ها أنا ذا فقالت أنت القائل :

طرقتك صائدة الفؤاد وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام

قال نعم قالت فهلا رحبت بها خذ هذه الألف درهم وانصرف ثم دخلت وخرجت فقالت أيكم كثير؟ فقال ها أنا ذا ، قالت أنت القائل :

أعجبني يا عزّ منك خلائق كرام إذا عد الخلائق أربع
دنوك حتى يطمع الطالب الصبا ورفعك إنسان الهوى حين يطمع
فوالله ما يدري كريم مماطل أينساك إذ باعدت أو يتضرع

قال نعم قالت ملحت وشكلت خذ هذه الألف والحق بأهلك ، ثم دخلت وخرجت فقالت أيكم نصيب؟ فقال ها أنا ذا ، قالت أنت القائل :

ولولا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسي النشأ الصغار
بنفسي كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصار

قال نعم قالت ربيتنا صغاراً ومدحتنا كباراً خذ هذه الأربعة آلاف درهم والحق بأهلك ، ثم دخلت وخرجت فقالت يا جميل مولاتي تقرئك السلام وتقول والله ما زالت مشتاقة إلى رؤيتك منذ سمعت قولك :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادي القرى إني إذاً لسعيد
فكل حديث بينهن بشاشة وكل قتيل بينهن شهيد

جعلت حديثنا بشاشة وقتلانا شهداء خذ هذه الألف دينار والحق بأهلك.
وعن حماد عن أبيه عن أبي عبد الله الزبير قال اجتمع راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية الأحوص وراوية نصيب فافتخر كل واحد منهم بصاحبه وقال صاحبي أشعر فحكموا بينهم سكينة بنت الحسين رضي الله عنهما لما يعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر فاستأذنوا عليها فأذنت لهم فذكروا لها الذي كان من أمرهم فقالت لراوية جرير ، أليس صاحبك الذي يقول :

طرقتك صائدة الفؤاد وليس ذا   وقت الزيارة فارجعي بسلام

قال نعم قالت وأي ساعة أحلى للزيارة من الطروق قبح الله صاحبك وقبح شعره هلاّ قال فادخلي بسلام ، ثم قالت لراوية كثير أليس صاحبك الذي يقول :

يقر بعيني ما يقر بعينها   وأحسن شيء ما به العين قرت

قال نعم قالت وليس بعينها أقر من النكاح أفيحب صاحبك أن ينكح قبح الله صاحبك وقبح شعره ، ثم قالت لراوية جميل أليس صاحبك الذي يقول :

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها   ولكن طلابيها لما فات من عقلي

قال نعم قالت فما أرى بصاحبك من هوى إنما يطلب عقله قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت لراوية الأحوص أليس صاحبك الذي يقول :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت   فواحزنا من ذا يهيم بها بعدي

قال نعم قالت فما أرى له همة إلا فيمن يتعشقها بعده قبحه الله وقبح شعره ألا قال :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت   فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

ثم قالت لراوية نصيب أليس صاحبك الذي يقول :

من عاشقين تواعدا وتراسلا   حتى إذا نجم الثريا حلقا
باتا بأنعم ليلة وألذها   حتى إذا وضح الصباح تفرقا

قال نعم قالت قبح الله صاحبك وقبح شعره ألا قال تعانقا قال إسحاق فلم تثن على أحد منهم في ذلك اليوم ولم تقدمه ، وفي رواية أخرى أنها قالت لراوية جميل أليس صاحبك الذي يقول :

فيا ليتني أعمى أصم تقودني   بثينة لا يخفى عليّ كلامها

قال نعم قالت رحم الله صاحبك إن كان صادقاً اهـ ومثله في الأغاني لكن وقع في الأغاني خبط في نسبة الأبيات إلى الشعراء ولم يذكر كثير عزة وذكر

الأحوص مرتين وهو سهو من الكاتب وكان يقال إن امرأة تختار على سكينة لمنقطعة القرين في الحسن (توفيت) السيدة سكينة رضي الله عنها بمكة يوم الخميس لخمس خلون من ربيع الأول سنة ست وعشرين ومائة وصلى عليها شيبة ابن النطاح المقري كذا في درر الأصداف. وفي تاريخ ابن خلكان توفيت سنة سبع عشرة ومائة وكانت وفاتها بالمدينة قال الشيخ عبد الرحمن الأجهوري في كتابه مشارق الأنوار والأكثرون على أن سكينة بنت الحسين ماتت بالمدينة وفي طبقات الشعراني أنها مدفونة بالمراغة بقرب السيدة نفيسة يعني بمصر القاهرة ومثله في طبقات المناوي فان قلت هذا كلام ينافي بعضه بعضاً فانك ذكرت أنها توفيت بمكة وبالمدينة وبمصر قلت لا منافاة لأنه مر بك آنفاً في أول الباب أن حال البرزخ كحال التيار فلا تغفل.

(تنبيه) في منن الشعراني ما نصه وأخبرني يعني الخواص أن السيدة سكينة بنت الحسين رضي الله عنها في الزوابة عند الدرب قريباً من دار الخليفة عند الحمصانيين اهـ لكن نقل الأجهوري عن الشعراني أنه قال في منته إن السيدة سكينة أخت الحسين لا بنته وتعقبه في المشارق ولعل نسخة المنن التي وقعت للأجهوري كان بها تحريف، والله أعلم.

فصل
في ذكر مناقب السيدة رقية بنت الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنها

أمها أم حبيب الصهباء التغلبية أم ولد كانت من سبي الردة الذي أغار عليه سيدنا خالد بن الوليد بعين التمر فاشتراها سيدنا علي رضي الله عنه من سيدنا خالد فعمر الأكبر شقيق رقية وفي الفصول المهمة كانا توأمين وعمر عمر هذا خمساً وثمانين سنة وحاز نصف ميراث علي رضي الله عنه وذلك أن اخوته أشقاءه وهم عبد الله وجعفر وعثمان قتلوا مع الحسين بالطف فورثهم وعن الليث بن سعد والدارقطني أن رقية بنت فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ قال الشعراني في الباب العاشر من المنن وأخبرني يعني الخواص أن رقية بنت الإمام علي كرّم الله وجهه في المشهد القريب من جامع دار الخليفة أمير المؤمنين ومعها جماعة من أهل البيت[1] اهـ. وهو معروف الآن بجامع شجرة الدر وهذا الجامع على يسار الطالب للسيدة نفيسة والمكان الذي فيه السيدة رقية عن يمينه ومكتوب على الحجر الذي ببابه هذا البيت:

بـقـعـة · شرفت بـآل الـنبي   وبـبـنـت الـرضـا علي رقـيـه

هذا وقد أخبرني بعض الشوام أن للسيدة رقية بنت الإمام عليّ كرّم الله وجهه ضريحاً بدمشق الشام وأن جدران قبرها كانت قد تعيبت فأرادوا إخراجها منه

---

(١) (قوله ومعها جماعة من أهل البيت) بذلك المكان عاتكة بنت عمرو بن نفيل القرشية كانت أجمل نساء زمانها تزوجها عبد الله ابن سيدنا الصديق فقتل عنها بالطائف ثم تزوجها سيدنا عمر بن الخطاب فقتل ثم تزوجها سيدنا الزبير بن العوّام فقتل ثم تزوجها محمد ابن سيدنا الصديق فقتل عنها وأحرق في جيفة حمار بمصر القديمة ولم يبق إلا رأسه الشريف فدفنه مولاه بمحراب المسجد وقيل تحت المأذنة ثم آلت أنها لا تتزوج بعد ذلك وكان سيدنا محمد عاملاً على مصر ولاه الامام علي كرم الله وجهه فانه تزوج أمه بعد سيدنا الصديق ورباه فهو ربيب للامام رضي الله عنهما ونفعنا بهما اهـ من كتب السير اهـ مؤلف.

لتجديده فلم يتجاسر أحد أن ينزله من الهيبة فحضر شخص من أهل البيت يدعى السيد بن مرتضى فنزل في قبرها ووضع عليها ثوباً لفها فيه وأخرجها فإذا هي بنت صغيرة دون البلوغ وقد ذكرت ذلك لبعض الأفاضل فحدثني به ناقلاً عن أشياخه.

(تنبيه) جمهور المؤرخين وأصحاب السير على أن للامام علي كرّم الله وجهه رقية واحدة من غير السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ وخالفهم الليث بن سعد فقال إنها منها كما قدمناه ثم رأيت بعضهم صرح بأن للامام رقيتين تدعى إحداهما بالكبرى من السيدة فاطمة والأخرى تدعى بالصغرى أمها أم حبيب شقيقة عمر وقد تقدم ذلك في أول الترجمة.

(كرامة) نقل الأجهوري أن السيدة رقية لما جاءت من المدينة اعترضها شخص من آل يزيد وأراد قتلها فوقفت يده في الهواء وسقط ميتاً.



فصل

في ذكر مناقب السيد محمد بن محمد بن عبد الرزاق الشهير بمرتضى الحسيني الزبيدي الحنفي

قال الجبرتي هكذا ذكر عن نفسه نسبه (ولد) سنة خمس وأربعين ومائة وألف قال الجبرتي هكذا سمعته من لفظه ورأيته بخطه قال ونشأ ببلاده وارتحل في طلب العلم وحج مراراً ثم ورد إلى مصر في تاسع صفر سنة سبع وستين ومائة وألف وسكن بخان الصاغة وأول من عاشره وأخذ عنه السيد علي المقدسي الحنفي من علماء مصر وحضر دروس أشياخ الوقت كالشيخ أحمد الملوي والجوهري والحفني والبليدي والصعيدي والمدابغي وتلقى عنهم وأجازوه وشهدوا بعلمه وفضله وجودة حفظه واعتنى بشأنه إسمعيل كتخدا عزبان وأولاه بره حتى راج أمره وترونق حاله واشتهر ذكره عند الخاص والعام ولبس الملابس الفاخرة وركب الخيول المسومة وسافر إلى الصعيد ثلاث مرات واجتمع بأعيانه وأكابره وعلمائه وأكرمه شيخ العرب همام وإسمعيل أبو عبد الله وأبو علي وأولاد نصير وأولاد وافي وهادوه وبروه، وكذلك ارتحل إلى الجهات البحرية مثل دمياط ورشيد والمنصورة وباقي البنادر العظيمة مراراً حين كانت مزينة بأهلها عامرة بأكابرها وأكرمه الجميع واجتمع بأفاضل النواحي وأرباب العلم والسلوك وتلقى عنهم وأجازوه وأجازهم وصنف عدة رحلات في تنقلاته في البلاد القبلية والبحرية تحتوي على لطائف ومحاورات ومدائح نظماً ونثراً لو جمعت كانت مجلداً ضخماً وكناه سيدنا السيد أبو الأنوار ابن وفا بأبي الفيض وذلك يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف وذلك برحاب ساداتنا بني وفا يوم زيارة المولد المعتاد ثم تزوج وسكن بعطفة الغسال مع بقاء سكنه بوكالة الصاغة وشرع في شرح القاموس حتى أتمه في عدة

سنين في نحو أربعة عشر مجلداً سماه تاج العروس ولما أكمله أولم له وليمة حافلة جمع فيها طلاب العلم وأشياخ الوقت بغيط المعدية وذلك في سنة إحدى وثمانين ومائة وألف وأطلعهم عليه واغتبطوا به وشهدوا بفضله وسعة اطلاعه ورسوخه في علم اللغة وكتبوا عليه تقاريظهم نثراً ونظماً فمن قرظ عليه شيخ الكل في عصره الشيخ علي الصعيدي والشيخ أحمد الدردير والسيد عبد الرحمن العيدروس والشيخ محمد الأمير والشيخ حسن الجداوي والشيخ أحمد البيلي والشيخ عطية الأجهوري والشيخ عيسى البراوي والشيخ محمد الزيات والشيخ محمد عبادة والشيخ محمد العوفي والشيخ حسن الهواري والشيخ أبو الأنوار السادات والسيد علي القناوي والشيخ علي خرايط والشيخ عبد القادر بن خليل المدني والشيخ محمد المكي والسيد علي القدسي والشيخ عبد الرحمن مفتي جرجا والشيخ علي الشاوري والشيخ محمد الحربتاوي والشيخ عبد الرحمن المقري والشيخ محمد سعيد البغدادي الشهير بالسويدي وهو آخر من قرظ عليه قال وكنت إذ ذاك حاضراً وكتبه نظماً ارتجالاً وذلك في منتصف جمادى الثانية سنة أربع وتسعين ومائة وألف وهو :

شرح الشريف المرتضى القاموسا	وأضاف ما قد فاته قاموسا
نفذت صحاح الجوهري وغيرها	سحر المدائن حين ألقى موسى
إذ قد أبان الدر من صدف النهى	في سلك جمهرة اللهى تأنيسا
وبنى أساساً فائقاً واختار في	إتقـانـه مختاره تـأسيسـا
فـأثار من مصباح مزهر نوره	عين الـغبي فـأبصرته نفيسـا
فـهو الفريد ولا يثنى جمعه	إذ لا يحاك كمثله تدليسا
فلسان نظمي عاجز عن مدحه	فـالله بـنشر نثره تـقـديسـا
ويديم مولاي الشريف بعصرنا	في كـل قطر للهداة رئيسا
وإذا تـوجه لي بلمحة نظرة	إني سعيد لا أصير خسيسا
أهدي الصلاة مع السلام لجده	هـدياً جزيلاً لا يطاق نفيسا
والآل مع صحب وهذا المرتضى	ومن ارتضى ومن اصطفاه أنيسا

قد تركنا باقي التقريظات مخافة طول الكلام (ولما أنشأ محمد بيك أبو الذهب) الجامع المعروف بالقرب من الأزهر وعمل فيه خزانة للكتب اشترى جملة من الكتب ووضعها فيه فأنهوا إليه شرح القاموس هذا وعرفوه أنه إذا وضع بالخزانة كمل نظامها وانفردت بذلك دون غيرها فطلبه وعوضه عنه مائة ألف درهم فضة ووضعه فيها وللمترجم له مصنفات خلاف شرح القاموس وشرح الإحياء كثيرة منها كتاب الجواهر المنيفة في أصول أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله مما وافق فيها الأئمة الستة وهو كتاب نفيس حافل رتبه ترتيب كتب الحديث من تقديم ما روي عنه في الاعتقاديات ثم في العمليات على ترتيب كتب الفقه والنفحة القدوسية بواسطة البضعة العيدروسية جمع فيه أسانيد العيدروس وهي في نحو عشرة كراريس والعقد الثمين في طرق الإلباس والتلقين وحكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق وشرح الصدر في شرح أسماء أهل بدر في عشرين كراسة ألفها لعلي أفندي درويش وألف باسمه أيضاً التفتيش في معنى لفظ درويش ورسائل كثيرة جداً منها رفع نقاب الخفا عمن انتمى إلى وفا وأبي الوفا وبلغة الأديب في مصطلح آثار الحبيب وإعلام الأعلام بمناسك حج بيت الله الحرام وزهر الأكمام المنشق عن جيوب الإلهام بشرح صيغة صلاة سيدي عبد السلام ورشفة المدام المختوم البكري من صفوة زلال صيغ القطب البكري ورشف سلاف الرحيق في نسب حضرة الصديق والقول المثبوت في تحقيق لفظ التابوت وتنسيق قلائد المنن في تحقيق كلام الشاذلي أبي الحسن ولقط اللآلي من الجوهر الغالي وهي في أسانيد الأستاذ الحفني وكتب له إجازته عليها في سنة سبع وستين وذلك سنة قدومه إلى مصر والنوافح المسكية على الفوائح الكشكية وجزء في حديث «نعم الأدم الخل» وهدية الإخوان في شجرة الدخان ومنح الفيوضات الوفية فيما في سورة الرحمن من أسرار الصفة الإلهية وإتحاف سيد الحي بسلاسل بني طي وبذل المجهود في تخريج حديث شيبتني هود والمربي الكابلي فيمن روى عن الشمس البابلي والمقاعد العندية في المشاهد النقشبندية ورسالة في المناشي والصفين على خطبة الشيخ محمد البحيري البرهاني على تفسير سورة يونس وتفسير على سورة يونس مستقلاً على لسان القوم وشرحاً

على حزب البر للشاذلي وتكلة لشرح حرب البكري للفاكهي من أوله فكله للشيخ أحمد البكري ومقامة سماها إسعاف الأشراف وأرجوزة في الفقه نظمها باسم الشيخ حسن عبد اللطيف الحسني المقدسي وحديقة الصفا في ولد المصطفى وقرظ عليها الشيخ حسن المدابغي ورسالة في طبقات الحافظ ورسالة في تحقيق قول أبي الحسن الشاذلي وليس من الكرم الخ. وعقيلة الأتراب في سند الطريقة والأحزاب صنفها للشيخ عبد الوهاب الشربيني والتعليقة على مسلسلات ابن عقيلة والمنح العلية في الطريقة النقشبندية والانتصار لوالد النبي المختار وألفية السند ومناقب أصحاب الحديث وكشف اللثام عن آداب الإيمان والإسلام ورفع الشكوى وترويح القلوب بذكر ملوك بني أيوب ورفع الكلل عن العلل ورسالة سماها قلنسوة التاج ألفها باسم الأستاذ العلّامة الصالح الشيخ محمد بن بدير المقدسي وذلك لما أكمل شرح القاموس المسمى بتاج العروس فأرسل إليه كراريس من أوّله حين كان بمصر وذلك في سنة اثنتين وثمانين ليطلع عليها شيخه الشيخ عطية الأجهوري ويكتب عليها تقريظات ففعل ذلك وكتب إليه يستجيزه فكتب إليه أسانيده العالية في كراسة وسماها قلنسوة التاج وأوّلها بعد البسملة الحمد لله الذي رفع متن العلماء وكتب في آخرها ما نصه:

أجزت له أبقاه ربي وحاطه	بكل حديث حاز سمعي بإتقان
وفقه وتاريخ وشعر رويته	وما سمعت أذني وقال لساني
على شرط أصحاب الحديث وضبطهم	بريأً عن التصحيف من غير نكران
كتبت له خطي واسمي محمد	وبالمرتضى عرفت والله يرعاني
ولدت بعام أرخوا فك ختمه	وبالله توفيقي وبالله تكلاني

(وكتب) معها جواب كتابه وقد تركنا ما كتبه خوفاً من الإطالة. وللمترجم أشعار كثيرة جوهرية نفيسة صحاح وعرائس أبيات ذات وجوه صباح منها قوله من قصيدة يمدح بها الأستاذ العلّامة شمس الدين السيد محمد أبا الأنوار بن وفا رحمه الله ويذكر فيها نسبه الشريف:

مدحت أبا الأنوار أبغي بمدحه	وفور حظوظي من جليل المآرب

نجيباً تسامى في المشارق نوره ... فلاحت هواديه لأهل المغارب
محمد الباني مشيد افتخاره ... بعز المساعي وابتذال المواهب
ربيب العلا المخضلّ سيب نواله ... سماء الندى المنهلّ صوب السحائب
كريم السجايا الغرّ واسطة العلا ... بسيم المحيا الطلق ليس بغاضب
حوى كل حلم واحتوى كل حكمة ... ففات مرام المستمر الموارب
به ازدهت الدنيا بهاء وبهجة ... وزانت جمالاً من جميع الجوانب
مخايلة تنبيك عما وراءها ... وأنواره تهديك سبُل المطالب
له نسب يعلو بأكرم والد ... تبلج منه عن كريم المناسب

وهي طويلة ذكرها في خاتمه رفع نقاب الخفا (وله) أيضاً رحمنا الله وإياه بمنه وجوده وكرمه:

كاف الكياسة مع كيس إذا اجتمعا ... يوماً لمرء غدا في العصر سلطانا
بالكيس يصبح مقضياً حوائجه ... وبالكياسة يولي الكيس إحسانا
والكيس منفرداً مغن لصاحبه ... والكيس منفرداً يوليه مجانا

وله في أسماء أهل الكهف على الخلاف الوارد فيهم:

بتمليخ مكسلمين مثلين بعده ... دبرنوش مرنوش كذا أسد الكهف
وخذ شادنوشاً سادس الصحب ذاكراً ... كفشططيوش في رواية ذي العرف
نوانس مانيوس مع بطنيوشهم ... مكرطونش تلك الروايات فاستوف
وكشفوطط كند سلططنوس هكذا ... روينا وأرنوش على حسب الخلف
وبنبونس كشفطيط أربطانس ... ومرطوكش عند الأجلة في الصحف
وكلبهم قطمير سابع سبعة ... فخذ وتوسل يا أخا الكرب والرجف

ومن كلامه أيضاً:

توكل على مولاك واخش عقابه ... وداوم على التقوى وحفظ الجوارح
وقدم من البر الذي تستطيعه ... ومن عمل يرضاه مولاك صالح
وأقبل على فعل الجميل وبذله ... إلى أهله ما استطعت غير مكالح

ولا تسمع الأقوال من كل جانب فلا بدَّ من مثنٍ عليك وقادح

ونظمه كثير ونثره بحر غزير وفضله شهير وذكره مستطير ولولا مخافة التطويل لأوردنا قدراً قريباً من كراسة من نظمه الجليل ، ولم يزل المترجم له رضي الله عنه يخدم العلم ويرقى في درج المعالي ويحرص على جمع الفنون التي أغفلها المتأخرون كعلم الأنساب والأسانيد وتخاريج الأحاديث واتصال طريق المحدثين المتأخرين بالمتقدمين ، وألف في ذلك كتباً ورسائل ومنظومات وأراجيز جمة ثم انتقل إلى منزل بسويقة اللالا تجاه جامع محرم أفندي بالقرب من مسجد شمس الدين الحنفي وذلك في أوائل سنة تسع وثمانين ومائة وألف وكانت تلك الخطة إذ ذاك عامرة بالأكابر والأعيان فأحدقوا به وتحبب إليهم واستأنسوا به وواسوه وأكرموه وهادوه وهو يظهر لهم الغنى والتعفف ويعظمهم ويفيدهم بفوائد وتمائم ورقى ويجيزهم بقراءة أوراد وأحزاب فأقبلوا عليه من كل جهة وأتوا إلى زيارته من كل ناحية ورغبوا في معاشرته لكونه غريباً وعلى غير صورة العلماء المصريين وشكلهم ويعرف باللغة التركية والفارسية بل وبعض لسان الكرج فانجذبت قلوبهم إليه وتناقلوا خبره وحديثه ثم شرع في إملاء الحديث على طريق السلف في ذكر الأسانيد والرواة والمخرجين من حفظه على طرق مختلفة وكل من قدم عليه يملي عليه المسلسل بالأولية وهو حديث الرحمة برواته ومخرجيه ويكتب له سنداً بذلك وإجازة وسماع الحاضرين فيعجبون من ذلك ثم إن بعض علماء الأزهر ذهبوا إليه وطلبوا منه إجازة فقال لهم لا بد من قراءة أوائل الكتب واتفقوا على الاجتماع بجامع شيخون بالصليبة الاثنين والخميس تباعداً عن الناس فشرعوا في صحيح البخاري بقراءة السيد حسين الشيخوني واجتمع عليهم بعض أهل الخطة والشيخ موسى الشيخوني إمام المسجد وخازن الكتب وهو رجل كبير معتبر عند أهل الخطة وغيرها وتناقل في الناس سعي علماء الأزهر مثل الشيخ أحمد السجاعي والشيخ مصطفى الطائي والشيخ سليمان الأكراشي وغيرهم للأخذ عنه فازداد شأنه وعظم قدره واجتمع عليه أهل تلك النواحي وغيرها من العامة الأكابر والأعيان والتمسوا منه تبيين المعاني فانتقل من الرواية إلى الدراية وصار درساً عظيماً فعند

ذلك انقطع عن حضوره أكثر الأزهرية وقد استغنى عنهم هو أيضاً وصار يملي على الجماعة بعد قراءة شيء من الصحيح حديثاً من المسلسلات أو فضائل الأعمال ويسرد رجال سنده ورواته من حفظة ويتبعه بأبيات من الشعر كذلك ، فيتعجبون من ذلك لكونهم لم يعهدوها ممن سبق من المدرسين المصريين وافتتح درساً آخر في مسجد الحنفي وقرأ الشمائل في غير الأيام المعهودة بعد العصر فازدادت شهرته وأقبلت الناس من كل ناحية لسماعه ومشاهدة ذاته لكونها على خلاف هيئة المصريين وزيهم ودعاه كثير من الأعيان إلى بيوتهم وعملوا من أجله ولائم فاخرة فيذهب إليهم مع خواص الطلبة والمقري والمستملي وكاتب الأسماء فيقرأ لهم شيئاً من الأجزاء الحديثية كثلاثيات البخاري أو الدارمي أو بعض المسلسلات بحضور الجماعة وصاحب المنزل وأصحابه وأحبابه وأولاده وبناته ونساؤه من خلف الستارة وبين أيديهم مجامر بخور العنبر والعود مدة القراءة ثم يختمون ذلك بالصلاة على النبي ﷺ على النسق المعتاد ويكتب الكاتب أسماء الحاضرين والسامعين حتى النساء والصبيان والبنات واليوم والتاريخ ويكتب الشيخ تحت ذلك صحيح ذلك وهذه كانت طريقة المحدثين في الزمن السابق قال كما رأيناه في الكتب القديمة . قال الجبرتي اني كنت مشاهداً وحاضراً في غالب هذه المجالس والدروس ومجالس أخر خاصة بمنزله وبسكنه القديم بخان الصاغة وبمنزلنا بالصنادقية وبولاق وأماكن أخر كنا نذهب إليها للنزهة مثل غيط المعدية والأزبكية وغير ذلك فكنا نشتغل غالب الأوقات بسرد الأجزاء الحديثية وغيرها وهو كثير مثبوت المسموعات على النسخ وفي أوراق كثيرة موجودة إلى الآن وانجذب إليه بعض الأمراء الكبار مثل مصطفى بك الاسكندراني وأيوب بك الدفتردار فسعوا إلى منزله وترددوا لحضور مجالس درسه وواصلوه بالهدايا الجزيلة والغلال فاشترى الجواري وعمل الأطعمة للضيوف وأكرم الواردين والوافدين من الآفاق البعيدة وحضر عبد الرزاق أفندي الرئيس من الديار الرومية إلى مصر وسمع به فحضر إليه والتمس منه الاجازة وقراءة مقامات الحريري فكان يذهب إليه بعد فراغه من درس شيخون ويطالع له ما تيسر من المقامات ويفهمه معانيها اللغوية ولما حضر محمد باشا عزت الكبير رفع شأنه عنده

وأصعده إليه وخلع عليه فروة سمور ورتب له تعييناً من كلاره لكفايته من لحم وسمن وأرز وحطب وخبز ورتب له علوفة جزيلة بدفتر الحرمين والسايرة وغلالاً من الأنبار وأنهى إلى الدولة شأنه فأتاه مرسوم بمرتب جزيل بالضربخانة وقدره مائة وخمسون نصفاً في كل يوم وذلك في سنة إحدى وتسعين فعظم أمره وانتشر صيته وطلب إلى الدولة في سنة أربع وتسعين فأجاب ثم اتسع وترادفت عليه المراسلات من أكابر الدولة وواصلوه بالهدايا والتحف والأمتعة الثمينة في صناديق وطار ذكره في الآفاق وكاتبه ملوك النواحي من الترك والحجاز والهند واليمن والشام والبصرة والعراق وملوك المغرب والسودان وفزان والجزائر والبلاد البعيدة وكثرت عليه الوفود من كل ناحية وترادفت عليه الهدايا والصلات والأشياء الغريبة وأرسلوا إليه من أغنام فزان وهي عجيبة الخلقة عظيمة الجثة يشبه رأسها رأس العجل وأرسلها إلى أولاد السلطان عبد الحميد فوقع لها عنده موقع وكذلك أرسلوا إليه من طيور الببغاء والجواري والعبيد والطواشية فكان يرسل من طرائف الناحية إلى الناحية المستغربة تلك عندها ويأتيه في مقابلتها أضعافها وأتاه من طوائف الهند وصنعاء اليمن وبلاد سرت وغيرها أشياء نفيسة وماء الكادي والمربيات والعود والعنبر والعطر والشاه بالأرطال وصار له عند أهل الغرب شهرة عظيمة ومنزلة كبيرة واعتقاد زائد وربما اعتقدوا فيه القطبانية العظمى حتى ان أحدهم إذا ورد مصر حاجاً ولم يزره ولم يصله بشيء لا يكون حجه كاملاً فتراهم في أيام طلوع الحج ونزوله مزدحمين على بابه من الصباح إلى الغروب وكل من دخل منهم قدم بين يدي نجواه شيئاً اما موزونات فضة أو تمراً أو شمعاً على قدر فقره وغناه وبعضهم يأتيه بمراسلات وصلات من أهل بلاده وعلمائها وأعيانها ويلتمسون منه الأجوبة فمن ظفر منهم بقطعة ورقة ولو بمقدار الأنملة فكأنما ظفر بحسن الخاتمة وحفظها معه كالتميمة ويرى أنه قد قبل حجة وإلا فقد باء بالخيبة والندامة وتوجه عليه اللوم من أهل بلاده ودامت حسرته إلى يوم معاده وقس على ذلك ما لم يقل (وماتت) زوجته زبيدة وكنيتها أم الفضل في سنة ست وتسعين فحزن عليها حزناً كبيراً ودفنها عند المشهد المعروف بمشهد السيدة رقية وعمل على قبرها مقاماً ومقصورة وستوراً

وفرشاً وقناديل ولازم قبرها أياماً كثيرة وكان يجتمع عنده الناس والقراء والمنشدون ويعمل لهم الأطعمة والثريد والكسكسو والقهوة والشربات واشترى مكاناً بجوار المقبرة المذكورة وعمره بيتاً صغيراً وفرشه وأسكن به أمها وكان يبيت به أحياناً وقصده الشعراء بالمراثي فكان يقبل منهم ذلك ويجيزهم عليه ورثاها هو بقصائد قال الناقل وجدتها بخطه بعد وفاته في أوراقه المدشتة على طريقة شعر مجنون ليلى، فمنها:

أعاذل من يرزأ كرزئي لا يزل كئيباً ويزهد بعده في العواقب
أصابت يد البين المشت شمائلي وحافت نظامي عاديات النوائب
وكنت إذا ما زرتها في سحيرة أعود إلى رحل بطين الحقائب

ومنها:

يقولون لا تبكي زبيدة واتئد وسلّ هموم النفس بالذكر والصبر
وتأبي لي الأشجان من كل وجهة بمختلف الأحزان بالهم والفكر
وهل لي تسلٍّ من فراق حبيبة لها الجدث الأعلى بيشكر من مصر
أبى الدمع إلا أن يعاهد أعيني بمحجرها والقدر يجري إلى القدر
فأما تروني لا تزال مدامعي لدى ذكرها تجري إلى آخر العمر

ولولا مخافة التطويل لأوردنا شيئاً كثيراً من كلامه من هذا القبيل (ثم تزوّج) بعدها بأخرى وهي التي مات عنها وأحرزت ما جمعه من مال وغيره، ولما بلغ ما لا مزيد عليه من الشهرة وبعد الصيت وعظم القدر والجاه عند الخاص والعام وكثرت عليه الوفود من سائر الأقطار وأقبلت عليه الدنيا بحذافيرها من كل ناحية لزم داره واحتجب عن أصحابه الذين كان يلم بهم قبل ذلك إلا في النادر لغرض من الأغراض وترك الدروس والإقراء واعتكف بداخل الحريم وأغلق الباب ورد الهدايا التي كانت تأتيه من أكابر المصريين ظاهرة وأرسل إليه مرة أيوب بك الدفتردار مع نجله خمسين أردباً من البر وأحمالاً من الأرز والسمن والزيت وخمسمائة ريال نقوداً وبقج كساوى أقمشة هندية وجوخ وغير ذلك فردها وكان

ذلك في رمضان وكذلك مصطفى بك الاسكندراني وغيرهما وحضرا إليه فاحتجب عنهما ولم يخرج إليهما ورجعا من غير أن يواجهاه ، وبالجملة فإنه كان في جميع المعارف صدر الكل ناد حتى قرض الدهر منه رفيع العماد وآذنت شمسه بالزوال وغربت بعد ما طلعت من مشرق الاقبال كما قيل :

وزهرة الدنيا وإن أينعت فإنها تسقى بماء الزوال

وقد نعاه الفضل والكرم وناحت لفراقه حمائم الحزم وأصيب بالطاعون في شهر شعبان سنة خمس ومائتين وألف وذلك أنه صلى الجمعة في مسجد الكردي الموجه لداره فطعن بعد فراغه من الصلاة ودخل إلى البيت واعتقل لسانه في تلك الليلة وتوفي يوم الأحد فأخفت زوجته وأقاربها موته حتى نقلوا الأشياء النفيسة والمال والذخائر والأمتعة والكتب المكلفة ثم أشاعوا موته يوم الاثنين فحضر عثمان بك طبل الإسماعيلي ورضوان كتخدا المجنون وادعى أن المتوفى أقامه وصياً مختاراً وعثمان بك ناظراً بسبب أن زوج أخت الزوجة من أتباع المجنون يقال له حسين أغا فلما حضروا وصحبتهما مصطفى أفندي صادق أخذوا ما أحبوه وابتغوه من المجلس الخارج وخرجوا بجنازته وصلوا عليه ودفن بقبر كان قد أعده لنفسه في حياته بجانب زوجته بالمشهد المعروف بالسيدة رقية ولم يعلم بموته أهل الأزهر ذلك اليوم لاشتغال الناس بأمر الطاعون وبعد الخطة ومن علم منهم وذهب لم يدرك الجنازة ، ومات رضوان كتخدا في أثر ذلك واشتغل عثمان بك بالإمارة لموت سيده أيضاً وأهمل أمر تركته فأحرزت زوجته وأقاربها متروكاته ونقلوا الأشياء الثمينة والنفيسة إلى دارهم ونسي أمره شهراً حتى تغيرت الدولة وتملك الأمراء المصريون الذين كانوا بالجهة القبلية وتزوجت زوجته برجل من الأجناد من أتباعهم فعند ذلك فتحوا التركة بوصاية الزوجة من طرف القاضي خوفاً من ظهور وارث وأظهروا ما ابتغوه مما انتقوه من الثياب وبعض الأمتعة والكتب والدشتات وباعوها بحضرة الجميع فبلغت نيفاً ومائة ألف نصف فضة وأخذ منها بيت المال شيئاً وأحرز الباقي مع الأول قال الناقل وكانت مخلفاته شيئاً كثيراً جداً أخبرني المرحوم حسن الحريري وكان من

خاصته وممن يسعى في خدمته ومهماته أنه حضر إليه في يوم السبت وطلب الدخول لعيادته فأدخلوه عليه فوجده راقداً معتقل اللسان وزوجته وأصهاره في كبكبة واجتهاد في إخراج ما في داخل الخبايا والصناديق إلى الليوان ورأيت كوماً عظيماً من الأقمشة الهندية والمقصبات والكشمير والفراء من غير تفصيل نحو الحملين وأشياء في ظروف وأكياس لا أعلم ما فيها قال ورأيت عدداً كثيراً من ساعات العلب الثمينة مبدداً على بساط القاعة وهي بغلافات بلادها قال فجلست عند رأسه حصة وأمسكت يده ففتح عينيه ونظر إليّ وأشار كالمستفهم عما هم فيه ثم غمض عينيه وذهب في غطوسه فقمت عنه قال ورأيت في الفسحة التي أمام القاعة قدراً كثيراً من شمع العسل الكبير والصغير والكافوري المصنوع والخام وغير ذلك مما لم أره ولم ألتفت إليه ولم يترك ابناً ولا بنتاً ولم يرثه أحد من الشعراء.

(صفته) كان ربعة نحيف البدن ذهبي اللون متناسب الأعضاء معتدل اللحية قد وخطه الشيب في أكثرها مترفهاً في ملبسه ويعتم مثل أهل مكة عمامة منحرفة بشاش أبيض ولها عذبة مرخية على قفاه ولها حبكة وشراريب حرير طولها قريب من فتر وطرفها الآخر داخل طي العمامة وبعض أطرافه ظاهر وكان لطيف الذات حسن الصفات بشوشاً بسوماً وقوراً محتشماً مستحضراً للنوادر والمناسبات ذكياً لوذعياً فطناً ألمعياً روض فضله نضير وماله في سعة الحفظ نظير جعل الله مثواه قصور الجنان وضريحه مطاف وفود الرحمة والغفران اهـ.

فصل
في ذكر مناقب السيدة زينب بنت الإمام علي كرم الله وجهه

(أمها) فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ فهي شقيقة الحسن والحسين رضي الله عنهم (تزوجها) ابن عمها عبد الله بن جعفر الطيار ذي الجناحين بن أبي طالب وولدت له علياً وعوناً ويدعى بالأكبر وعباساً ومحمداً وأم كلثوم، وذريتها موجودة إلى الآن بكثرة قال العلماء ويتكلم عليهم من عشرة وجوه (أحدها) أنهم من آل النبي ﷺ وأهل بيته بالإجماع لأن آله هم المؤمنون من بني هاشم والمطلب (الثاني) أنهم من ذريته وأولاده بالإجماع لأن أولاد بنات الإنسان معدودون في ذريته وأولاده حتى ولو أوصى لأولاد فلان دخل فيه أولاد بناته (الثالث) أنهم لا يشاركون أولاد الحسن والحسين في الانتساب إليه ﷺ وإنما خص ﷺ أولاد فاطمة دون غيرها من بقية بناته لأنهن لم يعقبن ذكر إذا عقب حتى يكون كالحسن والحسين (الرابع) أنهم يطلق عليهم اسم الأشراف على الاصطلاح القديم (الخامس) أنهم تحرم الصدقة عليهم لأن بني جعفر من الآل قطعاً (السادس) أنهم يستحقون سهم ذوي القربى (السابع) أنهم يستحقون من وقف بركة الحبش لأنها لم توقف على أولاد الحسن والحسين خاصة (الثامن) هل يلبسون العلامة الخضراء؟ والجواب أن هذه العلامة ليس لها أصل لا في الكتاب ولا في السنة ولا كانت في الزمن القديم وإنما حدثت سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بأمر الملك الأشرف شعبان بن حسين. وفي درر الأصداف ما نصه وأما العلامة الخضراء فأحدثها السلطان الملك الأشرف شعبان من دولة الأتراك بمصر في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة. وأما العمامة الخضراء فأحدثها السيد محمد الشريف المتولي باشا مصر سنة أربع بعد الألف لما دار بكسوة الكعبة والمقام وأمر الأشراف أن يمشوا

أمامه وكل واحد منهم على رأسه عمامة خضراء وإنما اختيرت العلامة الخضراء للأشراف لأن الأسود شعار بني العباس والأصفر شعار اليهود والأزرق شعار النصارى والأحمر مختلف فيه انتهى وفيها قال جماعة من الشعراء من ذلك قول جابر بن عبد الله الأندلسي الأعمى صاحب شرح الألفية المشهور بالأعمى والبصير:

جعلوا لأبناء الرسول علامة إن العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في وسيم وجوههم يغني الشريف عن الطراز الأخضر

وقال الأديب شمس الدين محمد بن إبراهيم الدمشقي:

أطراف تيجان أتت من سندس خضر بأعلام على الأشراف
والأشرف السلطان خصهم بها شرفاً ليعرفهم من الأطراف

وغاية القول أنه لا بأس بها لكل شريف سواء كان من ذرية الحسنين أم لا ولا يمنع من لبسها أحد من الناس إلا لغرض شرعي (التاسع والعاشر) هل يدخلون في الوصية على الأشراف والوقف عليهم؟ والجواب إن وجد في كلام الموصي والواقف نص يقتضي دخولهم أو خروجهم اتبع وإلا فلا والعمدة في ذلك العرف وعرف مصر من عهد الدولة الفاطمية إلى الآن أن الشريف لقب لكل حسني وحسيني خاصة فلا يدخلون على مقتضى هذا العرف. قال الشعراني في مننه أخبرني سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى أن السيدة زينب المدفونة بقناطر السباع ابنة الإمام علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه وأنها في هذا المكان بلا شك وكان رضي الله عنه يخلع نعله من عتبة الدرب ويمشي حافياً حتى يجاوز مسجدها ويقف تجاه وجهها ويتوسل بها إلى الله تعالى في أن يغفر له اهـ وفي لواقح الأنوار أن زينب المدفونة بقناطر السباع أخت الحسين رضي الله عنها وفي الطبقات للشعراني في ترجمة الحسين رضي الله عنه ما نصه وأنشدت أخته زينب المدفونة بقناطر السباع من مصر المحروسة برفع صوت ورأسها خارج من الخباء:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد فرقتكم ... منهم أسارى ومنهم خضبوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ... أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

لكن في شرح عقود الجمان أن هذه الأبيات لابنة عقيل بن أبي طالب ونص عبارته ثم أمر يزيد النعمان بن بشير أن يجهزهم إلى المدينة قال فبعث معهم أميناً فلقيهم نساء بني هاشم حاسرات وفيهن ابنة عقيل بن أبي طالب تبكي وتقول ماذا تقولون الأبيات اهـ وقد تقدم مثله عن الفصول المهمة أيضاً ولقائل أن يقول ما المانع من أن هذه قالت وهذه قالت والله أعلم، وفي تاريخ القرماني هم شمر بقتل علي زين العابدين بن الحسن وهو مريض فخرجت إليه زينب بنت علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقالت والله لا يقتل حتى أقتل فكف عنه انتهى ذكر الجاحظ في كتابه البيان والتبيين عن أبي اسحق عن خزيمة الأسدي قال دخلنا الكوفة سنة إحدى وستين فصادفت منصرف علي بن الحسين بن علي رضوان الله عليهم أجمعين بالذرية من كربلاء إلى ابن زياد بالكوفة ورأيت نساء الكوفة يومئذ قياماً يندبن متهتكات الجيوب وسمعت علي بن الحسين رضي الله عنهما وهو يقول بصوت ضئيل قد نحل من شدة المرض يا أهل الكوفة إنكم تبكون علينا فمن قتلنا غيركم ورأيت زينب بنت علي كرم الله وجهه ورضي عنها فلم أر والله خفرة أنطق منها كأنما تنزع عن لسان أمير المؤمنين فأومأت إلى الناس أن اسكتوا فسكنت الأنفاس وهدأت الأجراس فقالت الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين أما بعد يا أهل الكوفة يا أهل الختل والخذل أتبكون فلا سكنت العبرة ولا هدأت الرنة إنما مثلكم مثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم ألا وإن فيكم الصلف والصنف وداء الصدر الشنف وملق الأمة وحجز الأعداء كمرعى على دمنة أو كفضة على ملحودة ألا ساء ما تزرون إي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً فقد ذهبتم بعارها وشنارها فلن ترحضوها بغسل أبداً وإنما ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة ومنار محجتكم وسيد شباب أهل الجنة، ويلكم يا أهل الكوفة ألا ساء ما سولت لكم

أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون أتدرون أي كبد لرسول الله ﷺ فريتم وأي دم له سفكتم وأي كريمة له أبرزتم لقد جئتم شيئاً إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء طلاع الأرض أفعجبتكم أن أمطرت السماء دماً فلعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون فلا يستخفنكم المهل فلا يحفزه البدار ولا يخاف عليه فوات الثار كلا إن ربي وربكم لبالمرصاد ثم سارت فرأيت الناس حيارى واضعي أيديهم على أفواههم ورأيت شيخاً قد دنا منها يبكي حتى اخضلت لحيته ثم قال بأبي أنتم وأمي كهولكم خير الكهول وشبابكم خير الشباب ونسلكم لا يبور ولا يخزى أبداً انتهى. وفي الخطط لما مرت زينب بالحسين ووجدته صريعاً صاحت يا محمداه هذا حسين بالعراء مرمل بالدماء مقطع الأعضاء يا محمد بناتك سبايا وذريتك مقتلة فأبكت كل عدو وصديق رضي الله عنها.

(تنبيه) أول من أنشأ قناطر السباع الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري ونصب عليها سباعاً من الحجارة فإن رنكه على شكل سبع ولذلك سميت قناطر السباع وكانت مرتفعة فلما أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون الميدان السلطاني كان يتردد إليه كثيراً ويمر عليها ويتضرر من ارتفاعها ويقال إنه أشاع هذا والقصد إنما هو كراهته لنظر أثر أحد من الملوك قبله وبغضه أن يذكر أحد غيره بشيء يعرف به فأحب أن يزيلها لتبقى القنطرة منسوبة له ومعروفة كما كان يفعل من محو آثار من تقدمه وتخليد ذكره فاستدعى الأمير علاء الدين والي مصر وأمره بهدمها وعمارتها أوسع مما كانت عليه بعشرة أذرع وأقصر من ارتفاعها الأول ففعل كما أمره وذلك في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ولم يضع سباع الحجر عليها فتحدث الناس بأن السلطان أزالها لكونها رنك سلطان غيره فامتعض لذلك وأمر علاء الدين بوضعها كما كانت عليه وهي باقية هناك إلى الآن إلا أن الشيخ محمداً المعروف بصائم الدهر شوه صورها كما فعل بوجه أبي الهول ظناً منه أن هذا الفعل من جملة القربات اهـ خطط. قال الشيخ عبد الرحمن الأجهوري المقري في كتابه مشارق الأنوار قد حصل لي في سنة سبعين ومائة بعد الألف كرب شديد

من كروب الزمان فتوجهت إلى مقام السيدة زينب المذكورة وأنشدتها هذه القصيدة فانجلى عني الكرب ببركتها وهي :

آل طه لكم علينا الولاء	لا سواكم بما لكم آلاء
مدحكم في الكتاب جاء مبيناً	أنبأت عنه ملة سمحاء
حبكم واجب على كل شخص	حدثتنا بضمنه الأنباء
إنني لست أستطيع امتداحاً	لعلاكم وأنتم البلغاء
كيف مدحي لمن بعلياه من قد	عجزت عن بلوغه الفصحاء
مدحكم إنما يريد بليغ	وقفت عند حده الشعراء
شرفت مصرنا بكم آل طه	فهنيئاً لنا وحق الهناء
منكم بضعة الإمام علي	سيف دين لمن به الاهتداء
خيرة الله أفضل الرسل طرًّا	من له في يوم المعاد اللواء
زينب فضلها علينا عميم	وحماها من السقام شفاء
كعبة القاصدين كنز أمان	وهي فينا اليتيمة العصماء
وهي بدر بلا خسوف وشمس	دون كسف والبضعة الزهراء
وهي ذخري وملجئي وأماني	ورجائي ونعم ذاك الرجاء
قد أنخت الخطوب عند حماها	فعسى تنجلي بها الضراء
ليس إلاك وصلتي لنبي	خمدت عند نصره الأعداء
من كراماتها الشموس أضاءت	أين منها السها وأين السماء
من أتاها وصدره ضاق ذرعاً	من عسير أو ضاق عنه الفضاء
حلت الخطب مسرعاً وجلته	فانجلى عنه عسره والعناء
لا يضاهي آل النبي وصيف	لا يوفي كمالهم أدباء
شرفت منهم النفوس وساروا	حيثما أشرفوا فهم شرفاء
وعليهم جلالة وفخار	ووقار وهيبة وضياء
نوروا الكون بعد كان ظلاماً	إذ أضاءت ذماراهم الغراء
كل مدح مقصر بعلاهم	كل فرض من هديهم لألاء

لهم الفضل من ألست فأنى … من سواهم يكون فيه استواء

إن هل يستوي الذين دليل … ولتطهيرهم بذاك اقتفاء

إن لي يا كرام حق جواري … فاحفظوه فإنكم أمناء

عن أبيكم روى الثقات حديثاً … حدثتنا بضمنه الأنباء

إن بالجار لم يزل يوصي جبرا … ئيل معناه وليس فيه خفاء

لست أخشى الضياع والحب عندي … طب قلبي ومقلتي وجلاء

بيتكم مهبط لجبريل وحيا … فيه تغدو الملائكة الكرماء

من أتى حيكم وكان أسيراً … لدواعيه زال عنه الشقاء

يا كرام الورى أغيثوا نزيلاً … أجحفته الخطوب والأدواء

قسماً إن وصفكم في الثريا … أيدتكم نجومها والسماء

فتوسل بهم لكل صعيب … حيث جاء ابتغوا فهم شفعاء

وصلاة على النبي وآل … وكذلك الصحابة الأتقياء

ما حمام بروضة قد تغني … أو على الدوح تسجع الورقاء

أو عبيد الرحمن أنشأ مدحاً … آل طه لكم علينا الولاء

فصل
في ذكر مناقب السيدة فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

(أمها) أم إسحاق التيمية بنت طلحة بن عبيد الله كذا قاله الخطيب البغدادي ومثله في الفصول المهمة (وتزوج) فاطمة بنت الحسن رضي الله عنهما ابن عمها حسن المثنى بن الحسن السبط عمها فولدت له عبد الله ويلقب بالمحض وإنما سمي بالمحض لمكانه من الحسين وكان يشبه رسول الله ﷺ وكان شيخ بني هاشم قيل له لم صرتم أفضل الناس؟ فقال لأن الناس كلهم يتمنون أن يكونوا منا ولا نتمنى أن نكون من أحد وكان قويّ النفس شجاعاً ورعاً قال من الشعر شيئاً ومنه:

بيض حرائر ما هممن بريبة ... كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام زوانيا ... ويصدهن عن الخنا الإسلام

وكان عبد الله يلي صدقات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعد أبيه الحسن ونازعه في ذلك زيد بن علي بن الحسين ولهما في ذلك حكايات مشهورة في كتب التواريخ ومات عبد الله المحض في حبس أبي جعفر الدوانيقي مخنوقاً وولدت له أيضاً فاطمة بنت الحسين صاحبة الترجمة للحسن المثنى إبراهيم القمر والحسن المثلث وكل منهم له عقب اهـ من بحر الأنساب. وفي بغية الطالب ومات المحض هو وإخوته في سجن المنصور العباسي وكان موته سنة خمس وأربعين ومائة قال وسمي بالمحض لأنه أول من جمع بين ولادة الحسن والحسين من الحسنية وأول من جمعها من الحسينية محمد الباقر اهـ ثم مات عنها الحسن فتزوجها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنهم. وفي الأغاني خطب الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم إلى عمه الحسين فقال له الحسين يا ابن أخي قد كنت أنتظر هذا منك انطلق معي فخرج به حتى أدخله منزله فخيره في ابنتيه

فاطمة وسكينة فاختار فاطمة فزوّجه إياها قال عبد الله بن موسى في خبره إن الحسين خيره فاستحيا فقال له قد اخترت لك فاطمة بنتي فهي أكثر شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله ﷺ اهـ. ومثله في الفصول المهمة وتاريخ الخطيب البغدادي من رواية الزبير بن بكار وروى عنها الإمام أحمد وابن ماجه عن أبيها الحسين رضي الله عنه عن النبي ﷺ حديث: «ما من مسلم يصاب بمصيبة فيذكرها وإن قدم مشهدها فيحدث لها الاسترجاع إلا كتب الله له من الأجر مثل يوم أصيب». وفي درر الأصداف ولما حضرت الحسن زوجها الوفاة قال لفاطمة إنك امرأة مرغوب فيك وكأني بعبد الله بن عمرو بن عثمان إذ خرج لجنازتي قد خرج على فرس مرجلاً جمته لابساً حلته يسير في جانب الناس فيتعرض لك فانكحي من شئت سواه فإني لا أدع من الدنيا ورائي هما غيرك فقالت له آمن من ذلك وحلفت له بالعتق والصدقة أنها لا تتزوجه ثم مات الحسن وخرج عبد الله ابن عمرو لجنازته في الحالة التي وصفه بها الحسن وكان يقال لعبد الله بن عمرو المطرف لحسنه فنظر إلى فاطمة حاسرة تضرب وجهها فأرسل يقول لها إن لنا في وجهك حاجة فارفقي به فاستحيت وعرف ذلك منها وخمرت وجهها فلما حلت أرسل إليها يخطبها فقالت كيف بأيماني التي حلفت له بها فأرسل إليها يقول لها لك بكل مملوك مملوكان وعن كل شيء شيئان فعوضها عن يمينها فنكحته وولدت له محمداً والقاسم وكان عبد الله بن الحسن المثنى ولدها يقول ما أبغضت بغضي عبد الله بن عمرو أحداً ولا أحببت حب ابنه محمد أحداً اهـ. وفي الفصول المهمة ولما مات الحسن المثنى بن الحسن ضربت زوجته فاطمة بنت الحسين على قبره فسطاطاً وكانت تقوم الليل وتصوم النهار وكانت تشبه بالحور العين لجمالها فلما كان رأس السنة قالت لمواليها إذا أظلم الليل فقوضوا هذا الفسطاط فلما أظلم الليل وقوضوه سمعت قائلاً يقول: هل وجدوا ما فقدوا فأجابه آخر بل يئسوا فانقلبوا انتهى، وكانت فاطمة رضي الله عنها كريمة. في الفصول المهمة أيضاً أن يزيد لما جهزهم إلى المدينة بعد قتل أبيها الحسين رضي الله عنه أرسل معهم رجلاً أميناً من أهل الشام في خيل سيرها صحبتهم إلى أن دخلوا المدينة فقالت فاطمة بنت الحسين

لأختها سكينة قد أحسن هذا الرجل إلينا فهل لك أن تصليه بشيء فقالت والله ما معنا ما نصله به إلا ما كان من هذا الحلي قالت فافعلي فأخرجت له سوارين ودملجين وبعثتا بهما إليه فردهما وقال لو كان الذي صنعته رغبة في الدنيا لكان في هذا مقنع بزيادة كثيرة ولكني والله ما فعلته إلا لله ولقرابتكم من رسول الله ﷺ وكانت فاطمة أكبر سناً من سكينة اهـ. قال القطب الشعراني في كتابه الأنوار عن شيخه الخواص إن السيدة فاطمة النبوية بنت الإمام السبط مدفونة بالدرب الأحمر اهـ. وقال الشيخ عبد الرحمن الأجهوري الكبير السيدة فاطمة النبوية بنت الحسين السبط مدفونة خلف الدرب الأحمر في زقاق يعرف بزقاق فاطمة النبوية في مسجد جليل ومقامها عظيم وعليه من المهابة والجلال والوقار ما يسر قلوب الناظرين ولنا فيها أرجوزة عظيمة ولنا بها زيارات، وما اشتهر من أن فاطمة النبوية بدرب سعادة غير صحيح وعلى تقدير صحته يحتمل أن يكون معبدها ويحتمل أن تكون فاطمة أخرى من بيت النبوة اهـ. وهو موافق لما قالوه من أن أولاد الحسين رضي الله عنه الإناث ثلاث سكينة وزينب وفاطمة واحدة ثم رأيت في درر الأصداف ما هو صريح في أن للحسين فاطمة صغرى وفاطمة كبرى؛ وعبارته وبالإسناد عنهم لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنه جاء غراب فتمرغ في دمه وطار حتى وقع بالمدينة على جدار فاطمة بنت الحسين بن علي رضي الله عنهما وهي الصغرى فرفعت رأسها ونظرت إليه وبكت بكاء شديداً وأنشأت تقول:

نعق الغراب فقلت من	تنعيه ويحك يا غراب
قال الإمام فقلت من	قال الموفق للصواب
قلت الحسين فقال لي	بمقال محزون أجاب
إن الحسين بكربلا	بين الأسنة والضراب
أبكي الحسين بعبرة	ترضي الإله مع الثواب
ثم استقل به الجنا	ح فلم يطق رد الجواب
فبكيت مما حل بي	بعد الرضى المستجاب

فنعته لأهل المدينة فما كان بأسرع من أن جاءهم خبر قتل الحسين رضي الله عنه انتهى هذا وقد مر آنفاً أن فاطمة كانت مع أبيها بكربلاء وأنها كانت أكبر سناً من سكينة. لا يقال إذا كان للحسين فاطمة صغرى وفاطمة كبرى على هذا فما المانع من أن فاطمة التي بدرب سعادة إحداهما لأنا نقول هذا مما يحتاج إلى نقل والشيخ الأجهوري حجة نفعنا الله ببركاته وأمدنا من إمداداته.

(تنبيه) من أهل البيت بقرب مزار الشيخ الحموي بدرب سعادة السيدة صفية بنت إسمعيل بن محمد بن إسمعيل بن قاسم بن إبراهيم بن إسمعيل بن إبراهيم ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم توفيت صفية ليلة الخميس تاسع المحرم سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة من الهجرة النبوية كذا نقلته من خط بعض الفضلاء وعزاه لكتاب الأنساب للشيخ منصور بن عبد الحق الأهريتي الفيومي اهـ. وفي رحلة ابن بطوطة بعد الكلام على عزة ما نصّه وبالقرب من هذا المسجد مغارة فيها قبر فاطمة بنت الحسين بن علي رضي الله عنه وبأعلى القبر وأسفله لوحان من الرخام في أحدهما مكتوب منقوش بخط بديع بسم الله الرحمن الرحيم لله العزة والبقاء وله ما ذرأ وبرأ وعلى خلقه كتب الفناء وفي رسول الله أسوة هذا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين رضي الله عنه وفي اللوح الآخر منقوش صنعه محمد بن أبي سهل النقاش بمصر وتحت ذلك هذه الأبيات:

أسكنت من كان في الأحشاء مسكنه	بالرغم مني بين الترب والحجر
يا قبر فاطمة بنت ابن فاطمة	بنت الأئمة بنت الأنجم الزهر
يا قبر ما فيك من دين ومن ورع	ومن عفاف ومن صون ومن خفر

اهـ ما أورده الشيخ الصالح؛ ومن كلام فاطمة رضي الله عنها: والله ما نال أحد من أهل السفه بسفههم شيئاً ولا أدركوا من لذاتهم شيئاً إلا وقد ناله أهل المروءات فاستتروا بجميل ستر الله، توفيت رضي الله عنها سنة عشر ومائة كذا في كتب التاريخ.

فصل

في ذكر مناقب السيدة عائشة بنت جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

فأخوها موسى الكاظم ولم أعثر على أمها نعم إن كانت شقيقته فأمها حينئذ حميدة بضم الحاء وفتح الميم كما ضبطه بعضهم البربرية قال الشعراني في المنن في الباب العاشر أخبرني سيدي علي الخواص أن السيدة عائشة ابنة جعفر الصادق رضي الله عنها في المسجد الذي له المنارة القصيرة على يسارك وأنت تريد الخروج من الرميلة إلى باب القرافة اهـ لكن قد تقدم في ترجمة جعفر الصادق عند الكلام على أولاده عن الفصول المهمة ان بنت جعفر الصادق اسمها فروة وهو محل نظر. قلت على فرض أن جعفر الصادق رضي الله عنه لم يرزق من الإناث إلا فروة هذه يحتمل أن يكون هذا الاسم لقباً لعائشة أو كنية وسقط من الكاتب لفظ أم ويرشحه أن جدتها أم أبيها جعفر تدعى أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه والله أعلم بحقيقة الحال والظن لا يغني من الحق شيئاً. قال الشعراني في طبقاته في فصل ذكر جماعة من عباد النساء قال ومنهن السيدة عائشة بنت جعفر الصادق رحمها الله وهي المدفونة بباب قرافة مصر رضي الله عنها كانت تقول وعزتك وجلالك لئن ادخلتني النار لآخذن توحيدي بيدي وأدور به على أهل النار وأقول لهم وحدته فعذبني توفيت سنة خمس وأربعين ومائة رضي الله عنها اهـ ومثله في طبقات المناوي.

فصل

في ذكر مناقب السيدة نفيسة بنت سيدي حسن الأنور بن السيد زيد الأبلج بن حسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

أمها أم ولد تزوج بنفيسة إسحاق بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهم وكان يدعى بإسحاق المؤتمن وكان من أهل الصلاح والخير والفضل والدين وروي عنه الحديث وكان ابن كاسب إذا حدث عنه يقول حدثني الثقة الرضى إسحاق بن جعفر وكان له عقب بمصر من غير السيدة نفيسة وولدت السيدة نفيسة منه ولدين القاسم وأم كلثوم ولم يعقبا وكان مولد السيدة نفيسة بمكة المشرفة سنة خمس وأربعين ومائة ونشأت بالمدينة في العبادة والزهادة تصوم النهار وتقوم الليل وكانت لا تفارق حرم النبي ﷺ وحجت ثلاثين حجة أكثرها ماشية وكانت تبكي بكاء كثيراً وتتعلق بأستار الكعبة وتقول إلهي وسيدي ومولاي متعني وفرحني برضاك عني فلا سبب لي أتسبب به يحجبك عني. قالت زينب بنت يحيى المتوج وهو أخو السيدة نفيسة رضي الله عنهم خدمت عمتي نفيسة أربعين سنة فما رأيتها نامت بليل ولا فطرت بنهار فقلت أما ترفقين بنفسك؟ فقالت كيف أرفق بنفسي وقدامي عقبات لا يقطعهن إلا الفائزون قال القضاعي قيل لزينب بنت أخي السيدة نفيسة رضي الله عنهم ما كان قوت السيدة نفيسة قالت كانت تأكل في كل ثلاثة أيام أكلة وكانت لها سلة معلقة أمام مصلاها فكانت كلما اشتهت شيئاً وجدته في السلة وكنت أجد عندها ما لا يخطر بخاطري ولا أعلم من يأتي به فتعجبت من ذلك فقالت لي يا زينب من استقام مع الله تعالى كان الكون بيده وفي طاعته وكانت لا تأكل لغير زوجها شيئاً. وعن زينب أيضاً قالت كانت عمتي نفيسة تحفظ القرآن وتفسيره كانت تقرأ القرآن

وتبكي وتقول إلهي وسيدي يسر لي زيارة خليلك إبراهيم عليه السلام فحجت هي وزوجها إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق ثم زارت قبر خليل الرحمن عليه السلام ثم رجعت إلى مصر وسكنت بالمنصوصة في دار أم هانئ وكان بجوارهم يهودي له ابنة مقعدة لا تستطيع القيام فقالت لها أمها يوماً إني ذاهبة إلى الحمام ولا أدري ما نصنع بك فهل لك أن نحملك معنا فقالت لا أستطيع ذلك قالت هل تقيمين في البيت وحدك حتى نعود قالت لا يا أماه ولكن اجعليني عند هذه الشريفة التي بجوارنا حتى تعودي فدخلت أمها إلى السيدة نفيسة وسألتها في ذلك فأذنت لها فجاءت بابنتها إليها فوضعتها في جانب من البيت ومضت فجاء وقت صلاة الظهر فأحضرت السيدة نفيسة ماء فتوضأت به فجرى من مائها شيء إلى جانب الصبية المقعدة فجعلت تمر به على أعضائها فتمددت بإذن الله تعالى فلما جاء أهلها خرجت إليهم تمشي فسألوها عن شأنها فأخبرتهم فأسلموا اهـ من درر الأصداف لكن الذي في الخطط للمقريزي أنها توضأت وصبت من فضل وضوئها وهذه كرامة عظيمة منها رضي الله عنها وسيأتي ذكر كرامات لها أخر إن شاء الله تعالى وكان قدوم السيدة نفيسة إلى مصر سنة ثلاث وتسعين ومائة على خلاف في ذلك، وفي تاريخ ابن خلكان دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق رضي الله عنه وقيل دخلت مع أبيها الحسن وإن قبره بمصر لكنه غير مشهور اهـ قلت هو مشهور الآن بل وقبر والده السيد زيد الأبلج رضي الله عنه كما سيأتي ذلك في ترجمة السيد حسن الأنور ولما سمع أهل مصر بقدومها وكان لها ذكر شائع عندهم تلقتها النساء والرجال بالهوادج من العريش ولم يزالوا معها إلى أن دخلت مصر فأنزلها عنده كبير التجار بمصر جمال الدين عبد الله بن الجصاص بالجيم وقيل بالحاء والأول أصح وكان من أهل الصلاح والبر فنزلت عنده في داره وأقامت بها مدة شهور والناس يأتون إليها أجمعون من سائر الآفاق يتبركون بزيارتها كذا في المآثر النفيسة لكن قد تقدم عن درر الأصداف أنها نزلت وبعلها بالمنصوصة ولا منافاة لاحتمال أنها نزلت أولاً عند عبد الله بن الجصاص وثانياً بالمنصوصة والله أعلم قال المناوي قدمت السيدة

نفيسة مصر وبها بنت عمها سكينة المدفونة بقرب دار الخلافة بمصر ولها الشهرة التامة فخلعت عليها الشهرة فصار لنفيسة القبول التام بين الخاص والعام اهـ وفي مشارق الأنوار للشيخ عبد الرحمن الأجهوري ما نصه قال الشعراني لما دخلت السيدة نفيسة مصر كانت ابنة عمها السيدة سكينة المدفونة قريباً من دار الخلافة مقيمة بمصر قبلها ولها الشهرة العظيمة فخلعت الشهرة والنذور عليها واختفت رضي الله عنها اهـ وفي النفس منه شيء لأن قوله مقيمة بمصر صريح في أنهما كانتا في عصر واحد وليس كذلك لأن وفاة السيدة سكينة كانت سنة ست وعشرين ومائة وقيل سنة سبع عشرة ومائة على ما في تاريخ ابن خلكان وولادة السيدة نفيسة كانت سنة خمس وأربعين ومائة باتفاق. نعم لو حملنا الشهرة في عبارة المناوي على شهرة البرزخ كان وجيهاً، نقل صاحب المآثر النفيسة ما نصه قال الحسن بن زولاق ولما شاعت هذه الكرامة بين الناس لم يبق أحد إلا قصد زيارة السيدة نفيسة رضي الله عنها وعظم الأمر وكثر الخلق على بابها فطلبت عند ذلك الرحيل إلى بلاد الحجاز عند أهلها شق ذلك على أهل مصر وسألوها في الإقامة فأبت فاجتمع أهل مصر ودخلوا على السري بن الحكم أمير مصر وأخبروه أنها عزمت على الرحيل فاشتد ذلك عليه وبعث لها كتاباً ورسولاً يأمرها بالرجوع عما عزمت عليه فأبت فركب بنفسه وأتى إليها وسألها في الإقامة فقالت إني كنت نويت الإقامة عندكم وإني امرأة ضعيفة والناس قد أكثروا من المجيء عندي وشغلوني عن أورادي وجمع زادي لمعادي ومكاني هذا صغير وضاق بهذا الجمع الكثيف فقال لها السري أنا سأزيل عنك جميع ما شكوتيه وأمهد لك الأمر على ما ترتضيه أما ضيق المكان فإن لي داراً واسعة بدرب السباع وأشهد الله تعالى أني قد وهبتها لك وأسألك أن تقبليها مني ولا تخجليني بالرد علي فقالت قد قبلتها منك ففرح السري بقبولها منه فقالت كيف أصنع بهذه الجموع الوافدين عليّ قال تتفقي معهم على أن يكون للناس في كل جمعة يومان وباقي الجمعة تتفرغي فيه لخدمة مولاك اجعلي يوم السبت والأربعاء للناس ففعلت ذلك واستمر الأمر على ذلك اهـ.

(حكاية) ذكر القرماني في تاريخه وصاحب الغرر والعرر وصاحب المستطرف أيضاً أنه لما ظلم أحمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا إلى السيدة نفيسة يشكونه إليها فقالت لهم متى يركب قالوا في غد فكتبت رقعة ووقفت بها في طريقه وقالت يا أحمد يا ابن طولون فلما رآها عرفها فنزل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فإذا فيها ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم فعسفتم وردت إليكم الأرزاق فقطعتم هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة لا سيما من قلوب أوجعتموها وأكباد جوّعتموها وأجساد عريتموها فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ما شئتم فإنا صابرون وجوروا فإنا بالله مستجيرون واظلموا فإنا إلى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قال فعدل لوقته اهـ. قلت نسبة هذه المقالة إلى السيدة نفيسة صاحبة الترجمة مردودة بوجهين أحدهما نقلي وثانيهما ذوقي أما النقلي فهو أن ظهور الدولة الطولونية التي أولها أحمد بن طولون كان في سنة أربع وخمسين ومائتين كما في تاريخ الإسحاقي أو سنة خمسين ومائتين على ما في تاريخ القرماني ووفاة السيدة نفيسة كانت في رمضان سنة ثمان ومائتين باتفاق يعلم ذلك بمراجعة كتب التواريخ وأما الذوقي فهو أن السيدة نفيسة رضي الله عنها ليست من أوباش الناس حتى يتوهم غبي غافل فضلاً عن فطن عاقل أنها تذهب إلى أحمد بن طولون وتقف بالطريق تنتظره نعم لا مانع من صدور ذلك من نفيسة أخرى والله أعلم.

(تنبيه) أجمع أهل السير والتاريخ على وفاة السيدة نفيسة بمصر القاهرة بخلاف غيرها حتى إن بعضهم يسميها بنفيسة المصرية قال ابن الملقن ولما دخل الإمام الشافعي رضي الله عنه مصر كان يتردد إليها وكان يصلي بها التراويح في مسجدها في رمضان وكان يأتي إليها ويسألها الدعاء وسماع الشافعي الحديث منها هو الصحيح خلافاً لمن قال إنه قرأ عليها وهو صاحب التحفة الأنسية اهـ. من المآثر النفيسة، هذا ولقائل أن يقول ما المانع من كونه قرأ عليها وقرأت عليه وفي المآثر النفيسة أيضاً وكان الشافعي رضي الله عنه إذا مرض يرسل إليها إنساناً من أصحابه كالربيع الجيزي أو الربيع المرادي فيسلم المرسل إليها ويقول لها إن ابن

عمك الشافعي مريض ويسألك الدعاء فتدعو له فلا يرجع له القاصد إلا وقد عوفي من مرضه فلما مرض مرضه الذي مات فيه أرسل لها على جاري عادته يلتمس منها الدعاء فقالت للقاصد متعه الله بالنظر إلى وجهه الكريم فجاء القاصد له فرآه الشافعي فقال له ما قالت لك؟ قال قالت لي كيت وكيت فعلم أنه ميت فأوصى وأوصى أن تصلي عليه فلما توفي سنة أربع ومائتين كما هو المشهور مروا به على بيتها فصلت عليه مأمومة وكان الذي صلى بها إماماً أبو يعقوب البويطي أحد أصحابه رضي الله عنه وكان مرور جنازة الشافعي على بيتها بأمر السري أمير مصر لأنها سألته في ذلك إنفاذاً لوصية الشافعي رضي الله عنه لأنها كانت لا تستطيع الخروج إلى جنازته لضعفها من كثرة العبادة قال بعض الصالحين ممن حضر جنازة الشافعي رضي الله عنه سمعت بعد انقضاء الصلاتين إن الله تعالى غفر لكل من صلى على الشافعي بالشافعي وغفر للشافعي بصلاة السيدة نفيسة عليه رضي الله تعالى عنها ونفعنا ببركتها.

(كرامات زيادة على ما سبق) الأولى عن سعيد بن الحسن قال توقف النيل في زمنها فجاء الناس إليها وسألوها الدعاء فأعطتهم قناعها فجاءوا به إلى البحر وطرحوه فيه فما رجعوا حتى وفى البحر وزاد زيادة عظيمة (الثانية) أن امرأة عجوزا كان لها أربع بنات يتقوتن من غزلهن من الجمعة إلى الجمعة وفي آخر الجمعة تأخذ العجوز غزلهن وتمضي به إلى السوق فتبيعه وتشتري بنصف ثمنه كتاناً وبنصفه الآخر ما يتقوتن به من الجمعة إلى الجمعة فأخذته العجوز يوماً ولفته في خرقة حمراء ومضت به إلى السوق فبينما هي في مارة الطريق والغزل على رأسها قد انقض طائر على رزمة الغزل واختطفها وارتفع فوقعت المرأة مغشيا عليها فلما أفاقت قالت كيف أصنع بالأيتام وقد أجهدهم الجوع فبكت فاجتمع الناس وسألوها عن شأنها فأخبرتهم بالقصة فدلوها على السيدة نفيسة رضي الله عنها وقالوا لها امضي إليها واسأليها الدعاء فإن الله تعالى يزيل ما بك فمضت إلى السيدة نفيسة فأخبرتها بقصتها وما جرى لها وسألتها الدعاء فرحمتها السيدة نفيسة وقالت يا من علا فقدر وملك فقهر اجبر من أمتك هذه ما انكسر فإنهن خلقك وعيالك ثم قالت اقعدي

فإنه على كل شيء قدير فقعدت المرأة على الباب وفي قلبها من جوع الأولاد التهاب فما كانت إلا ساعة وإذا بجماعة قد أقبلوا عليها واستأذنوا في الدخول عليها فأذنت لهم فدخلوا وسلموا عليها فسألتهم عن أمرهم فقالوا إن لنا لأمراً عجيباً نحن قوم تجار ولنا مدة ونحن مسافرون في البحر ونحن بحمد الله سالمون فلما وصلنا إلى قرب بلدكم انفتحت المركب التي نحن فيها ودخل الماء وأشرفنا على الغرق وجعلنا نسد المكان الذي انفتح بجهدنا فلم ينسد فاستغثنا إلى الله تعالى وتوسلنا بك إليه فإذا بطائر ألقى علينا خرقة فيها غزل فوضعناها في المكان المنفتح فانسد بإذن الله تعالى ببركتك وقد جئنا بخمسمائة درهم فضة شكراً لله تعالى على السلامة فعند ذلك بكت السيدة نفيسة رضي الله عنها وقالت إلهي ما أرأفك وألطفك بعبادك ثم نادت العجوز فجاءت فقالت لها السيدة بكم تبيعين غزلك كل جمعة فقالت بعشرين درهماً فقالت أبشري فإن الله تعالى عوضك عن كل درهم خمساً وعشرين درهماً ثم قصت القصة عليها ودفعت لها ذلك فأخذته وأتت بناتها فأخبرتهم بما جرى وكيف رد الله تعالى لقمتها ببركة السيدة نفيسة رضي الله تعالى عنها. (الثالثة) تزوّج رجل من أهل المغافر بامرأة ذمية فجاء منها بولد فأسر في بلاد العدوّ فجعلت المرأة تدخل البيع وتسأل عن الأسارى وولدها فقالت لزوجها بلغنا أن بين أظهرنا امرأة يقال لها نفيسة بنت الحسن اذهب إليها لعلها تدعو لولدي فإن جاء آمنت بدينها قال فجاء الرجل إلى السيدة نفيسة رضي الله عنها وقص عليها القصة فدعت له أن الله يرده عليه فلما كان الليل إذا الباب يطرق فخرجت المرأة فوجدت ولدها واقفاً بالباب فقالت له يا بني أخبرني بأمرك كيف كان فقال يا أماه كنت واقفاً بالباب في الوقت الفلاني وهو الوقت الذي دعت فيه السيدة نفيسة وأنا في خدمتي فلم أشعر إلا ويد قد وقعت على القيد وسمعت من يقول أطلقوه فقد شفعت فيه السيدة نفيسة بنت الحسن فأطلقت من الغل والقيد ثم لم أشعر بنفسي إلا وأنا داخل من رأس محلتنا إلى أن وقفت على الباب ففرحت أمه وشاعت هذه الكرامة وأسلم في تلك الليلة أهل سبعين داراً ببركتها وأسلمت أمه وصارت من الخدام للسيدة نفيسة رضي الله عنها. ومما اتفق أن بنتاً كانت تلعب مع الصبيان وعلى رأسها

قلنسوة عليها بعض دراهم ودنانير فطمع صبي من الصبيان في البنت فأخذها وذهب بها إلى مقبرة السيدة نفيسة صاحبة الترجمة ونزل بالبنت فسقية من القبور وذبحها وأخذ الطاقية ففقد البنت أهلها وأخذوا يفتشون عليها فلم يروا لها أثراً ولا خبراً ثم ألهموا القبض على الصبيان الذين جرت عادة البنت اللعب معهم فقبضوا عليهم ورفعوهم إلى الحاكم فهددهم فأقر الصبي بما فعله مع البنت فأخذوه وذهبوا به إلى المقبرة ونزلوا القبر فوجدوا به البنت وبها حياة مستقرة وقد انقطع خروج الدم من موضع الذبح فخاطوا ذلك الموضع وعاشت البنت وأخبرت أنها لما ذبحها الصبي وانصرف دخلت عليها امرأة حسنة الصورة وقالت لها لا تخافي يا بنتي ومسحت على محل الذبح فانقطع الدم وسقتها فقالت لها من أنت قالت أنا السيدة نفيسة رضي الله عنها أوردها ابن إياس في حوادث المائة العاشرة. وذكر الشيخ عبد الرحمن الأجهوري في مشارق الأنوار أن السيدة جوهرة جارية السيدة نفيسة أخذت إبريق السيدة تملؤه فوضعته فجاء ثعبان يتمسح برأسه كأنه يتبرك به.

(تتمة: في الكلام على وفاتها) قال القضاعي ان السيدة انتقلت من المنزل الذي نزلت به إلى دار أبي جعفر خالد بن هرون السلمي وهي التي وهبها لها أمير مصر السري بن الحكم في خلافة المأمون فأقامت بها حيناً إلى زمن وفاتها وحفرت قبرها بيدها في بيتها وكانت تصلي فيه كثيراً وقرأت فيه مائة وتسعين ختمة وفي رواية عنه ألفي ختمة وقيل ألفاً وتسعمائة قالت زينب بنت أخيها تألمت عمتي في أول يوم من رجب وكتبت إلى زوجها إسحاق المؤتمن كتاباً وكان غائباً بالمدينة تأمره بالمجيء إليها ولا زالت كذلك إلى أول جمعة من شهر رمضان فزاد بها الألم وهي صائمة فدخل عليها الأطباء الحذاق وأشاروا عليها بالافطار لحفظ القوة لما رأوا من الضعف الذي أصابها فقالت واعجباه لي ثلاثون سنة أسأل الله عز وجل أن يتوفاني وأنا صائمة فأفطر معاذ الله ثم أنشدت تقول:

اصرفوا عني طـبـيـبي	ودعوني وحـبـيـبي
زاد بي شوقي الـيـه	وغـــرامي في لهيب
طاب هتكي في هواه	بين واش ورقـــيب

لا أبـــالي بـــفـوت	حين قد صار نصيب
ليس من لام يعذل	عـنـه فـيـه بمصيب
جسدي راض بسقمي	وجـفـوني بـنـحـيب

قال صاحب المآثر النفيسة ومن الناس من يرى أن هذه الأبيات لمحمد بن إبراهيم بن ثابت الكيزاني الشيعي قالت زينب ثم إنها بقيت كذلك إلى العشر الأواسط من شهر رمضان فاحتضرت واستفتحت بقراءة سورة الأنعام فلا زالت تقرأ إلى أن وصلت إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[1]. ففاضت روحها الكريمة. وفي درر الأصداف عنها فلما وصلت إلى قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]. غشي عليها فضممتها لصدري فتشهدت شهادة الحق وقبضت رحمة الله عليها ووصل زوجها في ذلك اليوم فقال اني أحملها إلى المدينة وأدفنها بالبقيع فاجتمع أهل مصر إلى أمير البلد واستجاروا به إلى إسحاق ليرده عما أراد فأبى فجمعوا له مالاً كثيراً وسق بعيره الذي أتى عليه وسألوه أن يدفنها عندهم فأبى فباتوا في مشقة عظيمة فلما أصبحوا اجتمعوا عليه فوجدوا منه غير ما عهدوه بالأمس فقالوا له إن لك لشأناً قال نعم رأيت رسول الله ﷺ وهو يقول لي رد عليهم أموالهم وادفنها عندهم وذلك في سنة ثمان ومائتين بعد وفاة الامام الشافعي رضي الله عنه بأربع سنين ودفنت بمزار بدرب السباع وكان يوم دفنها يوماً مشهوداً وأتوها من البلاد والنواحي يصلون عليها بعد دفنها وأوقدت الشموع تلك الليلة وسمع البكاء من كل دار بمصر وعظم الأسف عليها قال القضاعي أقامت السيدة نفيسة بمصر سبع سنين وحفرت قبرها بيدها في البيت الذي كانت قاطنة فيه اهـ قال الدميري السيدة نفيسة رضي الله عنها كانت أمية لا تقرأ شيئاً إلا أنها سمعت الحديث كثيراً وكانت من أهل الخير والصلاح وكانت في آخر عمرها إذا عجزت عن الصلاة قائمة صلت قاعدة وكانت من كثرة الصيام والقيام ضعف قواها. وزار قبرها جماعة من الأولياء والصلحاء كالأستاذ الكبير أبي الفيض توبان ذي النون المصري ابن

---

(١) سورة الأنعام ١٢ (٢) سورة الأنعام ١٢٧

إبراهيم الإخميمي أحد رجال الطريقة المعتبرين وأبي الحسن الدينوري وأبي علي الروذباري وأبي بكر أحمد بن نصر الدقاق وبنان بن أحمد بن محمد بن سعيد الحمال الواسطي وشقران بن عبد الله المغربي وإدريس بن يحيى الخولاني والفضل ابن فضالة والقاضي بكار بن قتيبة وإسماعيل المزني صاحب الامام الشافعي وعبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع المصري وولده الإمام محمد صاحب تاريخ مصر وعبد الرحمن بن الحكم والامام أبو يعقوب البويطي والربيع ابن سليمان المرادي ممن لا يحصي عددهم إلا الله. وينبغي زيادة على ما تقدم في أول الباب للزائر إذا دخل ضريحها بل وضريح كل من كان من أهل البيت خلافاً لمن خصه بالسيدة نفيسة أن يقول ﴿إنما يُريدُ الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ [1] رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد اللهم إنك قد ندبتني لأمر قد فهمته وقلته وسمعته وأطعته واعتقدته وجعلته أجراً لنبيك محمد ﷺ إذ هديتنا به اليك ودللتنا به عليك وكان كما قلت وكان بالمؤمنين رحيماً حبيباً اليه ما هديتنا عزيزاً عليه عنتنا وتلك الفريضة التي سألتها له وهي المودة في القربى اللهم اني مؤديها مريداً بها النفع في ديني ودنياي متوسلاً بها اليك يوم انقطاع الأسباب اللهم زدهم شرفاً وتعظيماً وهب لي بزيارتهم ثواباً ومغفرة وأجراً عظيماً السلام عليكم يا بني المصطفى يا بني فاطمة الزهراء اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد وعلى أزواج سيدنا محمد وعلى ذرية سيدنا محمد اللهم بلغني ما أملت وما رجوت وأعد علي وعلى المسلمين من بركاتهم يا رب العالمين كذا في درر الأصداف وفيه زيادات انظرها. قال الموفق بن عثمان وكان بعض السلف يزور السيدة نفيسة ويقول عند ضريحها السلام والتحية والاكرام والرضا من العلي الأعلى الرحمن على السيدة نفيسة سلالة نبي الرحمة وهادي الأمة من أبوها علم العشيرة وهو الامام حيدرة السلام عليك يا بنت الحسن المسموم أخي الامام الحسين المظلوم السلام عليك يا بنت فاطمة الزهراء بنت خديجة الكبرى رضي الله عنك وعن أبيك وعمك وجدك وحشرنا في زمرتهم أجمعين. اللهم بحق ما كان بينك وبين جدها محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج اجعل لنا من هنا الذي

(1) سورة الأحزاب ٣٣.

نزل بنا باب الفرج واقض حوائجي. وكان بعض السلف يقول أيضاً السلام والتحية والاكرام على أهل البيت النبوية والرسالة السلام عليك يا بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن السبط ابن الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين السلام عليك يا بنت فاطمة الزهراء ويا سلالة خديجة الكبرى أنتم يا أهل البيت غياث لكل قوم في اليقظة والنوم فلا يحرم من فضلكم الا محروم ولا يطرد عن بابكم الا مطرود ولا يواليكم إلا مؤمن تقي ولا يعاديكم إلا منافق شقي. اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وأعطني خير ما رجوت بهم وبلغني خير ما أملت فيهم واحفظني بذلك في ديني ودنياي وآخرتي انك على كل شيء قدير ثم قال:

يا بني الزهراء والنور الذي ظن موسى أنه نار قبس

لا أوالي قط من عاداكم انهم آخر سطر في عبس

وقد مدح بعض الفضلاء السيدة نفيسة بأبيات أحببنا ذكرها فقال:

يا من له في الكون من حاجة عليك بالسيدة الطاهره

نفيسة والمصطفى جدها أسرارها بين الورى ظاهره

في الشرق والغرب لها شهرة أنوارها ساطعة باهره

كم من كرامات لها قد بدت وكم مقامات لها فاخره

يا حبذا سيدة شرفت بها أراضي مصر والقاهره

بنفسها قد حفرت قبرها حال حياة يا لها حافره

تتلو كتاب الله في لحدها وهي لمن قد زارها ناظره

حجت ثلاثين على رجلها صائمة عن أكلها قاصره

كانت تصلي وتقوم الدجى دوماً على أقدامها ساهره

عابدة زاهدة جامعه للخير في الدنيا وفي الآخره

في كل قطر قد سما ذكرها عالمة فائقة ماهره

يسقى بها الغيث إذا ما القرى قد أجلت من سحبها الماطره

والناس قد عاشوا بها في صفا عيش بأيام لها زاهره.

والشافعي قد كان يأتي لها سعياً إلى دار بها عامره
يرجو بأن تدعو له دعوة فبا لها من دعوة وافره
صلت عليه بعد موت وقد أوصى بذا فهي له شاكره
سبحان من أعلى لها قدرها لأنها بين الورى نادره

وللشيخ أحمد الحامي :

يا صاح إن رمت الحياة الفاخره فاقصد حمى بنت الكرام الطاهره
ذات الكرامات المعظمة التي أسرارها بين الخلائق ظاهره
وبها توصل واحتمي بجوارها اذكر مصابك تلقها لك ناصره
فهي المنجية الشباب من العذا ب مغيثة الملهوف شمس الدائره
كم جاءها ذو فاقة يرجو الغنى جبرت بتيسير المعايش خاطره
فاغنم وسل بمقامها تعط المنى فمحل الدوام لزائريها حاضره
وادخل وطف واسعَ وسل بتأدب ما تشتهيه ونادها يا طاهره
اني قصدتك مستغيثاً لائذا مستعطفاً أهل القلوب العامره
حاشا وكلا أن يضام نزيلكم أو أن يعود بصفقة هي خاسره
يا كعبة الأسرار جئتك لائذا أبغي الندى من وكف كف عاطره
يا أم قاسم الغياث فانني عبد ضعيف الحال يدي قاصره
دنف ومسكين مهين عابر مالي معين قط عيني ساهره
يا بنت طه انقذي من لم يجد جاهاً سوى ذي المعجزات الظاهرة
المصطفى الهادي البشير محمد من يرتجي كل الأنام مآثره
صلى عليه الله ما بدر زها والآل والصحب النجوم الزاهره
أو ما استغاث الحامي أحمد قائلا يا صاح ان رمت الحياة الفاخره

قال المقريزي : قبر السيدة نفيسة أحد المواضع المعروفة باجابة الدعاء بمصر وذكر بقية المواضع فقال وسجن نبي الله يوسف عليه السلام ومسجد موسى صلوات الله عليه وسلامه وهو الذي بطرا والمخدع على يسار المصلي في قبلة مسجد

الأقدام بالقرافة قال ولم يزل المصريون ممن أصابته مصيبة أو لحقته فاقة أو جائحة يمضون إلى أحدها فيدعون الله تعالى فيستجيب لهم قال وقد جرب ذلك وقد عد من المواضع التي يجاب بها الدعاء جامع ابن طولون كما ذكره عند الكلام عليه وعبارته جامع ابن طولون موضعه يعرف بجبل يشكر قال ابن عبد الظاهر وهو مكان مشهور باجابة الدعاء. وقيل إن موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات قال ويقال إن أول من بنى على قبر السيدة نفيسة عبيد الله بن السري بن الحكم أمير مصر. قال مكتوب في اللوح الرخام الذي على باب ضريحها وهو الذي كان مصفحاً بالحديد بعد البسملة ما نصه نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد ابن أبي تميم الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المكرمين أمر بعمارة هذا الباب السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الأنام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين، عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته وشد عضده بولده الأجل الأفضل سيف الأنام جلال الإسلام شرف الأنام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين زاد الله في علائه وأمتع أمير المؤمنين بطول بقائه في شهر ربيع الآخر سنة اثنتي وثمانين وأربعمائة والقبة التي على الضريح جددها الخليفة الحافظ لدين الله في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وأمر بعمل الرخام الذي بالمحراب كذا في الخطط، وتوفي السريّ ابن الحكم سنة أربع ومائتين وهي السنة التي مات فيها الشافعي رضي الله عنه وكان الخليفة إذ ذاك المأمون.

فصل

في ذكر مناقب السيد حسن الأنور والد السيدة نفيسة وأخيه السيد محمد الأنور والدهما السيد زيد الأبلج بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين

قال صاحب كتاب مرشد الزوار إلى قبور الأبرار قدم الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب مصر ومعه ابنته نفيسة وكان إماماً عظيماً عالماً من كبار أهل البيت معدود من التابعين ولي المدينة من قبل عبدالله بن أبي جعفر المنصور بن أبي عامر العباسي الخليفة وكان مجاب الدعوة وكان يسمى شيخ الشيوخ ومدح بقصائد كثيرة لكرمه وحلمه وهو ممن انتهت إليه الرياسة في زمنه من بني الحسن ولما ولي الحسن والد السيدة نفيسة رضي الله عنهما المدينة كان بها رجل فقير يقال له ابن أبي ذئب فقربه الحسن وأحسن إليه وكثر مال الرجل ورأسه وقربه إلى المنصور فلما عظم عند المنصور شرع يتكلم في حق الحسن وينم عليه حتى إنه قال للمنصور عنه أنه يريد الخلافة فأحضره المنصور وسلب نعمته ثم بعد قليل ظهر للمنصور كذب القائل فرد على الحسن أمواله وأنعم عليه إنعاماً بليغاً وأرسله إلى المدينة على عادة فلما قدم المدينة أرسل إلى ابن أبي ذئب هدية عظيمة وأمده بمال جزيل ولم يعاتبه. وفي الخطط أمه أم ولد توفي أبوه زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهو غلام وترك عليه ديناً أربعة آلاف دينار فحلف السيد حسن أن لا يظل رأسه سقف إلا سقف مسجد رسول الله ﷺ أو بيت رجل يكلمه في حاجة حتى يقضي دين أبيه فوفاه. ومن كرمه رضي الله عنه أنه أتى بشاب شارب متأدب وهو عامل على المدينة فقال يا ابن رسول الله لا أعود وقد قال رسول الله ﷺ: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم» وأنا ابن أبي أمامة بن سهل ابن حنيف وقد كان أبي مع أبيك كما علمت فقال صدقت هل أنت عائد قال لا

والله فأقاله وأمر له بخمسين ديناراً وقال تزوج بها وعد إليّ فتاب الشاب فكان الحسن يحسن إليه بعد، وكان الحسن والد السيدة نفيسة مجاب الدعوة يقال مرت به امرأة وهو في الأبطح ومعها ولدها فاختطفه عقاب فسألت الحسن أن يدعو الله لها برده فرفع يده إلى السماء ودعا ربه فإذا بالعقاب قد ألقى الصغير من غير أن يضيره بشيء فأخذته أمه اهـ وللسيد حسن رواية في سنن النسائي كذا في حسن المحاضرة. حكي أنه دخل بعض الشعراء على الحسن الأنور بن زيد الأبلج صاحب الترجمة فأنشده:

الله فرد وابن زيد فرد فقال بفيك الأثلب ألا قلت
الله فرد وابن زيد عبد

ونزل عن سريره وألصق خده بالأرض، وخلف السيد حسن الأنور من الأولاد تسعة ذكور، هم القاسم ومحمد وعلي وإبراهيم وزيد وعبيد الله ويحيى وإسمعيل وإسحاق، ومن البنات ثنتين أم كلثوم ونفيسة، وأمهم أم سلمة واسمها زينب بنت الحسن عمه ابن الحسن بن علي بن أبي طالب. وأما نفيسة فأمها أم ولد كما تقدم وتزوج أم كلثوم عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم كذا في الخطط حكى الحافظ أبو عبد الله بن برغش النسابة في كتابه تحفة الأشراف أن الإمام زيداً الأبلج والد السيد حسن الأنور رضي الله عنه كان يأخذ بيد ولده الحسن ويدخل إلى قبر النبي ﷺ ويقول يا سيدي يا رسول الله هذا ولدي الحسن أنا عنه راض ثم يرجع وينصرف فلما كان في بعض الليالي نام فرأى المصطفى ﷺ وهو يقول له يا زيد إني راض عن ولدك الحسن برضاك عنه والحق سبحانه وتعالى راض عنه برضاي فلما انشأ الحسن وجاء بالسيدة نفيسة إلى المدينة كان يأخذ بيدها ويدخل بها إلى القبر الشريف ويقول يا رسول الله إني راض عن بنتي نفيسة ويرجع فما زال يفعل حتى رأى النبي ﷺ في المنام وهو يقول يا حسن أنا راض عن ابنتك نفيسة برضاك عنها والحق سبحانه وتعالى راض عنها برضاي عنها قال الشعراني في المنن وأخبرني يعني شيخه الخواص رضي الله عنه

أن الإمام الحسن والد السيدة نفيسة في التربة المشهورة قريباً من جامع القراء بين مجراة القلعة وجامع عمرو اهـ. قلت وقد وجد ما يدل على دفن والده السيد زيد الأبلج بهذا المكان أيضاً وهوأنه وجد حجر عتيق شرقي مقام ولده السيد حسن الأنور بقرب جامع عمرو بعد مجراة القلعة بقليل مرقوم عليه نسب زيد ومن شك في ذلك فليذهب إلى هناك ليعلم ذلك بالمعاينة والمشاهدة وقدمنا الكلام عليه في تذييل وذكرنا فيه أيضاً الحسن المثنى أخاه وذلك عند الكلام على أولاد الحسن السبط في الباب الثاني فارجع إليه إن شئت. إن قلت لم لم تترجم له ههنا في هذا الباب؟ قلت لأني لم أعلم بذلك إلا بعد الفراغ من الباب الثاني. وأما السيد محمد الأنور عم السيدة نفيسة فقد قال الشعراني في المنن أخبرني يعني شيخه الخوّاص أن الإمام محمداً الأنور عم السيدة نفيسة في المشهد القريب من عطفة جامع طولون مما يلي دار الخليفة في الزاوية التي ينزل إليها بدرج انتهى. قلت وهو على يمين الطالب للسيدة سكينة ومكتوب على بابه في لوح رخام هذا البيت:

مسجد حل فيه نجل لزيد ذلك الأنور الأجل محمد

فصل

في ذكر مناقب السيد زيد بن السيد علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

أمه أم ولد. في الفصول المهمة كان زيد بن علي رضي الله عنهما ديناً شجاعاً ناسكاً وكان من أحسن بني هاشم عبادة وأجلهم سيادة وكان ملوك بني أمية تكتب إلى صاحب العراق أن امنع أهل الكوفة من حضور مجلس زيد بن علي فإن له لساناً أقطع من ظبة السيف وأحد من شبا الأسنة وأبلغ من السحر والكهانة ومن النفث في العقد. قال له يوماً هشام بن عبد الملك بلغني أنك تروم الخلافة وأنت لا تصلح لها لأنك ابن أمة فقال له زيد قد كان إسمعيل بن إبراهيم ابن أمة وإسحاق بن حرة فأخرج الله من صلب إسمعيل خير ولد آدم فقال له قم فقال إذاً لا تراني إلا حيث تكره فلما خرج من الدار قال ما أحب أحد الحياة إلا ذل فقال له سالم مولى هشام بالله لا يسمعن منك هذا الكلام أحد انتهى. وفي الخطط وكنيته أبو الحسن وتنسب إليه الزيدية إحدى طوائف الشيعة وكان بالمدينة وروى عن أبيه علي بن الحسين وعن أبان بن عثمان وعبيد الله بن أبي رافع وعروة بن الزبير وروى عنه محمد بن شهاب الزهري وزكريا بن أبي زائدة وخلق. وروى له أبو داود الترمذي والنسائي وابن ماجة وذكره ابن حبان في الثقات وقال رأي جماعة من الصحابة. قيل لجعفر الصادق بن محمد إن الرافضة يتبرأون من عمك زيد فقال بريء الله ممن تبرأ من عمي، كان والله أقرأنا لكتاب الله وأفقهنا في دين الله وأوصلنا للرحم والله ما ترك فينا لدنيا ولا لآخرة مثله. قال أبو إسحاق السبيعي رأيت زيد بن علي فلم أر في أهله مثله ولا أعلم منه ولا أفضل منه وكان أفصحهم لساناً وأكثرهم زهداً وبياناً. قال الشعبي والله ما ولد النساء أفضل من زيد بن

علي ولا أفقه ولا أشجع ولا أزهد وقال أبو حنيفة شاهدت زيد بن علي كما شاهدت أهله فما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أعلم ولا أسرع جواباً ولا أبين قولاً لقد كان منقطع القرين وكان يدعي بحليف القرآن قرأ مرة قوله تعالى: ﴿وإنْ تَتَوَلَّوْا يستَبدِلْ قوماً غيرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونوا أمثالَكُم﴾[1] فقال إن هذا لوعيد وتهديد من الله ثم قال اللهم لا تجعلنا ممن تولى عنك فاستبدلت به بدلاً انتهى. وكان يقال لزيد زيد الأزياد خرج زيد علي هشام بن عبد الملك وقد طمحت نفسه للخلافة فحاربه يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقين من جهة هشام فانهزم أصحاب زيد عنه بعد أن خذله أكثرهم وكان قد بايعه ناس من أهل الكوفة وطلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر لينصروه فقال كلا بل أتولاهما فقالوا إذن نرفضك فقال اذهبوا فأنتم الرافضة فسموا رافضة فقيل لهم رافضة من حينئذٍ وجاءت طائفة وقالوا نحن نتولاهما ونتبرأ ممن تبرأ منهما فقبلهم وقاتلوا معه فسموا الزيدية كذا في تاريخ ابن عساكر والعجب ممن يتمذهب بمذهب زيد ويبرأ من الشيخين ويكرههما ويكره من يذكرهما بخير بل ربما سبهما، ثم إن زيداً أصيب بسهم في جبهته اليسرى ثبت في دماغه فأنزلوه في دار وأتوه بطبيب فانتزع النصل فضج زيد ومات لليلتين من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة وكان عمره إذ ذاك اثنتين وأربعين سنة ولما مات اختلف أصحابه في أمره فقال بعضهم نطرحه في الماء وقال بعضهم بل نحز رأسه ونلقيه في القتلى فقال ابنه يحيى والله لا يأكل لحم أبي الكلاب وقال بعضهم ندفنه في الحفرة التي يؤخذ منها الطين ونجعل عليه الماء ففعلوا وأجروا عليه الماء وكان معهم مولى سندي فدل عليه وقيل رآهم فدل عليه يوسف ابن عمر والي العراق لما تفرق أصحاب زيد فأخرجه وقطع رأسه وبعث به إلى هشام بن عبد الملك فدفع لمن وصل به عشرة آلاف درهم ونصبه على باب دمشق ثم أرسله إلى المدينة وسار منها إلى مصر. وأما جسده فإن يوسف بن عمر صلبه بالكناسة وأقام الحرس عليه فمكث زيد مصلوباً أكثر من سنتين حتى مات هشام وولي الوليد من بعده فبعث إلى يوسف بن عمر أن أنزل زيداً وأحرقه بالنار فأنزله وأحرقه وذرى رماده في الريح ولما صلب زيد استرخى بطنه على عورته حتى لا

---

(١) سورة محمد ٣٨.

يرى من سوأته شيء خطط. وفي تاريخ أبي القاسم بن عساكر أن العنكبوت نسجت على عورة زيد بن علي بن الحسين لما صلب عرياناً في سنة إحدى وعشرين ومائة وأقام مصلوباً أربع سنين وكانوا وجهوه لغير القبلة فدارت خشبته إلى القبلة ثم أحرقوا خشبته وجسده اهـ. قال عبد الله بن حسين بن علي بن الحسين بن علي سمعت أبي يقول اللهم إن هشاماً رضي بصلب زيد فاسلبه ملكه وإن يوسف بن عمر أحرق زيداً اللهم فسلط عليه من لا يرحمه اللهم وأحرق هشاماً في حياته إن شئت وإلا فأحرقه بعد موته قال فرأيت والله هشاماً محرقاً لما أخذ بنو العباس دمشق ورأيت يوسف بن عمر بدمشق مقطعاً على كل باب من أبواب دمشق عضو منه فقلت يا أبتاه وافقت دعوتك ليلة القدر وبعد قتل زيد انقض ملك بني أمية وتلاشى بيني العباس كذا في الخطط، وفي الجمل على الهمزية عند الكلام على قوله:

رب يوم بكربلاء مسيء خففت بعض رزئه الزوراء

ما نصه الزوراء هي ناحية ببغداد والمراد ما وقع فيها من خلفائها بني العباس الذين هم من جملة آل البيت حيث أخذوا ببعض ثأر بني عمهم الحسين وغيره فخرجوا على بني أمية فنزعوا الخلافة منهم وقتلوهم شر قتلة وخصوصاً السفاح منهم الذي أخرج بني أمية من القبور وحرقهم وذراهم في الهواء وهو أول خلفاء بني العباس وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فلما ولي الخلافة بعد قطيعة بني أمية أمر بهشام بن عبد الملك فنبشوا قبره فوجد بحاله لأنه كان طلي بالعنبر لئلا يتغير فأخرجوه من قبره وجلدوه حتى تناثر لحمه وحرقوه بالنار وفعلوا به كما فعل بزيد جزاء وفاقاً انتهى قال المقريزي في الخطط عند الكلام على المشاهد التي يتبرك بها بمصر هذا المشهد الذي بين الجامع الطولوني ومدينة مصر تسميه العامة مشهد زين العابدين وهو خطأ وإنما هو مشهد رأس زيد بن علي زين العابدين ابن الحسين وكان يعرف قديماً بمسجد محرس الخصي قال القضاعي مسجد محرس الخصي بني على رأس زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حين أنفذه

هشام بن عبد الملك إلى مصر ونصبه على المنبر بالجامع فسرقه أهل مصر ودفنوه في هذا الموضع ، وذكر ابن عبد الظاهر أن الأفضل ابن أمير الجيوش لما بلغته حكاية رأس زيد أمر بكشف المسجد وكان وسط الأكوام ولم يبق من معالمه إلا محراب فوجد هذا العضو الشريف قال محمد بن الصيرفي حدثني الشريف فخر الدين أبو الفتوح خطيب مصر وكان من جملة من حضر الكشف قال لما خرج هذا العضو رأيته وهو هامة وافرة وفي الجبهة أثر في سعة الدرهم فضمخ وعطر وحمل إلى داره حتى عمر هذا المشهد وكان وجدانه يوم الأحد تاسع عشر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وخمسمائة وكان الوصول به في يوم الأحد ووجدانه يوم الأحد قال المقريزي ومشهده باق إلى الآن بين كيمان مدينة مصر يتبرك به الناس ويقصدونه لاسيما في يوم عاشوراء قال بعضهم والدعاء عنده مستجاب والأنوار ترى عليه .

(تنبيه) ما ذكره المقريزي من أن تسمية هذا المشهد بمشهد زين العابدين خطأ يشهد له اتفاقهم على دفن زين العابدين بالبقيع وقد خالفهم الشعراني في منته وعبارته وأخبرني يعني الخواص أن رأس زين العابدين ورأس زيد بن الحسين في القبة التي بين الأثل قريباً من مجراة القلعة اهـ. وفيه أن زين العابدين لم يقتل ولم يقطع رأسه رضي الله عنه ولم أر من عد في أولاد الحسين زيداً من أصحاب المواد التي بيدي ثم رأيت الشيخ الأكبر صدر به أولاد الحسين في محاضراته ولم أعثر على وفاته وكان سيبويه يحتج بشعر السيد زيد[1] وكان نقش خاتمه : اصبر تؤجر اصدق تنجح .

---

(١) ومن شعره رضي الله عنه :

ومن فضل الأقوام يوما برأيه	فان عليا فضلته المناقب
وقول رسول الله والحق قوله	وإن رغمت منه الأنوف الكواذب
بأنك مني يا علي معا لنا	كهارون من موسى أخ لي وصاحب

دعاه ببدر فاستجاب لأمر فبادر في ذات الاله يضارب اهـ من خط مؤلف نور الأبصار.

فصل
ومن أهل البيت السيد إبراهيم ابن السيد زيد

قال الشعراني في المنن أخبرني يعني شيخه الخواص أن رأس السيد إبراهيم بن الإمام زيد في المسجد الخارج بناحية المطرية مما يلي الخانقاه وهو الذي قاتل معه الإمام مالك رضي الله عنه واختفى من أجله كذا وكذا سنة ا هـ. قال بعضهم وهذا خلاف ما عليه النسابون فإنهم لم يذكروا في أولاد زيد بن علي زين العابدين ولا في أولاد زيد بن الحسن من اسمه إبراهيم فحينئذٍ لا يظهر أن زيد بن علي زين العابدين أبو إبراهيم المذكور ولا زيد بن الحسين السبط أيضاً وذكروا أن الذي قاتل معه مالك أي أفتى الناس بالخروج معه وبايعه هو محمد الملقب بالمهدي بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط فلعل إبراهيم هذا هو إبراهيم ابن عبد الله المحض أخو محمد المهدي المذكور وكان مرضي السيرة من كبار العلماء. روي أن الإمام أبا حنيفة بايعه وأفتى الناس بالخروج معه ومع أخيه محمد قال أبو الحسن المعمري قتل إبراهيم في ذي الحجة سنة خمس وأربعين ومائة وهو ابن ثمان وأربعين سنة وحمل ابن أبي الكرام رأسه الشريف إلى مصر انتهى قال القضاعي مسجد تبر بني علي رأس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أنفذه المنصور فسرقه أهل مصر ودفنوه هناك وقال الكندي في كتاب الأمراء ثم قدمت الخطباء إلى مصر برأس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في ذي الحجة سنة خمس وأربعين ومائة لينصبوه في المسجد الجامع وقامت الخطباء فذكروا أمره ا هـ. قال المقريزي هذا المسجد خارج القاهرة مما يلي الخندق عرف قديماً بالبئر والجميزة وعرف بمسجد تبر وتسميه العامة مسجد التبن وهو خطأ وموضعه قريب من المطرية وتبر هذا أحد الأمراء في

أيام كافور الإخشيدي ولما قدم جوهر القائد من المغرب بالعساكر ثار تبر هذا في جماعة من الكافورية وحاربه فانهزم بمن معه إلى أسفل الأرض فبعث جوهر يستعطفه فلم يجب وأقام على الخلاف فسير إليه عسكراً وحاربه بناحية صهرجت فانكسر وقبض عليه وأدخل إلى القاهرة على فيل فسجن إلى صفر سنة ستين وثلاثمائة فاشتدت المطالبة عليه وضرب بالسياط وقبضت أمواله وجلس عدة من أصحابه في القيود إلى ربيع الآخر منها فأطلق وأقام أياماً مريضاً ومات فسلخ بعد موته وصلب قال ابن عبد الظاهر إنه حشي جلده تبناً وصلب فربما سمت العامة مسجده بذلك لما ذكرنا وقبره بالمسجد المذكور اهـ. قال بعض المؤرخين كان جوهر القائد المذكور عبداً صقلبياً رافضاً شيعياً ومن آثاره المحل الأنور الجامع الأزهر.



فصل
في ذكر مناقب حسين أبي علي المشهور بأبي العلاء الحسيني رضي الله تعالى عنه.

قال الشعراني في الطبقات كان الشيخ حسين أبو علي من كمل العارفين وأصحاب الدوائر الكبرى وكان كثير التطوّرات تدخل عليه بعض الأوقات تجده جندياً ثم تدخل فتجده سبعاً ثم تدخل عليه فتجده فيلا ثم تدخل عليه فتجده صبياً ومكث نحو أربعين سنة في خلوة مسدود بابها ليس لها غير طاقة يدخل منها الهواء وكان يقبض من الأرض ويناول الناس الذهب والفضة وكان من لا يعرف أحوال الفقراء يقول هذا كيماوي سيماوي ولما شرع الخواجا ابن البرلسي في بناء زاويته قال أعداؤه إن هذا المصروف العظيم إنما هو من كيماء الشيخ حسين فبرطلوا عليه بعض العياق أن يقتلوه فدخلوا على الشيخ فقطعوه بالسيوف وأخذوه في تليس ورموه على الكوم وأخذوا على قتله ألف دينار ثم أصبحوا فوجدوا الشيخ حسيناً رضي الله عنه جالساً فقال لهم غركم القمر وكانت النوس تتبعه حيثما مشى في شوارع وغيرها فسموا أصحابه بالنموسية وكان رضي الله عنه بريئاً من جميع ما فعله أصحابه من الشطح الذي ضربت به رقابهم في الشريعة وكان الشيخ عبيد أحد أصحابه الذي هو مدفون عنده الآن مثقوب اللسان لكثرة ما كان ينطق به من الكلمات التي لا تأويل لها وأخبرني بعض الثقات أنه كان مع الشيخ عبيد في مركب فوحلت فلم يستطع أحد أن يزحزحها فقال الشيخ عبيد اربطوها في بيضي بحبل وأنا أنزل وأسحبها ففعلوا فسحبها ببيضه حتى تخلصت من الوحل إلى البحر؛ مات رضي الله عنه سنة نيف وتسعين وثمانمائة ودفن بزاويته بساحل النيل بمصر المحروسة ببولاق ا هـ. (ومن أهل البيت) السيدة أم كلثوم بنت القاسم بن محمد ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين وقبرها بمقابر قريش بمصر

بجوار الخندق وهي أم جعفر بن موسى بن اسماعيل بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق كانت من الزاهدات كذا في الخطط وفي طبقات المناوي في ترجمة جعفر الصادق وله أي لجعفر ولد اسمه القاسم وللقاسم بنت اسمها أم كلثوم وهما المدفونان بالقرافة بقرب الليث بن سعد على يسار الداخل من الدرب المتوصل منه إليه قال بعضهم في رد هذا ذكر بعد النسابين أنه ليس في أولاد جعفر من اسمه القاسم وأن أم كلثوم بنت جعفر لصلبه انتهى (**ومن أهل البيت**) السيدة بنت محمد بن جعفر الصادق كانت شديدة الغيرة صوامة قوّامة لا تلتفت إلى أهل الدنيا ولا تقبل ما يعطونه لها ومشهدها معروف باجابة الدعاء وإذا دخل الزائر إليه وجد أنساً عظيماً وقبرها بالمشهد المجاور لقبر عمرو بن العاص غربي قبر الإمام الشافعي رضي الله عنهم روي أن أهل مصر جاءوا إلى هذا المشهد يستسقون وقد توقف النيل فجرى بإذن الله تعالى توفيت سنة ثلثمائة وأربعين كذا في الكواكب السيارة (**ومن أهل البيت**) بهذا المشهد السيدة الطاهرة فاطمة بنت القاسم بن محمد المأمون بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين رضي الله عنهم وكانت تعرف بالعيناء سميت بذلك لحسن عينيها حكى خادمها أنه كان يقرأ سورة الكهف فغلط في موضع فردت عليه من داخل القبر وروي أنه كان بعينها شبه بالسيدة فاطمة الزهراء كذا في الكواكب السيارة (**ومن أهل البيت**) السيدة آمنة بنت موسى الكاظم حكي الوزاري خادمها أنه كان يسمع في قبرها قراءة القرآن بالليل. روي أن رجلاً جاء بعشرين رطلاً من الزيت وعاهد الخادم أن يوقدها في ليلة واحدة فجعله الخادم في القناديل فلم يوقد منه شيء فتعجب الخادم من ذلك فرآها في المنام فقالت له يا فقيه رد عليه زيته واسأله من أين اكتسبه فإنا لا نقبل إلا الطيب فلما أصبح جاء إلى الرجل الذي أعطاه الزيت وقال له خذ زيتك فقال لم آخذه؟ فقال إنه لم يوقد منه شيء ورأيتها في المنام فقالت لا نقبل إلا الطيب فقال صدقت السيدة اني رجل مكاس فقال قف فخذه فأخذه وقبرها بالقرافة أيضاً كذا في الكواكب السيارة (**ومن أهل البيت**) السيد يحيى الشبيه بن القاسم الطيب بن محمد المأمون بن جعفر الصادق رضي الله عنهم قال القرشي في تاريخه كان شبيهاً

برسول الله ﷺ قال ابن النحوي كان بين كتفيه شامة بها شبه بخاتم النبوّة وكان إذا دخل الحمام ونظر الناس الشامة التي بين كتفيه يكثرون الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ولما سمع أهل مصر بقدومه خرجوا إلى ظاهر مصر يتلقونه وكان إبن طولون أقدمه من الحجاز وكان يوم قدومه يوماً مشهوداً وقبره بالقرافة وبالمشهد قبر أخيه عبد الله وقبره وسط القبة وعنده لوح رخام فيه نسبه وكان يتلو أخاه في العبادة والطهارة والفقه والصلاح وهو محل عظيم معروف باجابة الدعاء وبالقبة الدريد زوجة القاسم الطيب إلى جانب قبر والدها وكانت من الزاهدات العابدات وهي شريفة رضي الله عنها كذا في الكواكب السيارة **(ومن أهل البيت)** السيد يحيى بن الحسن الأنور أخو السيدة نفيسة وليس بمصر من إخوانها سواه ولا عقب له (حكي) عنه أنه كان يرى على قبره نور قال أبو المذكر دخلت إلى قبر يحيى ولم أحسن الأدب فسمعت من ورائي قائلاً يقول **﴿قُلْ إنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**[1] اهـ من الكواكب السيارة قال فيه وعند الخروج من قبر السيد يحيى نجد حوشاً على يسار السالك مقابلاً لضريح به جماعة من الأشراف قبل ان به البنات الأبكار.

---

(1) سورة الأحزاب ٣٣.

فصل
ومن أهل البيت

نسل طباطبا إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم نقل صاحب درر الأصداف ما نصه لا خلاف عند علماء النسب في صحة هذا النسب إلا أن طباطبا لم يمت بمصر ولا يعرف له بها وفاة وسمي طباطبا بفتح الطاءين كما ذكره في مختصر التواريخ لرتة كانت في لسانه قال أبو بكر الخطيب لما قدم بغداد في خلافة الرشيد سمع به فبعث إليه فظن أن أحداً قد وشى به فدخل على الرشيد فقام إليه وأجلسه إلى جانبه وقال له ما حاجتك يا أبا إسحق فقال له ظلمني صاحب الطباء يعني صاحب القباء وكان يقلب القاف طاء . وفي تاريخ ابن خلكان وإنما قيل له ذلك لأنه كان يلثغ فيجعل القاف طاء طلب يوماً ثيابه فقال له غلامه أجيء بدراعة فقال لا طباطبا يريد قباقبا فبقي له لقباً واشتهر به انتهى ، وللسيد طباطبا من الأولاد لصلبه القاسم الرسي والرس قرية من قرى المدينة سكن بها فنسب اليها وفي تاريخ ابن خلكان والرسي بفتح الراء والسين المهملة المشددة قال ابن السمعاني هذه النسبة إلى بطن من بطون السادة العلوية انتهى ولما وصل القاسم إلى مصر جلس بالجامع العتيق واجتمع عليه الناس لسماع الحديث وجمعوا له مالاً فأبى أن يقبله فازداد أهل مصر فيه محبة وكانت له دعوة مستجابة قال العبدلي كان القاسم أبيض مقرون الحاجبين كثير الخضوع لا يتكلم إلا بالقرآن والحديث وكان يقول حدثني أبي عن جدي عن أبيه الحسن السبط عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وكان يقول من أراد البقاء ولا بقاء فليلتحف الرداء ولا يكاثر الغذاء وليقلّ من مجامعة النساء وقال خير نسائكم الطيبة الرائحة كان القاسم أكثر أهل زمانه

علماً قيل إنه عاد إلى الحجاز ومات بالرس سنة خمس وعشرين وثلاثمائة قال في الكواكب السيارة وهذا المشهد قبر مكتوب عليه إبراهيم طباطبا بن إسمعيل الديباج ابن إبراهيم القمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وقال في موضع آخر قيل إن بالتربة من أبناء طباطبا لصلبه الحسن الأكبر والحسن الأصغر وعبد الله وأحمد والبيغاء الكبير والبيغاء الصغير والأزرق الكبير والأزرق الصغير قال ومن أولاد الحسن الكبير رضي الله عنهم بهذه التربة علي بن الحسين بن طباطبا قيل بلغ ماله بعد موته ثلاثة قناطير من الذهب ونصفاً وسبع قناطير من الفضة ومائة عبد ومائة أمة وكان قد أوصى بثلث ماله صدقة وتوفي سنة خمس وخمسين وثلثمائة قال وبهذا المشهد الإمام أحمد بن علي بن الحسن بن طباطبا وكان جليل القدر وله كلام رائق قيل إنه تصدق بمال أبيه كله حتى كان لا يجد ما ينفق وكان يأكل في اليوم والليلة مرة واحدة فلما بلغ ذلك ابن طولون وقع له بقرية من قرى مصر وكان يشفع عنده ويمشي في قضاء حوائج الناس قال ابن زولاق لم يكن بمصر فيمن نزل من الأشراف أكثر شفقة ورأفة وسعياً في حوائج الناس من محمد بن علي بن الحسن بن طباطبا قال صاحب الكواكب وبهذا المشهد الإمام عبد الله بن علي بن الحسن قال ابن النحوي كان عبد الله بن طباطبا شريفاً جميلاً عفيفاً فصيحاً وكان له رباع وضياع ودائرة متسعة وكان كثير الافتقاد للفقراء والأرامل والمنقطعين ذكر ابن زولاق قال حدثني عبد الله بن أحمد ابن طباطبا قال رأيت كأن طاقة في السماء صعدت اليها ومشيت فيها فرأيت سريراً وعليه امرأة فعلمت أنها خديجة رضي الله عنها فسلمت عليها فقالت من أنت؟ فقلت عبد الله بن أحمد بن طباطبا فصاحت يا فاطمة قد جاء من أولادك ولد فخرجت من بيت على يسار خديجة فقمت اليها فقالت مرحبا بالولد الصالح ثم أقبل اثنان أعلم أنهما الحسن والحسين رضي الله عنهما فقبلت يد أحدهما فقال هذا عمك وأشار إلى الحسين ثم خرج رجل عليه سكينة ووقار فقال لي أحدهما هذا جدك علي بن أبي طالب ثم رأيت رجلاً أقبل جليلاً جميلاً فانكبيت على رجليه فمنعني وقال لا تفعل هذا يا عبد الله مرحباً بالولد الصالح وجلسوا يتحدثون فما

أنسيت طيب حديثهم إلى الآن فأخذ بيدي رسول الله ﷺ فأنزلني من الطاقة يده في يدي وهو يقول لي بلغت الأرض فأقول لا إلى أن بلغ ابهام رجلي الأرض فلما وصلت رجلي انتبهت كالمصروع لا أعقل شيئاً فجاءوني بالمعوذين وعلقوا عليّ التعاويذ فبلغ الحديث إلى أبي عبد الله الزيدي فجاءني وسألني عن قصتي فحدثته فقال ليتني كنت معكم قال ابن النحوي في كتابه الرد على أولي الرفض وكان في دهليز داره رجلان يكسران اللوز والفستق لعمل الحلوى للفقراء وكان يرسل إلى كافور في كل يوم رغيفين وجامين منها فقال بعض المصريين لكافور هذا ينزل من قدرك فقال له يا شريف لا ترسل إلي شيئاً بعد هذا اليوم فتركه فوجده كافور فقال أرسل إلي ما كنت ترسله فقال إني ما كنت أرسل اليك ما كنت أرسله استخفافاً بك وإنما لي والدة تعجنه بيدها وتقرأ عليه القرآن قال صدقت فكان لا يأكل بعد ذلك إلا منه قال العبدلي النسابة في كتابه وفي سنة نيف وأربعين نام رجل فرأى في منامه رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني مشتاق إلى زيارتك وليس لي مال يوصلني إليك فقال له رسول الله ﷺ زر عبد الله بن أحمد بن طباطبا تكن كمن زارني توفي عبد الله بن أحمد بمصر سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة. وفي طبقات الشعراني ودفن بالقرب من الإمام الليث انتهى وفي الكواكب السيارة ما نصه ومعه في القبة والده أحمد أي والد عبد الله قال وكان أحمد هذا عظيماً جليل القدر يسأله السائل فيعطيه أثوابه قال أبو جعفر كان أحمد بن علي بن طباطبا شاعراً فصيحاً فمن شعره رضي الله عنه:

لقد غرت الدنيا أناساً فأصبحوا سكارى بلا عقل وما شربوا خمرا
وقد خدعتهم من زخارفها بما غدوا منه في كرب وقد كابدوا ضرا

وله شعر كثير في دواوين مشهورة.

(نادرة) جاء إلى أحمد هذا رجل يطلب منه مالا فقال له لم يكن عندي شيء ولكن خذني فبعني فأخذه وأتى به للوزير المارداني ليشتريه فقال الوزير وأنى أجد مالا يكون ثمنك ثم أمر للرجل بألف دينار وكان أحمد بن علي هذا يقول

أشد الخجلة خجلة السؤال وأشد الندم الندم على المعاصي . وفي تاريخ ابن خلكان ومن أولاد طباطبا أبو القاسم أحمد بن محمد بن إسمعيل بن إبراهيم طباطبا بن إسمعيل ابن إبراهيم بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم الشريف الحسني الرسي المصري كان نقيب الطالبيين بمصر وكان من أكابر رؤوسها وله شعر مليح في الزهد والغزل وغير ذلك توفي سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ليلة الثلاثاء لخمس بقين من شعبان ودفن بمقبرة بمصر خلف المصلى الجديد بمصر وعمره إذ ذاك كان أربعاً وستين سنة انتهى وفي الكواكب السيارة قال وفي هذا المشهد عند باب القبة قبر السيدة خديجة بنت محمد بن إسمعيل بن القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا كانت زاهدة عابدة وهي زوجة عبد الله بن أحمد المتقدم ذكره قال بعلها عبد الله كانت تسابقني إلى صلاة الليل وما رأيتها ضحكت قط توفيت سنة عشرين وثلاثمائة وصلى عليها زوجها عبد الله وهي مدفونة في القبة تحت رجليه .

(وحكت) خديجة هذه عن بعلها حكاية عجيبة قالت جئت مع بعلي عبد الله إلى دار له على جانب النيل وكان بها أثاث له وقماش فوجدت رجلاً فتح الباب وضم جميع ما كان في البيت وحمله على رأسه وكنت في الدار فأردت أن أتكلم فأشار إليّ بالسكوت فجعل يزاحمني في السلالم والسيد عبد الله بعلها يقيه من الحائط حتى لا يصاب بها فلما نزل قلت له هذا متاعنا فلم تدعه يأخذه وينصرف فقال وما يدريك أن يكون ذلك سبباً لتوبته فما كان إلا قليل حتى جاء رجل ومعه عبيد وحشم فقال له يا سيدي أريد منك أن أخلو بك فجاء معه وقال هل تذكر الذي كنت تقيه من الحائط ؟ قال نعم قال يا سيدي أنا هو ولقد بورك لي في متاعك حتى إن جميع ما تراه منه ومعي آلاف وقد جئت إليك بهذه الألف درهم وعبدين وجاريتين فتبسم وقال أنا منذ رأيتك دعوت لك بالبركة والله لا أقبل منك شيئاً ثم جاء اليّ فأخبرني بذلك رضي الله عنه (قال) وفي هذا المشهد عند الحائط الغربي قبر أبي الحسن علي بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن الحسن بن طباطبا ويعرف بصاحب الحوراء كان في أول عمره ينام الليل فنام ليلة فرأى الجنة

وما فيها من الحور فأعجبته حوراء فقال لها لمن أنت؟ فقالت لمن يؤدي ثمني فقال وما ثمنك؟ فقالت أن لا ينام الليل فقال والله لا نمت بعد ذلك فرآها مرة أخرى وهي تقول إياك والنوم لئلا ينفسخ العقد.

(وحكى) ابن عثمان أن أبا الحسن رأى في النوم جارية نزلت من السماء أضاءت الدنيا لنور وجهها فقال لها لمن أنت؟ فقالت لمن يعطي ثمني فقال وما ثمنك؟ قالت مائة ختمة فقرأها ولما فرغ منها رآها في المنام فقال لها قد فعلت ما أمرتيني به فقالت له يا شريف أنت ليلة غد عندنا فأصبح وجهز نفسه وأعلمهم بموته فمات من يومه رضي الله عنه قال ابن عثمان وإلى جانب قبره قبر فرج غلامهم وكان قد توفي قبلهم وكان إذا اشتد بهم أمر قالوا اللهم بحرمة فرج فرج عنا فيفرج الله عنهم ببركته قال وبهذا المشهد قبر أبي محمد الحسن بن علي بن محمد بن أحمد ابن علي بن الحسن بن طباطبا وكان من الزهاد. قال رضي الله عنه رأيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله من أقرب الناس من أهلك إليك؟ قال من ترك الدنيا وراء ظهره وجعل الآخرة نصب عينيه ولقيني وكتابه مطهر من الذنوب توفي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وفي طبقات الشعراني أن صاحب الرؤيا السيد عبد الله من أولاد إبراهيم بن الحسن بن الحسن يعني المتقدم ولقائل أن يقول لا مانع من وقوعها لهما. وفي الكواكب قال ومعهم في القبة أبو القاسم يحيى بن علي ابن محمد بن جعفر بن علي بن الحسين بن سيدنا علي رضي الله عنهم قال وهذا نسب صحيح ذكر الشيخ أبو جعفر شيخ النسابة قال كان أبو القاسم يحيى هذا من كبار العلويين انتهت اليه الرياسة في زمنه رضي الله عنه انتهى وقد جمع هذا المشهد من آل محمد رسول الله ﷺ جماعة كثيرة وجمع جماعة من أهل العلم والصلاح منهم سهل بن أحمد البرمكي المستوزر للدولة الطولونية وكان مشهوراً بالخير كثير البر للفقراء محباً لآل رسول الله ﷺ وقد أنشأ التربة المنسوبة إليه بجانب الأشراف رغبة فيهم ولما حضرته الوفاة عاهد أهل بيته أن لا يبكوا عليه وأمر أن يدفن بالتربة المذكورة وأنشد يقول:

إذا ما بكى الباكون حولي تحرقاً وقالوا جميعاً مات سهل بن أحمد
فقلت لهم لا تندبوني فإنني مع السادة الأطهار آل محمد

قلت ومن نسل طباطبا أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا بن إسمعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم. وفي معاهد التنصيص كان شاعراً مفلقاً عالماً محققا ولد بأصبهان وبها مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وله عقب كثير بأصبهان فيهم علماء وأدباء وكان مشهوراً بالفطنة والذكاء وصفاء القريحة وجودة الذهن وله من المصنفات كتاب عيار الشعر وكتاب تهذيب الطبع وكتاب العروض ولم يسبق إلى مثله ، ومن شعره قصيدة تسعة وثلاثون بيتاً ليس فيها راء ولا كاف أولها :

يا سيداً دانت له السادات وتتابعت في فعله الحسنات

يقول منها في وصف القصيدة ميزانها عند الخليل معدل . متفاعلن متفاعلن فعلات . ومن شعره يهجو أبا علي الرسي ويرميه بالدعوة والبرص :

أنت أعطيت من دلائل رسل الله آيا بها علوت الرؤوسا
جئت فرداً بلا أب وبيمنا ك بياض فأنت عيسى وموسى

فصل

ومن أهل البيت السيدة فاطمة بنت السيد علي الرضا

قال في الكواكب السيارة وإلى جانب قبر البويطي رضي الله عنه قبر السيدة فاطمة بنت السيد علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم حكي عنها مع بشير بن سعيد الجوهري حكاية وذلك أنه أصاب الناس قحط عظيم وكان زوجها مات وخلف مخدعاً لا يعرف ما فيه فقالت يوماً للخادمة وقد ضاق صدرها ليت شعري ما في هذا المخدع ففتحته فوجدت فيه شيئاً ملقى في جانبه فأخذته فإذا هو كيس فيه عقد قد علاه الصدأ فقالت للخادمة امض به إلى السوق لعل أن يأتينا ولو بقوت اليوم فخرجت الخادمة فطافت به على باب الصاغة فوجدت رجلاً قائماً عليه آثار الخير فنظرت إليه فقال يا أمة الله ما لك فقصت عليه القصة فأخذه منها وغاب قليلاً وجاء إليها وقال لها تبيعينه بمائة دينار فسكتت الجارية وظنت أنه يهزأ بها فتركها وغاب قليلاً ثم أتى إليها وقال ما يزيد ثمنه على مائتين وخمسين ديناراً فقالت الجارية يا سيدي أنا خادمة امرأة شريفة أتهزأ بها ولها دعوة مجابة فقال لا والله ما أنا بهازئ بها ولا أقول إلا حقاً فقالت الجارية اقبض المال وامض معي إلى مولاتي فقبض المال وأتى معها إلى الدار فدخلت وأعلمت السيدة فاطمة بذلك فخرجت السيدة فاطمة ووقفت وراء الباب وقالت أحق ما تقول هذه الجارية؟ قال نعم ثم صب المال في طرف الجارية فقالت السيدة فاطمة اجعل هذا المال نصفين لنا النصف ولك النصف فقال لا والله لا ينالني منه شيء بل ينالني منك دعوة تكون في عقبي إلى يوم القيامة فقالت جعل الله في نسلك الصالحين فكان من نسله أبو عبد الله الحسيني وأبو الفضل بن عبد الله بن الحسين

ابن بشير الجوهري رضي الله عنها وعنهم قال ثم تمشي خطوات مستقبل القبلة تجد قبر السيد الشريف أبي القاسم الفريد المعروف بصاحب الخيار. حكي عنه أن إنساناً ورث عن أبيه مالاً كثيراً فأذهبه ثم تداين ديناً فذهب منه فلقيه صاحب الدين وكتب ورقة اعتقاله ثم وقف الناس له فانتظره إلى مضي ثلاثة أيام فلما كان في اليوم الثالث قال في نفسه من أين أعطي هذا الرجل؟ ثم أتى إلى القرافة وزار أكثر قبورها حتى انتهى إلى هذا القبر وكان عليه بناء بالطوب اللبن حاجزاً فزار الرجل وابتهل إلى الله تعالى ثم أخذه النوم فنام فرأى كأن الشريف صاحب القبر ناوله خياراً وكان في أيام عدمه فاستيقظ فوجده في حجره فتعجب من ذلك فبينما هو يتعجب وإذا بالأمير ابن طولون واقف على رأسه فقال له مررت من ههنا مراراً فما رأيتك إلا اليوم فنهض الرجل قائماً وقص عليه قصته ثم ناوله الخيار فأخرج الأمير ابن طولون مالاً وقال له اقض بهذا دينك (قال) وكان ابن طولون ملازماً لزيارة الصالحين مشهوراً بالخير انتهى. (ومن المزارات) مشهد سنا وثنا قال المقريزي في الخطط يقال إنهما من أولاد محمد بن جعفر الصادق كانتا تتلوان القرآن الكريم فماتت إحداهما فصارت الأخرى تتلو وتهدي ثواب قراءتها لأختها حتى ماتت.

(تنبيه) قد تقدم في بعض من ذكر من أهل البيت أني لم أعين له مزاراً معلوماً وسببه عدم تبيين المواد التي بيدي لها ولكن سألت عن المعظم فوجدته بالقرافة الصغرى هي التي بها ضريح إمامنا الشافعي رضي الله عنه والباقي بها أيضاً ولكن درست علاماته.

(تتمة في الكلام على القرافة) قال المقريزي في الخطط قال القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي القرافة هم بنو غض وفي نسخة بنو غصن بن سيف بن وائل بن المغافر وقال أبو عمرو الكندي بنو جحد بن سيف بن وائل بن الجيزي ابن شراحبيل بن المغافر بن يغفر وقيل إن قرافة اسم أم عذافر وحجض ابني سيف ابن وائل بن الجيزي فقد صحف القضاعي في قوله غض بالغين المعجمة والأقرب

ما قاله الكندي لأنه أقعد بذلك وقال ياقوت والقرافة بفتح القاف وراء مخففة وألف خفيفة وفاء مقبرة بمصر مشهورة مسماة بقبيلة من المغافر يقال لهم بنو قرافة.

اعلم أن القرافة بمصر اسم لموضعين القرافة الكبرى حيث الجامع الذي يقال له جامع الأولياء والقرافة الصغرى وبها قبر الإمام الشافعي وكانتا في أول الأمر خطتين لقبيلة من اليمن هم من المغافر بن يعفر يقال لهم بنو قرافة ثم صارت القرافة الكبرى جبانة وهي حيث مصلى خولان والبقعة وما هو حول جامع الأولياء قاله المقريزي في الخطط ثم قال والناس في القديم إنما كانوا يقبرون موتاهم فيما بين مسجد الفتح وسفح المقطم واتخذوا الترب الجليلة أيضاً فيما بين مصلى خولان وخط المغافر التي موضعها الآن كيمان تراب وتعرف الآن بالقرافة الكبرى فلما دفن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ابنه في سنة ثمان وستمائة بجوار قبر الإمام محمد بن إدريس الشافعي وبنى القبة العظيمة على قبر الشافعي وأجرى لها الماء من بركة الكبش بقناطر متصلة منها نقل الناس الأبنية من القرافة الكبرى إلى ما حول الشافعي وأنشأوا هناك الترب فعرفت بالقرافة الصغرى وأخذت عمائرها في الزيادة وتلاشى أمر تلك، وأما القطعة التي تلي قلعة الجبل فحدثت بعد السبعمائة من الهجرة وكان ما بين قبة الإمام الشافعي رضي الله عنه وباب القرافة ميداناً تتسابق فيه الأمراء والأجناد وتجتمع الناس هناك للتفرج على السباق كانت الأمراء تتسابق في جهة والأجناد في جهة منفردين عن الأمراء وكان الشرط في السباق من تربة الأمير بيدر إلى باب القرافة ثم أحدث أمراء دولة الناصر محمد بن قلاوون في هذه الجهة الترب فبنى الأمير يلبغا التركماني الأمير طقشمر الدمشقي والأمير قوصون وغيرهم من الأمراء وتبعهم الجند وسائر الناس فبنوا الترب والخوانك والأسواق والطواحين والحمامات حتى صارت العمارة من بركة الجيش إلى باب القرافة وانقسمت الطرق في القرافة وتعددت بها الشوارع ورغب كثير في سكناها لعظم القصور التي أنشئت بها وسميت بالترب قال موسى بن محمد بن سعيد في كتاب المغرب عن أخبار المغرب بت ليالي كثيرة بقرافة الفسطاط وهي في شرقيها بها منازل الأعيان بالفسطاط والقاهرة وقبور عليها مبان معتنى به وفيها القبة العالية

العظيمة المزخرفة التي فيها قبر الإمام الشافعي[1] رضي الله عنه وبها مسجد جامع وترب كثيرة عليها أوقاف للقراء ومدرسة كبيرة للشافعية ولا تكاد تخلو من ترب ولاسيا في الليالي المقمرة وهي معظم مجتمعات أهل مصر وأشهر متنزهاتهم وفيها أقول:

إن القرافة قد حوت ضدين ... دنيا وأخرى فهي نعم المنزل
يغشى الخليع بها السماع مواصلاً ... ويطوف حول قبورها المتبتل
كم ليلة بتنا بها ونديمنا ... لحن يكاد يذوب منه الجندل
والبدر قد ملأ البسيطة نوره ... فكأنما قد فاض منه جدول
وبدا يضاحك أوجهاً حاكينه ... لما تكامل وجهه المتهلل

وقال شافع بن علي:

تعجبت من أهل القرافة إذ غدت ... على وحشة الموتى لها قلبنا يصبو
فألفيتها مأوى الأحبة كلهم ... ومستوطن الأحباب يصبو له القلب

وقال الأديب أبو سعيد محمد بن أحمد العميدي:

---

(١) قوله (التي فيها قبر الإمام الشافعي) أي وهي الصغرى أي، وبها قبر الإمام الليث بن سعد بن عبد الرحمن كان مولى قيس بن رفاعة وهو مولى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي، ولد الليث سنة أربع وتسعين من الهجرة في شعبان نقل ابن خلكان أنه من قلقشندة قرية من قرى مصر والفهمي نسبة إلى فهم بطن من قريش قال أخوهم فأبت إلى فهم اليث واختلفوا هل سمع عن مالك أو سمع مالك عنه قال ابن خلكان رأيت في بعض المجاميع أن الليث كان حنفي المذهب وأنه ولي قضاء مصر وأن الإمام مالكاً أهدى إليه صينية فيها تمر فأعادها مملوءة ذهباً وأنه كان يتخذ لأصحابه الفالوذج ويعمل فيها الدنانير فيحصل لكل من أكل كثيراً أكثر من صاحبه توفي رضي الله عنه يوم الخميس وقيل الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ودفن يوم الجمعة بقرافة مصر الصغرى قال بعض أصحابه لما دفن الليث بن سعد سمعنا صوتاً وهو يقول:
ذهب الليث فلا ليث لكم ومضى العلم قريباً وقبر نقل صاحب الكواكب أن ولداً من عقب الليث ارتحل إلى البلاد الشامية وكان قد أعيل فاجتمع به رجل من أهل الثروة واليسار وقال له أنا ملكك وما تحت يدي ملكك فقال له ولم ذلك فقال أنا عبد من عبيد أبيك أبقيت وكان معي بعض من المال واتجرت فيه ففتح الفتاح عليّ فقال له قد اعتقتك ووهبتك ما بيدك قال صاحب الكواكب لم يترجح عندي تفضيل أحدهما على الآخر. نقله صاحب نور الأبصار.

إذا ما ضاق صدري لم أجد لي   مقر عبادة إلا القرافه
لئن لم يرحم المولى اجتهادي   وقلة ناصري لم ألق رافه

روي عن أبي طيبة عن أبي بريدة مرسلاً قال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في كتابه فتوح مصر حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث ابن سعد قال سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار فعجب عمرو من ذلك وقال أكتب في ذلك إلى أمير المؤمنين فكتب بذلك إلى عمر رضي الله عنه فكتب إليه عمر سله لم أعطاك به ما أعطاك وهي لا تزرع ولا يستنبت بها ماء ولا ينتفع بها؟ فسأله فقال إنّا لنجد صفتها في الكتب أن فيها غراس الجنة فكتب بذلك إلى عمر رضي الله عنه فكتب إليه عمر إنا لا نعلم غراس الجنة إلا المؤمنين فاقبر فيها من مات قبلك من المسلمين ولا تبعه بشيء فكان أول من دفن فيها رجل من المغافر يقال له عامر فقيل عمرت فقال المقوقس لعمرو ما على هذا عاهدتنا فقطع لهم الحد الذي بين المقبرة وبينهم. وعن أبي لهيعة أن المقوقس قال لعمرو إنا لنجد في كتابنا ما بين هذا الجبل وحيث نزلتم ينبت فيه شجر الجنة فكتب بقوله إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهم فقال صدق فاجعلها مقبرة للمسلمين فقبر فيها ممن عرف من أصحاب رسول الله ﷺ خمسة نفر عمرو ابن العاص السهمي وعبد الله بن حذافة السهمي وعبد الله بن جزء الزبيدي وأبو بصيرة الغفاري وعقبة بن عامر الجهني ويقال وسلمة بن مخلد الأنصاري وفي شرح الشريشي على المقامات الحريرية أن السيدة آسية امرأة فرعون مدفونة بالقرافة الكبرى. وروى أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس في تاريخ مصر من حديث حرملة بن عمران قال حدثني عمير بن أبي مدرك الخولاني عن سفيان بن وهب الخولاني قال بينا نحن نسير مع عمرو بن العاص في سفح هذا الجبل ومعنا المقوقس فقال له عمرو يا مقوقس ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات ولا شجر على نحو بلاد الشام؟ فقال لا أدري ولكن الله أغنى أهله بهذا النيل عن ذلك ولكنه نجد تحته ما هو خير من ذلك قال وما هو؟ قال ليدفنن تحته قوم يبعثهم الله يوم القيامة لا حساب عليهم قال عمرو اللهم اجعلني منهم قال حرملة بن

عمران فرأيت قبر عمرو بن العاص وقبر أبي بصيرة وقبر عقبة بن عامر فيه قال المقريزي والاجماع على أنه ليس في الدنيا مقبرة أعجب ولا أبهى ولا أعظم ولا أنظف من أبنيتها وقبابها وحجرها ولا أعجب تربة منها كأنها الكافور والزعفران مقدسة في جميع الكتب وحين تشرف عليها تراها كأنها مدينة بيضاء والمقطم عال عليها كأنه حائط من ورائها.

(**عجيبة**) قال المقريزي وفي سنه ثلاث وثلاثين وأربعمائة ظهر شيء بالقرافة يقال له القطربة تنزل من جبل المقطم فاختطفت جماعة من أولاد سكانها حتى رحل أكثرهم خوفاً منها وكان شخص من أهل مصر يعرف بحميد القوال خرج من إطفيح على حماره فلما وصل إلى حلوان عشاء رأى امرأة جالسة على الطريق فشكت إليه ضعفاً وعجزاً فحملها خلفه فلم يشعر بالحمار إلا وقد سقط فنظر إلى المرأة فإذا بها قد أخرجت جوف الحمار بمخالبها ففر وهو يعدو إلى والي مصر وذكر له الخبر فخرج بجماعته إلى الموضع فوجد الدابة قد أكل جوفها ثم صارت بعد ذلك تتبع الموتى بالقرافة وتنبش قبورهم وتأكل أجوافهم وامتنع الناس من الدفن في القرافة زمناً حتى انقطعت تلك الصورة قال المقريزي ما كان من القرافة في سفح الجبل يقال له القرافة الصغرى وما كان في شرقي مصر بجوار المساكن يقال له القرافة الكبرى كما تقدم وفيها كان مدافن أموات المسلمين منذ افتتحت مصر واختطت العرب مدينة الفسطاط ولم يكن لها مقبرة سواها فلما قدم جوهر القائد من قبل المعز وبنى القاهرة وسكنها الخلفاء اتخذوا بها تربة عرفت بتربة الزعفران قبروا بها موتاهم ثم لما مات أمير الجيوش بدر الجمالي دفن خارج باب النصر فاتخذ الناس هناك مقابر موتاهم وكثرت مقابر أهل الحسينية في هذه الجهة انتهى.

الباب الرابع

في ذكر مناقب الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب

رضي الله عنهم



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

في الروض الفائق ما نصه قال بعض الصالحين: رأيت في النوم كأني دخلت الجنة فرأيت في وسطها عموداً من نور ورأيت أربعة يجرونه بأربع سلاسل من جهاته الأربع وهو ثابت لا يتغير من مكانه فقلت يا لله العجب لو جره هؤلاء من فرد جهة واحدة لكان أسهل عليهم فسألت بعض الملائكة عن ذلك فقال لي هذا العمود هو دين الإسلام وهذه الأربع سلاسل المذاهب الأربعة وهؤلاء الذين يجرونه هم أئمة الإسلام الشافعي وأحمد وأبو حنيفة ومالك رضي الله عنهم أجمعين فاتفاقهم فرض وقولهم حق واختلافهم رحمة للمسلمين.

فالشافعي له علوم تشرق	بين الورى وله ثناء يعبق
ولمالك نشرت علوم ما لها	حد كبحر زاخر يتدفق
ولأحمد تعز العلوم لأنه	يروي الحديث وصدقه متحقق
وأبو حنيفة سابق فلأجل ذا	آثاره وعلومه لا تسبق
فهم الأئمة خصهم رب العلا	بالفضل منه فشأوهم لا يلحق

فصل

في ذكر مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطا بن ماه الكوفي مولى بني تيم الله بن ثعلبة

وزوطا بضم الزاي وسكون الواو كذا ضبطه بعضهم. ولد أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه بالكوفة سنة ثمانين ونشأ بها. وكان رضي الله عنه حسن السمت والوجه والثوب والفعل والمواساة لكل من طاف به وكان ربعة من الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير وكان من أحسن الناس منطقاً، وأدرك رضي الله عنه ستة من الصحابة وهم أنس بن مالك وعبد الله بن الحارث بن جزء وعبد الله بن أنيس وعبد الله بن أبي أوفى وواثلة بن الأسقع ومعقل بن يسار وفي إدراكه جابر ابن عبد الله خلاف، وفي تتمة المختصر لم يلق أحداً منهم ولا أخذ عنهم وأصحابه يزعمون غير ذلك انتهى.

(ذكر) الخطيب في تاريخ بغداد أنه أخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان وسمع عطاء بن أبي رباح وأبا إسحاق السبيعي ومحارب بن دثار والهيثم بن حبيب الصواف ومحمد بن المنكدر ونافعاً مولى عبد الله بن عمر وهشام بن عروة وسماك ابن حرب. وفيه قال أبو حنيفة دخلت على أبي جعفر أمير المؤمنين فقال لي يا أبا حنيفة عمن أخذت العلم؟ قال قلت عن حماد عن إبراهيم عن عمر بن الخطاب وعن علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس قال بخ بخ استوثقت ما شئت يا أبا حنيفة الطيبين الطاهرين المباركين رضي الله عنهم أجمعين. وفيه أيضاً قيل دخل أبو حنيفة يوماً على المنصور وهو أبو جعفر وعنده عيسى بن موسى فقال المنصور إن هذا لعالم الدنيا اليوم ثم قال له يا نعمان عمن أخذت العلم؟ قال عن أصحاب عمر عن عمر وعن أصحاب علي عن علي وعن

أصحاب عبد الله عن عبد الله وما كان في وقت ابن عباس على الأرض أعلم منه قال لقد استوثقت روى عن أبي حنيفة بن المبارك ووكيع بن الجراح والقاضي أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني وغيرهم. وحكي عن الشافعي أنه قال الناس كلهم عيال على ثلاثة مقاتل بن سليمان في التفسير وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر وعلى أبي حنيفة في الفقه. وفي ربيع الأبرار يقال إن أربعة لم يسبقوا ولم يلحقوا أبو حنيفة في الفقه والخليل في نحوه والجاحظ في تأليفه وأبو تمام في شعره؛ وفيه كان الثوري إذا سئل عن مسألة دقيقة قال لا يحسن أن يتكلم فيها إلا رجل قد حسدناه يعني أبا حنيفة. وفي تاريخ اليافعي نقله أبو جعفر المنصور من الكوفة إلى بغداد وأراد أن يوليه القضاء فأبى فحلف عليه ليفعلنّ فحلف أبو حنيفة لا يفعل فقال الربيع بن يونس الحاجب لأبي حنيفة ألا ترى أن أمير المؤمنين يحلف فقال أبو حنيفة أمير المؤمنين أقدر مني على كفارة يمينه فأمر به إلى السجن فلم يقبل القضاء فضربه مائة سوط وحبس إلى أن مات. قال الخطيب البغدادي إن المنصور لما بنى مدينته ونزل بها ونزل المهدي في الجانب الشرقي وبنى مسجد الرصافة أرسل إلى أبي حنيفة فجيء به فعرض عليه قضاء الرصافة فأبى فقال له إن لم تفعل ضربتك بالسياط فقال أوتفعل؟ قال نعم فقعد في القضاء يومين فلم يأته أحد فلما كان في اليوم الثالث أتاه رجل صفار ومعه آخر فقال الصفار لي على هذا درهمان وأربعة دوانق ثمن تور صفر قال أبو حنيفة اتق الله وانظر فيما يقول الصفار قال ليس عليّ شيء فقال أبو حنيفة للصفار ما تقول؟ قال استحلفه لي فقال أبو حنيفة قل والذي لا إله إلا هو فجعل يقول فلما رآه أبو حنيفة مقدماً على اليمين قطع عليه وأخرج من صرة في كمه درهمين ثقيلين وقال للصفار هذا عوض مالك عليه فلما كان بعد اليومين اشتكى أبو حنيفة فمرض ستة أيام ثم مات رحمه الله. وفي ربيع الأبرار للزمخشري أراد عمر بن هبيرة أبا حنيفة على القضاء فأبى فحلف ليضربنه بالسياط على رأسه وليسجننه وفعل حتى انتفخ وجه أبي حنيفة ورأسه من الضرب فقال الضرب في الدنيا بالسياط أهون عليّ من مقامع الحديد في الآخرة؛ وعن أبي عون ضرب أبو حنيفة مرتين على القضاء ضربه ابن هبيرة وضربه أبو جعفر

وأحضر بين يديه فدعا له بسويق وأكرهه على شربه فشربه ثم قام فقال إلى أين؟ فقال إلى حيث بعثتني فمضى به إلى السجن فمات فيه ، وكان الإمام أحمد بن حنبل إذا ذكر ذلك بكى وترحم على أبي حنيفة وذلك بعد أن ضرب الإمام أحمد على ترك القول بخلق القرآن وفي الكشاف وكان أبو حنيفة يفتي سراً بوجوب نصرة زيد بن علي وحمل المال إليه والخروج على اللص المتغلب المتسمي بالإمام والخليفة كالدوانيقي وأشباهه وقالت له امرأة أشرت على ابني بالخروج مع إبراهيم ومحمد بن عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك ، وكان يقول في المنصور وأشياعه لو أرادوا بناء مسجد وراودوني على عدّ آجرّه لما فعلت. وذكر الخطيب في تاريخه أن أبا حنيفة رأى في المنام أنه نبش قبر رسول الله ﷺ فبعث من سأل محمد بن سيرين قال ابن سيرين صاحب هذه الرؤيا يثور علماً لم يسبقه إليه أحد. وعن صالح بن محمد بن يوسف بن رزين عن أبي حنيفة أنه قال رأيت في المنام كأني نبشت قبر رسول الله ﷺ وأخرجت عظاماً فاحتضنتها قال فهالتني هذه الرؤيا فدخلت على ابن سيرين وقصصتها عليه فقال إن صدقت رؤياك لتحيين سنة محمد ﷺ روي عن أبي حنيفة أنه قال دخلت البصرة فظننت أني لا أسأل عن شيء إلا أجبت عنه فسألوني عن أشياء لم يكن عندي فيها جواب فجعلت على نفسي أن لا أفارق حماداً فصحبته عشرين سنة قال وما صليت صلاة إلا واستغفرت لحماد مع والديّ ولكل من قرأت عليه. وكان أبو حنيفة رضي الله عنه يقول ما جاءنا أو يقول ما أتانا عن الله ورسوله قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا أو ما أتانا عن الصحابة اخترنا أحسنه ولم نخرج عن أقاويلهم وما جاءنا أو ما أتانا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال كذا في ربيع الأبرار ، وكان أبو حنيفة كثيراً من ينشد هذين البيتين:

حسدوا الفتى إن لم ينالوا سعيه ... والكل أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسداً وبغضاً إنه لدميم

وعن خلف بن سالم عن صدقة المقابري وكان صدقة مجاب الدعوة قال لما دفن أبو حنيفة في مقابر الخيزران سمعت صوتاً من الليل ثلاث ليالي يقول:

ذهب الفقه فلا فقه لكم واتقوا الله وكونوا حنفا
مات نعمان فمن هذا الذي يحيي الليل إذا ما سجفا

وفي تاريخ ابن الوردي كان شيخنا العلامة صدر الدين محمد بن الوكيل العثماني ينشد لبعضهم:

الفقه فقه أبي حنيفة وحده والدين دين محمد بن كرام
إن الأولى في دينهم ما استمسكوا بمحمد بن كرام غير كرام

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه قيل لمالك هل رأيت أبا حنيفة؟ قال نعم رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته. وعن علي بن عاصم قال لو وزن عقل أبي حنيفة بعقل أهل الأرض لرجح به. وفي حياة الحيوان كان أبو حنيفة إماماً في القياس وصلى صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة وكان عامة ليله يقرأ القرآن في ركعة واحدة وكان يبكي في الليل حتى ترحمه جيرانه وختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة اهـ. وروي عن أسد بن عمرو أنه قال صلى أبو حنيفة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة وكان يسمع بكاؤه حتى ترحمه جيرانه.

(فوائد): الأولى أن أبا حنيفة رضي الله عنه كان له جار اسكاف يعمل نهاره فإذا رجع إلى منزله ليلاً تعشى ثم شرب فإذا دب الشراب فيه غنى وقال:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

ولا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم وأبو حنيفة يسمع صوته كل ليلة وكان أبو حنيفة يصلي الليل كله ففقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه فقيل أخذه العسس منذ ليال فصلى أبو حنيفة الفجر من غده ثم ركب بغلته وأتى إلى دار الأمير فاستأذن عليه فقال ائذنوا له وأقبلوا به راكباً ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ففعل به ذلك فوسع له الأمير في مجلسه وقال ما حاجتك قال أشفع في جاري فقال الأمير أطلقوه وكل من أخذ في تلك الليلة فأطلقوهم أيضاً وذهبوا وركب أبو حنيفة بغلته وخرج الاسكاف يمشي وراءه فقال له أبو حنيفة يا فتى

هل أضعناك فقال بل حفظت ورعيت جزاك الله خيراً عن حرمة الجوار ثم تاب الرجل ولم يعد إلى ما كان يفعل كذا في تاريخ بغداد ووفيات الأعيان، وهذا البيت للعرجي في تتمة المختصر نسبة إلى العرج بسكون الراء عقبة بين مكة والمدينة وهو عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه اهـ. وفي المطول عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه وقيل البيت لأمية بن أبي الصلت وقد أورده صاحب التخليص شاهداً في فن البديع على التضمين وشرحه السعد بما نصه اللام في ليوم لام التوقيت والكريهة من أسماء الحرب وسداد بكسر السين سده بالخيل والرجال والثغر موضع المخافة من فروج البلدان أي أضاعوني في وقت الحرب وزمان سد الثغر ولم يراعوا حقي أحوج ما كانوا إلي وأي فتى أي كاملاً من الفتيان أضاعوا وفيه تنديم وتخطئة لهم اهـ ومثله في الأطول. واستشهد به أيضاً النضر بن شميل بضم الشين ابن خرشة بفتح الخاء المعجمة البصري النحوي على كسر السين من سداد حين قال المأمون حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: «إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز». وفتح سين سداد فأعاد النضر الحديث وكسر السين فاستوى المأمون جالساً وقال: تلحنني يا نضر فقال إنما لحن هشيم وكان لحاناً فتبع أمير المؤمنين لفظه قال فما الفرق بينهما؟ قال السداد بالفتح القصد في الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيئاً فهو سداد بكسر السين وأنشد البيت فأمر له بخمسين ألف درهم. (الثانية) روي أن امرأة دخلت في مسجد أبي حنيفة وهو جالس بين أصحابه فأخرجت تفاحة أحد جانبيها أحمر والآخر أصفر فوضعتها بين يديه ولم تتكلم فأخذها أبو حنيفة وشقها نصفين فقامت المرأة وخرجت ولم يعرف أصحابه مرادها فسألوه عن ذلك فقال إنها ترى تارة أحمر مثل أحد جانبي التفاحة وتارة أصفر مثل الجانب الآخر سألت أن يكون حيضاً أو طهراً فشققت التفاحة وأريتها باطنها وأردت بذلك أن لا تطهري حتى تري البياض مثل باطنها فقامت وخرجت. (الثالثة) أن أعرابياً دخل على أبي حنيفة وهو جالس بين أصحابه فقال له أفي الصلاة واو أو واوان فقال واوات فقال بارك الله فيك كما بارك في لا ولا

فلم يعلم أحد سؤال السائل ولا جواب أبي حنيفة فسألوه عن ذلك فقال سألني أو في التشهد واو أو واوان فقلت واوات بالجمع فدعا لي بالبركة كما بارك في الشجرة الزيتونة لا شرقية ولا غربية كذا في المبسوط. (الرابعة) روي أن أبا حنيفة رضي الله عنه كان جالساً يوماً في المسجد فدخل عليه طائفة من الخوارج شاهرين سيوفهم فقالوا يا أبا حنيفة نسألك عن مسألتين فإن أجبت نجوت وإلا قتلناك قال اغمدوا سيوفكم فإن برؤيتها يشتغل قلبي قالوا كيف نغمدها ونحن نحتسب الأجر الجزيل بإغمادها في رقبتك؟ فقال سلوا إذن فقالوا جنازتان على الباب إحداهما رجل شرب الخمر فغص فمات سكران والأخرى امرأة حملت حملاً من الزنا فماتت في ولادتها قبل التوبة أهما كافران أم مؤمنان والقوم السائلون مذهبهم التكفير بارتكاب ذنب واحد؟ فإن قال مؤمنان قتلوه فقال من أيّ فرقة كانا أمن اليهود؟ قالوا لا قال أمن النصارى؟ قالوا لا قال أمن المجوس؟ قالوا لا قال أمن عبدة الأوثان؟ قالوا لا قال ممن كانا؟ قالوا من المسلمين قال قد أجبتم قالوا وكيف قال قد اعترفتم بأنهما كانا مسلمين ومن كان من المسلمين كيف تجعلونه من الكافرين؟ قالوا هما في الجنة أو في النار؟ قال أقول فيهما ما قال الخليل ﷺ في حق من هو شر منهما فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم أو أقول ما قال عيسى روح الله عليه الصلاة والسلام فيمن هو شر منهما ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ فتابوا واعتذروا إليه اهـ من الروض الفائق. وعن محمد بن الحسن قال حدثني القاسم بن معن أن أبا حنيفة رضي الله عنه قرأ هذه الآية: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾[1]. فلم يزل يرددها ويبكي ويتضرع إلى أن طلع الفجر. وعن ابن أبي زائدة قال صليت العشاء الآخرة مع أبي حنيفة وخرج الناس وأنا في المسجد أريد أن أسأله عن مسئلة وهو لا يعلم أني في المسجد فقرأ حتى بلغ إلى قوله تعالى: ﴿وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾[2]. فلم يزل يرددها حتى طلع الفجر ويروى أنه من شدة خوفه سمع قارئاً يقرأ ليلة في المسجد ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ فلم يزل قابضاً على لحيته إلى الفجر وهو يقول يجزى بمثقال ذرة رضي الله عنه.

---

(١) سورة القمر ٤٦. (٢) سورة الطور ٢٧.

(تتمة) روي أن الخليفة دعا أبا حنيفة رضي الله عنه وقال له كم يحل للرجل الحر من النساء الحرائر؟ فقال أربع فقال الخليفة اسمعي يا حرة فقال أبو حنيفة على البديهة يا أمير المؤمنين لا يحل لك إلا واحدة فغضب الخليفة وقال الآن قلت أربع فقال يا أمير المؤمنين قال الله تعالى: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾.[1] فلما سمعتك تقول اسمعي يا حرة عرفت أنك لا تعدل فلهذا قلت لا يحلّ لك إلا واحدة فلما خرج أبو حنيفة بعثت زوجة الخليفة إليه ألف دينار وأنفذت تشكره وتثني عليه فلم يقبلها وردّها وقال للرسول قل لها أنا ما تكلمت لأجلك وما تكلمت إلا لأجل الله فأجري على الله. وكان رضي الله عنه كثير الخوف والصدقة قال الخطيب كان أبو حنيفة إذا أنفق على عياله نفقة تصدق بمثلها وإذا اكتسى ثوباً جديداً كسا بقدر ثمنه العلماء، وكان إذا وضع بين يديه الطعام ترك منه بقدر ما يأكل ثم يطعمه لإنسان فقير أو لمن في بيته يحتاج إليه وكان رضي الله عنه يؤثر رضا ربه على كل شيء ولو أخذته السيوف في الله لاحتمل وكان دائماً يتمثل بهذين البيتين:

عطاء ذي العرش خير من عطائكم ... وفضله واسع يرجى وينتظر
تكدرون العطا منكم بمنكم ... والله يعطي فلا منّ ولا كدر

قال أبو بكر بن أحمد بن ثابت المؤرخ يقال إن أباه ثابتاً هو الذي أهدى الفالوذج لعلي بن أبي طالب يوم النيروز وقيل يوم المهرجان وكان أبو حنيفة يقول أنا في بركة دعوة صدرت من علي بن أبي طالب لأبي وفي رواية وكان ثابت أبو أبي حنيفة يقول أنا في بركة دعوة صدرت من علي رضي الله عنه في حقي. توفي أبو حنيفة ببغداد في رجب أو شعبان سنة خمسين ومائة وكان ابن سبعين سنة وهي السنة التي ولد فيها إمامنا الشافعي رضي الله عنهما؟ وقيل إن المنصور سقاه سماً فمات لقيامه مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن ذكره اليافعي في تاريخه. وعن جعفر بن الحسن قال رأيت أبا حنيفة في المنام فقلت له ما فعل الله بك؟ قال غفر لي.

---

(١) سورة النساء ٣.

فصل
في ذكر مناقب إمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي

نسبة إلى بطن من حمير يقال له ذو أصبح نقله بعضهم. وفي تتمة المختصر ما نصه مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحرث الأصبحي نسبة لذي أصبح الحارث بن عوف من ولد يعرب بن قحطان اهـ. وأنس بن مالك هذا غير أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ إذ هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الأنصاري الخارجي، وأنس أبو الإمام مالك تابعي. ولد الإمام مالك رضي الله عنه سنة إحدى أو ثلاث أو أربع أو خمس أو سبع وتسعين قال الشافعي رضي الله عنه إذا وجدت لمالك حديثاً فشد يدك به فإنه حجة، وحمل حديث أبي هريرة «يضرب الناس أكباد الإبل فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة». على مالك وعن الشافعي رضي الله عنه أنه قال ما بعد كتاب الله كتاب هو أكثر صواباً من موطإ مالك قال العلماء قول الشافعي هذا كان قبل تصنيف البخاري ومسلم كتابيهما والا فهما أصح الكتب المصنفة. قال الشافعي رضي الله عنه إذا ذكر العلماء فمالك النجم، وأخذ القراءة عن نافع بن أبي نعيم وسمع الزهري وأخذ العلم عن ربيعة الرأي. قال الشافعي قال لي محمد بن الحسن أيما أعلم صاحبنا أم صاحبكم يعني أبا حنيفة ومالكاً؟ قلت على الإنصاف قال نعم قلت أنشدك الله من أعلم بالقرآن صاحبنا أم صاحبكم؟ قال اللهم صاحبكم قلت فأنشدك الله من أعلم بالسنة؟ قال اللهم صاحبكم قلت من أعلم بأقاويل أصحاب رسول الله ﷺ المتقدمين صاحبنا أم صاحبكم؟ قال اللهم صاحبكم قلت فلم يبق إلا القياس والقياس لا يكون إلا على هذه الأشياء كذا في تتمة المختصر.

(صفة الإمام مالك رضي الله عنه) كان طويلاً جسيماً عظيم الهامة أبيض

الرأس واللحية قيل كانت تبلغ لحيته صدره وقيل كان أشقر أزرق العينين يلبس الثياب العدنية الرفيعة قال أشهب إذا اعتم جعل منها تحت ذقنه ويسدل طرفها بين كتفيه قيل وكان يكره حلق الشارب ويعيبه ويراه من المثلة كذا في كتاب الطبقات للشعراني وغيره روى الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتاب الأنساب أن الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي رضي الله عنه كان إمام دار الهجرة وفيها ظهر الحق وانتصر وقام الدين واشتهر في سائر الأقطار وضربت له أكباد الإبل وارتحل الناس إليه من كل فج فانتصب لتدريس العلم وهو ابن سبع عشرة سنة فاحتاج أشياخه إليه ومكث يفتي الناس ويعلمهم نحواً من سبعين سنة وشهد له التابعون بالفقه والحديث وروى عنه محمد بن شهاب الزهري وربيعة بن عبد الرحمن فقيه أهل المدينة ويحيى بن سعيد الأنصاري وموسى بن عقبة وروى عنهم قال يحيى بن شعبة دخلت المدينة سنة أربع وأربعين ومائة ومالك أسود الرأس واللحية والناس حوله سكوت لا يتكلم أحد منهم هيبة له ولا يفتي أحد في مسجد رسول الله ﷺ غيره فجلست بين يديه فسألته فحدثني فاستزدته فزادني ثم غمزني أصحابه فسكت. قال مالك رضي الله عنه ما جلست للفتيا والحديث حتى شهد لي سبعون شيخاً من أهل العلم اني مستحق لذلك وقال حماد بن زيد لرجل جاءه في مسئلة اختلف الناس فيها يا أخي إن أردت السلامة لدينك فسل عالم المدينة واصغ إلى قوله فإنه حجة مالك بن أنس إمام الناس وقال حماد بن سلمة لو قيل لي اختر لأمة محمد ﷺ إماماً يأخذون عنه دينهم لرأيت مالكاً لذلك موضعاً وأهلاً ورأيت ذلك صلاحاً للأمة. وقال الليث بن سعد علم مالك علم تقي مالك أمان لمن أخذ به من الأنام. وكان عبد الرحمن بن القاسم يقول إنما أقتدي في ديني برجلين مالك في علمه وسليمان بن القاسم في ورعه. وقال محمد بن رمح حججت مع أبي وأنا صبي لم أبلغ الحلم فنمت في مسجد رسول الله ﷺ في الروضة بين القبر والمنبر فرأيت النبي ﷺ قد خرج من قبره وهو متوكئ على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقمت فسلمت عليه فرد عليّ السلام فقلت يا رسول الله أين أنت ذاهب؟ فقال أقيم لمالك الصراط المستقيم فانتبهت فأتيت أنا وأبي فوجدت الناس مجتمعين على

مالك وقد أخرج الموطأ وكان أول خروجه. وحدث محمد بن عبد الحكم قال سمعت محمد بن أبي السري العسقلاني يقول رأيت رسول الله ﷺ في النوم فقلت يا رسول الله حدثني بعلم أحدث به عنك فقال ﷺ إني قد أوصيت إلى مالك بكنز يفرقه عليكم ثم مضى فتبعته فقلت يا رسول الله صلى الله عليك حدثني بعلم أحدث به عنك فقال إني قد أوصيت إلى مالك بكنز يفرقه عليكم ثم مضى فتبعته فقلت يا رسول الله حدثني بعلم أحدث به عنك فقال ﷺ يا ابن السري إني قد أوصيت إلى مالك بن أنس بكنز يفرقه عليكم ألا وهو الموطأ ألا وليس بعد كتاب الله ولا سنتي في اجماع المسلمين حديث أصح من الموطأ فاسمعه تنتفع به. قال عمر بن أبي سلمة ما قرأت كتاب الجامع من موطإ مالك إلا أتاني آت في المنام فقال لي هذا كلام رسول الله ﷺ حقاً قيل إن مالكاً رضي الله عنه لما أراد أن يؤلف كتابه بقي متفكراً في أي شيء يسمي به تأليفه قال فنمت فرأيت النبي ﷺ فقال وطئ للناس هذا العلم فسمى كتابه الموطأ. قال عبد الله بن المبارك كنا عند مالك وهو يحدثنا حديث رسول الله ﷺ فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ فلما تفرق الناس عنه قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجباً قال نعم صبرت إجلالاً لحديث رسول الله ﷺ وقال مصعب بن عبد الله كان مالك إذا ذكر النبي ﷺ يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له في ذلك؟ فقال لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم ما ترون وكان يكره أن يحدث في الطريق أو وهو قائم أو مستعجل ويقول أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ.

(فوائد): الأولى قال عتيق بن يعقوب الزبيري قدم هرون الرشيد المدينة وكان قد بلغه أن مالك بن أنس عنده الموطأ يقرؤه على الناس فوجه إليه البرمكي وقال له أقرئه السلام وقل له يحمل إليّ الكتاب فيقرأه عليّ فأتاه البرمكي فأخبره فقال له أقرئه السلام وقل له إن العلم يزار ولا يزور وإن العلم يؤتى ولا يأتي فأتاه البرمكي فأخبره وكان عنده أبو يوسف القاضي فقال يا أمير المؤمنين يبلغ أهل العراق أنك وجهت إلى مالك بن أنس في أمر فخالفك اعزم عليه فبينما هم كذلك إذ دخل

مالك بن أنس فسلم وجلس فقال له الرشيد يا ابن أبي عامر أبعث إليك فتخالفني فقال يا أمير المؤمنين أخبرني الزهري عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال: «كنت أكتب الوحي بين يدي النبي ﷺ فكتبت ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون﴾[1]. وكان ابن أم مكتوم عند النبي ﷺ فقال يا رسول الله إني رجل ضرير وقد أنزل الله تعالى في فضل الجهاد ما قد علمت فقال النبي ﷺ لا أدري وقلمي رطب ما جف حتى ثقل فخذ النبي ﷺ عليّ ثم أغمي على النبي ﷺ ثم جلس رسول الله ﷺ فقال يا زيد اكتب ﴿غير أولي الضرر﴾[1]. يا أمير المؤمنين حرف واحد تعب فيه جبريل والملائكة من مسيرة خمسة آلاف عام ألا ينبغي لي أن أعزه وأجله وإن الله تعالى رفعك وجعلك في هذا الموضع فلا تكن أنت أول من يضع عز العلم فيضع الله عزك قال فقام الرشيد فمشى مع مالك إلى منزله يسمع منه الموطأ وأجلسه معه على المنصة فلما أراد أن يقرأه على مالك قال لمالك تقرؤه علي قال يا أمير المؤمنين ما قرأته على أحد منذ زمان قال فيخرج الناس حتى أقرأه أنا عليك فقال إن العلم إذا منع من العامة لأجل الخاصة لم ينفع الله به الخاصة فأمر أن يقرأه معن بن عيسى القزاز عليه فلما بدأ بالقراءة قال مالك رضي الله عنه لهرون الرشيد يا أمير المؤمنين أدركت أهل العلم ببلدنا وأنهم ليحبون التواضع للعلم فنزل الرشيد عن المنصة فجلس بين يديه اهـ من الروض الفائق (الثانية منه أيضاً) قال كان مالك رضي الله عنه في تعظيم علم الدين مبالغاً حتى إذا أراد أن يحدث توضأ وصلى ركعتين وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن في الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ هكذا يكون تعظيم العلم فالعلماء إذا عظموا العلم عظمهم الله عند الناس وجعل لهم الهيبة والوقار في قلوب الملوك ومن دونهم فيا أيها الطالب للعلم تواضع له فمن تواضع له تواضع لله ومن تواضع لله رفعه الله فان التراب لما ذل لأخمص القدمين صار طهوراً للوجه كما قال تعالى فامسحوا بوجوهكم يا هذا دم على حضور مجلس العلم فالطفل يحتاج كل ساعة إلى الرضاع فاذا صار رجلاً صبر على الفطام. واعلم أن طريق الفضائل مشحونة بالبلاء ليرجع عنها مخنث العزم.

---

(1) سورة النساء ٩٥

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
أأغرسه عزا وأجنيه ذلة إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما

(الثالثة) سأله الرشيد هل لك دار فقال لا فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال له اشتر لك بها داراً فأخذها ولم ينفقها فلما أراد الرشيد الرحيل إلى بغداد قال له ينبغي لك أن تخرج معنا فاني عزمت على أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان رضي الله عنه الناس على القرآن فقال له أما حملك الناس على الموطأ فليس إلى ذلك سبيل لأن أصحاب النبي ﷺ افترقوا بعده في الأمصار فحدثوا فعند كل أهل مصر علم وقد قال رسول الله ﷺ: «اختلاف أمتي رحمة». وأما الخروج معك فلا سبيل اليه قال رسول الله ﷺ: «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون». وقال: «المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد». وهذه دنانيركم كما هي إن شئتم فخذوها وان شئتم فدعوها يعني أنك انما كلفتني مفارقة المدينة بما اصطنعته لديّ من أخذ هذه الدنانير فالآن خذها فاني لا أوثر الدنيا وما فيها على مدينة النبي ﷺ (الرابعة) سئل رضي الله عنه عن معنى قوله تعالى ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[1] فعرق وأطرق وصار ينكت بعود في يده ثم رفع رأسه وقال الكيف منه غير معقول والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وأظنك صاحب بدعة وأمر به فأخرج كذا في طبقات الشعراني (الخامسة) سعي بالإمام مالك رضي الله عنه إلى جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ابن عم المنصور وقالوا إنه لا يرى الإيمان ببيعتكم هذه بشيء لأن يمين المكره ليست لازمة فغضب ودعا به وجرده وضربه بالسوط ومدت يده حتى خلعت كتفه وارتكب منه أمراً عظيماً فلم يزل بعد ذلك الضرب في علاء ورفعة (السادسة) قال القعنبي دخلت على مالك في مرضه الذي مات فيه فسلمت عليه ثم جلست فرأيته يبكي فقلت يا أبا عبد الله ما الذي يبكيك؟ فقال يا ابن قعنب وما لي لا أبكي ومن أحق بالبكاء مني والله لوددت أني ضربت بكل مسألة أفتيت فيها برأيي بسوط سوطاً وقد كانت لي السعة فيما قد سبقت اليه وليتني لم أفت بالرأي كذا في تتمة المختصر (قيل) لما اشتهر

---

(1) سورة طه ٥.

مالك رضي الله عنه بالعلم وانتشر صيته وذكره في البلاد حملت إليه الأموال فكان يفرقها على أصحابه وأصحابه يفرقونها في وجه البر موافقة لفعله وما كان يدخرها وكان يقول ليس الزهد فقد المال وإنما الزهد فراغ القلب منه. وقال رضي الله عنه ما كان رجلاً صادقاً في حديثه لا يكذب إلا متعه الله بعقله ولم تصبه عند الهرم آفة ولا خرف. وعن الدراوردي رحمه الله قال رأيت في المنام أني دخلت مسجد رسول الله ﷺ فرأيت النبي ﷺ يعظ الناس إذ دخل مالك فلما رآه النبي ﷺ قال إليّ إليّ فأقبل حتى دنا منه فنزع رسول الله ﷺ خاتمه من أصبعه ووضعه في خنصر مالك رضي الله عنه فأولته العلم قد وضعه النبي ﷺ اليه وكانت العلماء تقتدي بعلمه والأمراء تستضيء برأيه والعامة منقادة إلى قوله فكان يأمر فيمتثل أمره بغير سلطان ويقول فلا يسأل عن دليل على قوله ويأتي بالجواب فما يجسر أحد على مراجعته ولذلك قال فيه بعض محبيه:

يأبى الجواب فلا يراجع هيبة ... والسائلون نواكس الأذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى ... فهو المطاع وليس ذا سلطان

(وعن الشافعي) رضي الله عنه قال رأيت على باب مالك دواب من أفراس خراسان جاءته هدية وقيل من مصر ما رأيت أحسن منها فقلت له ما أحسن هذه فقال هي هدية مني إليك فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها فقال اني لأستحي من الله أن أطأ تربة فيها نبي الله ﷺ بحافر دابة. وكان يحيى بن سعيد رحمه الله يقول مالك رحمة لهذه الأمة. وقال أبو قدامة مالك أحفظ أهل زمانه. وقال أبو عبد الله المنتاب حفظ مالك مائة ألف حديث. وقال الليث بن سعد والله ما على وجه الأرض أحب اليّ من مالك. وقال اللهم زد من عمري في عمره وكان الأوزاعي يعظم مالكاً وإذا ذكره يقول قال عالم العلماء قال عالم المدينة قال مفتي الحرمين وقال المثنى بن سعيد القصير سمعت مالكاً يقول ما بت ليلة إلا رأيت النبي ﷺ فيها.

(تتمة) توفي الامام مالك رضي الله عنه لعشرة أيام خلت من ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة ومرض يوم الأحد ومات يوم الأحد وعاش تسعين سنة وأوصى

أن يكفن في بعض ثيابه ويصلى عليه في موضع الجنائز فصلى عليه أكثر الناس منهم ابن عياش وهاشم وابن كنانة وشعبة بن داود وكاتبه حبيب وابنه ونزل في قبره جماعة من الأكابر وفي طبقات الشعراني ومكث رضي الله عنه خمساً وعشرين سنة لم يشهد الجماعة فقيل له ما يمنعك من الخروج فقال مخالفة أن أرى منكراً أحتاج أن أغيره قال وإنما سومح في ذلك لأنه مجتهد ولو فعل ذلك غيره لا يقر عليه والله أعلم اهـ (قال) ابن القاسم كنا عند مالك في مرضه الذي مات فيه فدخل ابن الدراوردي فقال يا أبا عبد الله رأيت البارحة رؤيا أتسمعها مني فقال قل قال رأيت رجلاً ينزل من السماء عليه ثياب بيض وبيده سجل ينشره ما بين السماء والأرض ثلاث مرات يقول هذه براءة لمالك من النار فبينا أنا أحدثه إذ دخل عليه رسول الأمير فقال يا أبا عبد الله إن مؤذن مسجد المدينة رأى البارحة رؤيا فسمعتها منه فقص عليه مثل ذلك فقال مالك الله المستعان ما شاء الله كان. وعن أبي زكريا قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول قالت لي عمتي ونحن بمكة رأيت في هذه الليلة رؤيا قلت وما هي؟ قالت رأيت قائلاً يقول مات الليلة أعلم أهل الأرض فحسبنا ذلك اليوم فكان اليوم الذي مات فيه مالك. ورأى بعض الصالحين مالكا بعد موته في المنام فقال له ما فعل الله بك؟ قال غفر لي قال بماذا؟ قال بكلمة سمعتها عن عثمان انه كان إذا رأى ميتاً قال الله لا اله إلا هو الحي القيوم سبحان الحي الذي لا يموت فأدمت قولها فأدخلني الله الجنة. وعن يونس بن عبد الأعلى قال سمعت بشر ابن بكر يقول رأيت الاوزاعي في المنام مع جماعة من العلماء في الجنة فقلت له أين مالك؟ فقيل رفع قلت بماذا؟ قال بصدقه اهـ من الروض الفائق.

فصل
في ذكر مناقب إمامنا الشافعي رضي الله عنه

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي وإنما نسب لشافع لأنه صحابي ابن صحابي وللتفاؤل بالشفاعة وهو جده الثالث ، إذ هو محمد بن إدريس بن العباس ابن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف يجتمع مع النبي ﷺ في عبد مناف ، وهو الثالث من أجداد النبي ﷺ والتاسع من أجداد الشافعي رضي الله عنه .

(تنبيه) لا يخفى أن هاشما الذي في نسب الإمام غير هاشم الذي في نسبه ﷺ لأن الثاني عم الأول وأن الشافعي مطلبي من جهة أبيه وهاشمي من جهة أمهات أجداده وأزدي من جهة أمه ، وقيل أمه فاطمة بنت عبد الله المحض بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فاحفظه فانه وهم جماعة من المتأخرين من أرباب الحواشي فخبطوا خبط عشواء وركبوا متن عمياء ، وقد نقل عن الحاكم أبي عبد الله وأبي بكر البيهقي والخطيب البغدادي أنهم ذكروا أن الشافعي ولده هاشم بن عبد مناف جد رسول الله ﷺ ثلاث مرات وذلك لأن أم السائب هي الشفا بنت الأرقم بن هاشم بن عبد مناف وأم الشفا هي خليدة بفتح الخاء المعجمة والذال المهملة وكسر اللام وسكون المثناة التحتية ابنة أسد بن هاشم ابن عبد مناف وأم عبد يزيد هي الشفا بنت هاشم بن عبد مناف تزوجها هاشم فولدت له عبد يزيد فالشافعي ابن عم رسول الله ﷺ وابن عمته . ولد الإمام الشافعي رضي الله عنه بغزة سنة خمسين ومائة في رجب وقيل في شعبان يوم توفي أبو حنيفة وعن الذهبي لم يثبت اليوم وقيل بعسقلان وقيل باليمن والأول أصح ونشأ بمكة وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين والموطأ وهو ابن عشر وتفقه على مسلم بن خالد

الزنجي مفتي مكة وأذن له في الافتاء أي الاجتهاد وهو ابن خمس عشرة سنة كذا فسر الإفتاء شيخ المشايخ الباجوري في حاشيته على ابن قاسم الغزي وهو ما يرشد إليه استنباطه الحكم من الحديث بعدم وقوع الطلاق على الرجل الذي باع القمري كما سيأتي في الفائدة وكان سنه رضي الله عنه إذ ذاك أربع عشرة سنة وأذن مالك رضي الله عنه له بالافتاء حينئذ ثم لازم مالكاً بالمدينة وقدم بغداد فاجتمع عليه علماؤها وأخذوا عنه وصنف فيها مذهبه القديم ثم عاد إلى مكة ثم خرج إلى بغداد فأقام بها شهراً ثم خرج إلى مصر وصنف فيها مذهبه الجديد بجامع عمرو ثم لم يزل ناشراً للعلم مشتغلاً به ، وكان الشافعي رضي الله عنه يقسم الليل أثلاثاً ثلث للعلم وثلث للصلاة وثلث للنوم (صفته) كان رضي الله عنه طويلاً سائل الخدين قليل لحم الوجه طويل العنق طويل القصب أسمر خفيف العارضين يخضب لحيته بالحناء حمراء قانئة حسن الصوت حسن السمت عظيم العقل حسن الوجه حسن الخلق مهيباً فصيحاً من أذرب الناس لساناً إذا أخرج لسانه بلغ أنفه وكان مسقاماً ممنوّاً بالبواسير كذا وصفه ابن الصلاح . وعن الربيع قال كان الإمام الشافعي رحمه الله يختم القرآن في كل يوم مرة ، وعن الربيع أيضاً كان الشافعي يختم القرآن في رمضان ستين مرة في الصلاة . وقال الحسن الكرابيسي بت مع الإمام الشافعي رضي الله عنه غير مرة فرأيته يصلي نحواً من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فاذا أكثر فمائة وكان لا يمر على آية رحمة إلا سأل الله تعالى الانابة لنفسه وللمؤمنين ولا يمر بآية عذاب الا تعوذ منها وسأل الله تعالى النجاة لنفسه وللمؤمنين . قال الحميدي كان الشافعي يختم كل شهر رمضان ستين ختمة سوى ما يقرأ في الصلاة وكان يقول رضي الله عنه ما شبعت منذ ست عشرة سنة لأنه يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة . وكان رضي الله عنه يقول ما حلفت بالله في عمري لا كاذباً ولا صادقاً . وسئل رضي الله عنه عن مسئلة فسكت فقيل له لم لا تجيب؟ فقال حتى أعلم الفضل في سكوتي أو في جوابي . قال الشافعي رضي الله عنه لما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء وأحفظ الحديث أو المسألة وكان منزلنا بمكة في شعب الخيف وكنت فقيراً بحيث لا أملك

أن أشتري القراطيس فكنت آخذ العظم وأكتب فيه (وفي تاريخ ابن الوردي) أخذ الشافعي العلم عن مالك ومسلم بن خالد الزنجي وسفيان بن عيينة وسمع الحديث من اسمعيل بن علية وعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي ومحمد بن الحسن الشيباني وغيرهم ، وناظره محمد بن الحسن بالرقة فقطعه الشافعي وكان الشافعي حافظاً للشعر قرأ عليه الأصمعي ديوان الهذليين وديوان الشنفرى بمكة وقدم بغداد مرتين وناظر بشراً المريسي بها وكان بشر معتزلياً وناظر حفصا الفرد بمصر قال حفص القرآن مخلوق واستدل فتجاريا حتى كفره الشافعي وقال انما خلق الله الخلق بكن فاذا كانت كن مخلوقة فكأن مخلوقاً خلق بمخلوق اهـ. قال المزني ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم جاء الشافعي إلى مالك رضي الله عنهما فقال له أريد أن أسمع منك الموطأ فقال مالك امض إلى جبيب كاتبي فانه يقول قرأته فقال له الشافعي تسمع مني رضي الله عنك صفحاً فإن استحسنت قراءتي قرأته عليك وإلا تركتك فقال له اقرأ فقرأ صفحاً ثم وقف فقال له مالك هيه فقرأ صفحاً ثم سكت فقال له الإمام هيه فقرأ فاستحسن مالك قراءته فقرأ عليه الموطأ أجمع ثم أتاه بعد ذلك فقال له مالك اطلب من يقرأ لك فقال له الشافعي أحب أن تسمع قراءتي فان خفت عليك وإلا طلبت من يقرأ لي فقال اقرأ فقرأت عليه فأعجبه ذلك ثم قال اقرأ فقرأت عليه الموطأ من أوله إلى آخره حفظاً فدعا لي وسر بذلك وكان حفظ الشافعي رضي الله عنه للموطأ في تسع ليال كذا نقله بعضهم وقيل في ثلاث. روى الحميدي أن الشافعي رضي الله عنه خرج إلى اليمن في بعض أشغاله ثم انصرف إلى مكة ومعه عشرة آلاف درهم فضرب خيمته خارج مكة فكان الناس يأتونه فما برح من مكانه حتى فرقها جميعها ، وخرج يوماً من الحمام وقد أتي بمال كثير فدفعه للحمامي وسقط سوطه من يده وهو راكب فرفعه إليه إنسان فأعطاه خمسين ديناراً وروي عنه أنه خاط قميصاً عند بعض الخياطين ممن جهل قدره تهزأ به الخياط وجعل له الكم اليمين ضيقاً لا تخرج منه يده إلا بجهد والكم الآخر كأنه رأس عدل فلما جاء الشافعي رأى كمه ضيقاً جداً والآخر متسعاً جداً فقال جزاك الله خيراً هذا الكم الضيق جيد لتشمير الوضوء وهذا الكم الواسع لأجل الكتاب وكان رسول الملك قد جاء إلى الشافعي

بعشرة آلاف درهم فصادفه عند الخياط فقال له ادفعها إليه حق خياطته هذا الثوب وفكرته في تفصيله فسأل عنه الخياط فقيل له هذا الإمام الشافعي فتبعه وقبل أقدامه واعتذر إليه ثم خدمه وصار من أصحابه. قال الربيع تزوّجت فسألني الشافعي كم أصدقتها؟ فقلت ثلاثين ديناراً قال كم أعطيتها قلت ستة دنانير فأرسل إليّ بصرة فيها أربعة وعشرون ديناراً وجعل لي معلوماً على الأذان بالجامع سنة إحدى ومائتين كذا في الروض الفائق ومن كلام الشافعي رضي الله عنه في الكرم كما في شرح لامية العجم لجمال الدين محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي وكتاب المناقب للرازي:

يا لهف نفسي على مال أفرقه ... على المقلين من أهل المروءات
إن اعتذاري إلى من جاء يسألني ... ما ليس عندي لمن إحدى المصيبات

ومن كلامه أيضاً رضي الله عنه كما في الشرح المذكور:

عليّ ثياب لو يباع جميعها ... بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وما ضر نصل السيف إخلاق غمده ... إذا كان عضبا حيث وجهته برى

ومن كلامه رضي الله عنه ما أورده الدميري في حياة الحيوان والرازي في المناقب:

سأكتم علمي عن ذوي الجهل طاقتي ... ولا أنثر الدر النفيس على الغنم
فإن يسر الله الكريم بفضله ... وصادفت أهلا للعلوم وللحكم
بثثت مفيداً واستفدت ودادهم ... وإلا فمخزون لديّ ومكتتم
فمن منح الجهال علماً أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

ومن كلامه رضي الله عنه:

إذا لم أجد خلا تقياً فوحدتي ... ألذ وأشهى من غويّ أعاشره
وأجلس وحدي للسفاهة آمناً ... أقر لعيني من جليس أحاذره

ومن كلامه رضي الله عنه:

زن من وزنك بما اتـــزنـ ... ـك وما وزنك به فزنه
من جا إليك فرح إليـ ... ـه ومن جفاك فصد عنه

من ظن أنك دونـــــه　　فـاتـرك هواه إذا وهـنـه
وارجـع إلى رب الـعـبـا　　د فـكـل مـا يـأتـيك مـنـه

ومن كلامه رضي الله عنه :

أكل العقاب بقوة جيف الفلا　　وجنى الذباب الشهد وهو ضعيف

ومن كلامه رضي الله عنه :

تمنى رجال أن أموت وإن أمت　　فتلك سبيل لست فيها بأوحد
فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى　　تهيأ لأخرى مثلها فكأن قد
وقد علموا لو ينفع العلم عندهم　　لئن مت ما الداعي علي بمخلد

ومن كلامه رضي الله عنه :

كل العداوات قد ترجى مودتها　　إلا عداوة من عاداك عن حسد

ومن كلامه أيضاً رضي الله عنه :

أمت مطامعي فأرحت نفسي　　فإن النفس ما طمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتاً　　ففي إحيـائـه عرضي مصون
إذا طـمـع يحل بقلب عبد　　علـتـه مـهـانـة وعلاه هـون

ومن كلامه أيضاً :

ما حك جلدك مثل ظفرك　　فـتـول أنت جـمـيـع أمـرك
وإذا قصـــدت لحاجـــة　　فـاقـصـد لمعترف بـقـدرك

ومن كلامه رضي الله عنه :

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها　　يمسي ويصبح في دنياه سفارا
هلا تركت لذي الدنيا معانقة　　حتى تعانق في الفردوس أبكارا
إن كنت تبغي جنان الخلد تسكنها　　فينبغي لك أن لا تأمن النارا

وله رضي الله عنه كلام كثير في النظم والنثر أفرد بالتأليف، وحسبك قوله رضي الله عنه:

ولولا الشعر بالعلماء يزري ... لكنت اليوم أشعر من لبيد
وأشجع في الوغى من كل ليث ... وآل مهلب وأبي يزيد
ولولا خشية الرحمن ربي ... حسبت الناس كلهم عبيدي

قال الشعراني في المنن يعني بالناس أبناء الدنيا الذين يحبونها بقرينة قول بعض العارفين لبعض الملوك أنت عبد عبدي فقال ولم ذلك؟ فقال لأنك عبد الدنيا والدنيا خادمة لي اهـ.

(ومن كلامه المنثور) من لا يحب العلم لا خير فيه فلا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة، فإنه حياة القلوب ومصباح البصائر، ومن كلامه رضي الله عنه: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة، وقال رضي الله عنه: أظلم الظالمين لنفسه الذي إذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخف بالأشراف وتكبر على ذوي الفضل، وكان رضي الله عنه يقول: وددت أن الناس ينتفعون بهذا العلم ولم ينسب إليّ منه شيء، وقال أيضاً: ما نظرت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله عز وجل وما ناظرني أحد قط إلا أحببت أن يظهر الحق على يديه ولا أبالي أن يبين الله عز وجل الحق على لساني أو على لسانه، وقال أيضاً: ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبته واعتقدت مودته ولا كابرني أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عيني ورفضته.

(لطيفة) حكي عن الشافعي أنه قال كان لرجل ابن أبله فبعثه يوماً ليشتري حبلاً طوله ثلاثون ذراعاً فقال في عرض كم؟ فقال في عرض مصيبتي فيك.

(فوائد): الأولى كان الإمام الشافعي رضي الله عنه جالساً بين يدي الإمام مالك بن أنس رضي الله عنهم فجاء رجل فقال لمالك إني رجل أبيع القماري وإني بعت في يومي هذا قمرياً فرده عليّ المشتري وقال قمريك لا يصيح فحلفت بالطلاق إنه لا يهدأ من الصياح فقال له الإمام مالك طلقت زوجتك ولا سبيل لك عليها

وكان الإمام الشافعي يومئذ ابن أربع عشرة سنة فقال لذلك الرجل أيما أكثر صياح قمريك أم سكوته فقال بل صياحه فقال لا طلاق عليك فعلم بذلك الإمام مالك فقال للشافعي يا غلام من أين لك هذا؟ فقال لأنك حدثتني عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أم سلمة «أن فاطمة بنت قيس قالت يا رسول الله إن أبا جهم ومعاوية خطباني فقال ﷺ أما معاوية فصعلوك لا مال له وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه». وقد علم رسول الله ﷺ أن أبا جهم كان يأكل وينام ويستريح وقد قال ﷺ لا يضع عصاه على المجاز والعرب تجعل أغلب الفعلين كمداومته ولما كان صياح قمري هذا أكثر من سكوته جعلته كصياحه دائماً فتعجب الإمام مالك من احتجاجه وقال له أفت فقد آن لك أن تفتي فأفتى من ذلك السن كذا في حياة الحيوان (الثانية) أن محمد بن الحسن وأبا يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحبي أبي حنيفة رضي الله عنهم امتحنا الشافعي محمد بن إدريس رضي الله عنه صاحب الترجمة بحضرة الرشيد فقالا ما تقول في رجلين خطبا امرأة فحلت لأحدهما ولم تحل للآخر وليست بمحرم له؟ فقال إن أحد الرجلين كان له أربع نسوة فحرمت عليه الخامسة، فقالا ما تقول في رجلين شربا خمراً فوجب على أحدهما الحد ولم يجب على الآخر وكانا مسلمين؟ فقال إن أحدهما كان حراً بالغاً فوجب عليه الحد والآخر كان صبياً لم يبلغ الحلم، قالا فما تقول في خمسة زنوا فوجب على أحدهم القتل وعلى الآخر الرجم وعلى الثالث الحد وعلى الرابع نصف الحد والخامس لم يجب عليه شيء فقال أما الأول فمشرك زنى بمسلمة فوجب عليه القتل وأما الثاني فمحصن زنى فوجب عليه الرجم وأما الثالث فبكر زنى فوجب عليه الحد وأما الرابع فمملوك زنى فوجب عليه نصف الحد وأما الخامس فصبي أو مجنون، قالا فما تقول في رجل أخذ قدحاً فيه ماء فشرب بعضه حلالاً وحرم عليه الباقي؟ فقال إنه لما شرب بعضه رعف في باقيه فحرم عليه، قالا فما تقول في رجل دفع لزوجته كيساً مختوماً وقال لها أنت طالق إن لم تفرغيه ولا تفتحيه ولا تقطعيه ولا تفتقيه فأفرغته على ذلك الحكم؟ قال إن الكيس كان مملوءاً سكراً أو ملحاً فوضعته في الماء فذاب وتفرغ، قالا فما تقول في جماعة صلحاء سجدوا لغير الله تعالى وهم في فعلهم

مطيعون؟ قال إنهم الملائكة سجدوا لآدم عليه السلام ، قالا فما تقول في رجل صلى بقوم فسلم عن يمينه فطلقت زوجته وسلم عن يساره فبطلت صلاته ونظر إلى السماء فوجب عليه ألف درهم؟ قال هذا الرجل لما سلم عن يمينه نظر إلى رجل كان تزوج امرأته بالغيبة ولم يدخل بها قد قدم من السفر فوجب عليه طلاقها ثم سلم عن يساره فرأى في ثوبه دماً كثيراً فوجب عليه إعادة الصلاة ثم نظر إلى السماء فرأى الهلال وكان عليه ألف درهم في الشهر فوجبت عليه ، قالا فما تقول في رجل لقي جارية فقبلها وقال فديت من أبي جدها وأخي عمها وأنا زوج أمها؟ قال هي ابنته ، قالا فما تقول في امرأة لقيت غلاماً فقبلته وقالت فديت من أمي ولدت أمه وأخو زوجي عمه وأبوه ابن حماتي وأنا امرأة أبيه؟ قال هي أمه ؛ فلما فرغ من مسائلهما أقبل الشافعي على محمد بن الحسن وقال : ما تقول في رجل تزوج امرأة وزوج ابنه أمها فجاءت الأم والبنت بولدين ما يكون هذا الولد من ذلك وذلك من هذا؟ فسكت محمد بن الحسن فقال الرشيد للشافعي فسر لنا هذه فقال يا أمير المؤمنين ابن الأم خال لابن البنت وابن البنت عم لابن الأم فأعجب الرشيد ذلك ، ثم أقبل الشافعي على أبي يوسف وقال ما تقول في رجل مات وخلف ستمائة درهم وله من الورثة أخت فأصابها درهم واحد افرض لنا هذه القسمة ، فسكت أبو يوسف فقال الرشيد للشافعي بحياتي فسر لنا الأخرى فقال يا أمير المؤمنين هذا شخص مات وخلف ستمائة درهم وترك ابنتين أصابهما الثلثان وهما أربعمائة درهم وخلف والدته أصابها السدس وهو مائة درهم وخلف زوجته أصابها الثمن وهو خمس وسبعون درهماً وله اثنا عشر أخاً لكل واحد منهم درهمان ففضل للأخت درهم اهـ من الكنز المدفون ومثله في كتاب المناقب للرازي وهي فائدة جمعت فوائد (الثالثة) كان الإمام أحمد بن حنبل يعظم الإمام الشافعي رضي الله عنهما ويذكره كثيراً ويثني عليه وكانت له ابنة صالحة تقوم الليل وتصوم النهار وتحب أخبار الصالحين الأخيار وتود أن ترى الشافعي لتعظيم أبيها له فاتفق مبيت الإمام الشافعي عند أحمد رضي الله عنهما في وقت ففرحت البنت بذلك طمعاً أن ترى أفعاله وتسمع مقاله ، فلما كان الليل قام الإمام أحمد إلى وظيفة صلاته وذكره

والإمام الشافعي رضي الله عنه مستلق على ظهره والبنت ترقبه إلى الفجر فقالت لأبيها رأيتك تعظم الشافعي وما رأيت له في هذه الليلة لا صلاة ولا ذكرا ولا وردا ، فبينما هم في الحديث إذ قام الشافعي فقال له أحمد كيف كانت ليلتك؟ فقال ما رأيت ليلة أطيب منها ولا أبرك منها ولا أربح فقال كيف ذلك؟ قال لأني رتبت في هذه الليلة مائة مسئلة وأنا مستلق على ظهري كلها في منافع المسلمين ثم ودعه ومضى فقال أحمد بن حنبل لابنته هذا الذي عمله الليلة وهو نائم أفضل مما عملته وأنا قائم اهـ من الروض الفائق (الرابعة) روى سويد بن سعيد رحمه الله قال كان الشافعي جالساً بعد صلاة الصبح في مدينة النبي ﷺ إذ دخل عليه رجل فقال له إني خائف من ذنوبي أن أقدم على ربي وليس لي عمل غير التوحيد فقال له الإمام الشافعي رضي الله عنه يا مؤمن لو أراد الله عز وجل أن يؤيسك من المسامحة لديه لما أحالك في مغفرة الذنوب عليه حيث يقول: «ومن يغفر الذنوب إلا الله» ولو أراد عقوبتك في جهنم وتخليدك لما ألهمك معرفتك به وتوحيدك ثم أنشد:

إن كنت تغلو في الذنوب جليدا وتخاف في يوم المعاد وعيدا
فلقد أتاك من المهيمن عفوه وأتاح من نعم عليك مزيدا
لا تيأسن من لطف ربك في الحشى في بطن أمك مضغة ووليدا
لو شاء أن تصلى جهنم خالدا ما كان ألهم قلبك التوحيدا

فبكى الرجل وأقبل على العبادة وفرح بكلامه رضي الله عنه كذا في الروض الفائق (الخامسة) روى عبدالله بن مروان قال: كنت أجلس في حلقة العلم عند الإمام الشافعي رضي الله عنه وأكتب ما أفهمه منه فأتيته سحرا فوجدته في المسجد وهو قائم يصلي فجلست حتى فرغ من صلاته ثم دعا بدعوات حفظتها منه فكان من جملة ذلك اللهم امنن علينا بصفاء المعرفة وهب لنا تصحيح المعاملة فيما بيننا وبينك على السنة وارزقنا صدق التوكل عليك وحسن الظن بك وامنن علينا بكل ما يقربنا اليك مقروناً بعوافي الدارين برحمتك يا أرحم الراحمين. قال فلما فرغ من دعائه خرج من المسجد وخرجت خلفه فوقف ينظر إلى السماء ثم أنشد:

بموقف ذلي دون عزتك العظمى بمخفي سر لا أحيط به علما

بـاطـراق رأسي بـاعترافي بـذلتي	بمد يدي أستمطر الجود والرحما
بأسمائك الحسنى التي بعض وصفها	لعزتها يستغرق النثر والنظما
بعهد قديم من ألست بربكم	بمن كان مجهولاً فعلمته الأسما
أذقنا شراب الأنس يا من إذا سقى	محبا شرابا لا يضام ولا يظما

ومن جملة دعائه رضي الله عنه: اللهم إني أعوذ بنور قدسك وعظمة طهارتك وبركة جلالك من كل آفة وعاهة وطارق من الإنس والجن إلا طارقاً يطرق بخير. اللهم أنت عياذي فبك أعوذ وأنت ملاذي فبك ألوذ يا من ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له أعناق الفراعنة أعوذ بجلالك وكرمك من خزيك وكشف سترك ونسيان ذكرك والانصراف عن شكرك، أنا في كنفك ليلي ونهاري ونومي وقراري وظعني وأسفاري، ذكرك شعاري وثناؤك دثاري، لا إله إلا أنت تنزيها لأسمائك وتكريماً لسبحات وجهك أجرني من خزيك ومن شر عبادك وقني سيئات مكرك واضرب على سرادقات حفظك وأدخلني في حفظ عنايتك يا أرحم الراحمين كذا في الروض الفائق. وفيه أيضاً قرأ عليه بعضهم يوماً قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[1]. فتغير لونه واقشعر جلده واضطربت مفاصله وخر مغشياً عليه فلما أفاق قال أعوذ بك من مقام الكذابين وإعراض الغافلين، اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لهيبتك نفوس المشتاقين، إلهي هب لي جودك وجللني بسترك واعف عني في تقصيري بكرمك. وهذه الفائدة قد احتوت على فوائد. (السادسة) قال عبد الله بن محمد البكري: كنت مع الإمام الشافعي رضي الله عنه بشط بغداد فرأى شابا يتوضأ ولا يحسن الوضوء فقال له يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله اليك في الدنيا والآخرة ثم مضى فأسرع الشاب في وضوئه ثم لحق الإمام الشافعي ولم يعرفه فالتفت اليه الإمام وقال له هل لك من حاجة؟ قال نعم تعلمني مما علمك الله فقال له اعلم أن من عرف الله نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد في الدنيا قرت عيناه بما يرى من ثواب الله غداً أفلا أزيدك؟ قال نعم قال من كان فيه ثلاث

---

(١) سورة المرسلات ٣٦.

خصال فقد استكمل الإيمان من أمر بالمعروف وائتمر به ونهى عن المنكر وانتهى عنه وحافظ على حدود الله تعالى قال أفلا أزيدك؟ قال بلى قال كن في الدنيا زاهداً وفي الآخرة راغباً واصدق الله تعالى في جميع أمورك تنج مع الناجين، ثم مضى فسأل عنه الشاب بعد ذلك فقيل له هذا الإمام الشافعي رضي الله عنه كذا في الروض الفائق. قال الربيع رحمه الله سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول: رأيت وأنا في اليمن كأني جالس في فضاء الطواف إذ أقبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقمت اليه مسرعاً وسلمت عليه وصافحته فعانقني ونزع خاتمه من أصبعه فجعله في أصبعي فلما أصبحت قصصت ذلك على المعبر فقال لي أبشر يا أبا عبد الله، أما رؤيتك لعلي بن أبي طالب في المسجد الحرام فهو النجاة من النار، وأما مصافحتك اياه فهو الأمان يوم الحساب، وأما جعله الخاتم في أصبعك فسيبلغ اسمك في الدنيا ما بلغ اسم علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي وقال له ابنه يا أبت أي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء فقال الإمام أحمد يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا والعافية للناس فانظر يا بني هل من هذين خلف؟ قال صاحب الروض هكذا العلماء والصالحون هم كالشمس للدنيا والعافية للناس وليس منهما خلف فإن بهم يدفع الله البلاء وينزل الرخاء وتعم البركة وتنشر الرحمة. فلله درهم فروا من الدنيا إلى الله وأنتم تفرون من الله إلى الدنيا. قال الخطيب في الإقناع وحمل حديث «عالم قريش يملأ طباق الأرض علماً» على الشافعي وفي رواية «يملأ الأرض علماً» وعن أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي قال قال أحمد بن حنبل إن الله تعالى يقيض للناس في رأس كل مائة سنة من يعلمهم السنن وينفي عن رسول الله ﷺ الكذب فنظرنا فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز وفي رأس المائتين الشافعي، وكان أحمد بن حنبل يقول: ما عرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعي رضي الله عنهما.

(تتمة) **في الكلام على رحلته ووفاته وأولاده** رضي الله عنه. قال الشيخ

الإمام العالم المقري أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الأردبيلي المالكي بالجامع العتيق بمصر في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن فتح المعروف بابن الحبشي سنة ثلاثين وخمسمائة أخبرنا الشريف القاضي الموسوي ابن اسمعيل بن علي الحسيني المقري في سنة أربع وثمانين وأربعمائة بالجامع العتيق بمصر قال أخبرنا الشيخ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الفارسي في ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وأربعمائة قال أخبرنا يحيى بن عبد الله الرجل الصالح ويحيى بن موسى المعدل بمصر قالا حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد الواعظ المصري الكراز قال حدثني أبو الفرج عبد الرزاق حميدان البطين قال حدثني أبو بكر محمد بن المنذر قال حدثني الربيع بن سليمان قال سمعت الإمام الشافعي رضي الله عنه يقول : فارقت مكة وأنا ابن أربع عشرة سنة لا نبات بعارضي من الأبطح إلى ذي طوى وعلي بردتان يمانيتان فرأيت ركباً فسلمت عليهم فردوا علي السلام ووثب إلي شيخ كان فيهم قال سألتك بالله إلا ما حضرت طعامنا قال الشافعي رضي الله عنه وما كنت أعلم أنهم أحضروا طعاماً فأجبت مسرعاً غير محتشم فرأيت القوم يأخذون الطعام بالخمس ويدفعون بالراحة فأخذت كأخذهم كيلا يستبشع عليهم مأكلي والشيخ ينظر إليّ ثم أخذت السقاء فشربت وحمدت الله وأثنيت عليه فأقبل علي الشيخ وقال أمكي أنت؟ قلت مكي قال أقريشي أنت؟ قلت قريشي ثم أقبلت عليه وقلت يا عم بما استدللت علي قال أما في الحضر فبالزي وأما في النسب فبأكل الطعام لأنه من أحب أن يأكل طعام الناس أحب أن يأكلوا طعامه وذلك في قريش خصوصاً ، قال الشافعي رضي الله عنه فقلت للشيخ من أين أنت؟ قال من يثرب مدينة النبي ﷺ فقلت له من العالم بها والمتكلم في نص كتاب الله تعالى والمفتي بأخبار رسول الله ﷺ قال سيدي ابن أصبح مالك بن أنس رضي الله عنه قال الشافعي رضي الله عنه فقلت واشوقاه إلى مالك فقال لي قد بل الله شوقك انظر إلى هذا البعير الأورق فإنه أحسن جمالنا ونحن على رحيل ولك منا حسن الصحبة حتى تصل إلى مالك فما كان غير بعيد حتى قطروا بعضها إلى بعض وأركبوني البعير الأورق وأخذ القوم في السير وأخذت أنا في الدرس فختمت من

مكة إلى المدينة ست عشرة ختمة بالليل ختمة وبالنهار ختمة ودخلت المدينة في اليوم الثامن بعد صلاة العصر فصليت العصر في مسجد رسول الله ﷺ ودنوت من القبر فسلمت على النبي ﷺ ولذت بقبره فرأيت مالك بن أنس متزراً ببردة متشحاً بأخرى قال حدثني نافع عن ابن عمر عن صاحب هذا القبر وضرب بيده إلى قبر رسول الله ﷺ قال الشافعي رضي الله عنه فلما رأيت ذلك هبته مهابة عظيمة وجلست حيث انتهى بي المجلس فأخذت عوداً من الأرض فجعلت كلما أملى مالك حديثاً كتبته بريقي على يدي والإمام مالك رضي الله عنه ينظر إلي من حيث لا أعلم حتى انقضى المجلس وانتظرني مالك أن أنصرف فلم يرني انصرفت فأشار إلي فدنوت منه فنظر إلي ساعة ثم قال أحرمي أنت؟ قلت حرمي قال أمكي أنت؟ قلت مكي قال أقرشي أنت؟ قلت قرشي قال كملت أوصافك لكن فيك إساءة أدب قلت وما الذي رأيت من سوء أدبي؟ قال رأيتك وأنا أملي ألفاظ الرسول عليه الصلاة والسلام تلعب بريقك على يدك فقلت له عدمت البياض فكنت أكتب ما تقول فجذب مالك يدي إليه فقال ما أرى عليها شيئاً فقلت إن الريق لا يثبت على اليد ولكن فهمت جميع ما حدثت به منذ جلست وحفظته إلى حين قطعت، فتعجب الإمام مالك من ذلك فقال أعد علي ولو حديثاً واحداً قال الشافعي رضي الله عنه فقلت حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر وأشرت بيدي إلى القبر كإشارته حتى أعدت عليه خمسة وعشرين حديثاً حدث بها من حين جلس إلى وقت قطع المجلس وسقط القرص فصلى مالك المغرب وأقبل على عبده وقال خذ بيد سيدك إليك وسألني النهوض معه قال الشافعي رحمه فقمت غير ممتنع إلى ما دعا من كرمه فلما أتيت الدار أدخلني الغلام إلى خلوة في الدار وقال لي القبلة في البيت هكذا وهذا إناء فيه ماء وهذا بيت الخلاء قال الشافعي رضي الله عنه فما لبث مالك رضي الله عنه حتى أقبل هو والغلام حاملاً طبقاً فوضعه من يده وسلم الإمام علي ثم قال للعبد اغسل علينا ثم وثب الغلام إلى الإناء وأراد أن يغسل علي أولاً فصاح عليه مالك وقال الغسل في أول الطعام لرب البيت وفي آخر الطعام للضيف قال الشافعي رضي الله عنه فاستحسنت ذلك من الإمام مالك

رضي الله عنه وسألته عن شرحه فقال إنه يدعو الناس إلى كرمه فحكمه أن يبتدئ بالغسل وفي آخر الطعام ينتظر من يدخل فيأكل معه قال الشافعي رضي الله عنه فكشف الإمام رضي الله عنه الطبق فكان فيه صفحتان في إحداهما لبن والأخرى تمر فسمى الله تعالى وسميت فأتيت أنا ومالك على جميع الطعام وعلم مالك أنا لم نأخذ من الطعام الكفاية فقال لي يا أبا عبد الله هذا جهد من مقل إلى فقير معدم فقلت لا عذر على من أحسن إنما العذر على من أساء قال الشافعي رضي الله عنه فأقبل مالك يسألني عن أهل مكة حتى دنت العشاء الآخرة ثم قال عني وقال حكم المسافر أن يقل تعبه بالاضطجاع فنمت ليلتي فلما كان في الثلث الأخير من الليل قرع علي مالك الباب فقال لي الصلاة يرحمك الله فرأيته حامل إناء فيه ماء فتبشع علي ذلك فقال لا يرعك ما رأيته فخدمة الضيف فرض قال الشافعي رضي الله عنه فتجهزت للصلاة وصليت الفجر مع الإمام مالك في مسجد رسول الله ﷺ والناس لا يعرف بعضهم بعضاً من شدة الغلس وجلس كل واحد منا في مصلاه يسبح الله تعالى إلى أن طلعت الشمس على رؤوس الجبال فجلس مالك في مجلسه بالأمس وناولني الموطأ أمليه وأقرؤه على الناس وهم يكتبونه قال الشافعي رضي الله عنه فأتيت على حفظه من أوله إلى آخره وأقمت ضيف مالك ثمانية أشهر فما علم أحد من الأنس الذي كان بيننا أينا الضيف ثم قدم على مالك المصريون بعد قضاء حجهم للزيارة واستماع الموطأ قال الشافعي فأمليت عليهم حفظاً منهم عبد الله بن الحكم وأشهب وابن القاسم قال الربيع وأحسب أنه ذكر الليث بن سعد ثم قدم بعد ذلك أهل العراق لزيارة النبي ﷺ قال الشافعي رضيّ الله عنه فرأيت بين القبر والمنبر فتى جميل الوجه نظيف الثوب حسن الصلاة فتوسمت فيه خيراً فسألته عن اسمه فأخبرني وسألته عن بلده فقال العراق فقلت أي العراق؟ فقال لي الكوفة فقلت من العالم بها والمتكلم في نص الكتاب والمفتي بأخبار رسول الله ﷺ؟ فقال لي أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة رضي الله عنه فقال الشافعي رضي الله عنه فقلت ومتى عزمتم تظعنون؟ فقال لي في غداة غد وقت الفجر فعدت إلى مالك فقلت له

خرجت من مكة في طلب العلم بغير استئذان العجوز فأعود إليها أو أرحل في طلب العلم فقال لي العلم فائدة يرجع منها إلى فائدة ألم تعلم أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلبه قال الشافعي رضي الله عنه فلما أزمعت على السفر زودني الإمام مالك رضي عنه فلما كان السحر سار معي مشيعاً إلى البقيع ثم صاح بعلو صوته من يكري راحلته إلى الكوفة فأقبلت عليه وقلت بم تكتري وليس معك ولا معي شيء؟ فقال لي انصرفت البارحة بعد صلاة العشاء إذ قرع قارع علي الباب فخرجت إليه فأصبت ابن القاسم فسألني قبول هديته فقبلتها فدفع إلي صرة فيها مائة دينار وقد أتيتك بنصفها وجعلت النصف لعيالي فاكترى لي بأربعة دنانير ودفع إلي باقي الدنانير وودعني وانصرف وصرت في جملة الحاج حتى وصلت إلى الكوفة يوم رابع وعشرين من المدينة فدخلت المسجد بعد صلاة العصر وصليت العصر فبينما أنا كذلك إذ رأيت غلاماً قد دخل المسجد وصلى العصر فما أحسن الصلاة فقمت إليه ناصحاً فقلت له أحسن صلاتك لئلا يعذب الله هذا الوجه الجميل بالنار فقال لي أنا أظن أنك من أهل الحجاز لأن فيكم الغلظة والجفاء وليس فيكم رقة أهل العراق وأنا أصلي هذه الصلاة خمس عشرة سنة بين يدي محمد بن الحسن وأبي يوسف فما عابا علي صلاتي قط وخرج معجباً ينفض رداءه في وجهي فلقي للتوفيق محمد بن الحسن وأبا يوسف بباب المسجد فقال أعلمتما في صلاتي من عيب؟ فقالا اللهم لا قال في مسجدنا هذا من عاب صلاتي فقالا اذهب إليه فقل له بم تدخل الصلاة؟ قال الشافعي رضي الله عنه فقال لي يا من عاب صلاتي بم تدخل في الصلاة؟ فقلت بفرضين وسنة فعاد إليهما وأعلمهما بالجواب فعلما أنه جواب من نظر في العلم، فقالا اذهب إليه فقل له ما الفرضان وما السنة؟ فأتى إلي فقال ما الفرضان وما السنة؟ فقلت له أما الفرض الأول فالنية والثاني تكبيرة الإحرام والسنة رفع اليدين فعاد إليهما فأعلمهما بذلك فدخلا إلى المسجد فنظرا إلي أظنهما ازدرياني فجلسا في ناحية وقالا اذهب إليه وقل له أجب الشيخين قال الشافعي رضي الله تعالى عنه فلما أتاني علمت أني مسؤول عن شيء من العلم فقلت من حكم العلم أن يؤتى إليه وما علمت لي إليهما حاجة قال الشافعي

رضي الله عنه فقاما من مجلسهما إليّ فلما سلما علي قمت إليهما وأظهرت البشاشة لهما وجلست بين يديهما فأقبل علي محمد بن الحسن قال أحرمي أنت؟ فقلت نعم فقال أعربي أم مولى؟ فقلت عربي فقال من أي العرب؟ فقلت من ولد المطلب قال من ولد من؟ قلت من ولد شافع قال رأيت مالك (هكذا وقعت هذه اللفظة) قلت من عنده أتيت قال لي نظرت في الموطأ؟ قلت أتيت على حفظه فعظم ذلك عليه ودعا بداوة وبياض وكتب مسألة في الطهارة ومسألة في الزكاة ومسألة في البيوع والفرائض والرهان والحج والايلاء ومن كل باب في الفقه مسألة وجعل بين كل مسألتين بياضاً ودفع إلي الدرج وقال أجب عن هذه المسائل كلها من الموطإ قال الشافعي رضي الله عنه فأجبت بنص كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام واجماع المسلمين في المسائل كلها ثم دفعت إليه الدرج فتأمله ونظر فيه ثم قال لعبده خذ سيدك اليك قال الشافعي رضي الله عنه ثم سألني النهوض مع العبد فنهضت غير ممتنع فلما صرت إلى الباب قال لي العبد إن سيدي أمرني أن لا تصير إلى المنزل إلا راكباً قال الشافعي رضي الله عنه فقلت له قدم فقدم إليّ بغلة بسرج محلى فلما علوت على ظهرها رأيت نفسي بأطمار رثة فطاف بي أزقة الكوفة إلى منزل محمد بن الحسن فرأيت أبواباً ودهاليز منقوشة بالذهب والفضة فذكرت ضيق أهل الحجاز وما هم فيه فبكيت وقلت أهل العراق ينقشون سقوفهم بالذهب والفضة وأهل الحجاز يأكلون القديد ويمصون النوى ثم أقبل علي محمد بن الحسن وأنا في بكائي فقال لا يرعك يا عبد الله ما رأيت فما هو إلا من حقيقة حلال ومكتسب وما يطالبني الله فيها بفرض وإني أخرج زكاتها في كل عام فأسر بها الصديق وأكبت بها العدو قال الشافعي رضي الله عنه فما بت حتى كساني محمد بن الحسن خلعة بألف درهم ثم دخل خزانته فأخرج إلي الكتاب الأوسط تأليف الإمام أبي حنيفة فنظرت في أوله وفي آخره ثم ابتدأت الكتاب في ليلتي أتحفظه فما أصبحت إلا وقد حفظته ومحمد بن الحسن لا يعلم بشيء من ذلك وكان المشهور بالكوفة بالفتوى والمجيب في النوازل فأنا قاعد عن يمينه في بعض الأيام إذ سئل عن مسألة أجاب فيها وقال هكذا قال أبو حنيفة فقلت له قد وهمت في الجواب في هذه المسألة والجواب من

قول الرجل كذا وكذا وهذه المسألة تحتها المسألة الفلانية وفوقها المسألة الفلانية في الكتاب الفلاني فأمر محمد بن الحسن بالكتاب فأحضر فتصفحه ونظر فيه فوجد القول كما قلت فرجع عن جوابه إلى ما قلت ولم يخرج إليّ كتاباً بعد هذا قال الشافعي فاستأذنته في الرحيل فقال ما كنت لآذن لضيف بالرحيل عني وبذل لي مشاطرة نعمته فقلت ما لذا قصدت ولا لذا أردت ولا رغبتي إلا في السفر قال فأمر غلامه أن يأتي بما في خزانته من بيضاء وحمراء فدفع إلي ما كان فيها وهو ثلاثة آلاف درهم وأقبلت أطوف العراق وأرض فارس وبلاد الأعاجم وألقى الرجال حتى صرت ابن إحدى وعشرين سنة ثم دخلت العراق في خلافة هرون الرشيد فعند دخول الباب تعلق بي غلام فلاطفني وقال لي ما اسمك فقلت محمد فقال ابن من؟ قلت ابن ادريس الشافعي فقال مطلبي؟ فقلت أجل فكتب ذلك في لوح كان في كمه وخلى سبيلي فأويت إلى بعض المساجد أفكر في عاقبة ما فعل حتى إذا ذهب من الليل النصف كبس المسجد وأقبلوا يتأملون وجه كل رجل حتى أتوا إلي فقالوا للناس لا بأس عليكم هذا هو الحاجة والغاية المطلوبة ثم أقبلوا علي وقالوا أجب أمير المؤمنين فقمت غير ممتنع فلما بصرت بأمير المؤمنين سلمت عليه سلاماً بينا فاستحسن الألفاظ ورد عليّ الجواب ثم قال تزعم أنك من بني المطلب فقلت يا أمير المؤمنين كل زعم في كتاب الله باطل فقال أبن لي عن نسبك فانتسبت حتى لحقت آدم عليه السلام فقال لي الرشيد ما تكون هذه الفصاحة ولا هذه البلاغة الا في رجل من ولد المطلب هل لك أن أوليك قضاء المسلمين وأشاطرك ما أنا فيه وتنفذ فيهم حكمك وحكمي على ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام واجتمعت عليه الأمة فقلت يا أمير المؤمنين لو سألتني أن أفتح باب القضاء بالغداة وأغلقه بالعشي بنعمتك هذه ما فعلت ذلك أبدا فبكى الرشيد وقال تقبل من عرض الدنيا شيء (هكذا وردت هذه اللفظة) قلت يكون معجلاً فأمر لي بألف دينار فما برحت عن مقامي حتى قبضتها ثم سألني بعض الغلمان والحشم أن أصلهم من صلتي فلم تسع المروءة أن كنت مسؤولاً غير المقاسمة فيما أنعم الله به علي فخرج لي قسم كأقسامهم ثم عدت إلى المسجد الذي كنت فيه

في ليلتي فتقدم يصلي بنا غلام صلاة الفجر في جماعة فأجاد القراءة ولحقه سهو فلم يدر كيف الدخول ولا كيف الخروج فقلت له بعد السلام أفسدت علينا وعلى نفسك أعد فأعاد مسرعاً وأعدنا ثم قلت له أحضر بياضاً أعمل لك باب السهو في الصلاة والخروج منها فسارع إلى ذلك ففتح الله عزّ وجل فألفت كتاباً من كتاب الله عزّ وجل وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وإجماع المسلمين وسميته باسمه وهو أربعون جزءاً يعرف بكتاب الزعفراني وهو الذي وضعته بالعراق حتى تكامل في ثلاث سنين وولاني الرشيد الصدقات بنجران وقدم الحاج فخرجت أسألهم عن الحجاز فرأيت فتى في قبته فلما أشرت إليه بالسلام أمر قائد القبة أن يقف وأشار إليّ بالكلام فسألته عن الإمام مالك وعن الحجاز فأجاب بخير ثم عاودته إلى السؤال عن مالك فقال أشرح لك أو أختصر؟ قلت في الاختصار البلاغة فقال في صحة جسم وله ثلاثمائة جارية يبيت عند الجارية ليلة فلا يعود إليها إلى سنة فقد اختصرت لك خبره قال الشافعي رضي الله عنه فاشتهيت أن أراه في حال غناه كما رأيته في حال فقره فقلت له أما عندك من المال ما يصلح للسفر فقال إنك لتوحشني خاصة وأهل العراق عامة وجميع مالي فيه لك فقلت له فبمَ تعيش؟ قال بالجاه ثم نظر إلي وحكمني في ماله فأخذت منه على حسب الكفاية والنهاية وسرت على ديار ربيعة ومضر فأتيت حران ودخلتها يوم الجمعة فذكرت فضل الغسل وما جاء فيه فقصدت الحمام فلما سكبت الماء رأيت شعر رأسي شعثا فدعوت المزين فلما بدأ برأسي وأخذ القليل من شعري دخل قوم من أعيان البلد فدعوه فسار اليهم وتركني فلما قضوا ما أرادوا منه عاد إليّ فما أردته وخرجت من الحمام فدفعت إليه أكثر ما كان معي من الدنانير وقلت له خذ هذه وإذا وقف بك غريب لا تحقره فنظر إلي متعجباً فاجتمع على باب الحمام خلق كثير فلما خرجت عاتبني الناس فبينما أنا كذلك إذ خرج بعض من كان في الحمام من الأعيان فقدمت له بغلة ليركبها فسمع خطابي له فانحدر عن البغلة بعد أن استوى عليها وقال لي أنت الشافعي؟ فقلت نعم فقد الركاب مما يليني وقال بحق الله اركب ومضى بي الغلام مطرقاً بين يدي حتى أتيت إلى منزل الفتى ثم أتى وقد حصلت في منزله

فأظهر البشاشة ثم دعا بالغسل فغسل علي ثم حضرت المائدة فسمى وحبست يدي فقال ما لك يا عبد الله فقلت له طعامك حرام علي حتى أعرف من أين هذه المعرفة؟ فقال أنا ممن سمع منك الكتاب الذي وضعته ببغداد وأنت لي أستاذ قال الشافعي رضي الله عنه فقلت العلم بين أهل العقل رحم متصلة فأكلت بفرحة إذ لم يعرف الله تعالى إلا بيني وبين أبناء جنسي فأقمت عنده ثلاثاً فلما كان بعد ثلاث قال لي إن لي حول حران أربع ضياع ما بنجران أحسن منها أشهد الله أن اخترت المقام فإنها هدية مني إليك فقلت فبم تعيش قال بما في صناديقي تلك وأشار إليها وهي أربعون ألف درهم وقال أتجر بها فقلت ليس إلى هذا قصدت ولا خرجت من بلدي إلا في طلب العلم فقال لي فالمال إذا من شأن المسافر فقبضت أربعين ألفا وودعته وخرجت من مدينة حران وبين يدي أحمال ثم تلقاني الرجال وأصحاب الحديث منهم أحمد بن حنبل وسفيان بن عيينة والأوزاعي فأجزت كل واحد منهم على قدر ما قسم الله له حتى دخلت مدينة الرملة وليس معي إلا عشرة دنانير فاشتريت بها راحلة واستويت على كورها وقصدت الحجاز فما زلت من منهل إلى منهل حتى قصدت مدينة النبي ﷺ بعد سبعة وعشرين يوماً بعد صلاة العصر فصليت العصر ورأيت كرسياً من الحديد عليه مخدة من قباطي مصر مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ قال الشافعي رضي الله عنه وحوله أربعمائة دفتر أو يزيدون بينما أنا كذلك إذ رأيت مالك بن أنس رضي الله عنه فدخل من باب النبي ﷺ وقد فاح عطره في المسجد وحوله أربعمائة أو يزيدون يحمل ذيوله منهم أربعة فلما وصل قام إليه من كان قاعداً وجلس على الكرسي فألقى مسألة في جراح العمد فلما سمعت ذلك لم يسعني الصبر فقمت قائماً في سور الحلقة فرأيت إنساناً فقلت له قل الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب قبل فراغ مالك من السؤال فأضرب عنه مالك وأقبل على أصحابه فسألهم عن الجواب فخالفوه فقال لهم أخطأتم وأصاب الرجل ففرح الجاهل بإصابته فلما ألقى السؤال الثاني أقبل عليّ الجاهل يطلب مني الجواب فقلت له الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب فلم يلتفت اليه

مالك وأقبل على أصحابه واستخبرهم عن الجواب فخالفوه فقال لهم أخطأتم وأصاب الرجل قال الشافعي رضي الله عنه فلما ألقى السؤال الثالث قلت له قل الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب فأعرض مالك عنه وأقبل على أصحابه فخالفوه فقال أخطأتم وأصاب الرجل ثم قال للرجل ادخل ليس ذلك موضعك فدخل الرجل طاعة منه لمالك وجلس بين يديه فقال له مالك فراسة قرأت الموطأ؟ قال لا قال فنظرت ابن جريج قال لا قال فلقيت جعفر بن محمد الصادق؟ قال لا قال فهذا العلم من أين؟ قال إلى جانبي غلام شاب يقول لي قل الجواب كذا وكذا فكنت أقول قال فالتفت مالك والتفت الناس بأعناقهم لالتفات مالك رضي الله عنه فقال للجاهل قم فأمر صاحبك بالدخول الينا قال الشافعي رضي الله عنه فدخلت فإذا أنا من مالك بالموضع الذي كان الجاهل فيه جالساً بين يديه فتأملني ساعة وقال أنت الشافعي؟ فقلت نعم فضمني إلى صدره ونزل عن كرسيه وقال أتمم هذا الباب الذي نحن فيه حتى ننصرف إلى المنزل الذي هو لك المنسوب إليّ قال الشافعي رضي الله عنه فألقيت أربعمائة مسألة في جراح العمد فما أجابني أحد بجواب واحتجت أن آتي بأربعمائة جواب فقلت الأول كذا كذا والثاني كذا كذا حتى سقط القرص وصلينا المغرب فضرب مالك بيده إليّ فلما وصلت المنزل رأيت بناء غير الأول فبكيت فقال بم بكاؤك كأنك خفت يا أبا عبد الله أن قد بعت الآخرة بالدنيا؟ قلت هو والله ذلك قال طب نفسا وقر عينا هذه هدايا خراسان وهدايا مصر والهدايا تجيء من أقاصي الدنيا وقد كان النبي ﷺ يقبل الهدايا ويرد الصدقة وإن لي ثلاثمائة خلعة من رق خراسان وقباطي مصر وعندي عبيد بمثلها لم تستكمل الحلم فهم هدية مني إليك وفي صناديقي تلك خمسة آلاف دينار أخرج زكاتها عند كل حول فلك مني نصفها قلت إنك موروث وأنا موروث فلا يبيت جميع ما دعوتني به إلا تحت خاتمي ليجري ملكي عليه فإن حضرني أجلي كان لورثتي دون ورثتك وإن حضرك أجلك كان لي دون ورثتك فتبسم في وجهي وقال أبيت إلا العلم فقلت لا يستعمل أحسن منه وما بت إلا وجميع ما وعدني تحت ختمي فلما كان في غداة غد صليت الفجر في جماعة وانصرفت إلى المنزل أنا وهو

وكل واحد منا يده في يد صاحبه إذ رأيت كراعاً على بابه من جياد خراسان وبغالاً من مصر فقلت له ما رأيت كراعاً أحسن من هذا فقال هو هدية مني إليك يا أبا عبد الله فقلت له دع لك منها دابة فقال إني أستحي من الله أن أطأ قربة فيها نبي الله ﷺ بحافر دابة قال الشافعي رضي الله عنه فعلمت أن ورع الإمام مالك باق على حاله فأقمت عنده ثلاثاً ثم ارتحلت إلى مكة وأنا أسوق خير الله ونعمه ثم أنفذت من يعلم بخبري فلما وصلت إلى الحرم خرجت العجوز ونسوة معها فضمتني إلى صدرها وضمتني بعدها عجوز كنت آلفها دعوها خالتي وقالت:

ليس أمك اجتاحت المنايا　　كل فؤاد عليك أم

قال الشافعي رضي الله عنه وهو أول كلمة سمعتها في الحجاز من امرأة فلما هممت بالدخول قالت لي العجوز إلى أين عزمت؟ فقلت إلى المنزل فقالت هيهات تخرج من مكة بالأمس فقيراً وتعود إليها مترفاً تفخر على بني عمك بذلك فقلت ما أصنع؟ فقالت ناد بالأبطح في العرب بإشباع الجائع وحمل المنقطع وكسوة العراة فتربح ثناء الدنيا وثواب الآخرة ففعلت ما أمرت به وسار بذلك الفعل الرجال على آباط الابل وبلغ ذلك مالكاً فبعث إليّ يستحثني على هذا الفعل ويعدني أنه يحمل إليّ في كل عام مثل ما صار إليّ منه وما دخلت إلى مكة وأنا أقدر على شيء مما جاء معي إلا على بغلة واحدة وخمسين ديناراً فوقعت المقرعة فناولتني إياها أمة على كتفها قربة فأخرجت لها خمسة دنانير فقالت لي العجوز ما أنت صانع فقلت أجيزها على فعلها فقالت ادفع إليها جميع ما تأخر معك قال فدفعت اليها ودخلت إلى مكة فما بت تلك الليلة إلا مديوناً وأقام مالك رضي الله عنه يحمل إليّ في كل عام مثل ما كان دفع إلي أولاً احدى عشرة سنة فلما مات ضاق بي الحجاز وخرجت إلى مصر فعوضني الله عبد الله بن عبد الحكم فقام بالكلفة فهذا جميع ما لقيته في سفري فافهم ذلك يا ربيع قال الربيع وسألني المزني إملاء ذلك بحضرته فما وجدنا للمجلس فرغة فما وقع كتاب السفر إلى أحد غيري اهـ من ثمرات الأوراق للشيخ تقي الدين أبي بكر بن

علي المعروف بابن حجة الحموي . توفي الإمام الشافعي رضي الله عنه يوم الجمعة بعد العصر سلخ رجب سنة أربع ومائتين وله من العمر أربع وخمسون سنة ودفن بالقرافة في هذه القبة المشهورة التي عليها من الأنس والرحمات ما لا يخفى وفيها يقول صاحب البردة :

لقبة قبر الشافعي سفينة رست في بناء محكم فوق جلمود

وقد غاض طوفان العلوم بقبره استوى الفلك من ذاك الضريح على الجودي

وقال آخر :

أتيت لقبر الشافعي أزوره تعرضنا فلك وما عنده بحر
فقلت تعالى الله تلك اشارة تشير بأن البحر قد ضمه القبر

وقال آخر :

لقد أصبح الشافعي الاما م فينا له مذهب مذهب
ولو لم يكن بحر علم لما غدا وعلى قبره مركب

وقال آخر :

مررت على قبة الشافعي فعاين طرفي عليها العشار
فقلت لصحبي لا تعجبوا فإن المراكب فوق البحار

وقال آخر :

أكرم به رجلاً ما مثله رجل مشارك لرسول الله في نسبه
أضحى بمصر دفينا في مقطمها نعم المقطم والمدفون في تربه

قال الشيخ عبد الرحمن الجبرتي وقد جددها الأمير علي بك الملقب بجن علي ويلقب أيضاً ببلوط قبان المتوفى سنة ست ومائة وألف فكشف ما عليها من الرصاص القديم من أيام الملك الكامل الأيوبي في القرن الخامس وكان قد تشعث وصدأ لطول الزمان فجدد ما تحته من خشبها البالي بغيره من الخشب التي الحديث ثم جعلوا عليه صفائح الرصاص المسبوك الجديد المثبت بالمسامير العظيمة وهو

عمل كثير وجدد نقوش القبة من داخل بالذهب واللازورد والأصباغ وكتب بإفريزها تاريخاً منظوماً بخط صالح افندي ا هـ وقد أراد أناس نقله رضي الله عنه إلى بغداد فلما حضروا عبقت رائحة عظيمة عطلت حواسهم فتركوه. قال الشيخ محيي الدين بن العربي في المحاضرات روي عن المزني قال دخلت على الشافعي رضي الله عنه في مرضه الذي مات فيه فقلت له كيف أصبحت؟ قال أصبحت من الدنيا راحلاً وللإخوان مفارقاً ولسوء عملي ملاقياً ولكأس المنية شارباً وعلى الله وارداً فلا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها ثم أنشأ يقول :

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما
وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما

هذا ما في المحاضرات ، ثم رأيت في الروض الفائق زيادة على ذلك وهي :

فلله در العارف الفرد إنه تسح لفرط الوجد أجفانه دما
يقيم إذا ما الليل جن ظلامه على نفسه من شدة الخوف مأتما
فصيحاً إذا ما كان في ذكر ربه وفيما سواه في الورى كان معجما
ويذكر أياماً مضت من شبابه وما كان فيها بالجهالة أجرما
فصار قرين الهم طول نهاره ويخدم مولاه إذا الليل أظلما
يقول حبيبي أنت سؤلي وبغيتي كفى بك للراجين سؤلاً ومغنما
ألست الذي غذيتني وكفلتني وما زلت مناناً علي ومنعما
عسى من له الاحسان يغفر زلتي ويستر أوزاري وما قد تقدما

قال الشعراني في المنن ومما وقع لي مع الإمام الشافعي رضي الله عنه أنني تعوقت عن زيارته مدة فرأيته في المنام وقال لي أنا عاتب عليك وعلى الشيخ نور الدين الطرابلسي الحنفي وعلى الشيخ نور الدين الشوني في قلة الزيارة فإني صرت رهين رمسي أنتظر دعوة من رجل صالح فقلت له إن شاء الله تعالى نزوركم بكرة .

النهار فقال لا بل تذهب في هذا الوقت معي وكنت تلك الليلة في مولد في الروضة عند سيدي أبي الفضل شيخ بيت السادات من بني الوفا رضي الله عنه فخرجت لزيارته ثم سبقني هو فتلقاني من خلف قبته مما يلي قبر القاضي بكار وطلع بي إلى فوق القبة وفرش لي حصيراً جديداً ووضع لي سفرة فيها خبز لين أبيض وجبن أزرار وشق لي بطيخة من العبدلاوي وكان أول طلوعه بمصر وقال لي كل يا أخي في هذا المكان الذي ماتت فيه ملوك الدنيا بحسرة أكلة فيه معي اهـ. ومما وقع لي معه بعد ذلك أنه لما دخل على بيتي وقال قد جئت آخذك تسكن عندي أنت وعيالك فقلت له إن شاء الله في غد فقال بل في هذا الوقت فحمل ابني رقية على كتفه وأخذ بيد أختها نفيسة وخرجت معه أنا وأمها حتى أدخلنا القبة فأسكنني بين قبره وبين قبر أم السلطان الكامل المدفونة خلف ظهره فغار منا الخدام فقال لهم هذا لا يزاحمكم في شيء من الدنيا فرجعوا عني ثم انفتحت القبة من أعاليها كالباب فنزل منه شيء أبيض كالقطن أو كالجص المعجون فلا زال ينزل ويتراكم حتى صار كوماً عند رأس الإمام فقلت له ما هذا فقال هذا سكينة الحياء من الله تعالى فمن نظر إليها رزقه الله تبارك وتعالى الاستحياء من الله تعالى حق الحياء فصرت آمر كل داخل بالنظر إليها ثم استيقظت اهـ.

(كرامة) نقل غير واحد أن الإمام الشافعي رضي الله عنه لما احتضر دخل عليه أصحابه فقال أما أنت يا أبا يعقوب فتموت في قيودك وأما أنت يا مزني فيكون لك بمصر هنات وهنات وأما أنت يا ابن عبد الحكم فترجع إلى مذهب أبيك وأنت يا ربيع أنفعهم في نشر الكتب فكان كما قال رضي الله عنه. ومناقبه رضي الله عنه كثيرة، فعن هرون بن سعيد الهيثم الايلي قال ما رأيت مثل الشافعي قط ولقد قدم علينا مصر فقالوا قدم رجل من قريش فقيه فجئناه وهو يصلي فما رأينا أحسن منه وجهاً ولا أحسن صلاة فافتتنا به فلما قضى صلاته تكلم فما رأينا أحسن منطقاً منه وكان يتكلم في الحقيقة وفي الزهد وفي أسرار القلوب، وكان يقول: كيف يزهد في الدنيا من لا يعرف قدر الآخرة، وكيف يخلص من الدنيا من لا يخلو من الطمع الكاذب، وكيف يسلم من لا يسلم الناس من لسانه ويده،

وكيف ينال الحكمة من لا يريد بقوله وجه الله عز وجل. وتزوج الشافعي رضي الله عنه حميدة بنت نافع بن عنبسة بن عمرو بن عثمان بن عفان فولدت له أبا عثمان محمداً وكان قاضياً بمدينة حلب وفاطمة وزينب وللشافعي ولد آخر يقال له الحسن مات طفلاً وأمه أم ولد نقله الرازي.



فصل

في ذكر مناقب الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس الشيباني المروزي ثم البغدادي الحافظ

وفي تاريخ ابن خلكان ما نصه : الإمام أحمد بن حنبل هو أبو عبد الله أحمد ابن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله ابن أنس بن عوف بن واسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن واسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان الشيباني المروزي الأصل قال هذا هو الصحيح في نسبه اهـ. ولد الإمام أحمد رضي الله عنه سنة أربع وستين ومائة في شهر ربيع الأول بمرو وقيل ببغداد ونشأ بها قال ابن خلكان كان الإمام أحمد إمام المحدثين صنف كتابه المسند وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره قيل وكان يحفظ ألف ألف حديث وكان من أصحاب الإمام الشافعي وخواصه رضي الله عنهما ولم يزل مصاحبه إلى أن ارتحل الشافعي إلى مصر اهـ. وكان شيخاً أسمر مديد القامة يخضب بالحناء. وفي طبقات الشعراني وكان يقول رأيت رب العزة في المنام فقلت يا رب ما أفضل ما يتقرب به المتقربون إليك؟ فقال بكلامي يا أحمد فقلت بفهم أو بغير فهم؟ قال بفهم وبغير فهم ، وكان رضي الله عنه إذا جاءه طالب حديث وحده لم يحدثه حتى يكون معه غيره ، وكان يقول تزوج يحيى بن زكريا عليهما السلام مخافة النظر ، وكان رضي الله عنه يضرب به المثل في اتباع السنة واجتناب البدعة ، وكان لا يدع قيام الليل قط وله في كل يوم وليلة ختمة وكان يسر ذلك عن الناس قال أبو عصمة بت ليلة عند أحمد رضي الله عنه فجاءني بماء فوضعه فلما أصبح

نظر إلى الماء كما هو فقال يا سبحان الله رجل يطلب العلم ولا يكون له ورد من الليل ، وكان رضي الله عنه يلبس الثياب النقية البياض ويتعهد شاربه وشعر رأسه وبدنه وكان مجلسه خاصاً بالآخرة لا يذكر فيه شيء من أمر الدنيا وتعرت أمه من الثياب فجاءته زكاة فردها وقال العري خير من أوساخ الناس وإنها أيام قلائل ثم نرحل من هذه الدار وكان إذا جاع أخذ الكسرة اليابسة فنفضها من الغبار ثم صبّ عليها الماء في قصعة حتى تبتلّ ثم يأكلها بالملح وكانوا في بعض الأوقات يطبخون له في فخارة عدساً وشحماً وكان أكثر إدامه الخل ، وكان إذا مشى في الطريق لا يمكن أحداً يمشي معه وكان يحيي الليل كله من منذ كان غلاماً وكان من أصبر الناس على الوحدة لا يراه أحد إلا في المسجد أو جنازة أو عيادة وكان يكره المشي في الأسواق ، وكان ورده كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة فلما ضرب بالسياط ضعف بدنه فكان يصلي مائة وخمسين ركعة كل يوم وليلة ، وحج رضي الله عنه خمس حجات ثلاثة منها ماشياً وكان ينفق في كل حجة نحو عشرين درهماً ولما قدم للسياط أيام المحنة أغاثه الله تعالى برجل يقال له أبو الهيثم العيار فوقف عنده وقال يا أحمد أنا فلان اللص ضربت ثمانية عشر ألف سوط لأقر فما أقررت وأنا أعرف أني على الباطل فاحذر أن تقلق وأنت على الحق من حرارة السوط فكان أحمد كلما أوجعه الضرب تذكر كلام اللص وكان بعد ذلك لم يزل يترحم عليه . ولما دخل أحمد رضي الله عنه على المتوكل قال المتوكل لأمه يا أماه قد نارت الدار بهذا الرجل ثم أتوا بثياب نفيسة فألبسوها له فبكى الإمام وقال سلمت منهم عمري كله حتى إذا دنا أجلي بليت بهم وبدنياهم ثم نزعها لما خرج وكان رضي الله عنه يواصل الصوم فيفطر كل ثلاثة أيام على تمر وسويق قال الفضيل بن عياض حبس الإمام أحمد رضي الله عنه ثمانية وعشرين شهراً وكان فيها يضرب كل قليل بالسياط إلى أن يغمى عليه وينخس بالسيف ثم يرمى على الأرض ويداس عليه ولم يزل كذلك إلى أن مات المعتصم وتولى بعده الواثق فاشتد الأمر على أحمد وقال لا أسكن في بلد أحد فيه فأقام مختفياً لا يخرج إلى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق وولي المتوكل فرفع المحنة عن أحمد وأمر بإحضاره وإكرامه

وإعزازه وكتب إلى الآفاق برفع المحنة وإظهار السنة وأن القرآن غير مخلوق وخمدت المعتزلة وكانوا أشر الطوائف المبتدعة. قال أحمد بن غسان ولما حملت مع أحمد إلى المأمون تلقاه الخادم وهو يبكي ويمسح دموعه ويقول عز علي يا أبا عبد الله ما نزل بك قد جرد أمير المؤمنين سيفاً لم يجرده قط وبسط نطعاً لم يبسطه قط ثم قال وقرابتي من رسول الله ﷺ لا رفعت السيف عن أحمد وصاحبه حتى يقولا القرآن مخلوق فجثا أحمد على ركبتيه ولحظ السماء بعينيه ودعا فما مضى الثلث الأول من الليل إلا ونحن بصيحة وضجة فأقبل علينا خادمه وهو يقول صدقت يا أحمد القرآن كلام الله غير مخلوق قد مات والله أمير المؤمنين وكان قد لقيه قبل أن يدخل المدينة رجل من العباد فقال احذر يا أحمد أن يكون قدومك مشؤوماً على المسلمين فإن الله تعالى قد رضي بك لهم وافداً والناس إنما ينظرون إلى ما تقول فيقولون به فقال أحمد حسبنا الله ونعم الوكيل ولما سجنوه رضي الله عنه وضعوا في رجليه أربعة قيود وكان ابن أبي دؤاد هو الذي تولى جدال أحمد عن الخليفة وكان يقول للخليفة إن أحمد ضال مبتدع ثم يلتفت إلى أحمد ويقول قد حلف الخليفة أن لا يقتلك بالسيف وإنما هو ضرب بعد ضرب إلى أن تموت فما زالوا بأحمد رضي الله عنه يناظرونه بالليل والنهار إلى أن ضجر الخليفة من ذلك فلما طال بهم الحال قال ابن أبي دؤاد يا أمير المؤمنين اقتله ودمه في أعناقنا فرفع الخليفة يده ولطم أحمد فخر مغشياً عليه فخاف الخليفة على نفسه ممن كان من الشيعة مع أحمد فدعا بماء فرش منه على وجه أحمد اهـ.

(غريبة) اجتمع الشافعي وأبو ثور ومحمد بن الحكم رضي الله عنهم عند أحمد بن حنبل يتذاكرون فصلوا صلاة المغرب وقدموا الشافعي ثم ما زالوا يصلون في المسجد إلى أن صلوا العتمة ثم دخلوا بيت أحمد بن حنبل ودخل أجمد على امرأته ثم خرج على أصحابه وهو يضحك فقال الشافعي م تضحك يا أبا عبد الله؟ قال خرجت إلى الصلاة ولم يكن في البيت لقمة من طعام والآن فقد وسع الله علينا قال الشافعي فما سببه؟ قال أحمد قالت لي أم عبد الله إنكم لما خرجتم إلى الصلاة جاء رجل عليه ثياب بيض حسن الوجه عظيم الهيئة ذكي

الرائحة فقال يا أحمد بن حنبل فقلنا لبيك فقال هاكم خذوا هذا فسلم إلينا زنبيلاً أبيض وعليه منديل طيب الرائحة وطبق مغطى بمنديل آخر وقال كلوا من رزق ربكم واشكروا له فقال الشافعي يا أبا عبد الله فما في الزنبيل والطبق فقال عشرون رغيفاً قد عجنت باللبن واللوز المقشور أبيض من الثلج وأذكى من المسك ما رأى الراءون مثله وخروف مشوي مزعفر حار وملح في سكرجة وخل في قارورة على الطبق وبقل وحلواء متخذة من سكر طبرزذ ثم أخرج الكل ووضعه بين أيديهم فتعجبوا من شأنه وأكلوا ما شاء الله قال فلم تذهب حلاوة ذلك الطعام والحلواء مدة طويلة وكل من أكل من ذلك الطعام ما احتاج إلى طعام غيره مدة شهر فلما أن فرغوا من الأكل حمل أحمد ما بقي منه وأدخله إلى أهله فأكلوا وشبعوا وبقي منه شيء فاجتمع رأيهم على أن الطعام كان من غيب الله وأن الرسول كان ملكاً من الملائكة قال صالح بن أحمد بن حنبل ما أصابتنا مجاعة قط ما دام ذلك الزنبيل في بيتنا وكان يأتينا الرزق من حيث لا نحتسب رضي الله عنهم وأعاد علينا من بركاتهم اهـ. من ثمرات الأوراق.

(فوائد) : الأولى بلغ الإمام أحمد بن حنبل أن رجلاً وراء النهر يروي أحاديث ثلاثية فرحل الإمام أحمد إليه فلما ورد عليه وجده يطعم كلباً فسلم عليه أحمد رضي الله عنه فرد عليه السلام ثم اشتغل بإطعام الكلب ولم يقبل على الإمام فوجد الإمام أحمد في نفسه شيئاً إذ أقبل الرجل على الكلب ولم يلتفت إليه فلما فرغ الرجل من طعمة الكلب التفت إلى الإمام وقال لعلك وجدت في نفسك إذ أقبلت على الكلب ولم أقبل عليك قال نعم ، فقال الرجل حدثني أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلن يلج الجنة». ثم قال الرجل أرضنا هذه ليست بها كلاب وقد قصدني هذا الكلب فخفت أن أقطع رجاءه فقال الإمام أحمد يكفيني هذا الحديث ثم رجع كذا في حياة الحيوان وغيره. (الثانية) قال الشعراني في المنن لم يدون الإمام له مذهباً وإنما مذهبه الآن مفلق من صدور أصحابه فإنه كان مذهبه الحديث ، وكان يقول أستحي من رسول الله ﷺ أن

أتكلم في معنى كلامه فقد لا يكون ذلك مراده، وكان رضي الله عنه يقول أولأحد كلام مع رسول الله ﷺ قال الشعراني وبلغنا أنه وضع في أحكام الصلاة نحو ثلاثين مسألة رضي الله عنه اهـ. (الثالثة) قال المروزي لما حبس أحمد بن حنبل في سجن الواثق على أن يقول بخلق القرآن جاءه السجان يوماً فقال له يا أبا عبد الله الحديث الذي يروى في الظلمة وأعوانهم صحيح قال صحيح قال السجان أفأنا من أعوان الظلمة؟ قال لا قال وكيف ذلك؟ قال لأن أعوان الظلمة الذي يأخذ شعرك ويغسل ثوبك ويصلح طعامك وأما أنت فمن الظلمة؟ (الرابعة) قال إدريس الحداد لما زالت المحنة وصرف أحمد إلى بيته حمل إليه مال كثير جزيل وهو محتاج إلى أيسره فرد جميع ذلك ولم يقبل منه قليلاً ولا كثيراً فجعل عمه إسحاق يحسب ما رده في ذلك اليوم فكان خمسين ألف دينار فقال له أحمد يا عم أراك مشغولاً بحساب ما لا يفيدك؟ فقال له قد رددت اليوم كذا وكذا وأنت محتاج إلى حبة قال يا عم لو طلبناه لم يأتنا إنما أتانا لما تركناه قال علي بن سعيد الرازي سرنا مع أحمد بن حنبل يوماً إلى باب المتوكل فلما أدخلوه من باب الخاصة قال لنا أحمد انصرفوا عافاكم الله فما مرض منا أحد بعد ذلك اليوم ببركة دعائه.
وقال هلال بن العلاء أربعة لهم على الإسلام منة أحمد بن حنبل حيث ثبت على المحنة ولم يقل بخلق القرآن وأبو عبد الله الشافعي حيث بنى الفقه على الكتاب والسنة وأبو عبد الله القاسم بن سلام حيث فسر حديث النبي ﷺ وأبو زكريا حيث بين الصحيح من السقيم. (الخامسة) كان له على ولده عبد الله رغيف خبز وشيء من الأدم فلما ولي ولده القضاء امتنع من قبول الرغيف وقال والله لا آكل له طعاماً أبداً فكان كما قال إلى أن مات. قال إدريس الحداد ما رأيت أحمد قط إلا مصلّياً أو يقرأ في المصحف أو كتاب وما رأيته في شيء من أمور الدنيا قال وكان إذا اشتد به الأمر بقي اليوم واليومين والثلاث لا يأكل شيئاً فإذا رأى أهله شرب الماء يوهمهم أنه شبعان. قال الشافعي خرجت من بغداد وما خلفت بها أحداً أتقى ولا أورع ولا أفقه من أحمد بن حنبل قال عبد الله بن أحمد بن حنبل كان أبي يقرأ في كل ليلة سبع القرآن ويختم في كل سبعة أيام ختمة ثم يقوم إلى الصباح

وكان يصلي في كل يوم ثلثمائة ركعة فلما ضرب بالسياط أضعفه ذلك فكان يصلي في كل يوم مائة وخمسين ركعة وكان له في الليل ثلاث هدآت وثلاث صيحات قال وكان ذات يوم جالساً عند الشافعي فمر بهما شيبان الراعي وعليه مدرعة صوف فقال أحمد للشافعي يا أبا عبدالله ألا أنبه هذا الجاهل على جهله فقال له الشافعي لا تفعل دعه في شأنه فقال أحمد لا بد ثم إنه استحضر شيبان وقال له يا شيبان ما تقول في رجل نسي صلاة من يوم لا يدري أي صلاة هي ما الواجب عليه أن يفعل؟ فقال شيبان يا أحمد هذا رجل غفل قلبه عن الله فهو ساه غافل الواجب عليه أن يؤدب حتى لا يرجع إلى مثلها أبداً ثم بعد ذلك يقضي صلاة اليوم أجمع ثم التفت إليهما وقال هل تقدران أن تردا علي قال فصاح أحمد وقال لا والله بل هذا هو الحق ثم تركهما وانصرف قال إدريس كان أحمد لا يلبس ثوباً مكفوفاً بل كان يشلله ويقور وسطه ويتركه في رأسه ويقول هذا لمن يموت كثير قال وكان أكثر مؤنته من نبات الأرض ويقول هذا والله هو الحلال الذي لا له حساب ولا تبعة قال وكان يوماً جالساً وعنده جماعة نساء من أصحابه فجاءت إليه امرأة وقالت له يا سيدي إننا جماعة نساء نقعد على سطوحنا بقطن الغزل فيمر بنا مشاعل أهل الشرطة أفيجوز لنا أن نغزل في ضوئها وشعاعها فقال لها أحمد من أنت؟ فقالت له أنا أخت بشر الحافي فقال لها أحمد من بيتكم خرج الورع لا تغزلي في ضوئها. قال إدريس الحداد لما دخل أحمد بن حنبل مكة للحج عسر عليه بعض حوائجه فأخذ سطلاً كان معه فدفعه إلى بعض البقالين رهناً على شيء كان يأخذه فلما فتح الله عليه بفكاكه حضر عند ذلك البقال فدفع له ما كان له وطلب السطل فقام البقال وأحضر سطلين على هيئة واحدة وقال له قد اشتبه عليّ سطلك فخذ أيهما شئت فقال أحمد وأنا أشكل على أيهما لي والله لا أخذته فقال البقال وأنا لا أتركه أبداً فاتفقا على بيعه والتصدق به. قال وخرج يوماً من داره فوقع نظره على امرأة مكشوفة الوجه فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحلف أن لا يخرج إلا مغطى الوجه لئلا يبصر أحداً وكانت إذا وقعت الحادثة أو المسألة لا يكتبها حتى يوردها على الفقهاء فإن وافق رأيهم رأيه كتبها وإلا تركها

واستغفر الله مما خطر بباله، وكان رضي الله عنه إذا جف القلم بيده مسحه في رأسه ولم يمسحه في ثوبه فقيل له في ذلك.فقال إن هذا مداد أثر العلم فلا أضعه في خرقة لعلها ترمى في نجاسة وروى ألف ألف حديث منها بالأسانيد والمتون مائة ألف وخمسون ألفاً ذكر ذلك صاحب الروض الفائق وأنشد:

وأحمد المعروف في كل مشهد وقد رفع الله العظيم له قدرا
وآتاه علماً في الورى ومهابة وجاد عليه بالكرامة في الأخرى

توفي أحمد رضي الله عنه سنة إحدى وأربعين ومائتين وعاش سبعاً وسبعين سنة ولما مرض عرضوا بوله على الطبيب فنظر إليه وقال هذا بول رجل قد فتت الغم والحزن كبده واجتمعت الناس والدواب على بابه لعيادته حتى امتلأت الشوارع والدرب ولما قبض صاح الناس وعلت الأصوات بالبكاء وارتجت الدنيا لموته وخرج أهل بغداد إلى الصحراء يصلون عليه فحزروا من حضر جنازته من الرجال ثمانمائة ألف ومن النساء ستين ألف امرأة سوى من كان في الأطراف والسفن والأسطحة فإنهم بذلك يكونون أكثر من ألف ألف وفي رواية بلغوا ألفي ألف وخمسمائة ألف وأسلم يومئذ عشرون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس كذا في طبقات الشعراني ومثله في تاريخ ابن الوردي وفيه قال حدث ابراهيم الحربي قال رأيت بشر بن الحرث الحافي في المنام كأنه خارج من مسجد الرصافة وفي كمه شيء يتحرك فقلت ما فعل الله بك؟ فقال غفر لي وأكرمني فقلت ما هذا الذي في كمك قال قدم علينا البارحة روح أحمد بن حنبل فنثر عليه الدر والياقوت فهذا مما التقطت قلت ما فعل يحيى بن معين وأحمد بن حنبل؟ قال تركتهما وقد زارا رب العالمين ووضعت لهما الموائد قلت فلم لا تأكل معهما أنت قال قد عرف هوان الطعام عليّ فأباحني النظر إلى وجهه انتهى ومثله في تاريخ ابن خلكان.

(**فائدة**) الأئمة الستة أصحاب المذاهب المتبوعة في الأمصار أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري وداود الظاهري وقد جمعوا في بيتين وهما:

وإن شئت أركان الشريعة فاستمع لتعرفهم واحفظ إذا كنت سامعا
محمـد والنعمان مالك أحـمـد وسفيان واذكر بعد داود تابعا



خاتمة الكتاب

في ذكر مناقب الأربعة الأقطاب


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وهم سيدي أحمد الرفاعي وسيدي عبد القادر الجيلي وسيدي أحمد البدوي وسيدي ابراهيم الدسوقي وكلهم أشراف من أهل البيت ينتهي نسبهم إلى الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم إلا سيدي عبد القادر فإلى سيدنا الحسن السبط ابن سيدنا علي بن أبي طالب كما ستعرف ذلك إن شاء الله تعالى في الكلام على ترجمته قال سيدي حسن يخاطب أخاه سيدي أحمد البدوي : واعلم يا أخي أن كل بلاد لها رجال ولكل رجال قطب يحكم عليهم بمشيئة الله تعالى اهـ قال المناوي في شرحه على الجامع قال ابن عربي قدس الله سره من رجال الله تعالى رجل واحد وقد يكون امرأة في كل زمان وهو القاهر فوق عباده له الاستطالة على كل شيء شهم شجاع مقدام كثير الدعوى بحق يقول حقاً ويحكم عدلاً قال وكان صاحب هذا المقام عبد القادر الجيلاني، ببغداد انتهى. وفي زبدة الأعمال قال سراج الحرم أبو بكر السكتاني قدس سره النقباء ثلثمائة والنجباء سبعون والأبدال أربعون والأخيار سبعة والعمد أربعة والغوث واحد ثم مسكن النقباء المغرب ومسكن النجباء مصر ومسكن الأبدال الشام والأخيار سياحون في الأرض والعمد في زوايا الأرض ومسكن الغوث مكة فإذا عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الأخيار ثم العمد فإن أجيبوا وإلا ابتهل فيها الغوث فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته انتهى. قال المناوي رأيت في شرح مقدمة الوصول للشيخ ابراهيم المواهبي نقلاً عن شيخه العارف أبي المواهب التونسي رضي الله عنهما أن أول من تولى القطبانية من المصطفى ﷺ فاطمة الزهراء مدة حياتها رضي الله عنها ثم انتقلت منها إلى أبي بكر وعمر ثم عثمان ثم علي ثم الحسن رضي

الله عنهم انتهى. لكن نقل عن العارف المرسي رضي الله عنه أن أول الأقطاب مطلقاً الحسن بن علي رضي الله عنهما، والله أعلم.

(**فالأول من السادة الأشراف الأربعة سيدي أحمد بن الرفاعي**) قال المناوي في الطبقة السادسة من طبقاته سيدي أحمد بن يحيى بن حازم بن رفاعة أحد الأولياء المشايخ المشاهير أبو العباس الرفاعي المغربي شريف نمي روض شرفه وهمى على العالم غيث سلفه وكان سيداً جليلاً صوفياً عظيماً نبيلاً قدم أبوه العراق وسكن أم عبيدة بأرض البطائح وولد له صاحب الترجمة سنة خمسمائة ونشأ بها وتفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه وقرأ كتاب التنبيه ثم تصوف وجاهد نفسه حتى قصرها وأعرض عما في أيدي الناس وأقبل على اشتغاله بالحقيقة ومهر واشتهر وانتهت إليه الرياسة في علوم القوم وكشف مشكلات منازلاتها وتخرج به خلق كثير وأحسنوا به الاعتقاد اهـ. قال ابن خلكان وغيره وهم الطائفة الرفاعية ويقال لهم الأحمدية والبطائحية ولهم أحوال عجيبة من أكل الحيات حية والنزول في التنانير وهي تضرم ناراً وينام أحدهم في جانب الفرن والخباز يخبز في الجانب الآخر وتوقد لهم النار العظيمة ويقال لهم السماع فيرقصون فيها إلى أن تنطفئ ويركبون الأسد وكان ابتداء أمره أنه مرّ على عبد الملك الخرنوبي فقال له يا أحمد أول ما أقول لك ملتفت لا يصل ومشكك لا يفلح ومن لم يعرف من وقته النقص فكل أوقاته نقص ففارقه وجعل يكررها سنة ثم عاد إليه وقال أوصني فقال ما أقبح الجهل بالألباء والعلة بالأطباء والجفاء بالأحباء قال فخرجت وجعلت أرددها سنة فانتفعت بموعظته تلك قال بعضهم لكونه اختصر له الطريق. وسأله رضي الله عنه رجل أن يدعو له فقال عندي قوت يوم ومن عنده قوت يوم لا يسمع دعاؤه فإذا فقدته دعوت لك وكان يغسل للمجذومين والزمنى ثيابهم ويفلي شعورهم ويحمل إليهم الطعام ويأكل معهم ويسألهم الدعاء ويقول زيارتهم واجبة لا مستحبة ومر بولد فقال له ابن من أنت؟ فقال له إيش فضولك فجعل يكررها ويبكي ويقول أدبني يا ولدي وكانت حلقة مريديه ستة عشر ألفاً وكان يمد لهم السماط صباحاً ومساء وكان يضرب به المثل في تحمل الأذى ومكارم الأخلاق.

ومن مكارم أخلاقه ما نقله الشنواني في حاشيته على مختصر ابن أبي جمرة أن كلباً حصل له جذام فاستقذرته نفوس أهل بلده وصار كل واحد يطرده عن بابه فأخذه سيدي أحمد الرفاعي وخرج به إلى البرية وضرب عليه مظلة وصار يأكل هو وإياه ويسقيه ويدهنه حتى عافاه الله من الجذام بعد أربعين يوماً فسخن له ماء وغسله ودخل به البلد فقيل له أتعتني بهذا الكلب هذا الاعتناء كله؟ فقال نعم خفت أن يؤاخذني الله يوم القيامة ويقول أما عندك رحمة لهذا الكلب أما تخشى أن أبتليك بما ابتليت به هذا الكلب اهـ. وكان رضي الله عنه كثيراً ما يتجلى الحق عليه بالعظمة فيذوب حتى يصير بقعة ماء ثم تدركه الرحمة فيجمد شيئاً فشيئاً حتى يرد إلى بدنه المعتاد ويقول لجماعته لولا لطف الله ما عدت إليكم. وفي طبقات الشيخ عبد الوهاب بن السبكي أن هرة نامت على كم صاحب الترجمة وجاء وقت الصلاة فقص كمه ولم يزعجها وعاد من الصلاة فوجدها قد قامت فوصل الكم بالثوب وخاطه وقال ما تغير. وتوضأ في يوم بارد ومد يده زماناً طويلاً لا يحركها فتقدم يعقوب مؤذن المنارة يقبل يده فقال أي يعقوب شوّشت على هذه الضعيفة فقال يعقوب ما هي؟ قال بعوضة كانت تأكل رزقها من يدي فهربت منك. وكان رضي الله عنه يقول سلكت كل طريق فما رأيت أسهل ولا أقرب ولا أصلح من الافتقار والذل والانكسار.

(كرامات): الأولى أنه كان إذا صعد الكرسي للقراءة سمع كلامه البعيد كالقريب حتى إن أهل القرى الذين حول بلده يسمعونه كالذين بزاويته حتى إن الأصم إذا حضره سمع كلامه فقط. (الثانية) أنه كان إذا سأله إنسان أن يكتب له عوذة يأخذ الورقة ويكتب عليها من غير مداد ففعل ذلك برجل يوماً فغاب عنه مدة ثم جاءه بها ليكتب له ممتحناً فلما نظرها الشيخ قال له يا ولدي هذه مكتوبة. (الثالثة) أن رجلين من أصحابه وجماعته تحابا في الله فخرجا يوماً بصحراء فتمنى أحدهما كتاب عتق من النار ينزل من السماء فسقط منها ورقة بيضاء فلم يريا فيها كتابة فأتيا إليه ولم يخبراه بالقصة فنظر إليها ثم خر ساجداً لله تعالى ثم قال الحمد لله الذي أراني عتق أصحابي من النار في الدنيا قبل الآخرة فقيل له هذه بيضاء فقال

أي أولادي يد القدرة لا تكتب بسواد هذه مكتوبة بالنور ، وذكرها والتي قبلها صاحب درر الأصداف. (الرابعة) لما حج رضي الله عنه ووقف على القبر الشريف أنشد :

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فخرجت له اليد الشريفة من القبر فقبلها بحضرة الناس وهم ينظرون كذا في درر الأصداف وحاشية الجمل على الهمزية قال الشيخ سليمان الجمل ووقع ذلك أيضاً لشيخ الناظم القطب المرسي فإنه قال صافحت بكفي هذه كف النبي ﷺ مراراً انتهى. لكن المشهور بهذه الكرامة سيدي علي الرفاعي الشهير بأبي شباك الذي بمسجد ذخيرة الملك بسوق السلاح تجاه مدرسة السلطان حسن ولقائل أن يقول لا مانع من وقوعها لهما والله أعلم. (الخامسة) قال الشعراني في المنن أخبرني الشيخ أحمد الحنازيري الضرير أنه بات عنده في مشهده الذي في البرية فقال له الخادم لا تقدر تنام هنا من الهيبة التي تقع في الليل فقال توكلت على الله فلما دخل وقت العشاء ارتعد من الهيبة حتى كادت مفاصله تنقطع وصارت السباع تجأر خارج المقام وأبوابه الحديد يحس بها تفتح وترد ولها صوت عظيم قال ثم إني أحسست بشخص جلس عندي وقال ليلة مباركة أما تقرأ القرآن أقرأ معك؟ فقلت له نعم فقرأت أنا وإياه من سورة النحل إلى سورة النجم فلما قرب طلوع الفجر أتاني برغيفين وإناءين في أحدهما لبن دسم وفي الآخر عسل نحل فأكلت حتى شبعت فطلع الفجر فلم أجده قال ثم إن الخادم جاءني وقال خاطري معك في هذه الليلة فإن أحداً لا يقدر ينام هنا أبداً قال فقصصت عليه القصة فقال هذا الذي قرأ معك وأطعمك هو سيدي أحمد انتهى. (السادسة) أراد شراء بستان فأبى صاحبه بيعه إلا بقصر في الجنة فأرعد وتغير واصفرّ ثم قال قد اشتريته منك بذلك قال اكتب لي بخطك فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما ابتاع إسمعيل من العبد أحمد الرفاعي ضامناً على كرم الله تعالى له قصراً في الجنة يحف به حدود

أربع الأول لجنة عدن الثاني لجنة المأوى الثالث لجنة الخلد الرابع لجنة الفردوس بجميع حوره وولدانه وفرشه وأسرّته وأنهاره وأشجاره عوضاً عن بستانه في الدنيا والله شاهد على ذلك وكفيل فلما مات إسمعيل دفنت معه الورقة فأصبحوا وإذا مكتوب على قبره قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً مناوي.

(تنبيه) قال المقريزي في الخطط مسجد ذخيرة الملك تحت قلعة الجبل بأول الرميلة تجاه شبابيك مدرسة السلطان حسن بن محمد بن قلاوون التي تلي الباب الكبير الذي سده الملك الظاهر برقوق أنشأه ذخيرة الملك جعفر متولي الشرطة. قال ابن المأمون في تاريخه وفي هذه السنة يعني سنة ست عشرة وخمسمائة استخدم ذخيرة الملك جعفر في ولاية القاهرة والحسبة بسجل أنشأه ابن الصيرفي وجرى من ظلمه وعسفه ما هو مشهور وبنى المسجد الذي ما بين الباب الجديد إلى الجبل الذي هو معروف به وسمي مسجد لا بالله وذلك أنه كان يقبض الناس من الطريق ويعسفهم فيحلفون ويقولون لا بالله فيقيدهم ويستعملهم فيه بغير أجرة ولم يعمل فيه منذ أنشأه إلا صانع مكره أو فاعل مقيد وكتبت عليه هذه الأبيات:

بنى مسجداً لله من غير حله ... وكان بحمد الله غير موفق
كمطعمة الأيتام من كد فرجها ... لك الويل لا تزني ولا تتصدقي

وكان قد أبدع في عذاب الجناة وأهل الفساد وخرج عن حكم الكتاب فابتلي بالأمراض الخارجة عن المعتاد ومات بعد ما عجل الله له ما قدّر وتجنب الناس تشييعه والصلاة عليه وحكي عنه في حالتي غسله وحلوله بقبره ما يعيذ الله منه كل مسلم وقال ابن عبد الظاهر مسجد الذخيرة تحت قلعة الجبل وذكر ما تقدم عن ابن المأمون انتهى. قلت وقد جدد في زماننا في أواخر المائة الثالثة عشرة ولم يكمل. وفي طبقات الشعراني وكان سيدي أحمد الرفاعي يبدأ من لقيه بالسلام حتى الأنعام والكلاب وكان إذا رأى خنزيراً يقول له أنعم صباحاً فقيل له في ذلك فقال أعود نفسي الجميل وكان إذا سمع بمريض في قرية ولو على بعد يمضي إليه يعوده ويرجع بعد يوم أو يومين وكان يخرج إلى الطريق ينتظر العميان حتى إذا جاءوا يأخذ

بأيديهم ويقودهم وكان إذا رأى شيخاً كبيراً يذهب إلى أهل حارته ويوصيهم عليه ويقول قال النبي ﷺ : «من أكرم ذا شيبة يعني مسلماً سخر الله له من يكرمه عند شيبته». وكان إذا قدم من السفر وقرب من أم عبيدة يشد وسطه ويخرج حبلاً مدخراً معه ويجمع حطباً ثم يحمله على رأسه فإذا فعل ذلك فعل الفقراء كلهم فإذا دخل البلد فرق الحطب على الأرامل والمساكين والزمنى والمرضى والعميان والمشايخ وكان رضي الله عنه لا يجازي قط بالسيئة ولقيه مرة جماعة من الفقراء فسبوه وقالوا يا أعور يا دجال يا من يستحل المحرمات يا من يبدل القرآن يا ملحد يا كلب فكشف سيدي أحمد رضي الله عنه رأسه وقبل الأرض وقال يا أسيادي اجعلوا عبيدكم في حل وصار يقبل أيديهم وأرجلهم ويقول ارضوا عني وسلمكم يسعني فلما أعجزهم قالوا ما رأينا قط فقيراً مثلك تحمل منا هذا كله ولا تتغير فقال هذا ببركتكم ونفحاتكم ثم التفت إلى أصحابه وقال ما كان إلا خيراً أرحناهم من كلام كان مكتوماً عندهم وكنا نحن أحق به من غيرنا فربما لو وقع منهم ذلك لغيرنا ما كان يحملهم. وأرسل إليه الشيخ إبراهيم البستي كتاباً يحط عليه فيه فقال سيدي أحمد رضي الله عنه للرسول اقرأه لي فقرأه فإذا فيه أي أعور أي دجال أي مبتدع يا من جمع بين الرجال والنساء حتى ذكر الكلب ابن الكلب وذكر أشياء تغيظ فلما فرغ الرسول من قراءة الكتاب أخذه سيدي أحمد رضي الله عنه وقرأه وقال صدق فيما قال جزاه الله عني خيراً ثم أنشد:

فلست أبالي من زمان بريبة ... إذا كنت عند الله غير مريب

ثم قال للرسول اكتب إليه الجواب من هذا اللاش أحيمد إلى سيدي الشيخ إبراهيم البستي رضي الله عنه أما قولك الذي ذكرته فإن الله تعالى خلقني كما شاء وأسكن في ما شاء وإني أريد من صدقاتك أن تدعو لي ولا تخليني من حلك وحلمك فلما وصل الكتاب إلى البستي هام على وجهه فما عرفوا إلى أين ذهب. وكان رضي الله عنه إذا علم أن الفقراء يريدون أن يضربوا أحداً من إخوانهم لزلة وقعت منه يستعير منه ثيابه ويلبسها وينام في موضعه فيضربونه فإذا فرغوا من ضربه واشتفوا منه يكشف لهم عن وجهه فيغشى عليهم فيقول لهم ما كان إلا الخير

أكسبتمونا الأجر والثواب فيقول بعض الفقراء لبعضهم تعلموا هذه الأخلاق وقال رضي الله عنه لأصحابه يوماً من رأى في أحيمد منكم عيباً فليعلمه به فقام شخص فقال يا سيدي فيك عيب عظيم قال وما هو يا أخي فقال كون مثلنا من أصحابك فبكى الفقراء وعلا نحيبهم وبكى سيدي أحمد معهم وقال أنا خادمكم أنا دونكم وكان لسيدي أحمد شخص ينكر عليه وينقصه في نواحي أم عبيدة فكان كلما لقي فقيراً من جماعة سيدي أحمد رضي الله عنه يقول خذ هذا الكتاب إلى شيخك فيفتحه سيدي أحمد فيجد فيه أي ملحد أي باطلي أي زنديق وأمثال ذلك من الكلام القبيح ثم يقول سيدي أحمد رضي الله عنه صدق من أعطاك هذا الكتاب ثم يعطي الرسول دريهمات ويقول جزاك الله عني خيراً كنت سبباً لحصول الثواب فلما طال الأمر على ذلك الرجل وعجز عن سيدي أحمد مضى إليه فلما قرب من أم عبيدة كشف رأسه وأخذ مئزره وجعله في وسطه وأمسكه إنساناً وصار يقوده حتى دخل على سيدي أحمد فقال ما أحوجك يا أخي إلى هذا فقال فعلي فقال له سيدي أحمد رضي الله عنه ما كان إلا الخير يا أخي ثم طلب منه أخذ العهد عليه فأخذه عليه وصار من جملة أصحابه إلى أن مات وكان رضي الله عنه يقول لا يحصل للعبد صفاء الصدر حتى لا يبقى فيه شيء من الخبث لا لعدو ولا لصديق ولا لأحد من خلق الله عز وجل وهناك تستأنس الوحوش بك في غياضها والطير في أوكارها لا تفر منك ويتضح لك سر الحاء والميم، وقال له شخص من تلامذته يا سيدي أنت القطب فقال نزه شيخك عن القطبية فقال له وأنت الغوث فقال نزه شيخك عن الغوثية. قال الشعراني قلت وفي هذا دليل على أنه تعدى المقامات والأطوار لأن القطبية والغوثية مقام معلوم ومن كان مع الله وبالله فلا يعلم له مقام وإن كان له في كل مقام مقام والله أعلم.

وفي طبقات الفقهاء الشافعية لابن السبكي أحضر بعض الأكابر مريضاً لصاحب الترجمة رضي الله عنه ليدعو له فبقي أياماً لم يكلمه فقال يعقوب مؤذن منارة المسجد أي سيدي ما تدعو لهذا المريض فقال أي يعقوب وعزة العزيز لأحمد كل يوم عليه مائة حاجة مقضية وما سألته منها حاجة واحدة فقلت أي

سيدي فتكون واحد لهذا المريض المسكين فقال لا كرامة ولا عزازة تريد أن أكون سيء الأدب لي إرادة وله إرادة ثم قرأ: ﴿ألا لهُ الخَلق والأمر تَبارك الله رب العَالمينَ﴾[1] أي يعقوب الرجل المسكين في أحواله إذا سأل حاجة وقضيت له نقص تمكنه درجة فقلت أراك تدعو عقب الصلاة وكل وقت قال ذاك الدعاء تعبد وامتثال ودعاء الحاجات له شروط وهو غير هذا الدعاء ثم بعد يومين شفي ذلك المريض انتهى.

(تنبيه) ابن السبكي المذكور هو صاحب جمع الجوامع وولده التاج السبكي أخذ عن ابن الرفعة وقد رأيت بعضهم نسب له الأبيات المشهورة وهي:

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي	من وصل غانية وطيب عناق
وصرير أقلامي على أوراقها	أحلى من الدوكاء والعشاق
وألذ من نقر الفتاة لدفّها	نقري لألقي الرمل عن أوراق
وتمايلي طرباً لحل عويصة	في الدرس أشهى من مدامة ساقي
وأبيت سهران الدجى وتبيته	نوماً وتبغي بعد ذاك لحاقي

قال يعقوب الخادم رضي الله عنه ولما مرض سيدي أحمد رضي الله عنه مرض الموت قلت له تجلى العروس في هذه المرة قال نعم فقلت له لماذا فقال جرت أمور اشتريناها بالأرواح وذلك أنه أقبل على الخلق بلاء عظيم فتحملته عنهم وشريته بما بقي من عمري فباعني وكان يمرغ وجهه وشيبته على التراب ويبكي ويقول العفو العفو ويقول اللهم اجعلني سقف البلاء عن هؤلاء الخلق وكان مرض الشيخ رضي الله عنه بالبطن فكان يخرج منه كل يوم ما شاء الله فبقي به المرض شهراً فقيل له من أين هذا كله ولك عشرون يوماً لا تأكل ولا تشرب فقال له يا أخي هذا اللحم يندفع ويخرج ولكن قد ذهب اللحم وما بقي إلا المخ واليوم نخرج وغداً نعبر على الله تعالى فخرج منه شيء أبيض مرتين أو ثلاثاً وانقطع ثم توفي يوم الخميس وقت الظهر ثاني عشر جمادى الأولى سنة سبعين وخمسمائة وكان يوماً مشهوداً وكان آخر كلمة قالها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ودفن في قبر

---

(١) سورة الأعراف ٥٤.

الشيخ يحيى النجاري وكان شافعي المذهب قرأ كتاب التنبيه للشيخ أبي إسحق الشيرازي وما تصدر قط في مجلس ولا جلس على سجادة تواضعاً وكان لا يتكلم إلا يسيراً ويقول أمرت بالسكوت رضي الله عنه كذا في طبقات الشعراني وخالفه غيره في تاريخ الوفاة فإنه قال مات رضي الله عنه ببلده أم عبيدة سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ولم يعقب وإنما المشيخة لابن أخيه رضي الله تعالى عنهما قال المناوي وله في الطريق كلام عال ، ومنه : الزهد أول مقامات القاصدين إلى الله تعالى فمن لم يحكم أساسه فيه لم يصلح له شيء من بعد من المقامات وقال رضي الله عنه علامة الأنس بالله الوحشة من جميع الخلق إلا الأولياء فإن الأنس بهم أنس به قال رضي الله عنه من توهم أن عمله يوصله إلى مأموله الأعلى فقد ضل وقال رضي الله عنه قرب قلبك من مجالسة الذاكرين لعله يتنبه من غفلته وقال رضي الله عنه أقرب الأشياء إلى المقت رؤية النفس وأحوالها وأعمالها وأشد منه طلب العوض على العمل وقال رضي الله عنه أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات وقال رضي الله عنه العبودية الوفاء بالوعد والصبر على المفقود وقال رضي الله عنه سلكت كل طريق فما رأيت أقرب ولا أسهل ولا أصلح من الذل والانكسار لعظيم أمر الله تعالى والشفقة على خلقه اهـ ولولا مخافة التطويل لزدناك كلاماً من هذا القبيل.

(الثاني من الأقطاب الأربعة سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنه) هو أبو صالح عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن حسن المثنى بن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين. ولد رضي الله عنه سنة سبعين وأربعمائة كذا في طبقات الشعراني ، قال وحكي عن أمه رضي الله عنها قالت لما وضعت ولدي عبد القادر كان لا يرضع ثديه في نهار رمضان ولقد غم على الناس هلال رمضان فأتوني وسألوني عنه فقلت لهم إنه لم يلتقم اليوم ثدياً ثم اتضح أن ذلك اليوم كان من رمضان واشتهر ببلدنا في ذلك الوقت أنه ولد للأشراف ولد لا يرضع في نهار رمضان وكان رضي الله عنه يلبس لباس العلماء ويتطيلس ويركب البغلة ويتكلم على كرسي عال وربما خطا في الهواء خطوات على رؤوس الناس ثم

يرجع إلى الكرسي وكان رضي الله عنه يقول بقيت أياماً لم أستطعم فيها بطعام فلقيني إنسان فأعطاني صرة فيها دراهم فأخذت منها خبزاً سميذاً وخبيصاً وجلست آكله فإذا برقعة مكتوب فيها قال الله تعالى في بعض كتبه المنزلة: «إنما جعلت الشهوات لضعفاء خلقي ليستعينوا بها على الطاعات أما الأقوياء فما لهم وللشهوات». فتركت الأكل وانصرفت وكان رضي الله عنه يقول انه لتردّ عليّ الأثقال الكبيرة التي لو وضعت على الجبال لتصدّعت فإذا كثرت عليّ الأثقال وضعت جنبي على الأرض وتلوت: ﴿فإنَّ مع العسر يُسراً إنَّ مع العُسرِ يُسراً﴾[1]. ثم أرفع رأسي وقد انفجرت عني تلك الأثقال وكان رضي الله عنه يقول قاسيت الأهوال في بدايتي فما تركت هولاً إلا ركبته وكان لباسي جبة صوف وعلى رأسي خريقة وكنت أمشي حافياً في الشوك وغيره وكنت أقتات بخرنوب الشوك وقمامة البقل وورق الخس من شاطئ النهر ولم أزل آخذ نفسي بالمجاهدات حتى طرقني من الله تعالى الحال فإذا طرقني صرخت وهمت على وجهي سواء كنت في صحراء أو بين الناس وكنت أتظاهر بالتخارس والجنون وحملت إلى البيمارستان وطرقتني مرة الأحوال حتى مت وجاءوا بالكفن والغاسل وجعلوني على المغسل ليغسلوني ثم سري عني وقمت وقال له رجل مرة كيف الخلاص من العجب؟ فقال رضي الله عنه من رأى الأشياء من الله وأنه هو الذي وفقه للعمل وأخرج نفسه من البين فقد سلم من العجب. وقيل له مرة ما لنا لا نرى الذباب يقع على ثيابك فقال أي شيء يعمل الذباب عندي وأنا ما عندي شيء من دبس الدنيا ولا عسل الآخرة وكان رضي الله عنه يقول أيما امرئ مسلم عبر على باب مدرستي خفف الله عنه العذاب يوم القيامة وكان رجل يصرخ في قبره ويصيح حتى آذى الناس فأخبروه به فقال انه رآني مرة ولا بد أن الله تعالى يرحمه لأجل ذلك فمن ذلك الوقت ما سمع له أحد صراخاً وكان رضي الله عنه يقرأ القرآن بالقراءات بعد الظهر وكان يفتي على مذهب الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهما وكانت فتواه تعرض على العلماء بالعراق فتعجبهم أشد الإعجاب فيقولون سبحان من أنعم عليه.

---

(١) سورة الشرح ٥ و ٦.

(فوائد) الأولى: رفع إليه سؤال في رجل حلف بالطلاق الثلاث أنه لا بدّ أن يعبد الله عز وجل عبادة ينفرد بها دون جميع الناس في وقت تلبسه بها فماذا يفعل من العبادات؟ فأجاب على الفور يأتي مكة ويخلى له المطاف ويطوف أسبوعاً وحده فينحل يمينه فأعجب علماء العراق وكانوا قد عجزوا عن الجواب عنها. (الثانية) رفع له شخص ادّعى أنه يرى الله عزّ وجلّ بعيني رأسه فقال أحق ما يقولون عنك فقال نعم فانتهره ونهاه عن هذا القول وأخذ عليه أن لا يعود إليه فقيل للشيخ أمحق هذا أم مبطل فقال هذا محق ملبس عليه وذلك أنه شهد ببصيرته نور الجمال ثم خرج من بصيرته إلى بصره لمعة فرأى بصره ببصيرته وبصيرته يتصل شعاعها بنور شهوده فظن أن بصره رأى ما شهده ببصيرته وإنما رأى بصره ببصيرته فقط وهو لا يدري قال الله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾[1] وكان جمع من المشايخ وأكابر العلماء حاضرين هذه الوقعة فأطربهم سماع هذا الكلام ودهشوا من حسن إفصاحه عن حال الرجل ومزق جماعة ثيابهم وخرجوا عرايا إلى الصحراء. (الثالثة) قال رضي الله عنه تراءى لي نور عظيم ملأ الأفق ثم تدلى فيه صورة تناديني يا عبد الله أنا ربك وقد حللت لك المحرمات فقلت اخسأ يا لعين فإذا ذلك النور ظلام وتلك الصورة دخان ثم خاطبني يا عبد القادر نجوت مني لعلمك بأمر ربك وفقهك في أحوال منازلاتك ولقد أضللت بهذه الواقعة سبعين من أهل الطريق فقلت لله الفضل فقيل له كيف علمت أنه شيطان؟ قال بقوله قد حللت لك المحرمات. وسئل رضي الله عنه عن صفات الموارد الإلهية والطوارق الشيطانية؟ فقال الوارد الإلهي لا يأتي باستدعاء ولا يذهب بسبب ولا يأتي على نمط واحد ولا في وقت مخصوص والطارق الشيطاني بخلاف ذلك غالباً. وسئل رضي الله عنه عن الهمة فقال هي أن لا يتعرى العبد بنفسه عن حب الدنيا وبروحه عن التعلق بالعقبى وبقلبه عن إرادته مع إرادة المولى ويتجرد بسره عن أن يلمح الكون أو يخطر على سره. ولما اشتهر أمره في الآفاق اجتمع مائة فقيه من أذكياء بغداد يمتحنونه في العلم فجمع كل واحد له مسائل وجاء إليه فلما استقر بهم المجلس أطرق الشيخ فظهرت من صدره بارقة من نور فمرت على صدور المائة

---

(١) سورة الرحمن ١٩.

فحت ما في قلوبهم فبهتوا واضطربوا وصاحوا صيحة واحدة ومزقوا ثيابهم وكشفوا رؤوسهم ثم صعد الكرسي وأجاب الجميع عما كان عندهم فاعترفوا بفضله ؛ وكان من أخلاقه أن يقف مع جلالة قدره مع الصغير والجارية ويجالس الفقراء ويفلي لهم ثيابهم وكان لا يقوم قط لأحد من العظماء ولا أعيان الدولة وما ألمّ قط بباب وزير ولا سلطان ، وكان رضي الله عنه يقول : أقمت في صحراء العراق وخرابه خمساً وعشرين سنة مجرداً سائحاً لا أعرف الخلق ولا يعرفوني يأتيني طوائف من رجال الغيب والجان أعلمهم الطريق إلى الله عزّ وجلّ ورافقني الخضر عليه السلام في أول دخولي العراق وما كنت عرفته وشرط أن لا أخالفه وقال لي اقعد هنا فجلست في الموضع الذي أقعدني فيه ثلاث سنين يأتيني كل سنة مرة ويقول لي مكانك حتى آتيك ذكر ذلك الشعراني في طبقاته (ومن) كلام سيدي عبد القادر كما في كتابه فتوح الغيب : إذا أقامك الله تعالى في حالة فلا تطلب الانتقال منها إلى ما هو أعلى منها أو أدنى بل تربص حتى يكون الحق تعالى هو الذي ينقلك بغير إرادة منك وإذا أوقفك بالباب فلا تطلب الدخول إلى الدار واصبر حتى تدخل إليها بعد تكرر الإذن بالدخول وإياك أن تقنع بمجرد الإذن لك بالدخول مرة واحدة لجواز أن يكون ذلك مكراً وخديعة من الملك فإذا كان الدخول جبراً محضاً وفضلاً من الملك فحينئذ لا يعاقبك الملك على الدخول وإنما تتطرق العقوبة إليك بشؤم اختيارك وشرهك وقلة صبرك وسوء أدبك وتركك الرضا بحالتك التي أقامك الحق تعالى فيها ثم إذا أدخلك تلك الدار بالإذن فكن مطرقاً برأسك غاضاً بصرك متأدباً ناظراً لما تؤمر به من الخدمة فتبادر إلى ذلك غير طالب للترقي إلى الدرجة العليا قال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ ﴾[1] الآية. فنهاه عن الالتفات إلى غير الحالة التي هو فيها ، ثم إن العبد الطالب للانتقال من حال إلى حال لا يخلو من أن يكون ذلك الأمر قسم له أو قسم لغيره أو لم يقسمه الله لأحد بل أوجده الله تعالى فتنة ، فأما المقسوم فهو واصل إلى العبد لا محالة في الوقت الذي جعله الحق تعالى فلا ينبغي له أن يظهر

---

(١) سورة الحجر ٨٨.

بشره وسوء الأدب في طلبه، وأما المقسوم لغيره فلا يتعب نفسه فيما لا يناله ولا يصل إليه وإن كان لم يقسم لأحد وإنما جعله الله فتنة فكيف يرضى العاقل أن يستجلب لنفسه الفتنة ويستحسنها فإذن الخير والسلامة في حفظ الحال ثم إذا رقيت بعد الدار إلى الغرفة ثم منها إلى السطح فكن كما ذكرنا من الأدب والإطراق بل يتضاعف ذلك منك لأنك صرت أقرب إلى حضرة الملك فإياك وطلب الانتقال إلى محل أقرب من ذلك إلا إن أعلمك الملك أن تلك الدرجة أو المقام الذي تطلب الانتقال إليه قد وهبه الحق لك بعلامات وآيات انتهى كلام سيدي عبد القادر رضي الله عنه قال الشعراني في المنن وهو كلام في غاية النفاسة فتدبره والحمد لله رب العالمين؛ وله كلام كثير منظوم فمنه:

أنا قطب أقطاب الوجود حقيقة على سائر الأقطاب قولي وحرمتي
توسل بنا في كل هول وشدة أغيثك في الأشياء طراً بهمتي

ومن كلامه أيضاً:

أنا من رجال لا يخاف جليسهم ريب الزمان ولا يرى ما يرهب

(**كرامات**): الأولى جاء رجل من أهل بغداد وذكر أن له بنتاً قد اختطفت من سطح داره وهي بكر فقال له الشيخ عبد القادر رضي الله عنه اذهب هذه الليلة إلى خراب الكرخ واجلس عند التل الخامس وخط عليك دائرة في الأرض وقل وأنت تخطها بسم الله على نية عبد القادر فإذا كانت فحمة العشاء مرت بك طوائف الجن على صور شتى فلا يرعك منظرهم فإذا كان السحر مر بك ملكهم في جحفل منهم فيسألك عن حاجتك فقل له قد بعثني إليك الشيخ عبد القادر واذكر له شأن ابنتك قال فذهبت وفعلت ما أمرني به الشيخ عبد القادر رضي الله عنه فمرت بي صور مزعجة المنظر ولم يقدر أحد منهم أن يمر على الدائرة التي أنا فيها وما زالوا يمرون زمراً زمراً إلى أن جاء ملكهم راكباً فرساً وبين يديه أمم منهم فوقف بإزاء الدائرة وقال يا إنسي ما حاجتك؟ فقلت له قد بعثني إليك الشيخ عبد القادر فنزل عن فرسه وقبل الأرض وجلس خارج الدائرة وجلس من معه ثم قال ما شأنك؟ فذكرت له قصة ابنتي فقال لمن حوله عليّ بمن فعل هذا فأتاني بمارد ومعه

بنتي فقيل له إن هذا مارد من مردة الصين فقال له ما حملك على أن اختطفت هذه من تحت ركاب القطب فقال إنها وقعت في نفسي فأمر به فضربت عنقه وأعطاني ابنتي فقلت ما رأيت مثل الليلة من امتثالك أمر الشيخ عبد القادر فقال نعم إنه في داره ينظر إلى مردة الجن وهم بأقصى الأرض فيفرون من هيبته وإن الله تعالى إذا أقام قطباً مكنه من الجن والإنس كذا في حياة الحيوان في حرف الجيم عند الكلام على الجن. (الثانية) جاءت امرأة بولدها إلى الشيخ عبد القادر رضي الله عنه وقالت له إني رأيت قلب ابني هذا شديد التعلق بك وقد خرجت عن حقي فيه لله عزّ وجلّ ولك فاقبله فقبله وأمره بالمجاهدة وسلوك الطريق فدخلت عليه أمه يوماً فوجدته نحيلاً مصفرّ اللون من آثار الجوع والسهر ووجدته يأكل قرصاً من شعير فدخلت على الشيخ عبد القادر رضي الله عنه فوجدت بين يديه إناء فيه عظام دجاجة مصلوقة قد أكلها فقالت يا سيدي تأكل لحم الدجاج ويأكل ابني خبز الشعير فوضع الشيخ يده على تلك العظام وقال قومي بإذن الله تعالى الذي يحيي العظام وهي رميم فقامت دجاجة سوية فقال الشيخ رضي الله عنه إذا صار ابنك يفعل هكذا فليأكل ما شاء الله كذا في حياة الحيوان. (الثالثة) قال الشيخ الدميري في حياة الحيوان أيضاً روينا بالسند الصحيح أن الشيخ عبد القادر الجيلي قدس الله روحه جلس يوماً يعظ وكانت الريح عاصفة فمرت على مجلسه حدأة طائرة فصاحت فشوّشت على الحاضرين ما هم فيه فقال الشيخ يا ريح خذي رأس هذه الحدأة فوقعت لوقتها في ناحية ورأسها في ناحية فنزل الشيخ عن الكرسي وأخذها بيده وأمر يده الأخرى عليها وقال بسم الله الرحمن الرحيم فحييت وطارت والناس يشاهدون ذلك انتهى. (الرابعة) سقط عليه رضي الله عنه وهو يدرس حية ففر من حضر منها فدخلت في ذيله وخرجت من طوقه والتفّت على عنقه فلم يقطع كلامه ولم يتغير ثم قامت بين يديه تكلمه بكلام لا يفهم وانصرفت فسئل عن ذلك فقال قالت اختبرت عدة أولياء فلم أجد كثباتك فقلت ما أنت إلا دويدة يحركك القضاء والقدر كذا في درر الأصداف. (الخامسة) توضأ رضي الله عنه يوماً فبال عليه عصفور فرفع رأسه إليه وهو طائر فوقع ميتاً فغسل الثوب ثم

باعه وتصدق بثمنه وقال هذا بهذا كذا في طبقات الشعراني ، وفيه وكان رضي الله عنه يقول : يا رب كيف أهدي إليك روحي وقد صح بالبرهان أن الكل لك ، وكان رضي الله عنه يتكلم في ثلاثة عشر علماً وكانوا يقرأون عليه في مدرسته درساً من التفسير ودرساً من الحديث ودرساً من المذهب ودرساً من الخلاف وكانوا يقرأون عليه طرفي النهار التفسير وعلوم الحديث والمذهب والخلاف والأصول والنحو اهـ. قال ابن الحاج في شرح رسالة ابن باديس حضر يوماً بمجلسه الشيخ أبو الفرج بن الجوزي رضي الله عنه ففسر الشيخ عبد القادر رضي الله عنه آية وذكر فيها وجوهاً وإلى جانب الشيخ أبي الفرج من يسأله أتعرف هذا القول فيقول نعم إلى أن بلغ أحد عشر يعرفها أبو الفرج ثم زاد الشيخ حتى انتهى إلى أربعين وجهاً وعزا كل وجه إلى قائله فاشتد تعجب الشيخ أبي الفرج من كثرة علم الشيخ ثم قال نترك المقال ونرجع للأحوال لا إله إلا الله محمد رسول الله فاضطرب الناس اضطراباً شديداً ومزق أبو الفرج ثوبه اهـ. ومن كلامه رضي الله عنه زيادة على ما سبق : احذروا ولا تأمنوا ولا تضيفوا إلى أنفسكم حالاً ولا مقالاً ولا تدعوها ولا تخبروا بما يطلعكم الله تعالى عليه من الأحوال فإن كل يوم هو في شأن. وقال رضي الله عنه لا تشك ضراً نزل بك لغير الله تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو واحذر أن تشكو ضيق رزقك وعندك قوت فربما عسر عليك أسباب الرزق عقوبة على كفرانك. وقال رضي الله عنه النعم واصلة إليك اجتلبتها أم لا والبلوى حاصلة بك وإن كرهتها فسلم لله في الكل يفعل الله ما يشاء فإن أتتك نعمة فاشتغل بالذكر والشكر أو بلوى فبالصبر والموافقة وأعلى منها الرضا والتلذذ بالقضاء. وكان رضي الله عنه يقول ارض بالدون ولا تنازع ربك في قضائه فيقصمك ولا تغفل عنه فيسلبك ولا تقل في دينه بهواك فيرديك ولا تسكن إلى نفسك فتبلى بها وبمن هو شر منها ولا تظلم أحداً ولو بسوء ظنك به وحملك له على محامل السوء فإنه لا يجاوز بك ظلم ظالم. وكان رضي الله عنه يقول إذا وجدت في قلبك بغض شخص أو حبه فاعرض أفعاله على الكتاب والسنة فإن كانت محبوبة فيها فأحبه وإن كانت مكروهة فاكرهه لئلا تحبه بهواك

وتبغضه بهواك قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1] ولا تهجر أحداً إلا الله وذلك إذا رأيته مرتكباً كبيرة أو مصراً على صغيرة. قال الشعراني قلت: ومعنى رأيته مرتكباً كبيرة العلم بذلك ولو ببينة فلا يشترط في جواز الهجر رؤية الهاجر لذلك العاصي ببصره كذا في طبقات الشعراني وغيره قال الأديب ابن حجة في شرح بديعيته ومما جاء في تجاهل العارف للمبالغة والتعظيم قول القطب الفرد الجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه من قصيدة:

أأظما وأنت العذب في كل منهل ... وأظلم في الدنيا وأنت نصيري

انتهى وقد رأيت هذا البيت وبيتاً آخر معه في ورقة عتيقة ضاعت مني مكتوباً فيها خاصيتها ولكن أنسيتها والبيت الآخر هو ذا:

وعار على حامي الحمى وهو في الحمى ... إذا ضاع في البيدا عقال بعيري

قال ابن الحاج في شرح رسالة ابن باديس روي عنه أنه قال قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى قالوا فلم يبق ولي لله تعالى في المشرق ولا في المغرب ولا من وراء السد ولا في جزائر البحر المحيط ولا في جبل قاف إلا مد عنقه في تلك الساعة إلا رجلاً واحداً في أصفهان لم يتأدب مع الشيخ فسلب حاله، وقد روي أن الشيخ أبا مدين مد عنقه في بلاد المغرب فسأله أصحابه عن ذلك فقال إن سيدي الشيخ عبد القادر قال في هذه الساعة قدمي هذه على رقبة كل ولي فأرخ أصحابه ذلك اليوم حتى قدم المسافرون من أرض العراق فأخبروا بقوله ذلك في ذلك اليوم ولما قال ذلك وهو على منبر وعظه سمع الرفاعي من أم عبيدة بلده فطأطأ رأسه وقال وعلى رقبتي وكذلك سائر الأولياء في سائر البلدان. وفي طبقات الشرنوبي سمي عبد القادر بالجيلاني لأن الله تعالى تجلى عليه وهو في بطن أمه مائة مرة فسمته به الملائكة فسمعت به الرجال وسمته به وشاع اهـ (توفي) رضي الله عنه سنة إحدى وستين وخمسمائة ودفن ببغداد رضي الله عنه قال ابن الأثير كان الجيلي رضي الله عنه من الصلاح على حال عظيم وهو حنبلي المذهب ومدرسته ورباطه مشهوران ببغداد كذا في تاريخ أبي الفداء.

---

(١) سورة ص ٢٦.

(الثالث من الأربعة الأقطاب سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه) وهو أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن إسمعيل بن عمر بن علي بن عثمان ابن حسين بن محمد بن موسى بن يحيى بن عيسى بن علي بن محمد بن حسن بن جعفر بن علي بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه المعروف بالشيخ أبي الفتيان الشريف العلوي السيد أحمد البدوي الملثم المعتقد، والمشهور أن سلفه رضي الله عنه تحوّل من الحجاز إلى بلاد المغرب ثم خرج أبوه علي بن ابراهيم من فاس في سنة ثلاث وستمائة ومعه أولاده وامرأته فاطمة بنت محمد بن أحمد بن عبد الله وأولاده كلهم منها وهم الحسن ومحمد وفاطمة وزينب ورقية وفضة وأحمد البدوي صاحب الترجمة يريدون الحج فحج بهم في سنة سبع وستمائة والسيد أحمد البدوي كان عمره إحدى عشرة سنة وأقام بمكة وعرف بالبدوي لكثرة ما كان يتلثم وعرض عليه أخوه التزويج فامتنع وأخذه تحت كنفه وأقرأه القرآن واشتهر بمكة بالشجاعة وسمي العطاب والغضبان ثم حدث له حال في نفسه فتغيرت أحواله واعتزل الناس ولزم الصمت وكان لا يتكلم إلا بالإشارة فقيل له في منامه أن سر إلى طندتا وبشر بحال يكون له وذلك في ليلة الأحد عاشر محرم سنة ثلاث وثلاثين وستمائة فسار هو وأخوه حسن من مكة في شهر ربيع الأوّل إلى العراق ودخل بغداد وجال في البلاد ثم عاد حسن إلى مكة وتأخر أحمد بعده ثم لحق به وقدم مكة ولزم الصيام والقيام حتى كان يطوي أربعين يوماً لا يتناول فيها طعاماً ولا شراباً وفي أكثر أوقاته يكون شاخصاً ببصره إلى السماء وقد صارت عيناه تتوقدان كالجمر ثم سار من مكة في سنة أربع وثلاثين وستمائة يريد مصر ونزل ناحية طندتا في رابع عشر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وستمائة وأكثر من الصياح ليلاً ونهاراً وأقام بعد ذلك بطندتا كذا نقل عن المقريزي وغيره. وفي طبقات الشعراني ما نصه وكان مولده رضي الله عنه بمدينة فاس بالمغرب لأن أجداده انتقلوا أيام الحجاج إليها حين أكثر القتل في الشرفاء فلما بلغ سبع سنين سمع أبوه قائلاً يقول له في منامه يا علي انتقل من هذه البلاد إلى مكة المشرفة فإن لنا في

ذلك شأناً وكان ذلك سنة ثلاث وستمائة قال الشريف حسن أخو سيدي أحمد رضي الله عنهما فما زلنا ننزل على عرب ونرحل عن عرب فيتلقونا بالترحيب والإكرام حتى وصلنا إلى مكة المشرفة في أربع سنين فتلقانا شرفاء مكة كلهم وأكرمونا ومكثنا عندهم في أرغد عيش حتى توفي والدنا سنة سبع وعشرين وستمائة ودفن بباب المعلاة وقبره هناك ظاهر يزار في زاوية قال الشريف حسن فأقمت أنا وإخوتي وكان أحمد أصغرنا سناً وأشجعنا قلباً وكان من كثرة ما يتلثم لقبناه بالبدوي فأقرأته القرآن في المكتب مع ولدي الحسين ولم يكن في فرسان مكة أشجع منه وكانوا يسمونه في مكة العطاب فلما حدث عليه حادث الوله تغيرت أحواله واعتزل عن الناس ولازم الصمت فكان لا يكلم الناس إلا بالإشارة وكان بعض العارفين يقول إنه رضي الله عنه حصلت له جمعية على الحق تعالى فاستغرقته إلى الأبد ولم يزل حاله يتزايد إلى عصرنا هذا ثم إنه في شوّال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة رأى في منامه ثلاث مرات قائلاً يقول قم يا أحمد واطلب مطلع الشمس فإذا وصلت مطلع الشمس فاطلب مغرب الشمس وسر إلى طندتا فإن بها مقامك أيها الفتى فقام من نومه وشاور أهله وسافر إلى العراق فتلقاه أشياخها منهم سيدي عبد القادر الجيلاني وسيدي أحمد بن الرفاعي فقالوا يا أحمد مفاتيح العراق والهند واليمن والروم والمشرق والمغرب بأيدينا فاختر أي مفتاح شئت فقال لهما سيدي أحمد لا حاجة لي بمفتاحكما ما آخذ المفتاح إلا من الفتاح قال سيدي حسن رضي الله عنه فلما فرغ أخي أحمد من زيارة أضرحة أولياء العراق كالشيخ عدي بن مسافر والحلاج وأضرابهما خرجنا قاصدين إلى ناحية طندتا فأحدق بنا الرجال من سائر الأقطار يعارضوننا ويقاتلوننا فأومأ بيده إليهم سيدي أحمد البدوي فوقعوا أجمعين فقالوا له يا أحمد أنت أبو الفتيان وانكبوا مهرولين راجعين ومضينا إلى أم عبيدة فرجع سيدي حسن إلى مكة وذهب سيدي أحمد رضي الله عنه إلى فاطمة بنت بري وكانت امرأة لها حال عظيم وجمال بديع وكانت تسلب الرجال أحوالهم فسلبها سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه حالها وتابت على يديه وحلفت إنها لا تتعرض لأحد بعد ذلك اليوم وتفرقت القبائل الذين كانوا اجتمعوا

عوناً لبنت بري إلى أماكنهم وكان يوماً مشهوداً بين الأولياء ثم إن سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه رأى الهاتف في منامه يقول يا أحمد سر إلى طندتا فإنك تقيم بها وتربي بها رجالاً وأبطالاً عبد العال وعبد الوهاب وعبد المجيد وعبد المحسن وعبد الرحمن وكان ذلك في شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وستمائة فدخل رضي الله عنه مصر ثم قصد طندتا فدخل على الحال مسرعاً إلى دار شخص من مشايخ البلد اسمه ابن شحيط فصعد إلى سطح غرفته وكان طول نهاره وليله واقفاً شاخصاً ببصره إلى السماء وقد انقلب سواد عينيه حمرة تتوقد كالجمرة وكان يمكث أربعين يوماً فأكثر لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا ينزل من السطح وخرج إلى ناحية فيشي المنارة فتبعه الأطفال فكان منهم عبد العال وعبد المجيد فورمت عين سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه فطلب من سيدي عبد العال بيضة يعملها على عينه فقال وتعطيني الجريدة الخضراء التي معك فقال له سيدي أحمد رضي الله عنه نعم فأعطاها له فذهب إلى أمه فقال لها ههنا بدوي عينه توجعه وطلب مني بيضة وأعطاني هذه الجريدة فقالت ما عندي شيء فرجع فأخبر سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه بذلك فقال اذهب فأتني بواحدة من الصومعة فرجع سيدي عبد العال فوجد الصومعة قد ملئت بيضاً فأخذ له واحدة منها وخرج بها إليه ثم إن سيدي عبد العال تبع سيدي أحمد رضي الله عنه من ذلك الوقت ولم تقدر أمه على تخليصه منه فكانت تقول يا بدوي الشوم علينا فكان سيدي أحمد رضي الله عنه إذا بلغه ذلك يقول لو قالت يا بدوي الخير كانت أصدق ثم أرسل إليها يقول لها إنه ولدي من يوم قرن الثور وكانت أم عبد العال قد وضعته في معلف الثور وهو رضيع فطأطأ الثور ليأكل فدخل قرنه في القماط فشال عبد العال على قرنه وهاج فلم يقدر أحد على تخليصه منه فمد سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه يده وهو بالعراق فخلصه من القرن فتذكرت أم عبد العال الواقعة واعتقدته من ذلك اليوم ولم يزل سيدي أحمد على السطوح مدة اثنتي عشرة سنة وكان سيدي عبد العال يأتي إليه بالرجل أو الطفل فيطأطئ من السطوح فينظر إليه نظرة واحدة فيملؤه مدداً ويقول لعبد العال اذهب به إلى بلد كذا أو موضع كذا فكانوا

يسمون أصحاب السطح وكان رضي الله عنه لم يزل متلثماً بلثامين فاشتهى سيدي عبد المجيد رضي الله عنه يوماً رؤية وجه سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه فقال يا سيدي أريد أن أرى وجهك أعرفه فقال يا عبد المجيد كل نظرة برجل فقال يا سيدي أرنيه ولو أموت فكشف له اللثام الفوقاني فصعق ومات في الحال وكان في طندتا سيدي حسن الصائغ الأخنائي وسيدي سالم المغربي فلما قرب سيدي أحمد رضي الله عنه من مصر أول مجيئه من العراق قال سيدي حسن رضي الله عنه ما بقي لنا إقامة صاحب البلد قد جاء فخرج إلى ناحية اخنا وضريحه بها مشهور إلى الآن ومكث سيدي سالم رضي الله عنه فسلم لسيدي أحمد رضي الله عنه ولم يتعرض له فأقره سيدي أحمد رضي الله عنه وقبره في طندتا مشهور وأنكر عليه بعضهم فسلب وانطفأ اسمه وذكره ومنهم صاحب الايوان العظيم بطندتا المسمى بوجه القمر كان ولياً عظيماً فثار عنده الحسد ولم يسلم الأمر لقدرة الله تعالى فسلب وموضعه الآن بطندتا مأوى للكلاب ليس فيه رائحة صلاح ولا مدد فكان الخطباء بطندتا انتصروا له وعملوا له وقتاً وأنفقوا عليه أموالاً وبنوا الزاوية مأذنة عظيمة فرفسها سيدي عبد العال رضي الله عنه برجله فغارت إلى وقتنا هذا وكان الملك الظاهر بيبرس أبو الفتوحات يعتقد سيدي أحمد رضي الله عنه اعتقاداً عظيماً وكان ينزل لزيارته ولما قدم من العراق خرج هو وعسكره من مصر ليتلقوه وأكرموه غاية الإكرام.

(صفته رضي الله عنه) كان غليظ الساقين طويل الذراعين كبير الوجه أكحل العينين طويل القامة قمحي اللون وكان في وجهه ثلاث نقط من أثر جدري في خده اليمين واحدة وفي خده الأيسر ثنتان أقنى الأنف على أنفه شامتان من كل ناحية شامة سوداء أصغر من العدسة وكان بين عينيه جرح موسى جرحه ولد أخيه الحسين بالأبطح لما كان بمكة ولم يزل من حين كان صغيراً باللثامين ولما حفظ القرآن العظيم اشتغل بالعلم مدة على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه حتى حدث له حادث الوله وكان إذا لبس ثوباً أو عمامة لا يخلعها لغسل ولا لغيره حتى تذوب فيبدلونها له بغيرها والعمامة التي يلبسها الخليفة في كل سنة في المولد هي

عمامة الشيخ بيده وأما البشت الصوف الأحمر فهو من لباس سيدي عبد العال رضي الله عنه اهـ من طبقات الشعراني.

(**كرامات**) : الأولى أن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد قاضي القضاة بالديار المصرية سمع بالشيخ وأحواله فنزل إليه واجتمع به بناحية طندتا وقال له يا أحمد هذا الحال الذي أنت فيه ما هو مشكور فإنه مخالف للشرع الشريف فإنك لا تصلي ولا تحضر الجماعة وما هذه طريقة الصالحين فالتفت إليه سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه وقال له اسكت وإلا أطير دقيقك ودفعه دفعة فلم يشعر بنفسه إلا وهو في جزيرة واسعة ولم يعلم لها طولاً ولا عرضاً فأقبل يلوم نفسه ويعاتبها وهو ذاهل العقل غائب عن الصواب ويقول ما لي ولمعارضة أولياء الله تعالى فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصار يبكي ويستغيث ويبتهل إلى الله تعالى فبينما هو كذلك إذ ظهر له رجل له هيبة ووقار وسلم عليه فرد عليه السلام وقام إليه وجعل يقبل يديه ورجليه فقال له ما قضيتك؟ فأخبره بخبره مع سيدي أحمد البدوي فقال له لقد وقعت في أمر عظيم أتدري كم بينك وبين القاهرة قال لا والله قال بينك وبينها سفر ستين سنة فازداد هماً على همه وغماً على غمه وكبر في قلبه الخوف وقال يا ترى من يخلصني من هذه الورطة إنا لله وإنا إليه راجعون وأقبل على الرجل يقول له أرشدني يرحمك الله فقال له هوّن عليك الأمر فما يحصل لك إلا الخير إن شاء الله تعالى قال وكيف لي بذلك؟ فأخذ بيده وأراه قبة كبيرة وقال له ترى هذه القبة اذهب إليها واجلس فيها فإن سيدي أحمد البدوي يصلي فيها العصر بجماعة من الرجال ويودعونه وينصرف كل واحد منهم إلى حال سبيله فإذا صليت معهم فتعلق به وتملق بين يديه وقبل يديه ورجليه واكشف رأسك وتأدب معه وقل له أستغفر الله وأتوب إليه ولا أعود لما صدر مني فإذا رأى منك ذلك فإنه يقبل عليك ويردك إلى موضعك إن شاء الله تعالى وكان الرجل الذي أتى الشيخ ابن دقيق العيد هو الخضر عليه السلام فامتثل الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد أمره ومشى إلى القبة وجلس فيها على وضوء ينتظر قدوم الجماعة فما كان إلا هنيهة حتى أقبلت الجماعة من كل جانب ومكان وأقيمت الصلاة فتقدم

سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه وصلى بهم إماماً فلما انقضت الصلاة تعلق الشيخ ابن دقيق العيد بأذياله وكشف رأسه وجعل يقبل يديه ورجليه ويبكي ويستغفر ويعتذر وأنصف من نفسه قال فأقبل عليه سيدي أحمد رضي الله عنه وقال له ارجع عما كنت فيه ولا تعد إلى مثله فقال له السمع والطاعة يا سيدي فدفعه الشيخ دفعة لطيفة وقال اذهب إلى بيتك فإن عيالك في انتظارك قال فلم يشعر ابن دقيق العيد بنفسه إلا وهو واقف بباب داره بمصر فأقام مدة ببيته لا يخرج منه لما جرى له مع سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه قال صاحب الجواهر السنية أخبرنا بهذه الكرامة الفقيه الأجل الرضي شمس الدين محمد المعروف بالحلبي قال كنت أحضر مجلس الشيخ زين الدين بن النقاش المكنى بأبي هريرة بجامع أحمد بن طولون وكنت إذ ذاك شاباً فذكر لأهل مجلسه هذه الكرامة وذلك بعد أن قال لأهل مجلسه يا أهل المجلس ما تقولون في سيدي أحمد البدوي؟ فسكتوا فأعاد عليهم ذلك ثانياً وثالثاً وهم يسكتون فقال لهم كان رجلاً صالحاً واتفق له مع الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد كذا وكذا وحكى لنا هذه الحكاية من أولها إلى آخرها وقال إن هذه الكرامة صحيحة فإن الشيخ ذكر هذه الحكاية بنفسه عن نفسه. (الثانية) أن الشيخ ابن دقيق العيد كان قد أرسل إلى سيدي عبد العزيز الديريني رضي الله عنه وقال له امتحن لي هذا الرجل الذي اشتغل الناس بأمره عن هذه المسائل فإن أجابك عنها فهو ولي لله تعالى فمضى إليه سيدي عبد العزيز وسأله عنها فأجاب عنها بأحسن جواب وقال هذا الجواب مسطر في كتاب الشجرة فوجدوه في الكتاب كما قال وكان سيدي عبد العزيز إذ سئل عن سيدي أحمد رضي الله عنه يقول هو بحر لا يدرك له قرار كذا في الطبقات. (الثالثة) قال الشعراني في الطبقات شاهدت أنا بعيني سنة خمس وأربعين وتسعمائة أسيراً على منارة سيدي عبد العال رضي الله عنه مغلولاً مقيداً وهو مخبط العقل فسألته عن ذلك فقال بينا أنا في بلاد الافرنج آخر الليل توجهت إلى سيدي أحمد فإذا أنا به فأخذني وطار بي في الهواء فوضعني ههنا فمكث يومين ورأسه دائرة عليه من شدة الخطفة كذا في الطبقات. (الرابعة) قال الشعراني في

الطبقات أخبرني شيخنا الشيخ محمد الشناوي رضي الله عنه أن شخصاً أنكر حضور مولده فسلب الإيمان فلم يكن فيه شعرة تحن إلى دين الإسلام فاستغاث بسيدي أحمد رضي الله عنه فقال بشرط أن لا تعود فقال نعم فرد عليه ثواب إيمانه ثم قال له وماذا تنكر علينا قال اختلاط الرجال والنساء فقال له سيدي أحمد رضي الله عنه ذلك واقع في الطواف ولم يمنع أحد منه ثم قال وعزة ربي ما عصى أحد في مولدي إلا وتاب وحسنت توبته وإذا كنت أرعى الوحوش والسمك في البحار وأحميها من بعضها فيعجزني الله عزّ وجلّ عن حماية من يحضر مولدي.
(الخامسة) قال الشعراني حكى لي شيخنا أيضاً أن سيدي الشيخ أبا الغيث بن كتيلة أحد العلماء بالمحلة الكبرى وأحد الصالحين بها كان بمصر فجاء إلى بولاق فوجد الناس مهتمين بأمر المولد والنزول في المراكب فأنكر ذلك وقال هيهات أن يكون اهتمام هؤلاء بزيارة نبيهم ﷺ مثل اهتمامهم بأحمد البدوي فقال له شخص سيدي أحمد ولي عظيم فقال ثم في هذا المجلس من هو أعظم منه مقاماً فعزم عليه شخص فأطعمه سمكاً فدخلت حلقه شوكة تصلبت فلم يقدروا على نزولها بدهن غطاس ولا بحيلة من الحيل وورمت رقبته حتى صارت كخلاية النحل تسعة شهور وهو لا يلتذ بطعام ولا شراب ولا منام وأنساه الله تعالى السبب فبعد التسعة شهور ذكره الله بالسبب فقال احملوني إلى قبة سيدي أحمد رضي الله عنه فأدخلوه فشرع يقرأ سورة يس فعطس عطسة شديدة فخرجت الشوكة مغمسة دماً فقال تبت إلى الله تعالى يا سيدي أحمد وذهب الوجع والورم من ساعته.
(السادسة) أنكر ابن الشيخ خليفة بناحية أبيار بالغربية حضور أهل بلده إلى المولد قال الشعراني فوعظه شيخنا الشيخ محمد الشناوي فلم يرجع فاشتكاه لسيدي أحمد فقال ستطلع له حبة ترعى فه ولسانه فطلعت من يومه ذلك وأتلفت وجهه ومات بها. (السابعة) وقع ابن اللبان في حق سيدي أحمد رضي الله عنه فسلب القرآن والعلم والإيمان فلم يزل يستغيث بالأولياء فلم يقدر أحمد أن يدخل في أمره فدلوه على سيدي ياقوت العرشي فمضى إلى سيدي أحمد رضي الله عنه وكلمه في القبر فأجابه وقال له أنت أبو الفتيان رد على هذا المسكين رأس ماله

فقال بشرط التوبة فتاب ورد عليه رأس ماله قال الشعراني وهذا كان سبب اعتقاد ابن اللبان في سيدي ياقوت رضي الله عنه وقد زوجه سيدي ياقوت ابنته ودفن تحت رجليها بالقرافة اهـ من الطبقات. (الثامنة) قال الشعراني أخبرني الشيخ محمد الشناوي رضي الله عنه قال ضاعت حمارة أخي أيام المولد فجاء إلى قبر سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه فقال والله لا أخرج حتى تجيء حمارتي فبينما هو جالس في القبة إذا بالحمارة واقفة جنب التابوت. (التاسعة) قال الشعراني في الطبقات الصغرى أخبرني الخواجا الحلبي قال بينما أنا مسافر بحمل قماش إلى المولد إذا سبعة فرسان أحاطوا بي ليأخذوا ما معي فقلت يا سيدي أحمد أنا في دركك فما تم الكلام حتى خرج عليهم فارس على حصان أبيض لا يرى منه إلا عيناه فطردهم حتى غابوا عني فعرفت أنه سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه. (العاشرة) ان امرأة أسر الافرنج ولدها فلاذت به فأحضره إليها في قيوده. (الحادية عشرة) مر عليه رجل حامل قربة لبن فأومأ إليها بأصبعه فانقدت وانسكب اللبن وخرجت منه حية قد انتفخت ذكرها والتي قبلها ابن حجر. (الثانية عشرة) أن حجراً أسود مثبتاً في ركن قبته تجاه وجه الداخل من الجهة اليمنى وفيه موضع غوص قدمين شاع بين الناس أنه أثر قدمي النبي ﷺ وكل من زار الأستاذ يتبرك بمحل القدمين سعى جماعة عند بعض السلاطين في إخراجه من محله ونقله للسلطان للتبرك به فأرسل السلطان جماعة من الجند يأخذون الحجر فلما هموا بقلعه صار الحجر مما لا يقدر أحد أن يأخذه وهو على الهيئة التي كان عليها قبل ذلك فخافوا وتركوه في محله. (الثالثة عشرة) قال الشعراني ومما وقع أنني دخلت مع شيخي محمد الشناوي لزيارة سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه فشاوره الشيخ في سفره إلى المدينة ليشتري رصاصاً للحمام الذي عمره بطندتا فقال له سيدي أحمد البدوي من القبر سافر وتوكل على الله. قال الشعراني في المنن ومما وقع لي مع سيدي أحمد رضي الله عنه أنه جاء ودعاني أيام خروج الناس من مصر إلى مولده وقال إن زرتني طبخت لك ملوخية فلما ذهبت إلى طندتا طبخ لي جميع من ضيفني فيها ملوخية مدة ثلاثة أيام من غير تواطؤ تصديقاً لكلام الشيخ في المنام

وصار كل من دخل القبة يبدأ بالسلام عليّ قبل زيارة الشيخ حتى استحييت منه وكانت أم ولدي عبد الرحمن لها معي مدة سبعة شهور وهي بكر فجاءني وقال اختل بها في ركن القبة الذي على يسار الداخل وأزل بكارتها ففعلت فطبخ لي حلوى وملوخية حتى كفي أهل المولد فلما رجعت إلى مصر حصل ما أشار به في تلك الليلة. قال الشعراني ومما رأيته أني كنت جالساً على سطح المقام وقت الزوال فرأيت هلال قبة سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه يدور ويزعق كالحجر العظيم من حجارة المعصرة الذي ليس تحته حب فدار نحو ثلاث دورات ثم جاء الخبر بنصرة السلطان سليمان بن سليم من آل عثمان على أهل رودس في ذلك الوقت وكذلك ما سمعنا تابوته يفرقع ويزعق إلا ويحدث في المملكة أمر، وعن المتبولي رضي الله عنه قال قال لي رسول الله ﷺ ما في أولياء مصر بعد محمد بن إدريس أكبر فتوة منه ثم السيدة نفيسة ثم شرف الدين الكردي ثم المنوفي. قال ابن عربي الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان. وفي هذا القدر كفاية والله ولي التوفيق والهداية. قال بعضهم: ويؤثر عن سيدي أحمد البدوي شعر، وهو قوله:

مجانين إلا أن سر جنونهم ... عزيز على أبوابه يسجد العقل

وقد عثرت على هذه الأبيات فأحببت أن أذكرها وهي:

أنا الملثم سل عني وعن هممي ... ينبيك عزمي بماذا قلته بفمي
قد كنت طفلاً صغيراً نلت منزلة ... وهمتي قد علت من سالف القدم
أنا السطوحي واسمي أحمد البدوي ... فحل الرجال إمام القوم في الحرم
لك الهنا يا مريدي لا تخف أبداً ... واشطح بذكري بين البان والعلم
إذا دعاني مريدي وهو في لجج ... في قاع بحر نجا من ساحة العدم

توفي سيدي أحمد البدوي سنة خمس وسبعين وستمائة واستخلف بعده على الفقراء سيدي عبد العال وسار سيرة حسنة وعمر طويلاً إلى أن مات سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة واشتهرت أصحابه بالسطوحية، نفعنا الله ببركاتهما وأمدنا من إمداداتهما آمين.

(الرابع من الأربعة الأقطاب سيدي إبراهيم الدسوقي القرشي الهاشمي) وقد ذكر نسبه الشعراني في كتابه الطبقات بقوله : وهو ابراهيم بن أبي المجد بن قريش ابن محمد بن أبي النجا بن زين العابدين بن عبد الخالق بن محمد بن أبي الطيب ابن عبد الله الكاتم بن عبد الخالق بن أبي القاسم بن جعفر الزكي بن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي رضي الله عنهم أجمعين اهـ. قال المناوي في طبقاته سيدي إبراهيم الدسوقي شيخ الطائفة البرهامية صاحب المحاضرات القدسية والعلوم اللدنية والأسرار العرفانية أحد الأئمة الذين أظهر الله لهم المغيبات وخرق لهم العادات ذو الباع الطويل والتصرف النافذ واليد البيضاء في أحكام الولاية والقدم الراسخ في درجات النهاية انتهت إليه رياسة الكلام على خواطر الأنام وقد كان يتكلم بجميع اللغات من عربي وسرياني وغيرهما ويعرف لغات الوحش والطير (ومن كلامه) كما في طبقات الشعراني يجب على المريد أن لا يتكلم قط إلا بدستور شيخه إن كان جسمه حاضراً وإن كان غائباً يستأذنه بالقلب وذلك حتى يترقى إلى الوصول إلى هذا المقام في حق ربه عزّ وجلّ فإن الشيخ إذا رأى المريد براعيه هذه المراعاة رباه بلطيف الشراب وأسقاه من ماء التربية ولاحظه بالسر المعنوي الأولى فيا سعادة من أحسن الأدب مع مربيه ويا شقاء من أساء وكان رضي الله عنه يقول : من عامل الله تعالى بالسرائر جعله على الأسرة والحظائر، ومن خلص نظره من الانعكاس سلم من الالتباس، وكان رضي الله عنه يقول الشريعة أصل والحقيقة فرع فالشريعة جامعة لكل علم مشروع والحقيقة جامعة لكل علم خفي وجميع المقامات مندرجة فيها، وكان رضي الله عنه يقول يجب على المريد أن يأخذ من العلم ما يجب عليه في تأديته فرضه ونفله ولا يشتغل بالفصاحة والبلاغة فإن ذلك شغل منه عن مراده بل يفحص عن آثار الصالحين في العمل ويواظب على الذكر.

ومن كلامه المنظوم رضي الله عنه :

سقاني محبوبي بكأس المحبة   فتهت عن العشاق سكراً بخلوتي

ولاح لنا نور الجلالة لو أضا ... لصم الجبال الراسيات لدكت

وكنت أنا الساقي لمن كان حاضراً ... أطوف عليهم كرة بعد كرة

ونـادمني سراً بسر وحكمة ... وإن رسول الله شيخي وقدوتي

وعاهدني عهداً حفظت لعهده ... وعشت وثيقاً صادقاً بمحبتي

وحكمني في سائر الأرض كلها ... وفي الجن والأشباح والمردية

وفي أرض صين الصين والشرق كلها ... لأقصى بلاد الله صحت ولايتي

أنا الحرف لا أقرا لكل مناظر ... وكل الورى من أمر ربي رعيتي

وكم عالم قد جاءنا وهو منكر ... فصار بفضل الله من أهل خرقتي

وما قلت هذا القول فخراً وإنما ... أتى الإذن كي لا يجهلون طريقتي

تجلى لنا المحبوب في كل وجهة ... فشاهدته في كل معنى وصورة

اهـ من طبقات الشعراني : وإن أردت أن تتضلع من كلامه المنثور والمنظوم فعليك بها. وذكر عن سيدي ابراهيم أنه صام في المهد وأنه ينقل اسم مريده من الشقاوة إلى السعادة وأن الدنيا جعلت في يده كخاتم وأنه جاوز سدرة المنتهى وجالت نفسه في الملكوت ووقف بين يدي الله تعالى وأنه فك طلسم السبع المثاني وأن قدمه لم تسعها الدنيا وقال رضي الله عنه وليت القطبية فرأيت المشرقين والمغربين وما تحت التخوم وصافحت جبريل عليه السلام.

(كرامات) : الأولى جاء سبعة من القضاة يمتحنونه فلما وصلت مركبهم إلى البر بناحية دسوق أرسل النقيب لهم فدفعهم فوجدوا أنفسهم خلف جبل قاف فأقاموا سنة يأكلون من حشيش الأرض حتى تغيرت أجسادهم وخلقت ثيابهم ثم تذكروا ما وقعوا فيه فتابوا هنالك فأرسل لهم النقيب فدفعهم فوجدوا أنفسهم على ساحل دسوق ومسح الله من قلوبهم تلك الأسئلة كلها واعترفوا بما كانوا جاءوا لأجله فقال لهم الشيخ رضي الله عنه قولوا ما عندكم من المسائل فضحكوا وقالوا بكفينا ما جرى لنا فأخذوا عليه العهد وصاروا من تلامذته حتى ماتوا كذا في درر الأصداف.(الثانية) قال المناوي خطف تمساح صبياً فأتته أمه مذعورة فأرسل نقيبه فنادى بشاطئ البحر معاشر التماسيح من ابتلع صبياً فليطلع به فطلع ومشى معه إلى

الشيخ فأمره أن يلفظه فلفظه حياً وقال للتمساح مت بإذن الله فمات. (الثالثة) توجه بعض تلامذته إلى ناحية الاسكندرية لحاجة يقضيها لأستاذه فتشاجر مع رجل من السوقة في شأن حاجة اشتراها منه فاشتكاه السوقي إلى قاضي المدينة وكان جباراً ظالماً متكبراً على الفقراء فلما وقف ذلك الفقير بين يديه أمر بحبسه وأراد ضربه بلا موجب بغضاً في الفقراء فأرسل الفقير إلى شيخه سيدي ابراهيم يتشفع به في خلاصه فلما بلغه الخبر كتب إلى القاضي رقعة فيها هذه الأبيات:

سهام الليل صائبة المرامي	إذا وترت بأوتار الخشوع
يقوّمها إلى المرمى رجال	يطيلون السجود مع الركوع
بألسنة تهمهم في دعاء	بأجفان تفيض من الدموع
إذا أوترن ثم رمين سهماً	فما يغني التحصن بالدموع

فلما وصلت الرقعة إلى القاضي جمع أصحابه وقال لهم انظروا إلى هذه الورقة التي جاءت من هذا الرجل الذي يدعي الولاية بعد أن آذى حاملها بالكلام واحتقره ثم زاد في سب الأستاذ ثم أخذ يقرؤها فلما وصل إلى قوله « إذا أوترن ثم رمين سهماً » خرج سهم من الورقة فدخل في صدره وخرج من ظهره فوقع ميتاً نعوذ بالله من سوء الاعتقاد في الصالحين والاعتراض على الأولياء العارفين فعند ذلك هاج الناس وآمنوا بكرامة الشيخ وأطلقوا الرجل مكرماً معظماً وأنعموا على الذي جاء بالرقعة إنعاماً كثيراً ببركة سيدي ابراهيم رضي الله عنه ذكرها الشيخ يوسف الخضري في كتابه روضة الناظر قال الشعراني في الطبقات تفقه سيدي إبراهيم الدسوقي على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ثم اقتفى آثار السادة الصوفية وجلس في مرتبة المشيخة وحمل الراية البيضاء وعاش من العمر ثلاثاً وأربعين سنة ولم يغفل قط عن المجاهدة للنفس والهوى والشيطان حتى مات سنة ست وسبعين وستمائة رضي الله عنه.

(تتميم في الكلام على مناقب القطب أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه)

كانت ولادته رضي الله عنه سنة إحدى وخمسين وخمسمائة. وقد نقل ابن عباد

نسبه من كتاب اللطيفة المرضية في شرح دعاء الشاذلية للشيخ شرف الدين أبي سليمان داود السكندري بقوله : هو الشريف الحسيب ذو النسبتين الطاهرتين الجسدية والروحية المحمدي العلوي الحسني الفاطمي أبو الحسن علي الشاذلي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم اهـ وفيه أنه لم يكن في أولاد الحسن بن علي من اسمه محمد له عقب وأن الذي أعقب من أولاد الحسن السبط زيد الأبلج وحسن المثنى كما نص عليه غير واحد قال الشيخ كمال الدين ابن طلحة لم يكن لأحد من أولاد الحسن عقب غير اثنين منهم وهما الحسن وزيد اهـ فصوابه محمد بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب اللهم إلا أن يقال إن ولد الابن ابن قال بعضهم علي أبو الحسن السيد الشريف زعيم الشاذلية نسبة إلى شاذلة قرية بأفريقية قرب تونس نشأ ببلده واشتغل بالعلوم الشرعية حتى أتقنها وصار يناظر عليها مع كونه ضريراً ثم انتهج التصوف وجد واجتهد حتى ظهر صلاحه وخيره وطار في الفضائل طيره وحمد في الطريق سراه وسيره نظم فرقق ولطف وتكلم على الناس فقرظ الآذان وشنف وطاف وجال ولقي الرجال وقدم الاسكندرية من المغرب وصار يلازم ثغرها من الفجر إلى الغروب وينفع الناس بحديثه الحسن وكلامه المعرب وكان إذا ركب تمشى أكابر الفقراء والدنيا حوله وتنشر الأعلام على رأسه وتضرب الكاسات بين يديه ويأمر النقيب أن ينادي أمامه من أراد القطب الغوث فعليه بالشاذلي رضي الله عنه ثم تحول إلى الديار المصرية وأظهر فيها طريقته المرضية وسيرته النبوية ، وكان يقرأ ابن عطية والشفاء وأخذ عنه العز بن عبد السلام وله أجزاء محفوظة وأحوال بعين العناية ملحوظة وقيل له من شيخك؟ فقال أما فيما مضى فعبد السلام بن مشيش وأما الآن فإني أستقي من عشرة أبحر خمسة سماوية وخمسة أرضية انتهى. قال أبو الحسن صاحب الترجمة سألت الله أن يجعل القطب من بيتي فإذا النداء يا علي قد استجبنا لك. وكان يقول قيل لي : ما على وجه الأرض مجلس في الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام وما

على وجه الأرض مجلس في علم الحديث أبهى من مجلس عبد العظيم المنذري ، وما على وجه الأرض مجلس في علم الحقائق أبهى من مجلسك ، وكان رضي الله عنه يحضر مجلسه أكابر العلماء كابن الحاجب وابن عبد السلام عز الدين وابن دقيق العيد وعبد العظيم المنذري وابن صلاح وابن عصفور فكانوا يحضرون ميعاده بالمدرسة الكاملية من القاهرة ويقرأ ابن عطية والشفاء ويمشون بين يديه إذا خرج وكان رضي الله عنه يقول : إذا عرضت لك حاجة إلى الله فأقسم على الله بي قال الشيخ أبو العباس المرسي والله ما ذكرته في شدة إلا انفرجت ولا في أمر صعب إلا هان قال وأنت يا أخي إذا كنت في شدة فأقسم على الله به وقد نصحتك والله يعلم ذلك قال الشيخ أبو عبد الله الشاطبي كنت أترضى على الشيخ في كل ليلة كذا وكذا مرة وأسأل الله به في جميع حوائجي فأجد القبول في ذلك معجلاً فرأيت رسول الله ﷺ فقلت له يا رسول الله إني أترضى على الشيخ أبي الحسن في كل ليلة بعد صلاتي عليك وأسأل الله به في حوائجي أفترى علي في ذلك شيئاً إذ تعديتك فقال لي أبو الحسن ولدي حساً ومعنى والولد جزء من الوالد فمن تمسك بالجزء فقد تمسك بالكل وإذا سألت الله بأبي الحسن فقد سألته بي اهـ من شرح البناني على الحزب . وحج مراراً قال ابن دقيق العيد ما رأيت أعرف بالله منه ومع ذلك آذوه وأخرجوه وجماعته من المغرب وكتبوا إلى نائب الاسكندرية إنه يقدم عليكم مغربي زنديق وقد أخرجناه من ديارنا فاحذروه فدخل الإسكندرية فآذوه فظهرت كرامات أوجبت اعتقاده رضي الله عنه . قال الشعراني في خاتمة المنن حكى الشيخ تاج الدين بن عطاء الله أن سيدي الشيخ أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنه كان يقول : لا يكمل عالم في مقام العلم حتى يبتلى بأربع شماتة الأعداء وملامة الأصدقاء وطعن الجهال وحسد العلماء فإن صبر على ذلك جعله الله إماماً يقتدى به ولما شاع أمره في بلاد المغرب تجارأت عليه الأعداء والحسدة من كل جانب ورموه بالعظائم وبالغوا في أذيته حتى منعوا الناس من مجالسته وقالوا إنه زنديق ولما أراد السفر إلى مصر كتبوا إلى سلطان مصر مكاتبات إنه سيقدم عليكم مصر مغربي من الزنادقة أخرجناه من بلادنا حين أتلف عقائد المسلمين وإياكم أن

يخدعكم بحلاوة منطقه فإنه من كبار الملحدين ومعه استخدامات من الجن فلما وصل الشيخ إلى مدينة الإسكندرية حتى وجد الخبر بذلك سابقاً على مقدمه فقال حسبنا الله ونعم الوكيل فبالغ أهل الاسكندرية في إيذائه ثم رفعوا أمره إلى سلطان مصر وأخرجوا له مراسيم فيها ما يباح به دم الشيخ فمد يده إلى سلطان المغرب وأتى منه بمراسيم تناقض ذلك فيها من التعظيم والتبجيل ما لا يوصف تاريخه متأخر عن مراسيمهم فتحير السلطان وقال العمل بهذا أولى وأكرمه ورده إلى الاسكندرية مكرماً ولما تزايد عليه الأذى توجه إلى الله تعالى وذلك أنه أرسل له سلطان مصر يسأله الدعاء ويتعطف بخاطره فكف الناس عنه الأذى حرمة للسلطان وبعضهم داوم على الأذى وكتبوا فيه للسلطان وقالوا يا مولانا إنه سيماوي فتغير السلطان ثم أرسلوا إليه مكاتبات أنه يضرب الزغل وأنه كيماوي وحذروا الناس من مجالسته واتفق أن خازندار السلطان محمد بن قلاوون وقع في أمر يوجب القتل عند الملوك فأمر بشنقه فهرب واختفى بالاسكندرية وأقام عند الشيخ فبلغ الخبر السلطان فكتب إليه ما كفاك ضرب الزغل حتى إنك تؤوي غريم السلطان فأرسله ساعة وصول كتابنا إليك وإلا فعلنا بك وفعلنا فلم يرسله الشيخ فغضب السلطان وأرسل يتوعد الشيخ بالقتل ويقول له كيف تتلف مماليك السلطان فلما وصل إليه الخبر مع شخص من أخصاء السلطان قال له الشيخ معاذ الله أن تتلف أحداً من مماليك السلطان وإنما نحن نصلحه ثم قال لقاصد السلطان ائتنا بما شئت من الرصاص من حواصل السلطان حتى أريك الإصلاح فأتى بشيء كثير فألقاه الشيخ في فسقية جامع من غير ماء وقال للخازندار بل على هذا الرصاص فبال عليه فصار ذهباً خالصاً فقال له أهذا إصلاح أم إفساد فساد؟ فقال إصلاح ثم أمر القاصد بحمل ذلك إلى خزانة السلطان فوزنوا ذلك فوجدوه خمسة قناطير فقال هذا هدية لمولانا السلطان وقل له يرضى عن مملوكه فرضي عنه ثم إن السلطان نزل إلى زيارة الشيخ في الإسكندرية وأضمر في نفسه أن يعلمه صنعة الكيمياء فقال له كيماؤنا التقوى فاتق الله يعلمك حرف كن ثم لم يزل معظماً للشيخ حتى مات اهـ.

(وحكى) المرسي رضي الله عنه عن شيخه صاحب الترجمة قال صليت خلفه صلاة فشهدت ما بهر عقلي شهدت بدن الشيخ والأنوار قد ملأته وانبثت الأنوار من وجوده حتى لم أستطع النظر إليه وقال المرسي رضي الله عنه جلت في الملكوت فرأيت أبا مدين متعلقاً بساق العرش فقلت له ما علومك؟ فقال أحد وسبعون فقلت ما مقامك؟ قال رابع الخلفاء ورأس السبعة قال فقلت فما تقول في الشاذلي قال زاد عليّ بأربعين علماً وهو البحر الذي لا يحاط به. ولما دخل الشاذلي رضي الله عنه الاسكندرية كان بها أبو الفتح الواسطي فوقف بظاهرها فاستأذنه فقال طاقية لا تسع رأسين فمات أبو الفتح في ليلته وذلك أن من دخل بلداً على فقير بغير إذن فيها كان أحدهما أعلى من الآخر سلبه أو قتله فلذلك ندبوا الاستئذان (ومن كلامه رضي الله عنه) إن أردت أن لا يصدأ لك قلب ولا يلحقك هم ولا كرب ولا يبقى عليك ذنب فأكثر من الباقيات الصالحات، وقال من أحب أن لا يعصي الله تعالى في مملكته فقد أحب أن لا تظهر مغفرته ورحمته، وقال رضي الله عنه لا يشم رائحة الولاية من لم يزهد في الدنيا وأهلها، إذا افتقرت فسلم وإذا ظلمت فاصبر واسكت تحت جريان الأقدار فإنها سحابة سائرة، وقال رضي الله عنه من أدب مجالسة الأكابر عدم التجسس على عقائدهم ومن أدب مجالسة العلماء عدم تحديثهم بغير المنقول، وقال رضي الله عنه: رأيت أني مع النبيين عليهم الصلاة والسلام فقلت اللهم ابلك بي سبيلهم مع العافية عما ابتليتهم فهم أقوى مني فقال لي قل وما قدرت علينا من شيء فأيدنا فيه كما أيدتهم، وقال رضي الله عنه نمت ليلة في سياحتي فطافت بي السباع إلى الصبح فما وجدت أنساً كتلك الليلة فأصبحت فخطر لي أنه حصل لي من مقام الأنس بالله شيء فهبطت وادياً فيه طيور حجل فأحست بي فطارت فخفق قلبي رعباً فنوديت يا من كان البارحة يأنس بالسباع ما لك وجلت من خفقان الحجل لكنك كنت البارحة بنا واليوم بنفسك وكلامه رضي الله عنه كثير عال كبير تركناه مخافة التطويل، وقد أفرد ابن عطاء الله ما يتعلق بالشيخ بالتأليف فكان مجلداً حافلاً، وقد ذكر الشيخ الشعراني في طبقاته نبذة عظيمة من كلامه فعليك به قال أبو الحسن صاحب الترجمة رضي

الله عنه رأيت الخضر عليه السلام فقال يا أبا الحسن أصحبك الله اللطف الجميل وكان لك صاحباً في المقام والرحيل.

(وصية عظيمة للشيخ وجدتها في حياة الحيوان) قال سيدنا الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: كن متمسكاً بهذه الصفات الحميدة تفز بالدارين. لا تتخذ من الكافرين ولياً ولا من المؤمنين عدواً وارحل بزادك من التقوى في الدنيا وعد نفسك من الموتى واشهد لله تعالى بالوحدانية ولرسوله ﷺ بالرسالة وحسبك عمل صالح وإن قل وقل آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فمن كان متمسكاً بهذه الصفات الحميدة ضمن الله له عزّ وجلّ أربعة في الدنيا الصدق في القول والإخلاص في العمل والرزق كالمطر والوقاية من الشر وأربعة في الآخرة المغفرة العظمى والقربة الزلفى ودخول جنة المأوى واللحوق بالدرجة العليا، وإن أردت الصدق في القول فداوم على قراءة إنا أنزلناه في ليلة القدر، وإن أردت الرزق كالمطر فداوم على قراءة قل أعوذ برب الفلق، وإن أردت السلامة من شر الناس فداوم على قراءة قل أعوذ برب الناس، وإن أردت جلب الخير والرزق والبركة فداوم على قراءة بسم الله الرحمن الرحيم الملك الحق المبين نعم المولى ونعم النصير واقرأ سورة الواقعة وسورة يس فإنه يأتيك الرزق كالمطر، وإن أردت أن يجعل الله لك من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ويرزقك من حيث لا تحتسب فالزم الاستغفار، وإن أردت أن تأمن مما يروعك ويفزعك فقل أعوذ بكلمات الله التامات من شر غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن شر همزات الشياطين وأن يحضرون، وإن أردت أن تعرف أي وقت تفتح فيه أبواب السماء ويستجاب فيه الدعاء فاشهد وقت نداء المنادي فأجبه ففي الحديث: «من نزل به كرب أو شدة فليجب المنادي». والمنادي هو المؤذن، وإن أردت أن تسلم من أمر يربكك فقل توكلت على الحي الذي لا يموت أبداً والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً، وإن أردت أن تنجو من هم أو غم أو خوف يصيبك فقل اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي

بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم جلاء قلبي وذهاب همي وغمي فيذهب عنك همك وحزنك ، وإن أردت أن يداويك الله تعالى من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم فقل ما ورد في الحديث لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإنها دواء مما ذكر ، وإن أردت أن تنجو مما يصيبك من مصيبة فقل إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم عندك احتسبت مصيبتي فآجرني وأبدلني خيراً منها ومنه حسبنا الله ونعم الوكيل توكلنا على الله وعلى الله توكلنا ، وإن أردت أن يذهب همك ويقضى دينك فقل ما ورد عن النبي ﷺ حين سأله السائل فقال ألا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك ويقضي دينك قال بلى يا رسول الله قال قل إذا أصبحت وإذا أمسيت اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من الدين وأعوذ بك من قهر الرجال ، وإن أردت أن توفق للخشوع فاترك فضول النظر ، وإن أردت أن توفق للحكمة فاترك فضول الكلام ، وإن أردت أن توفق لحلاوة العبادة فعليك بالصوم وقيام الليل والتهجد فيه ، وإن أردت أن توفق للهيبة فاترك المزاح والضحك فإنهما يسقطان الهيبة ، وإن أردت أن توفق للمحبة فاترك فضول الرغبة في الدنيا ، وإن أردت أن توفق لإصلاح عيب نفسك فاترك التجسس على عيوب الناس فإن التجسس من شعب النفاق كما أن حسن الظن من شعب الإيمان ، وإن أردت أن توفق للخشية فاترك التوهم في كيفية ذات الله تعالى تسلم من الشك والنفاق ، وإن أردت أن توفق للسلامة من كل سوء فاترك الظن السيء لكل من الناس ، وإن أردت أن لا يموت قلبك فقل كل يوم مرة يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت ، وإن أردت أن ترى النبي ﷺ يوم القيامة يوم الحسرة والندامة فأكثر من قراءة «إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت» وإن أردت أن ينور وجهك فداوم على قيام الليل ، وإن أردت السلامة من عطش يوم القيامة فلازم الصوم ، وإن أردت أن تسلم من عذاب القبر فاحترز من النجاسات وأكل المحرمات وارفض الشهوات ، وإن أردت أن تكون أغنى الناس فلازم القناعة ، وإن أردت أن تكون خير الناس

فكن نافعاً للناس ، وإن أردت أن تكون أعبد الناس فكن متمسكاً بقوله ﷺ : «من يأخذ عني هؤلاء الكلمات ليعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن؟ قال أبو هريرة قلت أنا يا رسول الله فأخذ بيدي وعد خمساً وقال اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب». وإن أردت أن تكون من المحسنين الخالصين فاعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وإن أردت أن يكمل إيمانك فحسن خلقك وإن أردت أن يحبك الله فاقض حوائج إخوانك المسلمين في الحديث : «إذا أحب الله عبداً صير حوائج الناس إليه». وإن أردت أن تكون من المطيعين فأدّ ما فرض الله عليك ، وإن أردت أن تلقى الله نقياً من الذنوب فاغتسل من الجنابة ولازم غسل الجمعة تلق الله وما عليك ذنب ، وإن أردت أن تحشر يوم القيامة في النور الهادي وتسلم من الظلمات لا تظلم أحداً من خلق الله تعالى ، وإن أردت أن تقل ذنوبك فالزم دوام الاستغفار ، وإن أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله ، وإن أردت أن يوسع الله عليك الرزق كالمطر فلازم الطهارة الكاملة ، وإن أردت أن تكون آمناً من سخط الله تعالى فلا تغضب على أحد من خلق الله تعالى ، وإن أردت أن يستجاب دعاؤك فاجتنب الربا وأكل الحرام وأكل السحت ، وإن أردت أن لا يفضحك الله على رؤوس الأشهاد فاحفظ فرجك ولسانك ، وإن أردت أن يستر الله عليك عيبك فاستر عيوب الناس فإن الله ستار يحب من عباده المسترين ، وإن أردت أن تمحى خطاياك فأكثر من الاستغفار والخضوع والخشوع والحسنات في الخلوات ، وإن أردت الحسنات العظام فعليك بحسن الخلق والتواضع والتصبر على البلية ، وإن أردت السلامة من السيئات العظام فاجتنب سوء الخلق والشح المطاع ، وإن أردت أن يسكن عنك غضب الجبار فعليك بإخفاء الصدقة وصلة الرحم ، وإن أردت أن يقضي الله عنك الدين فقل ما قاله النبي ﷺ للأعرابي حين سأله وقال عليه الصلاة والسلام له : لو كان عليك مثل الجبال ديناً أداه الله عنك قل : «اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك». وفي

الحديث لو كان على أحدكم جبل من ذهب ديناً فدعا بذلك لقضاه الله عنه وهو : «اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها أنت ترحمني فارحمني برحمة تغنيني بها عمن سواك» ، وإن أردت أن تنجو من هلكة فالزم ما في الحديث : «إذا وقعت في ورطة فقل بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإن الله تعالى يصرف عنك ما شاء من أنواع البلاء» . والورطة بفتح الواو وإسكان الراء الهلاك ، وإن أردت أن تأمن من قوم خفت شرهم فقل ما ورد في الحديث : «اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم» . أو تقول : «اللهم اكفنا بما شئت وكيف شئت إنك على كل شيء قدير» . وإن أردت أن تأمن سلطاناً فقل ما ورد في الحديث : «لا إله إلا الله الحليم الكريم رب السموات السبع ورب العرش العظيم لا إله إلا أنت عزّ جارك وجلّ ثناؤك لا إله إلا أنت» . ويستحب أن يقول ما تقدم اللهم إنا نجعلك في نحورهم الخ . وفي الحديث : «إذا أتيت سلطاناً مهاباً تخاف أن يسطو عليك فقل الله أكبر الله أكبر الله أعز من خلقه جميعاً الله أعز وأكبر مما أخاف وأحذر والحمد لله رب العالمين» . وإن أردت ثبات القلب على الدين فادع بما أسند مرفوعاً أنه كان من دعائه ﷺ : «اللهم ثبت قلبي على دينك» . وفي رواية «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» اهـ .

توفي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه سنة ست وخمسين وستمائة وهو قاصد الحج في شهر رمضان ودفن بصحراء عيذاب بحميثرا من الصعيد وكان ماؤها أجاجاً فعذب .

(ومن كراماته) زيادة على ما سبق ما نقله ابن بطوطة في رحلته ، قال: أخبرني الشيخ ياقوت العرشي عن شيخه الشيخ أبي العباس المرسي رضي الله عنه أن أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنه كان يحج كل سنة ، فلما كان في آخر سنة خرج فيها قال لخادمه استصحب فأساً وقفة وحنوطاً ، فقال له الخادم ولماذا يا سيدي؟ فقال في حميثرا سوف ترى ، وحميثرا بصعيد مصر في صحراء عيذاب فلما بلغ حميثرا اغتسل الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه وصلى ركعتين فقبضه الله تعالى في

آخر سجدة من صلاته ودفن هناك. قال : وقد زرت قبره وعليه قبة مكتوب عليها نسبه إلى الحسين رضي الله عنه كذا بالنسخة التي بيدي وهو مخالف لما مر من أن نسبه ينتهي إلى الحسن ومن حفظ حجة، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

يقول مؤلفه السيد مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي : كان الفراغ منه يوم الخميس المبارك السادس والعشرين من شهر الله الحرام رجب الذي هو من شهور سنة تسعين بعد الألف والمائتين من هجرة سيد الكونين والثقلين سيدنا محمد ﷺ.



الفهرس